

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# مَجْمَعُ الْبَيِّنَاتِ

عَنْ  
تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأليف

أبي جعفر محمد بن جرير الطبري  
المؤلف سنة ٣١٠ هـ

الجزءان

١٧-١٨

دارالكتاب



# جَامِعُ الْبَيَّانِ

عَنْ  
تَأْوِيلِ آيِمِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ

الْمُتَوَفَى سَنَةَ ٣١٠ هـ

الجزء السابع عشر

دار الفكر

# نَدْوَةُ الْبَنَاءِ وَالْحَوْلِ

حُقوق الطبع محفوظة

١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

بنيان

بنيان من بنات

١٧٩ - قسمة

شعوب البنجا

المكاتب، البناية المركزية - هاتف، ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب.، ١١ / ٧٠٦١ } بيروت  
المطابع والمعمل، حارة هريك - شارع عبد النور - هاتف، ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧ } لبنان  
بَرْقياً، فِكْسِي - تَلِكْس ٤١٣٩٢ فِكْر FIKR 41392 LE

فهارس الجزء السابع عشر  
من  
جامع البيان عن تأويل آي القرآن  
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

١٤٧	١٤٧
١٤٨	١٤٨
١٤٩	١٤٩
١٥٠	١٥٠
١٥١	١٥١
١٥٢	١٥٢
١٥٣	١٥٣
١٥٤	١٥٤
١٥٥	١٥٥
١٥٦	١٥٦
١٥٧	١٥٧
١٥٨	١٥٨
١٥٩	١٥٩
١٦٠	١٦٠
١٦١	١٦١
١٦٢	١٦٢
١٦٣	١٦٣
١٦٤	١٦٤
١٦٥	١٦٥
١٦٦	١٦٦
١٦٧	١٦٧
١٦٨	١٦٨
١٦٩	١٦٩
١٧٠	١٧٠
١٧١	١٧١
١٧٢	١٧٢
١٧٣	١٧٣
١٧٤	١٧٤
١٧٥	١٧٥
١٧٦	١٧٦
١٧٧	١٧٧
١٧٨	١٧٨
١٧٩	١٧٩
١٨٠	١٨٠
١٨١	١٨١
١٨٢	١٨٢
١٨٣	١٨٣
١٨٤	١٨٤
١٨٥	١٨٥
١٨٦	١٨٦
١٨٧	١٨٧
١٨٨	١٨٨
١٨٩	١٨٩
١٩٠	١٩٠
١٩١	١٩١
١٩٢	١٩٢
١٩٣	١٩٣
١٩٤	١٩٤
١٩٥	١٩٥
١٩٦	١٩٦
١٩٧	١٩٧
١٩٨	١٩٨
١٩٩	١٩٩
٢٠٠	٢٠٠

- الفهرس الأول : للآيات المفسرة
- الفهرس الثاني : مواضيع الآيات المفسرة
- الفهرس الثالث : للقوافي
- الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية.

## ١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المنسرة	الصفحة	الآية	الآية المنسرة	الصفحة
	تفسير سورة الأنبياء				
١	اقرب للناس حسابهم . . .	١	٢٣	لا يستل عما يفعل وهم يسئلون . . .	١٤
٢	ما يأتيهم من ذكر من ربهم . . .	٢	٢٤	أم اتخذوا من دونه آلهة . . .	١٤
٣	لاهية قلوبهم وأسروا النجوى . . .	٢	٢٥	وما أرسلنا من قبلك من رسول . . .	١٥
٤	قال ربني يعلم القول في السماء . . .	٣	٢٦	وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه . . .	١٥
٥	بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراء . . .	٣	٢٧	لا يسبقونه بالقول . . .	١٥
٦	ما آمنت قبليهم من قرية أهلكناها . . .	٤	٢٨	يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم . . .	١٦
٧	وما أرسلنا قبلك إلا رجالا . . .	٤	٢٩	ومن يقل منهم إني إله من دونه . . .	١٧
٨	وما جعلناهم جسدا لا يأكلون . . .	٥	٣٠	أو لم ير الذين كفروا . . .	١٧
٩	ثم صدقناهم الوعد فأنجيناهم . . .	٦	٣١	وجعلنا في الأرض رواسي . . .	٢١
١٠	لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم . . .	٦	٣٢	وجعلنا السماء سقفا محفوظا . . .	٢١
١١	وكم قصصنا من قرية كانت ظالمة . . .	٧	٣٣	وهو الذي خلق الليل والنهار . . .	٢١
١٢	فلما أحسوا بأسنا . . .	٧	٣٤	وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد . . .	٢٤
١٣	لا تتركضوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه . . .	٨	٣٥	كل نفس ذائقة الموت . . .	٢٤
١٤	قالوا يا ويلنا إنا كنا ظالمين . . .	٩	٣٦	وإذا رآك الذين كفروا . . .	٢٥
١٥	فما زالت تلك دعواهم حتى جعلناهم . . .	٩	٣٧	خلق الإنسان من عجل . . .	٢٥
١٦	وما خلقنا السماء والأرض . . .	٩	٣٨	ويقولون متى هذا الوعد . . .	٢٥
١٧	لو أردنا أن نتخذ لهم واتخذناه . . .	١٠	٣٩	لو يعلم الذين كفروا حين لا يكفون . . .	٢٨
١٨	بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه . . .	١٠	٤٠	بل تأتيهم بغتة فتبهتهم . . .	٢٩
١٩	وله من في السموات والأرض . . .	١١	٤١	ولقد استهزئ برسلك من قبلك . . .	٢٩
٢٠	يسبحون الليل والنهار . . .	١٢	٤٢	قل من يكلؤكم بالليل والنهار . . .	٢٩
٢١	أم اتخذوا آلهة من الأرض . . .	١٢	٤٣	أم لهم آلهة تمنعهم من دوننا . . .	٣٠
٢٢	لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا . . .	١٣	٤٤	بل متعنا هؤلاء وآباءهم . . .	٣١
			٤٥	قل إنما أنذركم بالوحي . . .	٣٢

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٦	ولئن مستهم نفحة من عذاب ربك . . .	٣٢	٧٤	ولو طأ آتيناها حكما وعلما . . .	٤٩
٤٧	ونضع الموازين القسط ليوم القيامة . . .	٣٣	٧٥	وأدخلناه في رحمتنا . . .	٤٩
٤٨	ولقد آتينا موسى وهارون . . .	٣٤	٧٦	ونوحا إذ نادى من قبل . . .	٥٠
٤٩	الذين يخشون ربهم بالغيب . . .	٣٥	٧٧	ونصرناه من القوم الذين كذبوا بآياتنا . . .	٥٠
٥٠	وهذا ذكر مبارك أنزلناه . . .	٣٥	٧٨	وداود وسلیمان إذ يحكمان في الحرث . . .	٥٠
٥١	ولقد آتينا إبراهيم رشده من قبل . . .	٣٥	٧٩	ففهّمناها سليمان . . .	٥٠
٥٢	إذ قال لأبيه وقومه ما هذه التماثيل . . .	٣٥	٨٠	وعلمناه صنعة لبوس لكم . . .	٥٤
٥٣	قالوا وجدنا آباءنا لها عابدين . . .	٣٦	٨١	ولسليمان الريح عاصفة . . .	٥٥
٥٤	قال لقد كنتم أنتم وآباؤكم . . .	٣٦	٨٢	ومن الشياطين من يغوصون له . . .	٥٦
٥٥	قالوا أجبنا بالحق . . .	٣٦	٨٣	وأيوب إذ نادى ربه . . .	٥٦
٥٦	قال بل ربكم ربّ السموات والأرض . . .	٣٧	٨٤	فاستجبنا له فكشفنا ما به . . .	٥٦
٥٧	وتالله لأكيدنّ أصنامكم . . .	٣٧	٨٥	وإسماعيل وإدريس وذا الكفل . . .	٧٣
٥٨	فجعلهم جذاذا إلا كبيرا لهم . . .	٣٧	٨٦	وأدخلناهم في رحمتنا . . .	٧٣
٥٩	قالوا من فعل هذا بأهلتنا . . .	٣٩	٨٧	وذا النون إذ ذهب مغاضبا . . .	٧٦
٦٠	قالوا سمعنا فتى يذكرهم . . .	٣٩	٨٨	فاستجبنا له ونجّيناه من الغم . . .	٨١
٦١	قالوا فأتوا به على أعين الناس . . .	٣٩	٨٩	وزكريا إذ نادى ربه . . .	٨٢
٦٢	قالوا أنت فعلت هذا . . .	٤٠	٩٠	فاستجبنا له ووهبنا له . . .	٨٣
٦٣	قال بل فعله كبيرهم هذا . . .	٤٠	٩١	والتي أحصنت فرجها . . .	٨٤
٦٤	فرجعوا إلى أنفسهم . . .	٤١	٩٢	إن هذه أمتكم أمة واحدة . . .	٨٥
٦٥	ثم نكسوا على رؤوسهم . . .	٤١	٩٣	وتقطّعوا أمرهم بينهم . . .	٨٥
٦٦	قال أفتعبدون من دون الله . . .	٤٢	٩٤	فمن يعمل من الصالحات . . .	٨٥
٦٧	أف لكم ولما تعبدون من دون الله . . .	٤٢	٩٥	وحرام على قرية أهلكتها . . .	٨٦
٦٨	قالوا حرّقوه وانصروا آلهتكم . . .	٤٣	٩٦	حتى إذا فتحت يأجوج ومأجوج . . .	٨٧
٦٩	قلنا يا نار كوني بردا وسلاما . . .	٤٣	٩٧	واقرب الوعد الحق . . .	٩٢
٧٠	وأرادوا به كيدا . . .	٤٣	٩٨	إنكم وما تعبدون من دون الله . . .	٩٣
٧١	ونجيناها ولو طأ إلى الأرض . . .	٤٥	٩٩	لو كان هؤلاء آلهة ماوردوها . . .	٩٥
٧٢	ووهبنا له إسحاق ويعقوب . . .	٤٨	١٠٠	لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون . . .	٩٥
٧٣	وجعلناهم أئمة يهدون بأمرنا . . .	٤٨			

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠١	إن الذين سبقتم لهم منا الحسنی . . .	٩٥	١٦	وكذلك أنزلناه آيات . . .	١٢٥
١٠٢	لا يسمعون حسیسها . . .	٩٨	١٧	إن الذين آمنوا والذين هادوا . . .	١٢٩
١٠٣	لا یخزُ نهم الفرع الأكبر . . .	٩٨	١٨	ألم تر أن الله یسجد له . . .	١٣٠
١٠٤	یوم نظوی السماء كطی السجل . . .	٩٩	١٩	هذان خصمان اختصموا فی ربهم . . .	١٣١
١٠٥	ولقد كتبنا فی الزبور . . .	١٠٢	٢٠	یُصهَر به ما فی بطونهم والجلود . . .	١٣١
١٠٦	إن فی هذا لبلاغاً لقوم عابدين . . .	١٠٥	٢١	ولهم مقامع من حديد . . .	١٣١
١٠٧	وما أرسلناك إلا رحمة للعالمین . . .	١٠٥	٢٢	كلما أرادوا أن ینخرجوا منها . . .	١٣١
١٠٨	قل إنما یوحى إلیّ أنما إلهکم . . .	١٠٧	٢٣	إن الله یدخل الذين آمنوا وعملوا . . .	١٣٥
١٠٩	فإن تولوا فقل آذنتکم على سواء . . .	١٠٧	٢٤	وهدوا إلی الطیب من القول . . .	١٣٥
١١٠	إنه یعلم الجهر من القول . . .	١٠٧	٢٥	إن الذين كفروا ویصدون . . .	١٣٦
١١١	وإن أدری لعله فتنة . . .	١٠٧	٢٦	وإذ بوأنا لإبراهیم مكان البیت . . .	١٤٢
١١٢	قال رب احکم بالحق . . .	١٠٨	٢٧	وأذن فی الناس بالحق یأتوک . . .	١٤٣
			٢٨	لیشهدوا منافع لهم . . .	١٤٣
			٢٩	ثم لیقضوا تفثهم ولیوفوا نذورهم . . .	١٤٣
			٣٠	ذلك ومن یعظم حرمان الله . . .	١٥٣
			٣١	حنفاء لله غیر مشرکین به . . .	١٥٥
			٣٢	ذلك ومن یعظم شعائر الله . . .	١٥٦
			٣٣	لکم فیها منافع إلی أجل مسمى . . .	١٥٧
			٣٤	ولکل أمة جعلنا منسکاً . . .	١٦٠
			٣٥	الذين إذا ذکر الله . . .	١٦١
			٣٦	والبُدن جعلناها لکم من شعائر الله . . .	١٦٢
			٣٧	لن ینال الله لحومها ولا دماؤها . . .	١٧٠
			٣٨	إن الله یدافع عن الذين آمنوا . . .	١٧١
			٣٩	أذن للذين یقاتلون بأنهم ظلموا . . .	١٧١
			٤٠	الذين أخرجوا من ديارهم . . .	١٧٣
			٤١	الذين إن مکنناهم فی الأرض . . .	١٧٨
			٤٢	وإن یکذبوک فقد کذبت . . .	١٧٩
			٤٣	وقوم إبراهیم وقوم لوط . . .	١٧٩
١	یا أيها الناس اتقوا ربکم . . .	١٠٩	١	یا أيها الناس اتقوا ربکم . . .	١٠٩
٢	یوم ترونها تذهل کل مرضعة . . .	١٠٩	٢	یوم ترونها تذهل کل مرضعة . . .	١٠٩
٣	ومن الناس من یجادل فی الله . . .	١١٥	٣	ومن الناس من یجادل فی الله . . .	١١٥
٤	کتب علیه أنه من تولاه . . .	١١٦	٤	کتب علیه أنه من تولاه . . .	١١٦
٥	یا أيها الناس إن کنتم فی ریب . . .	١١٦	٥	یا أيها الناس إن کنتم فی ریب . . .	١١٦
٦	ذلك بأن الله هو الحق . . .	١٢٠	٦	ذلك بأن الله هو الحق . . .	١٢٠
٧	وأن الساعة آتية لا ریب فیها . . .	١٢٠	٧	وأن الساعة آتية لا ریب فیها . . .	١٢٠
٨	ومن الناس من یجادل فی الله . . .	١٢٠	٨	ومن الناس من یجادل فی الله . . .	١٢٠
٩	ثانی عطفه لیضل عن سبیل الله . . .	١٢٠	٩	ثانی عطفه لیضل عن سبیل الله . . .	١٢٠
١٠	ذلك بما قدمت یداک . . .	١٢٠	١٠	ذلك بما قدمت یداک . . .	١٢٠
١١	ومن الناس من یعبد الله . . .	١٢٢	١١	ومن الناس من یعبد الله . . .	١٢٢
١٢	یدعو من دون الله ما لا یضره . . .	١٢٤	١٢	یدعو من دون الله ما لا یضره . . .	١٢٤
١٣	یدعو لمن ضره أقرب من نفعه . . .	١٢٤	١٣	یدعو لمن ضره أقرب من نفعه . . .	١٢٤
١٤	إن الله یدخل الذين آمنوا . . .	١٢٥	١٤	إن الله یدخل الذين آمنوا . . .	١٢٥
١٥	من کان یظن أن لن ینصره الله . . .	١٢٥	١٥	من کان یظن أن لن ینصره الله . . .	١٢٥



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٤	وأصحاب مدين وكذب موسى . . .	١٧٩	٦٢	ذلك بأن الله هو الحق . . .	١٩٦
٤٥	فكأين من قرية أهلكناها . . .	١٧٩	٦٣	ألم تر أن الله أنزل . . .	١٩٦
٤٦	أفلم يسيروا في الأرض . . .	١٨٢	٦٤	له ما في السموات وما في الأرض . . .	١٩٧
٤٧	ويستعجلونك بالعذاب . . .	١٨٣	٦٥	ألم تر أن الله سخر لكم ما في الأرض . . .	١٩٧
٤٨	وكأين من قرية أمليت . . .	١٨٤	٦٦	وهو الذى أحياكم . . .	١٩٧
٤٩	قل يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير . . .	١٨٥	٦٧	لكل أمة جعلنا منسكا . . .	١٩٨
٥٠	فالذين آمنوا وعملوا الصالحات . . .	١٨٥	٦٨	وإن جادلوك فقل الله أعلم . . .	١٩٩
٥١	والذين سعوا في آياتنا . . .	١٨٥	٦٩	الله يحكم بينكم يوم القيامة . . .	١٩٩
٥٢	وما أرسلنا من قبلك من رسول . . .	١٨٦	٧٠	ألم تعلم أن الله يعلم . . .	٢٠٠
٥٣	ليجعل ما يلقى الشيطان فتنة . . .	١٩٠	٧١	ويعبدون من دون الله . . .	٢٠١
٥٤	وليعلم الذين أتوا العلم . . .	١٩١	٧٢	وإذا تتلى عليهم آياتنا . . .	٢٠١
٥٥	ولا يزال الذين كفروا في مِرْيَةٍ . . .	١٩٢	٧٣	يا أيها الناس ضُرب مثل . . .	٢٠٢
٥٦	الملك يومئذ الله يحكم بينهم . . .	١٩٤	٧٤	ما قدروا الله حق قدره . . .	٢٠٢
٥٧	والذين كفروا بآياتنا . . .	١٩٤	٧٥	الله يصطفى من الملائكة رسلا . . .	٢٠٤
٥٨	والذين هاجروا في سبيل الله . . .	١٩٤	٧٦	يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم . . .	٢٠٤
٥٩	ليُبدل محلنهم مُدخلا يرضونه . . .	١٩٥	٧٧	يا أيها الذين آمنوا اركعوا . . .	٢٠٤
٦٠	ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به . . .	١٩٥	٧٨	وجاهدوا في الله حق جهاده . . .	٢٠٥
٦١	ذلك بأن الله يولج الليل في النهار . . .	١٩٥			

## ٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	الصفحة
٤٣	١
ما فعله القوم في إحراق إبراهيم ، وما أكرمه الله به .	تفسير سورة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام
٤٥	٣
نزول إبراهيم بالشام ، وذكر طرف من فضائلها .	تأويل قوله « بل قالوا أضغاث أحلام » . . .
٥٠	٦
ما حكم به داود وسليمان في الحرث .	القرآن فيه شرف لمن اتبعه .
٥٤	١٠
ما علمه داود من صنعة الدروع .	اللهو يطلق على الزوجة .
٥٥	١١
ما أعطيه سليمان من تسخير الرياح .	وجه استحالة أن يتخذ الله هوا .
٥٦	١٢
قصة أيوب .	تأويل قوله « أم اتخذوا من دونه آلهة » . . .
٧٣	١٧
تأويل قوله « وإسماعيل وإدريس وذا الكفل » ، وبيان من هو ذو الكفل ، وذكر طرف من تاريخه .	الآية ، وعجز المشركين عن الإتيان بالحجة .
٧٦	١٧
مغاضبة يونس عليه السلام ، وسوق طرف من حكايته مع قومه .	بيان كون السموات والأرض كانتا خلتوا من المطر والنبات ، فسخرهما الله لما هما عليه من المنافع ، وأن ذلك هو المراد بالرتق والفتق .
٨٢	٢١
طرف من أخبار زكريا عليه السلام .	تأويل قوله « وجعلنا السماء سقفا محفوظا » . ومعنى الفلك .
٨٧	٢٥
طرف من أخبار يأجوج ومأجوج ، وما يكون قبل قيام الساعة .	ما في طبع الإنسان من عجل ، وأنه بودر بخلقه على عجل .
٩٥	٣٣
تأويل قوله « لهم فيها زفير » ، وما قالته قريش للنبي ، ونزلت الآية بعده جوابا لهم .	تأويل قوله « ونضع الموازين القسط » . . .
٩٩	٣٤
طرف من أخبار يوم القيامة من طي السماء ونحوه ، والخلاف في السجل .	الآية ، وبيان أن خفة الميزان وثقله بما ذا يكونان الخلاف في الفرقان الذي آتاه الله موسى .
١٠٣	٣٧
كتب الله في أم الكتاب والكتب التي أنزلها أن أرض الجنة يرثها الصالحون .	ما فعله إبراهيم عليه السلام بالآلهة ، والسبب في ذلك .
١٠٩	٤١
تفسير سورة الحج	بيان أن القوم لما عارضوا إبراهيم عليه السلام أتوا بما هو حجة له عليهم ، وهو معنى نكسهم على رؤسهم .
١١١	
مقدار من يدخل النار من الخليقة .	
١١٧	
ما يحصل للطفة عند وقوعها في الرحم .	

الصفحة	الموضوع	الصفحة	الموضوع
١٢٠	بيان أن التكبر مما يمنع عن معرفة الله .	١٥٧	تأويل قوله « لكم فيها منافع » وبيان ما فى البدن من المنافع .
١٣١	ذكر الذين بارزوا يوم بدر من المؤمنين والكافرين .	١٦٢	ما يفعل بالبدن عند ذبحها من عقْلِها . وذكر الله عليها ، والتصدق بها .
١٣٦	تأويل قوله « إن الذين كفروا ويصدّون » .	١٧١	أول آية نزلت فى القتال .
	والقول فى ملك بيوت مكة ، وما كان يصنع فى البيوت زمن السلف ، ومعنى الإلحاد فى الحرم .	١٨٦	ما قيل فى الغرائق .
١٤٢	ما كان عليه آدم من عظم الخالقة ، وإنزال البيت إليه .	١٩٨	تأويل قوله « وهو الذى أحياكم ثم يميتكم » ومعنى المنسك .
١٤٤	ما فعله الخليل من التأذين بالحجّ .	٢٠٥	ما عليه مدين من السعة .

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
١١٤	وطارِقَهْ	٩١	تَمُورُ	١٨١	والشَّيدِ
	ل	١٢٦	نَاصِرُهُ	١٣٩	الأجْرَدِ
		٢٧	الحَمْرِ	١٤٠	زِيَادِ
٢٩١	فَنَسَسَلْ	١٣٩	بَيْتَقَرَا	٢٠	سَوَادِي
١١٣	يَدْهَلْ	١٦٢	الأُمُورَا	١١٩	هُمْدَا
١١٣	والزَّلْزَالُ	١٦٢	نُدُورَا		ر
١١٤	مُحْوَلِ	١٦٢	مَضْفُورَا	١٣٤	يَنْصَهَرِ
٥٤	مُجْفَلِ	١٦٢	مَوْفُورَا	١٣٤	المُصْطَهَرِ
١٨٢	يَجْنَدَلِ	٢٣	الدَّوَّارَا	١٨٢	وَكُورُ
٩٢	عَقَنْقَلِ	٢٣	الأَقْتَارَا		ق
	م		س		
٨٦	نَايِمُ	٩٣	رَأْسُ		
١٣٩	سِيمُ		ع		
١٢٩	الخَوَاتِيمُ	١٦٨	القُنُوعِ		
١٥٥	قُدَمَا	١٧٠	وقُنُوعِي		
	ن	٢٠	انْقِطَاعَا		
١٣٨	والشَّبَهَانِ		ق		
٢٧	المُفَدِّينَا	١٩٧	سَمَلَقُ		

## ٤ - فهرس الأحاديث

الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث
٥٣	على أصحاب الماشية حفظ الماشية بالليل ...	١١٢	أترضون أن تكونوا ثلث أهل الجنة؟ ...
١٠١	قال رسول الله ﷺ لإحدى نسائه: يأتونه حفاة... ..	٨٢	اسم الله الذي إذا دعي به أجاب ...
٩١	قال عيسى: عهد إليّ ربي أن الدجال خارج... ..	١٣٤	إن الحميم ليصب على رؤوسهم ...
١٠١	قام فينا رسول الله ﷺ بموعظة... ..	٢٨	إن في الجمعة لساعة يقللها، قال: ...
٨١	لما أراد الله حبس يونس في بطن الحوت... ..	١٠٢	إنكم ملاقوا الله مشاة غرلاً .
	لما فرغ الله من خلق السماوات والأرض	١٥٢	إنما سمي البيت العتيق لأن الله أعتقه ...
١١٠	خلق الصور... ..	٤٦	إنه كائن بالشام جند، وبالعراق جند... ..
	نزلت ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم	١٣	إني لأسمع أطيط السماء، وما تلام أن تنط... ..
١١٢	إن زلزلة الساعة شيء عظيم ﴿... ..	٨٧	أول الآيات الدجال، ونزول عيسى... ..
	نعم كل من أحب أن يُعبَدَ من دون الله	١٥٤	أيها الناس عدلت شهادة الزور بالشرك بالله... ..
٩٧	فهو مع من عبده... ..	١١١	بينما رسول الله ﷺ في بعض مغازيه... ..
١	﴿وهم في غفلة معرضون﴾ قال: في الدنيا .	١٣	تسمعون ما أسمع؟ قالوا: ما نسمع من شيء... ..
١٠١	يحشر الناس حفاة عراة غرلاً... ..		دخلت ناقة للبراء بن عازب حائطاً
١٠٢	يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً... ..	٥٣	لبعض الأنصار... ..
٩٠	يفتح يأجوج ومأجوج يخرجون على الناس... ..		دخل عليّ رسول الله ﷺ وعندي عجوز
١١٢	يقال لآدم: أخرج بعث النار. قال: ... ..	١٠٢	من بني عامر... ..
١١٢	يقول الله لآدم يوم القيامة... ..		رأيت فيما يرى النائم كأن الملائكة حملت
١١٢	يقول الله يوم القيامة: يا آدم، فيقول: ... ..	٤٦	عمود الكتاب فوضعت بالشام... ..
			سألت رسول الله ﷺ عن هذه الآية ﴿وما جعل عليكم
		٢٠٦	في الدين من حرج﴾ قال: هو الضيق .

شياء في ثمانين حرفاً - 3  
 2 - الحرف من القرآن

شياء في ثمانين حرفاً	رقمها	شياء في ثمانين حرفاً	رقمها
شياء في ثمانين حرفاً	٢١١	شياء في ثمانين حرفاً	٦٥
...؟ فبئس ما آتانا من الله...	٢٨	... فبئس ما آتانا من الله...	١٠١
... فبئس ما آتانا من الله...	٣٦١	... فبئس ما آتانا من الله...	١٢
... فبئس ما آتانا من الله...	٨٢	... فبئس ما آتانا من الله...	١٠١
... فبئس ما آتانا من الله...	٢٠١	... فبئس ما آتانا من الله...	١٨
... فبئس ما آتانا من الله...	٢٥١	... فبئس ما آتانا من الله...	١١١
... فبئس ما آتانا من الله...	٢٢	... فبئس ما آتانا من الله...	١١١
... فبئس ما آتانا من الله...	٢١	... فبئس ما آتانا من الله...	٧١
... فبئس ما آتانا من الله...	٧٨	... فبئس ما آتانا من الله...	١
... فبئس ما آتانا من الله...	١٥١	... فبئس ما آتانا من الله...	١٠١
... فبئس ما آتانا من الله...	١١١	... فبئس ما آتانا من الله...	٥٢٠١
... فبئس ما آتانا من الله...	٣١	... فبئس ما آتانا من الله...	٥٠٤
... فبئس ما آتانا من الله...	٢٣	... فبئس ما آتانا من الله...	١١١
... فبئس ما آتانا من الله...	٢٥	... فبئس ما آتانا من الله...	١١١
... فبئس ما آتانا من الله...	٢٠١	... فبئس ما آتانا من الله...	١١١
... فبئس ما آتانا من الله...	٢٢	... فبئس ما آتانا من الله...	١١١
... فبئس ما آتانا من الله...	٢٠١	... فبئس ما آتانا من الله...	١١١
... فبئس ما آتانا من الله...	٢٢	... فبئس ما آتانا من الله...	١١١
... فبئس ما آتانا من الله...	١٧٠	... فبئس ما آتانا من الله...	١١١
... فبئس ما آتانا من الله...	٢٠	... فبئس ما آتانا من الله...	١١١
... فبئس ما آتانا من الله...	١٢٤	... فبئس ما آتانا من الله...	١١١
... فبئس ما آتانا من الله...	١٧١	... فبئس ما آتانا من الله...	١١١
... فبئس ما آتانا من الله...	١٨٧	... فبئس ما آتانا من الله...	١١١

(٢١) سَيُكَرَّمُ الْأَنْبِيَاءُ مَكِينَةً  
وَأَنْبِيَانَهَا اثْنَتَيْ عَشْرَةَ وَمِائَتًا عَشْرًا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

• أَقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ﴿٢١﴾

❦ يقول تعالى ذكره : دنا حساب الناس على أعمالهم التي عملوها في دنياهم ونعمهم التي أنعمها عليهم فيها في أبدانهم ، وأجسامهم ، ومطاعمهم ، ومشاربهم ، وملابسهم وغير ذلك من نعمه عندهم ، ومسئله إياهم ماذا عملوا فيها ، وهل أطاعوه فيها ، فانتهوا إلى أمره ونهيه في جميعها ، أم عصوه فخالفوا أمره فيها ؟ ( وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ) يقول : وهم في الدنيا عما الله فاعل بهم من ذلك يوم القيامة ، وعن دنو محاسبته إياهم منهم ، واقترابه لهم في سهو وغفلة ، وقد أعرضوا عن ذلك ، فتركوا الفكر فيه ، والاستعداد له ، والتأهب جهلا منهم بما هم لاقوه عند ذلك من عظيم البلاء ، وشديد الأهوال .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ) قال أهل التأويل ، وجاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا أبو الوليد ، قال : ثنى أبو معاوية ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ( وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ ) قال : في الدنيا .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿١٠﴾

❦ يقول تعالى ذكره : ما يحدث الله من تنزيل شيء من هذا القرآن للناس ، ويذكرهم به ويعظهم إلا استمعوه ، وهم يلعبون لاهية قلوبهم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مَا يَأْتِيهِمْ مِّنْ ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِمْ مُّحَدَّثٍ ) . . . الآية ، يقول : ما ينزل عليهم من شيء من القرآن إلا استمعوه وهم يلعبون .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِّثْلُكُمْ أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَاءَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ﴿١١﴾

❦ يقول تعالى ذكره ( لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ) غافلة : يقول : ما يستمع هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم هذا القرآن إلا وهم يلعبون غافلة عنه قلوبهم ، لا يتدبرون حكمه ، ولا يتفكرون فيما أودعه الله من الحجج عليهم . كما حدثنا بشر قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَاهِيَةً قُلُوبُهُمْ ) يقول : غافلة قلوبهم .

وقوله ( وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ) يقول : وأسرو هؤلاء الناس الذين اقتربت الساعة منهم وهم في غفلة معرضون ، لاهية قلوبهم ، النجوى بينهم ، يقول : وأظهروا المناجاة بينهم فقالوا : هل هذا الذي يزعم أنه رسول من الله أرسله إليكم ، إلا بشر مثلكم : يقولون : هل هو إلا إنسان مثلكم في صوركم وخلقتكم ، يعنون بذلك محمدا صلى الله عليه وسلم ، وقال الذين ظلموا فوصفهم بالظلم بفعالهم وقيلهم الذي أخبر به عنهم في هذه الآيات إنهم يفعلون ويقولون من الإعراض عن ذكر الله ، والتكذيب برسوله وللذين من قوله ( وَأَسْرُوا النَّجْوَى الَّذِينَ ظَلَمُوا ) في الإعراب وجهان : الحذف على أنه تابع للناس في قوله ( اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ) والرفع على الرد على الأسماء الذين في قوله ( وَأَسْرُوا النَّجْوَى ) من ذكر الناس كما قيل : ( ثُمَّ عَمُوا وَصَمُّوا كَثِيرٌ مِّنْهُمْ ) وقد يحتمل أن يكون رفعا على الابتداء ، ويكون معناه وأسروا النجوى ، ثم قال : هم الذين ظلموا .

وقوله ( أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَاءَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ ) يقول : وأظهروا هذا القول بينهم ، وهي النجوى



التي أسروها بينهم ، فقال بعضهم لبعض : أتقبلون السحر ، وتصدقون به وأنتم تعلمون أنه سحر؟ يعنون بذلك القرآن .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ) قال : قاله أهل الكفر لنبيهم لما جاء به من عند الله ، زعموا أنه ساحر ، وأن ما جاء به سحر ، قالوا : أتأتون السحر وأنتم تبصرون ؟

القول في تأويل قوله تعالى :

### قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٠﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله ( قُلْ رَبِّي ) فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ( قُلْ رَبِّي ) على وجه الأمر ، وقرأه بعض قراء مكة ، وعامة قراء الكوفة ( قال رَبِّي ) على وجه الخبر ، وكان الذين قرعوه على وجه الأمر أرادوا من تأويله : قل يا محمد للقائلين ( أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ) ربّي يعلم قول كل قائل في السماء والأرض ، لا يخفى عليه منه شيء وهو السميع لذلك كله ، ولما يقولون من الكذب العليم بصدقي ، وحقيقة ما أدعوكم إليه ، وباطل ما تقولون ، وغير ذلك من الأشياء كلها . وكان الذين قرعوا ذلك قال على وجه الخبر أرادوا ، قال محمد : ربّي يعلم القول خبراً من الله عن جواب نبيه إياهم .

والقول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان في قرأة الأمصار ، قد قرأ بكل واجدة منهما علماء من القراء ، وجاءت بهما مصاحف المسلمين متفقاً المعنى ، وذلك أن الله إذا أمر محمداً بقيل ذلك قاله ، وإذا قاله فعن أمر الله قاله ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيّب الصواب في قرأته .

القول في تأويل قوله تعالى :

### بَلْ قَالُوا أَضْغَتْ أَحْسَمُ بَلِ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : ما صدقوا بحكمة هذا القرآن ، ولا أنه من عند الله ، ولا أقرّوا بأنه وحى أوحى الله إلى محمد صلى الله عليه وسلم ، بل قال بعضهم : هو أهاويل رؤيا رآها في النوم . وقال بعضهم : هو فرية واختلاق افتراه واختلقه من قبيل نفسه . وقال بعضهم : بل محمد شاعر ، وهذا الذي جاءكم به شعر ( فليأتنا ) به يقول : قالوا فليجئنا محمد إن كان صادقاً في قوله ، إن الله بعثه رسولا إلينا ، وإن هذا الذي يتلوه علينا وحى من الله أوحاه إلينا ( بآية ) يقول : بحجة ودلالة على حقيقة ما يقول ويدعى ( كما أُرْسِلَ الْأُولُونَ ) يقول : كما جاءت به الرسل الأولون من قبله من إحياء الموتى ، وإبراء الأكمه والأبرص وكناقة صالح ، وما أشبه ذلك من المعجزات التي لا يقدر عليها إلا الله ، ولا يأتي بها إلا الأنبياء والرسل .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أقل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ) أى فعل حلم ، إنما هي رؤيا رآها ( بَلِّ اِفْتَرَاهُ بَلِّ هُوَ شَاعِرٌ ) كل هذا قد كان منهم . وقوله ( فَلَيَأْتِنَا بآيَةٌ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ) يقول : كما جاء عيسى بالبينات وموسى بالبينات ، والرسل .  
حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ) قال : مشتبهة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ ) قال : أهويلها .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وقال تعالى ذكره : بل قالوا : ولا جحد في الكلام ظاهر ، فيحقق ببل ، لأن الخبر عن أهل الجحود والتكذيب ، فاجتزى بمعرفة السامعين بما دلّ عليه قوله ، بل من ذكر الخبر عنهم على ما قد بينا .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَاءَ أَمْنٍ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : ما آمن من قبل هؤلاء المكذبين محمدا من مشركي قومه الذين قالوا : فليأتنا محمد بآية كما جاءت به الرسل قبله من أهل قرية عدّ بناهم بالهلاك في الدنيا ، إذ جاءهم رسولنا إليهم بآية معجزة ( أفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ) يقول : أفهل هؤلاء المكذّبون محمدا السائلوه الآية يؤمنون به إن جاءتهم آية ، ولم تؤمن قبلهم أسلافهم من الأمم الحالية التي أهلكتها برسلها مع مجيئها .  
وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ) يصدّقون بذلك .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( مَا أَمْنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ ) أى الرسل كانوا إذا جاءوا قومهم بالبينات فلم يؤمنوا لم يناظروا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رَجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه : وما أرسلنا يا محمد قبلك رسولا إلى أمة من الأمم التي نزلت قبلك إلا

رجالا مثلهم نوحى إليهم ، ما نريد أن نوحيه إليهم من أمرنا ونهيها ، لاملائكة ، فاذا أنكروا من إرسالنا لك إليهم ، وأنت رجل كسائر الرسل الذين قبلك إلى أمهم . وقوله ( فاسألوا أهل الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) يقول للقائلين لمحمد صلى الله عليه وسلم في تناجيهم بينهم : هل هذا إلا بشر مثلكم ، فإن أنكرتهم وجهلتم أمر الرسل الذين كانوا من قبل محمد ، فلم تعلموا أيها القوم أمرهم إنسا كانوا أم ملائكة ، فاسألوا أهل الكتب من التوراة والإنجيل ما كانوا يخبروكم عنهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فاسألوا أهل الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) يقول : فاسألوا أهل التوراة والإنجيل - قال أبو جعفر : أراه أنا قال : - يخبروكم أن الرسل كانوا رجالا يأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق . وقيل : أهل الذكر : أهل القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن صالح ، قال : ثنا موسى بن عثمان ، عن جابر الجعفي ، قال : لما نزلت ( فاسألوا أهل الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) قال : عليّ : نحن أهل الذِّكْرِ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فاسألوا أهل الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) قال : أهل القرآن ، والذكر : القرآن ، وقرأ ( إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وما جعلنا الرسل الذين أرسلناهم من قبلك يا محمد إلى الأمم الماضية قبل أمتك . ( جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ) يقول : لم نجعلهم ملائكة لا يأكلون الطعام ، ولكن جعلناهم أجسادا مثلك يأكلون الطعام .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ) يقول : ما جعلناهم جسدا إلا ليأكلوا الطعام .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَمَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَدًا لَّا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ) يقول : لم أجعلهم جسدا ليس فيهم أرواح لا يأكلون الطعام ، ولكن جعلناهم جسدا فيها أرواح يأكلون الطعام .

قال أبو جعفر : وقال : وما جعلناهم جسدا ، فوحد الجسد وجعله موحدا ، وهو من صفة الجماعة ، وإنما جاز ذلك ، لأن الجسد بمعنى المصدر ، كما يقال في الكلام : وما جعلناهم خلقا لا يأكلون .

وقوله ( وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ) يقول : ولا كانوا أربابا لا يموتون ولا يفنون ، ولكنهم كانوا بشرا أجسادا فماتوا ، وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، كما قد أخبر الله عنهم ( لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعًا ) . . . إلى قوله ( أَوْ تَأْتِيَنَا بِاللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ قَبِيلًا ) قال الله تبارك وتعالى لهم : ما فعلنا ذلك بأحد قبلكم فنفعل بكم ، وإنما كنا نرسل إليهم رجالا نوحى إليهم كما أرسلنا إليكم رسولا نوحى إليه أمرنا ونهينا .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ ) : أى لا بد لهم من الموت أن يموتوا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٦٠﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : ثم صدقنا رسلنا الذين كذبهم أممهم ، وسألهم الآيات ، فآتيناهم ما سألوهم من ذلك ، ثم أقاموا على تكذيبهم إياها ، وأصروا على جحودهم نبوتها بعد الذى أتتهم به من آيات ربها ، وعدنا الذى وعدناهم من الهلاك على إقامتهم على الكفر بربهم بعد مجيء الآية التى سألوها ، وذلك كقوله جل ثناؤه ( فَتَنْ يَكْفُرُ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لِأَعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ ) وكقوله ( وَلَا تَمَسُّوْهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ) ونحو ذلك من المواعيد التى وعد الأمم مع مجيء الآيات . وقوله ( فَأَنْجَيْنَاهُمْ ) يقول تعالى ذكره : فأنجينا الرسل عند إصرار أممها على تكذيبها بعد الآيات ( وَمَنْ نَشَاءُ ) وهم أتباعها الذين صدقوها وآمنوا بها . وقوله ( وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ) يقول تعالى ذكره : وأهلكنا الذين أسرفوا على أنفسهم بكفرهم بربهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ) والمسرفون هم المشركون .

القول فى تأويل قوله تعالى :

لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

اختلف أهل التأويل فى معنى ذلك ، فقال بعضهم : معناه ، لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم ، فيه حديثكم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح عن مجاهد ، قوله ( فِيهِ ذِكْرُكُمْ ) قال : حديثكم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ ) قال : حديثكم ( أَفَلَا تَعْقِلُونَ ) قال فى قد أفلح ( بَلْ أَتَيْنَاهُمُ بِذِكْرِهِمْ ، فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا سفيان ، نزل القرآن بمكارم الأخلاق ، ألم تسمعه يقول ( لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ) .

وقال آخرون : بل عنى بالذكر فى هذا الموضع : الشرف ، وقالوا : معنى الكلام : لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه شرفكم .

❖ قال أبو جعفر : وهذا القول الثانى أشبه بمعنى الكلمة ، وهو نحو مما قال سفيان الذى حكينا عنه ، وذلك أنه شرف لمن اتبعه وعمل بما فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسْنَانِ إِذَاهُمُ مِنْهَا

بِرُكُضُونَ ﴿١٢﴾

❖ يقول تعالى ذكره : وكثيرا قصمنا من قرية ، والقصم : أصله الكسر ، يقال منه : قصمت ظهر فلان إذا كسرتة ، وانقصمت سنه : إذا انكسرت ، وهو ههنا معنى به أهلكتنا ، وكذلك تأوله أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَكَمْ قَصَمْنَا ) قال : أهلكتنا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ) قال : أهلكتنا ، قال ابن جريج : قصمنا من قرية ، قال : بالين قصمنا ، بالسيف أهلكتنا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قول الله ( قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ ) قال : قصمها أهلكتها .

وقوله ( مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً ) أجرى الكلام على القرية ، والمراد بها أهلها لمعرفة السامعين بمعناه ، وكان ظلمها : كفرها بالله ، وتكذيبها رسله . وقوله ( وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ) يقول تعالى ذكره : وأحدثنا بعد ما أهلكتنا هؤلاء الظلمة من أهل هذه القرية التى قصمناها بظلمها قوما آخرين سواهم .

وقوله ( فَلَمَّا أَحْسَسُوا بِأَسْنَانِ ) يقول : فلما عاينوا عذابنا قد حل بهم ، ورأوه قد وجدوا مسه ، يقال منه : قد أحسست من فلان ضعفا ، وأحسته منه ( إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ) يقول : إذا هم مما

أحسوا بأسنا النازل بهم يهربون سراعا عَجَلَى ، يَعْدُونَ منهزمين ، يقال منه : ركض فلان فرسه : إذا كدّه سياقته .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ ﴿١٤﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : لا تهربوا وارجعوا إلى ما أترفتم فيه : يقول : إلى ما أنعمتم فيه من عيشتكم ومساكنكم كما حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس قوله (لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِينِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ) يعني من نزل به العذاب في الدنيا ممن كان يعصى الله من الأمم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (لَا تَرْكُضُوا) : لا تفرّوا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ) :

يقول : ارجعوا إلى دنياكم التي أترفتم فيها .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور عن معمر ، عن قتادة (وَارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ

فِيهِ) قال : إلى ما أترفتم فيه من دنياكم .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله (لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ) فقال بعضهم : معناه : لعلكم تفقهون ،

وتفهمون بالمسئلة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله (لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ) قال : تفقهون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (لَعَلَّكُمْ

تُسْأَلُونَ) قال : تفقهون .

وقال آخرون : بل معناه لعلكم تسئلون من دنياكم شيئا على وجه السخرية والاستهزاء .

ذكر من قال ذلك

حدثني بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ) استهزاء بهم .

حدثني محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ)

من دنياكم شيئا ، استهزاء بهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٦﴾ فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلَنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ﴿١٧﴾ ﴾

❖ يقول تعالى ذكره : قال هؤلاء الذين أحلّ الله بهم بأسه بظلمهم ، لما نزل بهم بأس الله : يا ويلنا إنا كنا ظالمين ، بكفرنا بربنا ، فما زالت تلك دعواهم ؛ يقول فلم تزل دعواهم ، حين أتاهم بأس الله ، بظلمهم أنفسهم : ( يا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ) حتى قتلهم الله ، فحصدتهم بالسيف كما يُحصد الزرع ويستأصل قطعاً بالمنجل . وقوله ( خامدين ) يقول : هالकिन قد انطفأت شرارتهم ، وسكنت حركتهم ، فصاروا هموداً كما تخمد النار فتطفأ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ ) ... الآية ، فلما رأوا العذاب وعاینوه لم يكن لهم هجيري إلا قولهم ( يا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ) حتى دمر الله عليهم وأهلكهم .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ . فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلَنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ) يقول : حتى هلكوا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال ابن عباس ( حَصِيدًا ) الحصاد ( خامدين ) خمود النار إذا طفئت .

حدثنا سعيد بن الربيع ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : إنهم كانوا أهل حصون ، وإن الله بعث عليهم بختنصر ، فبعث إليهم جيشاً فقتلهم بالسيف ، وقتلوا نبياً لهم فحصدوا بالسيف وذلك قوله ( فَمَا زَالَتْ تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلَنَاهُمْ حَصِيدًا خَامِدِينَ ) بالسيف .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ ﴿١٨﴾ ﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ( وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا ) إلا حجة عليكم أيها الناس ، ولتعتبروا بذلك كله ، فتعلموا أن الذي دبره وخلقه لا يشبهه شيء ، وأنه لا تكون الألوهة إلا له ، ولا تصلح العبادة لشيء غيره ، ولم يخلق ذلك عبثاً ولعباً .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لِعِبَادٍ ) يقول : ما خلقناهما عبثاً ولا باطلاً .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ أَتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ﴿١٥﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : لو أردنا أن نتخذ زوجة وولدا لاتخذنا ذلك من عندنا ، ولكننا لانفعل ذلك ، ولا يصلح لنا فعله ، ولا ينبغي ، لأنه لا ينبغي أن يكون لله ولد ولا صاحبة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سليمان بن عبيد الله الغيداني ، قال : ثنا أبو قتيبة ، قال : ثنا سلام بن مسكين ، قال : ثنا عقبة بن أبي حمزة ، قال : شهدت الحسن بمكة ، قال : وجاءه طاوس وعطاء ومجاهد ، فسألوه عن قول الله تبارك وتعالى ( لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ أَتَّخِذْنَاهُ ) قال الحسن : اللهم : المرأة .

حدثني سعيد بن عمرو السكوني ، قال : ثنا بقية بن الوليد ، عن علي بن هارون ، عن محمد ، عن ليث ، عن مجاهد في قوله ( لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ أَتَّخِذْنَاهُ ) قال : زوجة .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ أَتَّخِذْنَاهُ ) . . . الآية ، أي أن ذلك لا يكون ولا ينبغي . واللهو بلغة أهل اليمن : المرأة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ أَتَّخِذْنَاهُ ) قال : اللهم في بعض لغة أهل اليمن : المرأة ( لَاتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ) .

وقوله ( إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ) حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ) يقول : ما كنا فاعلين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قالوا مريم صاحبه ، وعيسى ولده ، فقال تبارك وتعالى ( لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهُمْ أَتَّخِذْنَاهُ ) نساء وولدا ( لَاتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا إِنْ كُنَّا فَاعِلِينَ ) قال : من عندنا ، ولا خلقنا جنة ولا نارا ، ولا موتا ولا بعثا ولا حسابا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( لَاتَّخِذْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا ) من عندنا ، وما خلقنا جنة ولا نارا ، ولا موتا ولا بعثا .

القول في تأويل قوله تعالى :

بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٦﴾

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : ولكن نزل الحق من عندنا ، وهو كتاب الله وتنزيله على الكفر به وأهله ، فيدمغه : يقول : فيهلكه كما يدمغ الرجل الرجل بأن يشجه على رأسه شجة تبلغ الدماغ ، وإذا بلغت الشجة ذلك من المشجوج لم يكن له بعدها حياة .



وقوله ( فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ) يقول : فإذا هو هالك مضمحل . كما حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ) قال : هالك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ) قال : ذاهب . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ، فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ) والحق كتاب الله القرآن ، والباطل : إبليس ، فيدمغه فإذا هو زاهق : أى ذاهب .

وقوله ( وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ) يقول : ولكم الويل من وصفكم ربكم بغير صفته ، وقيل لكم إنه اتخذ زوجة وولدا ، وفيريتكم عليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل ، إلا أن بعضهم قال : معنى تصفون : تكذبون . وقال آخرون : معنى ذلك : تشركون ، وذلك وإن اختلفت به الألفاظ ففتفة معانيه ، لأن من وصف الله بأن له صاحبة فقد كذب في وصفه إياه بذلك ، وأشرك به ، ووصفه بغير صفته ، غير أن أولى العبارات أن يُعبر بها عن معاني القرآن أقربها إلى فهم سامعيه .

ذكر من قال ما قلنا في ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ) أى تكذبون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَلَكُمْ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ) قال : تشركون ، وقوله ( عَمَّا يَصِفُونَ ) قال : يشركون ؛ قال : وقال مجاهد ( سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ) قال : قولهم الكذب في ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

**وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١١﴾**

يقول تعالى ذكره : وكيف يجوز أن يتخذ الله لهوا ، وله ملك جميع من في السموات والأرض ، والذين عنده من خلقه ، لا يستنكفون عن عبادتهم إياه ، ولا يعيرون من طول خدمتهم له ، وقد علمتم أنه لا يستعبد والد ولده ولا صاحبه ، وكل من في السموات والأرض عبده ، فأنى يكون له صاحبة وولد : يقول : أولا تتفكرون فيما تفكرون من الكذب على ربكم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا عبدالله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ) لا يرجعون .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ) لا يحسرون .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ) قال : لا يعيون .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قوله : ( وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ) قال : لا يعيون .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ) قال : لا يستحسرون ، لا يملئون ذلك الاستحسار ، قال : ولا يفترون ، ولا يسأمون ، هذا كله معناه واحد ، والكلام مختلف ، وهو من قولهم : بعير حسير : إذا أعيا وقام ؛ ومنه قول علقمة بن عبدة :

بِهَا جِيفُ الْحَسْرَى فَأَمَّا عِظَامُهَا فَبَيْضٌ ، وَأَمَّا جِلْدُهَا فَصَلِيبٌ

القول في تأويل قوله تعالى :

يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢١﴾ أَمَّا تَخَذُوا إِلَهًا مِّنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره : يسبح هؤلاء الذين عنده من ملائكة ربهم الليل والنهار لا يفترون من تسبيحهم إياه .  
كما حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : أخبرنا حميد ، عن إسحاق بن عبد الله بن الحارث ، عن أبيه أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله : ( يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ) و ( يسبحون الليل والنهار لا يسأمون ) فقال : هل يشودك طرفك ، هل يشودك نفسك ؟ قال : لا ، قال : فإنهم ألهموا التسبيح كما ألهمم الطَّرفَ والنَّفْسَ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو معاوية ، عن أبي إسحاق الشيباني ، عن حسان

(١) البيت لعلقمة بن عبدة التيمي ، من قصيدة له يمدح بها الحارث بن أبي شمر النسائي ( مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطفي السقا ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ص ٤٢١ ، وهو البيت المشهور في القصيدة ) والحسري : جمع حسير من الدواب ، وهو الذي كل من من السير ، فات إعياء . وصليب : يابس لم يدبغ . والضمير في ( بها ) راجع إلى المفازة التي سلكها ، فوجد فيها بقايا الدواب التي سارت فيها من قبل ، من عظام وجلود .

(٢) التلاوة « يسبحون له بالليل والنهار وهم » الخ .

ابن مخارق، عن عبد الله بن الحرث، قال: قلت: لكعب الأخبار (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْشُرُونَ) أما يشغلهم رسالة أو عمل؟ قال: يا ابن أخي إنهم جعل لهم التسبيح، كما جعل لكم النفس، ألسنت تأكل وتشرب وتقوم وتقع، وتجيء وتذهب، وأنت تنفس؟ قلت: بلى، قال: فكذلك جعل لهم التسبيح. حدثنا ابن بشار، قال: ثنا عبد الرحمن وأبو داود، قالوا: ثنا عمران القطان، عن قتادة، عن سالم ابن أبي الجعد، عن معدان بن أبي طلحة، عن عمرو البكالى، عن عبد الله بن عمر، قال: إن الله خلق عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء الملائكة، وجزء سائر الخلق، وجزء الملائكة عشرة أجزاء. فجعل تسعة أجزاء أجزاء يسبحون الليل والنهار لا يفترون، وجزءا لرسالته، وجزء الخلق عشرة أجزاء، فجعل تسعة أجزاء الجن، وجزءا سائر بني آدم، وجزءا بني آدم عشرة أجزاء، فجعل يأجوج ومأجوج تسعة أجزاء، وجزءا سائر بني آدم.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْشُرُونَ) يقول: الملائكة الذين هم عند الرحمن لا يستكبرون عن عبادته، ولا يسأمون فيها. وذكر لنا أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو جالس مع أصحابه، إذ قال: «تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟» قالوا: ما نسمع من شيء يا نبي الله، قال: «لَأَسْمَعُ أَطِيبَ السَّمَاءِ، وَمَا تُلَامُ أَنْ تُثِطَّ وَلَيْسَ فِيهَا مَوْضِعٌ رَاحَةٍ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ». وقوله (أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ) يقول تعالى ذكره: أتخذ هؤلاء المشركون آلهة من الأرض هم ينشرون: يعنى بقوله هم: الآلهة، يقول: هذه الآلهة التي اتخذوها تنشر الأموات، يقول: يحيون الأموات، وينشرون الخلق، فإن الله هو الذى يحيى ويميت.

كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى «ح»؛ وحدثني الحرث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا. عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قوله (يُنْشِرُونَ) يقول: يحيون. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب. قال: قال ابن زيد. فى قوله (أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنْشِرُونَ) يقول: أفى آلهتهم أحد يحيى ذلك ينشرون، وقرأ قول الله (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) . . . إلى قوله (مَالِكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ).

القول فى تأويل قوله تعالى:

لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره: لو كان فى السموات والأرض آلهة تصلىح لهم العبادة سوى الله الذى هو خالق الأشياء، وله العبادة والألوهة التى لاتصلح إلا له (لَفَسَدَتَا) يقول: لفسد أهل السموات والأرض (فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ) يقول جل ثناؤه: فتزويه لله وتبرئة له مما يفتري به عليه هؤلاء المشركون به من الكذب.

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَوْ كَانَ فِيهَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا ، فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ) يسبح نفسه إذا قيل عليه البهتان .  
القول في تأويل قوله تعالى :

لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴿٣٣﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : لاسائل يسأل ربّ العرش عن الذي يفعل بخلقه من تصرفهم فيما شاء من حياة وموت وإعزاز وإذلال ، وغير ذلك من حكمه فيهم ، لأنهم خلقه وعبده ، وجميعهم في ملكه وسلطانه ، والحكم حكمه ، والقضاء قضاؤه ، لاشيء فوقه ، يسأله عما يفعل ، فيقول له : لم فعلت ؟ ولم لم تفعل ؟ ( وَهُمْ يُسْأَلُونَ ) يقول جل ثناؤه : وجميع من في السموات والأرض من عباده مسؤلون عن أفعالهم ، ومحاسبون على أعمالهم ، وهو الذي يسألهم عن ذلك ، ويحاسبهم عليه ، لأنه فوقهم ومالكهم ، وهم في سلطانه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ) يقول : لا يسئل عما يفعل بعباده ، وهم يسؤلون عن أعمالهم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قوله ( لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ) قال : لا يسئل الخالق عن قضائه في خلقه ، وهو يسأل الخلق عن عملهم .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ) قال : لا يسئل الخالق عما يقضى في خلقه ، والخلق مسؤلون عن أعمالهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمْ آتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُلُوبًا بِرُءُوسِهِمْ هَذَا ذِكْرٌ مِمَّنْ مَعِيَ وَذِكْرٌ مِّنْ قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ  
الْحَقَّ فَهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٣٤﴾

❖❖ يقول تعالى ذكره : أتخذ هؤلاء المشركون من دون الله آلهة تنفع وتضر ، ونخلق وتحي وتميت ، قل يا محمد لهم : هاتوا برهانكم ، يعني حججتكم ، يقول : هاتوا إن كنتم تزعمون أنكم محقون في قيلكم ذلك حجة ودليلا على صدقكم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ ) يقول : هاتوا بينتكم على ما تقولون .  
وقوله ( هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّعِيَ ) يقول : هذا الذي جئتكم به من عند الله من القرآن والتنزيل ( ذِكْرٌ

مَنْ مَعِيَ) يقول : خبر من معي مما لهم من ثواب الله على إيمانهم به ، وطاعتهم إياه ، وما عليهم من عقاب الله على معصيتهم إياه وكفرهم به ( وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي ) يقول : وخبر من قبلي من الأمم التي سلفت قبلي ، وما فعل الله بهم في الدنيا وهو فاعل بهم في الآخرة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ ) يقول : هذا القرآن فيه ذكر الحلال والحرام ( وَذِكْرُ مَنْ قَبْلِي ) يقول : ذكر أعمال الأمم السالفة وما صنع الله بهم وإلى ما صاروا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( هَذَا ذِكْرُ مَنْ مَعِيَ ) قال : حديث من معي ، وحديث من قبلي .

وقوله ( بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ) يقول : بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الصواب فيما يقولون ، ولا فيما يأتون ويذرون : فهم معرضون عن الحق جهلا منهم به ، وقلّة فهم .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُمْ مُعْرِضُونَ ) عن كتاب الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

**وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢١﴾**

❖❖❖ يقول تعالى ذكره : وما أرسلنا يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم إلا نوحى إليه أنه لا معبود في السموات والأرض ، تصليح العبادة له سواى فاعبدون : يقول : فأخلصوا لى العبادة ، وأفردوا لى الألوهة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ) قال : أرسلت الرسل بالإخلاص والتوحيد . لا يقبل منهم « قال أبو جعفر : أظنه أنا قال » : عمل حتى يقولوه ويقرّوا به . والشرائع مختلفة في التوراة شريعة ، وفي الإنجيل شريعة ، وفي القرآن شريعة . حلال وحرام . وهذا كله في الإخلاص لله والتوحيد له .

القول في تأويل قوله تعالى :

**وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ ﴿٢٢﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يُعْمَلُونَ**

❦❦ يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء الكافرون بربهم : اتخذ الرحمن ولدا من ملائكته ، فقال جل ثناؤه استعظاما مما قالوا ، وتبريا مما وصفوه به سبحانه ، يقول تنزيها له عن ذلك ، ما ذلك من صفته ( بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ) يقول : ما الملائكة كما وصفهم به هؤلاء الكافرون من بنى آدم ، ولكنهم عباد مكرمون يقول : أكرمهم الله .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ، بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ) قال : قالت اليهود : إن الله تبارك وتعالى صاهر الجن ، فكانت منهم الملائكة ، قال الله تبارك وتعالى تكديبا لهم وردا عليهم ، ( بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ) وإن الملائكة ليس كما قالوا ، إنما هم عباد أكرمهم الله بعبادته .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ؛ وحدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ) قالت اليهود وطوائف من الناس : إن الله تبارك وتعالى خاتن إلى الجن والملائكة من الجن ، قال الله تبارك وتعالى ( سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ) ، وقوله ( لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ) يقول جل ثناؤه : لا يتكلمون إلا بما يأمرهم به ربهم ، ولا يعملون عملا إلا به .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : قال الله ( لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ ) يشئ عليهم ( وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْْمَلُونَ )

القول في تأويل قوله تعالى :

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾

❦❦ يقول تعالى ذكره : يعلم ما بين أيدي ملائكته ما لم يبلغوه ، ما هو ، وما هم فيه قائلون وعاملون ، وما خلفهم : يقول : وما مضى من قبل اليوم مما خلفوه وراءهم من الأزمان والدهور ما عملوا فيه ، قالوا ذلك كله محصى لهم وعليهم ، لا ينحى عليه من ذلك شيء .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يَعْْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ ) يقول : يعلم ما قدموا وما أضاعوا من أعمالهم ( وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ ) يقول : ولا تشفع الملائكة إلا لمن رضى الله عنه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَىٰ ) يقول : الذين ارتضى لهم شهادة أن لا إله إلا الله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) قال : لمن رضى عنه ، حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى) يوم القيامة (وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ) . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال أخبرنا معمر ، عن قتادة يقول : ولا يشفعون يوم القيامة . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله ، وقوله (وَهُمْ مِنْ خَشِيَّتِهِ مُشْفِقُونَ) يقول : وهم من خوف الله وحذار عقابه أن يحل بهم مشفقون : يقول : حذرون أن يعصوه ويخالفوا أمره ونهيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

\* وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌُ مِّنْ دُونِهِ فَذَلِكْ نَجْرِي بِهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْرِي الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره : ومن يقل من الملائكة : إني إله من دون الله (فذلك) الذى يقول ذلك منهم (نَجْرِي بِهِ جَهَنَّمَ) يقول : نثيبه على قيله ذلك جهنم (كذلك نَجْرِي الظَّالِمِينَ) يقول : كما نجزي من قال من الملائكة : إني إله من دون الله جهنم ، كذلك نجزي ذلك كل من ظلم نفسه ، فكفر بالله وعبد غيره . وقيل : عنى بهذه الآية إبليس . وقال قائلو ذلك : إنما قلنا ذلك ، لأنه لأحد من الملائكة قال : إني إله من دون الله سواه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج (وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ) قال : قال ابن جريج : من يقل من الملائكة إني إله من دونه ، فلم يقله إلا إبليس دعا إلى عبادة نفسه ، فنزلت هذه في إبليس .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ) إني إله من دونه فَذَلِكَ نَجْرِي بِهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْرِي الظَّالِمِينَ) وإنما كانت هذه الآية خاصة لعدو الله إبليس لما قال ما قال ، لعنه الله وجعله رجيا ، فقال (فذلك نَجْرِي بِهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ نَجْرِي الظَّالِمِينَ) حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ) إني إله من دونه فَذَلِكَ نَجْرِي بِهِ جَهَنَّمَ) قال : هى خاصة لإبليس .

القول في تأويل قوله تعالى :

أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَنْ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره: أو لم ينظر هؤلاء الذين كفروا بالله بأبصار قلوبهم : فيروا بها ، ويعلموا أن السموات والأرض كانتا رتقا : يقول : ليس فيهما ثقب ، بل كانتا ملتصقتين ؛ يقال منه : رتق فلان الفتق : إذا شدّه . فهو يرتقه رتقا ورتوقا . ومن ذلك قيل للمرأة التي فرجها ملتحم : رتقاء ، ووجد الرتق ، وهو من صفة السماء والأرض : وقد جاء بعد قوله ( كانتا ) لأنه مصدر ، مثل قول الزور والصوم والفطر وقوله ( ففَتَقْتُمَاهُمَا ) يقول : فصدعناهما وفرجناهما .

ثم اختلف أهل التأويل في معنى وصف الله السموات والأرض بالرتق ، وكيف كان الرتق ، وبأى معنى فتق ؟ فقال بعضهم : عنى بذلك أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ، ففصل الله بينهما بالهواء . ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ . قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ) يقول : ملتصقتين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي . قال : ثني أبي . عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ) . . . الآية ، يقول : كانتا ملتصقتين ، فرفع السماء ووضع الأرض .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ) كان ابن عباس يقول : كانتا ملتصقتين ، ففتقهما الله .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقناهما ) قال : كان الحسن وقتادة يقولان : كانتا جميعا . فنصل الله بينهما بهذا الهواء . وقال آخرون : بل معنى ذلك أن السموات كانت مرتبة طبقة . ففتقها الله فجعلها سبع سموات . وكذلك الأرض كانت كذلك مرتبة . ففتقها . فجعلها سبع أرضين .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو . قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث . قال : ثنا الحسن . قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد ، في قول الله تبارك وتعالى ( رتقا ففتقناهما ) من الأرض ست أرضين معها ، فتلك سبع أرضين معها . ومن السماء ست سموات معها ، فتلك سبع سموات معها . قال : ولم تكن الأرض والسماء متماسكتين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور . عن معمر . عن ابن أبي نجيح . عن مجاهد ( رتقا ففتقناهما ) قال : فتقهن سبع سموات . بعضهن فوق بعض . وسبع أرضين بعضهن تحت بعض . حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج . عن مجاهد نحو حديث محمد بن عمرو ، عن أبي عاصم .



حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل ، قال : سألت أبا صالح عن قوله ( كَانَتَا رَتَقَا فَفَتَقْنَاهُمَا ) قال : كانت الأرض رتقا والسماوات رتقا ، ففتق من السماء سبع سموات ، ومن الأرض سبع أرضين .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : كانت سماء واحدة ثم فتقها ، فجعلها سبع سموات في يومين ، في الخميس والجمعة ، وإنما سمي يوم الجمعة لأنه جمع فيه خلق السموات والأرض ، فذلك حين يقول ( خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ) يقول ( كَانَتَا رَتَقَا فَفَتَقْنَاهُمَا ) . وقال آخرون : بل عني بذلك أن السموات كانت رتقا لا تمطر ، والأرض كذلك رتقا لا تنبت ، ففتق السماء بالمطر ، والأرض بالنبات .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سماك ، عن عكرمة ( أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتَقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ) قال : كانتا رتقا لا يخرج منهما شيء ، ففتق السماء بالمطر وفتق الأرض بالنبات ، قال : وهو قوله ( وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ، وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ) .

حدثني الحسين بن علي الصدائي ، قال : ثنا أبي ، عن الفضيل بن مرزوق ، عن عطية ، في قوله ( أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتَقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ) قال : كانت السماء رتقا لا تمطر ، والأرض رتقا لا تنبت ، ففتق السماء بالمطر ، وفتق الأرض بالنبات ، وجعل من الماء كل شيء حي ، أفلا يؤمنون ؟

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( أَوْ لَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتَقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ) قال : كانت السموات رتقا لا ينزل منها مطر ، وكانت الأرض رتقا لا يخرج منها نبات ، ففتقهما الله ، فأنزل مطر السماء ، وشق الأرض فأخرج نباتها ، وقرأ ( فَفَتَقْنَاهُمَا ، وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ) . وقال آخرون : إنما قيل ( فَفَتَقْنَاهُمَا ) لأن الليل كان قبل النهار ، ففتق النهار .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن أبيه ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : خلق الليل قبل النهار ، ثم قال : ( كَانَتَا رَتَقًا فَفَتَقْنَاهُمَا ) .

❖ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى ذلك : أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا من المطر والنبات ، ففتقنا السماء بالغيث ، والأرض بالنبات . وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب في ذلك للدلالة قوله ( وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ) على ذلك ، وأنه جل ثناؤه لم يعقب ذلك بوصف الماء بهذه الصفة إلا والذي تقدمه من ذكر أسبابه .

❖ فإن قال قائل : فإن كان ذلك كذلك ، فكيف قيل : أو لم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا

رتقا ، والغيث إنما ينزل من السماء الدنيا ؟ قيل : إن ذلك مختلف فيه ، قد قال قوم : إنما ينزل من السماء السابعة . وقال آخرون : من السماء الرابعة ، ولو كان ذلك أيضا كما ذكرت من أنه ينزل من السماء الدنيا ، لم يكن في قوله ( أن السموات والأرض ) دليل على خلاف ما قلنا ، لأنه لا يمتنع أن يقال السموات ، والمراد منها واحدة فتجمع ، لأن كل قطعة منها سماء ، كما يقال : ثوب أخلاق ، وقميص أسمال .

❖ فإن قال قائل : وكيف قيل إن السموات والأرض كانتا ، فالسموات جمع ، وحكم جمع الإناث أن يقال في قليله كن ، وفي كثيره كانت ؟ قيل : إنما قيل ذلك كذلك ، لأنهما صنفان ، فالسموات نوع ، والأرض آخر ؛ وذلك نظير قول الأسود بن يعفر :

إِنَّ الْمَنِيَّةَ وَالْحُتُوفَ كِلَاهُمَا تُو فِي الْمَخَارِمِ يَرْقُبَانِ سَوَادِي<sup>١</sup>

فقال كلاهما ، وقد ذكر المنية والحُتوف لما وصفت من أنه عنى النوعين ، وقد أخبرت عن أبي عبيدة معمر ابن المنى ، قال : أنشدني غالب النفيلي للقطامي :

أَلَمْ يَحْزُنْكَ أَنْ حِبَالَ قَيْسٍ وَتَغْلِبَ قَدْ تَبَايَنَّا انْقِطَاعًا<sup>٢</sup>

فجعل حبال قيس وهي جمع ، وحبال تغلب وهي جمع اثنين .

وقوله ( وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ) يقول تعالى ذكره : وأحيينا بالماء الذي نزل من السماء كل شيء .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ) قال : كل شيء حي خلق من الماء .

❖ فإن قال قائل : وكيف خص كل شيء حي بأنه جعل من الماء دون سائر الأشياء غيره ، فقد علمت أنه يحيا بالماء الزروع والنبات والأشجار ، وغير ذلك مما لاحتيا له ، ولا يقال له حي ولا ميت ؟ قيل : لأنه

لا شيء من ذلك إلا وله حياة وموت ، وإن خالف معناه في ذلك معنى ذوات الأرواح في أنه لأرواح فيهن وأن في ذوات الأرواح أرواحا ، فلذلك قيل ( وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ) .

وقوله ( أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ) يقول : أفلا يصدقون بذلك ، ويقرون بألوهة من فعل ذلك ويفردونه بالعبادة .

(١) البيت للأسود بن يعفر النهشلي التميمي ( المفضليات ١٠١ ) والمنية . الموت ، والحُتوف جمع حتف ، يريد به أنواع الأخطار التي تؤدي إلى الموت والمخارم جمع مخرم : الطريق في اللفظ ( عن السكري ) . وقيل : الطرق في الجبال وأفواه الفجاج ، وسواد الإنسان شخصه . والشاهد في البيت أن الشاعر ذكر المنية والحُتوف ثم قال يرقبان بالثنائية ، لأنه جعل المنية والحُتوف نوعين للهلاك ، ثم قال : يرقبان . ولو جرى على ما يقتضيه اللفظ لقال : ترقب سوادى ، لأن المنية والحُتوف عدة أشياء .

(٢) البيت للقطامي ، وهو الرابع من عينيته المشهورة التي مطلعها « قن قبل التفرق يا ضبعا » ( انظر ديوانه طبعة ليدن سنة ١٩٠٢ من ٣٧ ) . قال : تباينت تفرقت . والجبال : العلائق واليهود . والشاهد في البيت أن الشاعر قال : تباينتا بلفظ الثنية ، مع أن حبال قيس جمع ، وحبال تغلب جمع ، فكان ظاهر اللفظ يقتضى أن يقول : ( تباينت القطاعا ) مراعاة لمعنى الجمعية في حبال قيس وتغلب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾

❖ يقول تعالى ذكره : أو لم ير هؤلاء الكفار أيضا من حججنا عليهم وعلى جميع خلقنا ، أنا جعلنا في الأرض جبالا راسية ، والرواسي : جمع راسية ، وهي الثابتة .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيًا ) أي جبالا .

وقوله ( أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ ) يقول : أن لا تتكفأ بهم ، يقول جل ثناؤه : فجعلنا في هذه الأرض هذه الرواسي من الجبال ، فثبتناها لئلا تتكفأ بالناس ، وليقدروا بالثبات على ظهرها .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : كانوا على الأرض تمور بهم ، لا تستقر ، فأصبحوا ، وقد جعل الله الجبال ، وهي الرواسي أوتادا للأرض ، وجعلنا فيها فجاجا سبلا : يعني مسالك ، واحدا فج .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ) : أي أعلاما . وقوله ( سُبُلًا ) أي طرقا ، وهي جمع السبيل .

وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول : إنما عني بقوله ( وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ) وجعلنا في الرواسي ، فالهاء والألف في قوله ( وَجَعَلْنَا فِيهَا ) من ذكر الرواسي .

حدثنا بذلك القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا ) سبلا ، قال : بين الجبال .

وإنما اخترنا القول الآخر في ذلك ، وجعلنا الهاء والألف من ذكر الأرض ، لأنها إذا كانت من ذكرها دخل في ذلك السهل والجبل ، وذلك أن ذلك كله من الأرض ، وقد جعل الله لخلقه في ذلك كله فجاجا سبلا ، ولا دلالة تدل على أنه عني بذلك فجاج بعض الأرض التي جعلها لهم سبلا ، دون بعض ، فالعموم بها أولى . وقوله ( لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ) يقول تعالى ذكره : جعلنا هذه الفجاج في الأرض ليهدوا إلى السير فيها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ( وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا ) للأرض مسموكا ، وقوله ( مَحْفُوظًا ) يقول : حفظناها من كل شيطان رجيم .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( سَقْفًا مَحْفُوظًا ) قال : مرفوعا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا )  
... الآية : سقفا مرفوعا ، وموجا مكفوفا .

وقوله ( وَهَمُّ عَن آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ) يقول : وهؤلاء المشركون عن آيات السماء ، ويعني بآياتها : شمسها وقمرها ونجومها ( معرضون ) : يقول : يعرضون عن التفكير فيها ، وتدبر ما فيها من حجج الله عليهم ، ودلالاتها على وحدانية خالقها ، وأنه لا ينبغي أن تكون العبادة إلا لمن دبرها وسواها ، ولا تصلح إلا له .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَهَمُّ عَن آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ) قال : الشمس والقمر والنجوم آيات السماء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .

وقوله ( وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ )  
يقول تعالى ذكره : والله الذي خلق لكم أيها الناس الليل والنهار ، نعمة منه عليكم وحجة ، ودلالة على عظيم سلطانه ، وأن الألوهة له دون كل ما سواه فهما يختلفان عليكم لصلاح معاشكم وأمور دنياكم وآخرتكم ، وخلق الشمس والقمر أيضا ، كل في فلك يسبحون ، يقول : كل ذلك في فلك يسبحون .  
واختلف أهل التأويل في معنى الفلك الذي ذكره الله في هذه الآية ، فقال بعضهم : هو كهيئة حديدة الرحي .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) قال : فلك كهيئة حديدة الرحي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : قال ابن جريج ( كُلٌّ فِي فَلَكٍ ) قال : فلك كهيئة حديدة الرحي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثني جرير ، عن قابوس بن أبي ظبيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) قال : فلك السماء .

وقال آخرون : بل الفلك الذي ذكره الله في هذا الموضع سرعة جرى الشمس والقمر والنجوم وغيرها .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، قال : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( كُلِّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) الفلك : الجرى والسرعة .  
وقال آخرون : الفلك موج مكفوف تجرى الشمس والقمر والنجوم فيه .  
وقال آخرون : بل هو القطب الذي تدور به النجوم ، واستشهد قائل هذا القول لقوله هذا بقول الراجز :  
باتت تُناجِي الفلَكَ الدَّوَّارَا حَتَّى الصَّبَاحِ تَعْمَلُ الأَقْتَارَا  
وقال آخرون في ذلك ، ما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( كُلِّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) : أي في فلك السماء .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( كُلِّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) قال : يجرى في فلك السماء كما رأيت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كُلِّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) قال : الفلك الذي بين السماء والأرض من مجارى النجوم والشمس والقمر ، وقرأ ( تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا ) وقال : تلك البروج بين السماء والأرض وليست في الأرض ( كُلِّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) قال : فيما بين السماء والأرض : النجوم والشمس والقمر .  
وذكر عن الحسن أنه كان يقول : الفلك طاحونة كهيئة فلكة المغزل .  
والصواب من القول في ذلك أن يقال : كما قال الله عز وجل ( كُلِّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) وجائز أن يكون ذلك الفلك كما قال مجاهد كحديدة الرحي ، وكما ذكر عن الحسن كطاحونة الرحي ، وجائز أن يكون موجا مكفوفاً ، وأن يكون قطب السماء ، وذلك أن الفلك في كلام العرب هو كل شيء دائر ، فجمعه أفلاك ، وقد ذكرت قول الراجز :

باتت تُناجِي الفلَكَ الدَّوَّارَا

وإذ كان كل ما دار في كلامها ، ولم يكن في كتاب الله ، ولا في خبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولا عمن يقطع بقوله العذر ، دليل يدل على أي ذلك هو من أي كان الواجب أن نقول فيه ما قال ، ونسكت عما لا علم لنا به .

فإذ كان الصواب في ذلك من القول عندنا ما ذكرنا ، فتأويل الكلام : والشمس والقمر ، كل ذلك في دائر يسبحون .

(١) البيت شاهد على أن الفلك هو القطب الذي تدور به النجوم . وقال في ( اللسان : فلك ) : الفلك : مدار النجوم ، والجمع : أفلاك . وفي حديث ابن مسعود : أن رجلاً أتى رجلاً وهو جالس عنده فقال : « إني تركت فرسك كأنه يدور في فلك » . قال أبو عبيد : قوله « في فلك » : فيه قولان : فأما الذي تعرفه العامة ، فإنه شبهه بفلك السماء الذي تدور عليه النجوم ، وهو الذي يقال له القطب ، شبهه بقطب الرحي . قال : وقال بعض العرب : الفلك هو الموج إذا ما ح في البحر فاضطرب ، وجاء وذهب ، فشبّه الفرس في اضطرابه بذلك .

وأما قوله ( يُسَبِّحُونَ ) فإن معناه : يَجْرُونَ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) قال : يجرون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يَسْبَحُونَ ) قال : يجرون . وقيل ( كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ) فأخرج الخبر عن الشمس والقمر مخرج الخبر عن بني آدم بالواو والنون ، ولم يقل : يسبحن أو تسبح ، كما قيل ( وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ) لأن السجود من أفعال بني آدم ، فلما وصفت الشمس والقمر بمثل أفعالهم ، أجرى الخبر عنهما مجرى الخبر عنهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَّا يَنْتَهِمُ الْخَالِدُونَ ﴿٢٥﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٢٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وما خلدنا أحدا من بني آدم يا محمد قبلك في الدنيا فنخلدك فيها ، ولا بد لك من أن تموت كما مات من قبلك رسلنا ( أفان منتهم الخالدون ) يقول : فهؤلاء المشركون بربههم هم الخالدون في الدنيا بعدك ، لا ما ذلك كذلك ، بل هم ميتون بكل حال عشت أو مت ، فأدخلت الفاء في إن وهي جزاء ، وفي جوابه ، لأن الجزاء متصل بكلام قبله ، ودخلت أيضا في قوله فهم لأنه جواب للجزاء ، ولو لم يكن في قوله فهم الفاء جاز على وجهين : أحدهما : أن تكون محذوفة ، وهي مرادة ، والآخر أن يكون مرادا تقديمها إلى الجزاء ، فكأنه قال : أفهم الخالدون إن مت . وقوله ( كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ) يقول تعالى ذكره : كل نفس منفوسة من خلقه ، معالجة غصص الموت ، ومتجرعة كأسها .

وقوله ( وَنَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ) يقول تعالى ذكره : ونختبركم أيها الناس بالشر ، وهو الشدة نبتليكم بها ، وبالخير ، وهو الرخاء والسعة العافية ، فنفتنكم به . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين : قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( وَنَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ) قال : بالرخاء والشدة ، وكلاهما بلاء .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَنَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ) يقول : نبلوكم بالشرّ بلاء ، والخير فتنة ، ( وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ) .  
حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَنَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً ) ، ( وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ) قال : نبلوهم بما يحبون وبما يكرهون ؛ نختبرهم بذلك لننظر كيف شكرهم فيما يحبون ، وكيف صبرهم فيما يكرهون .  
حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَنَبَلُّوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ ) يقول : نبتليكم بالشدة والرخاء ، والصحة والسقم ، والغنى والفقر ، والحلال والحرام ، والطاعة والمعصية ، والهدى والضلالة ، وقوله ( وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ) يقول : وإلينا يردّون فيجازون بأعمالهم ، حسنها وسيئها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلهًا زُورًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ  
وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ( وَإِذَا رَأَى ) يا محمد ( الَّذِينَ كَفَرُوا ) بالله ( إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلهًا زُورًا ) يقول : ما يتخذونك إلا سخرًا يقول بعضهم لبعض ( أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ ) يعني بقوله : يذكركم بسوء ويعيبها ، تعجبًا منهم من ذلك ، يقول الله تعالى ذكره : فيعجبون من ذكرك يا محمد آلهم التي لا تنفع بسوء ( وَهُمْ يَذْكُرُ الرَّحْمَنَ ) الذي خلقهم وأنعم عليهم ، ومنه نفعهم ، وبيده ضرهم ، وإليه مرجعهم بما هو أهلهم منهم أن يذكروه به كافرين ، والعرب تضع الذكر موضع المدح والذم ، فيقولون : سمعنا فلانا يذكرك فلانا ، وهم يريدون سماعه يذكركه بقبيح ويعيبه ، ومن ذلك قول عنزة :

لَا تَذْكُرِي مَهْرِي وَمَا أَطْعَمْتُهُ  
فِيَكُونُ جِلْدُكَ مِثْلَ جِلْدِ الْأَجْرَبِ ١

يعني بذلك : لاتعبي مهري ، وسمعه يذكرك بخير .

القول في تأويل قوله تعالى :

خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُورِيكُمْ ءَايَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ  
إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾

(١) البيت لعنزة بن عمرو بن شداد العبسي ( مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفى السقا ، طبعة الحلبي ص ٣٩٦ ) يقول : لا تلوميني بذكر مهري وطعامه ، وإلا نفرت منك كما ينفر الصحيح من الأجر . يعني لا تعبي مهري ولا تلوميني من أجل اهتامي به ، فهو وسيلتي للدفاع عنك وعن قومي .

❖ يقول تعالى ذكره : ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ ) يعني آدم ( مِنْ عَجَلٍ ) .  
واختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : من عجل في بنيته وخلقته ، كان من العجلة ،  
وعلى العجلة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد في قوله ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ) قال : لما نفخ فيه الروح في ركبته ذهب لينهض ، فقال الله ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ) حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : لما نفخ فيه ، يعني في آدم الروح فدخل في رأسه عطس ، فقالت الملائكة : قل الحمد لله ، فقال : الحمد لله ، فقال الله له : رحمك ربك ؛ فلما دخل الروح في عينيه نظر إلى ثمار الجنة ، فلما دخل في جوفه اشتهى الطعام ، فوثب قبل أن تبلغ الروح رجليه عجلان إلى ثمار الجنة ، فذلك حين يقول ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ) يقول : خلق الإنسان عجولا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ) قال : خلق عجولا .

وقال آخرون : معناه : خلق الإنسان من عجل : أي من تعجيل في خلق الله إياه ومن سرعة فيه وعلى عجل ، وقالوا : خلقه الله في آخر النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس على عجل في خلقه إياه قبل مغيبها .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ) قال : قول آدم حين خلق بعد كل شيء آخر النهار من يوم خلق الخلق : فلما أحيا الروح عينيه ولسانه ورأسه ، ولم تبلغ أسفله ، قال : يا رب استعجل بخلقى قبل غروب الشمس .<sup>١</sup>

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ) قال آدم حين خلق بعد كل شيء ثم ذكر نحوه ، غير أنه قال في حديثه : استعجل بخلقى فقد غربت الشمس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ ) قال : على عجل خلق آدم آخر ذلك اليوم من ذينك اليومين ، يريد يوم الجمعة ، وخلق على عجل ، وجعله عجولا .

وقال بعض أهل العربية من أهل البصرة ممن قال نحو هذه المقالة : إنما قال : خلق الإنسان من عجل ،

(١) هذا السند تكرر للذي قبله من غير فرق .



وهو يعنى أنه خلقه من تعجيل من الأمر ، لأنه قال ( إِنَّمَا قَدَرْنَا لِسَيِّءٍ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ) قال : فهذا العجل . وقوله ( فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ) إِنِّي ( سَأُرِيكُمْ آيَاتِي ) وعلى قول صاحب هذه المقالة ، يجب أن يكزن كلَّ خلق الله خلق على عجل ، لأن كل ذلك خلق بأن قيل له كن فكان . فإذا كان ذلك كذلك ، فما وجه خصوص الإنسان إذاً بذكر أنه خلق من عجل دون الأشياء كلها ، وكلها مخلوق من عجل ، وفي خصوص الله تعالى ذكره الإنسان بذلك الدليل الواضح ، على أن القول فى ذلك غير الذى قاله صاحب هذه المقالة .

وقال آخرون منهم : هذا من المقلوب ، وإنما خلق العَجَل من الإنسان ، وخلق العجلة من الإنسان ، وقالوا ذلك مثل قرله ( ما إنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَنُوءُ بِالْعُصْبَةِ أُولَى الْقُرَّةِ ) إنما هو لتنوء العصبه بها مثاقلة ، وقالوا : هذا وما أشبهه فى كلام العرب كثير مشهور . قالوا : وإنما كلم القوم بما يعقلون ، قالوا : وذلك مثل قولهم : عرّضت الناقة ، وكقولهم إذا طلعت الشعرى ، واستوت العود على الحرّباء : أى استوت الحرّباء على العرد ، كقول الشاعر :

وَتَرَكَبُ خَيْلًا لَا هَرَادَةَ بَيْنَهَا  
وَتَشْقَى الرِّيحَ بِالضِّيَاطِرَةِ الْحُمْرِ

وكقول ابن مقبل :

حَسَرْتُ كَفَى عَنِ السَّرْبَالِ آخِذُهُ  
فَرَدًّا يُجَرُّ عَلَى أَيْدِي الْمُفْدِينَا

يريد : حسرت السربال عن كفى ، ونحو ذلك من المقلوب . وفى إجماع أهل التأويل على خلاف هذا القول ، الكفاية المغنية عن الاستشهاد على فساده بغيره .

قال أبو جعفر : والصواب من القول فى تأويل ذلك عندنا : الذى ذكرناه عن قال معناه : خلق الإنسان من عجل فى خلقه : أى على عجل وسرعة فى ذلك ، وإنما قيل ذلك كذلك ، لأنه بؤدر بخلق مغيب الشمس فى آخر ساعة من نهار يوم الجمعة ، وفى ذلك الوقت نفخ فيه الروح .

وإنما قلنا أولى الأقوال التى ذكرناها فى ذلك بالصواب ، للدلالة قوله تعالى ( سَأُرِيكُمْ آيَاتِي ، فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ) على ذلك .

وأن أبا كريب ، حدثنا قال : ثنا ابن إدريس ، قال أخبرنا محمد بن عمرو ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة

(١) البيت لخداش بن زهير (اللسان : ضطر) . الجوهرى : الضيطر : الرجل الضخم الذى لاغناء عنده ؛ وكذلك الضوطر والضوطرى . وفى حديث على : من يعذرنى من هؤلاء الضياطرة : هم الضخام الذين لاغناء عندهم ، الواحد ضيطار . وقول خداش : « وتركب خيلا . . . البيت » : قال ابن سيده : يجوز أن يكون عنى أن الرماح تشق بهم ، أى أنهم لا يحسنون حملها ، ولا الطعن بها ، ويجوز أن يكون على « القلب » أى تشق الضياطرة الحمر بالرماح ؛ يعنى أنهم يقتلون بها . والهواة : المصالحة والموادة . والبيت شاهد على القلب .

(٢) البيت لتمام بن أبي بن مقبل ، كما قال المؤلف . وحسرت كفى عن السربال : يريد حسرت السربال عنها . والسربال : القميص والدرع . والمفدون : الذى يقولون لى فدينك من المكاره ، تعظيما لى ، وإكبارا لبلأى فى الحرب ؛ وهو كالشاهد قبله على أن الكلام فيه مقلوب ، لأنه يريد حسرت السربال عن كفى ، لشجاعى .

قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إن في الجمعة لساعة يقرئ فيها عيسى بن مريم ، قال لا يوافقها عبد مسلم يسأل الله فيها خيراً إلا آتاه الله إياه » فقال عبدالله بن سلام : قد علمت أى ساعة هي ، هي آخر ساعات النهار من يوم الجمعة ، قال الله : ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ، سَأُ رِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربي وعبد بن سليمان وأسير بن عمرو ، عن محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو سلمة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحوه ، وذكر كلام عبد الله بن سلام بنحوه .   
 ✽ فتأويل الكلام إذا كان الصواب في تأويل ذلك ما قلنا بما به استشهدنا ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ) ولذلك يستعجل ربه بالعذاب ( سَأُ رِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ) أيها المستعجلون ربهم بالآيات القائلون لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم : بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون آياتي ، كما أريتها من قبلكم من الأمم التي أهلكتها بتكذيبها الرسل ، إذا أتتها الآيات فلا تستعجلون ، يقول : فلا تستعجلوا ربكم ، فإننا سنأتيكم بها ونريكموها .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ) فقراءته عامة قراء الأمصار ( خَلِقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَجَلٍ ) بضم الحاء على مذهب ما لم يسم فاعله . وقراءه حميد الأعرج ( خَلَقَ ) بفتحها ، بمعنى : خلق الله الإنسان ؛ والقراءة التي عليها قراء الأمصار ، هي القراءة التي لأستجيز خلافها .

وقوله ( وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) يقول تعالى ذكره : ويقول هؤلاء المستعجلون ربهم بالآيات والعذاب لمحمد صلى الله عليه وسلم : متى هذا الوعد : يقول : متى يجيئنا هذا الذي تعدنا من العذاب إن كنتم صادقين فيما تعدوننا به من ذلك . وقيل : هذا الوعد والمعنى الموعود لمعرفة السامعين معناه . وقيل ( إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ) كأنهم قالوا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين به ، ومتى في موضع نصب ، لأن معناه : أى وقت هذا الوعد ، وأى يوم هو فهو نصب على الظرف لأنه وقت .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكْفُونُ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٢١﴾

✽ يقول تعالى ذكره : لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون عذاب ربهم ماذا لهم من البلاء حين تفتح وجوههم النار ، وهم فيها كالحون ، فلا يكفون عن وجوههم النار التي تفتحها ، ولا عن ظهورهم فيدفعونها عنها بأنفسهم ( وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ) يقول : ولا لهم ناصر ينصرهم ، فيستنقذهم حينئذ من عذاب الله . أما أقاموا على ما هم عليه مقيمون من الكفر بالله ، ولسارعوا إلى التوبة منه والإيمان بالله ، ولما استعجلوا لأنفسهم البلاء .

(١) في ابن كثير ، رواية ابن أبي حاتم : « وقبض أصابعه يقلها » .

القول في تأويل قوله تعالى:

بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره : لا تأتي هذه النار التي تطفح وجوه هؤلاء الكفار الذين وصف أمرهم في هذه السورة حين تأتيهم عن علم منهم بوقتها ، ولكنها تأتيهم مفاجأة لا يشعرون بمجيئها فتبتهتهم : يقول : فتغشاهم فجأة ، وتطفح وجوههم معاينة كالرجل يبهت الرجل في وجهه بالشيء ، حتى يبقى المبهوت كالحيران منه ، (فلا يستطيعون ردها) يقول : فلا يطيقون حين تبتهتهم ، فتبتهتهم دفعها عن أنفسهم (ولا هم ينظرون) يقول : ولا هم وإن لم يطيقوا دفعها عن أنفسهم يؤخرون بالعذاب بها لتوبة يحدثونها ، وإنابة ينيون ، لأنها ليست حين عمل و ساعة توبة وإنابة ، بل هي ساعة مجازاة وإثابة .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَلَقَدْ آسْتَهْزِئُ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : إن يتخذك هؤلاء القائلون لك : هل هذا إلا بشر مثلكم ، أفتأتون السحر وأنتم تبصرون ، إذ رأوك هزوا ويقولون : هذا الذي يذكر آهتكم كفرا منهم بالله ، واجترأ عليه ، فلقد استهزئ برسل من رسلنا الذين أرسلناهم من قبلك إلى أمهم ، يقول : فوجب ونزل بالذين استهزءوا بهم ، وسخروا منهم من أمهم ما كانوا به يستهزءون : يقول جل ثناؤه : حل بهم الذي كانوا به يستهزءون من البلاء والعذاب الذي كانت رسلهم تخوفهم نزوله بهم ، يستهزءون : يقول جل ثناؤه ، فلن يعدو هؤلاء المستهزءون بك من هؤلاء الكفرة أن يكونوا كأسلافهم من الأمم المكذبة رسلها ، فينزل بهم من عذاب الله وسخطه باستهزأهم بك نظير الذي نزل بهم .

القول في تأويل قوله تعالى:

قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ لَهُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ عُزُوفٌ ﴿٤٣﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المستعجلين بالعذاب ، القائلين : متى هذا الوعد إن كنتم صادقين : من يكلؤكم أيها القوم : يقول : من يحفظكم ويحرسكم بالليل إذا نمت ، وبالنهار إذا تصرفتم من الرحمن ؟ يقول : من أمر الرحمن إن نزل بكم ، ومن عذابه إن حل بكم ، وترك ذكر الأمر ، وقيل من الرحمن اجترأ بمعرفة السامعين لمعناه من ذكره .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، في قوله (قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ) قال : يحرسكم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( قُلْ مَنْ يَكْلَأُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنْ الرَّحْمَنِ ) قل من يحفظكم بالليل والنهار من الرحمن . يقال منه : كَلَأَتِ القوم : إذا حرستهم أَكَلَوْهم ؛ كما قال ابن هرمة :

إِنَّ سُلَيْمَى ( وَاللَّهُ يَكْلَأُهَا ) ضَنْتُ بِشَيْءٍ مَا كَانَ يَرزُؤُهَا ١

قوله ( بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ) وقوله بل : تحقيق لجدد قد عرفه المخاطبون بهذا الكلام ، وإن لم يكن مذكورا في هذا الموضع ظاهرا ، ومعنى الكلام : وما لهم أن لا يعلموا أنه لا كالي لهم من أمر الله إذا هو حل بهم ليلا أو نهارا ، بل هم عن ذكر مواعظ ربهم وحججه التي احتج بها عليهم معرضون لا يتدبرون ذلك ، فلا يعتبرون به ، جهلا منهم وسفها .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ وَلَا هُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ ﴿٤٣﴾

يقول تعالى ذكره : أهؤلاء المستعجلى ربهم بالعذاب آلهة تمنعهم ، إن نحن أحلنا بهم عذابنا ، وأنزلنا بهم بأسنا من دوننا ، ومعناه : لو أم لهم آلهة من دوننا تمنعهم منا ، ثم وصف جل ثناؤه الآلهة بالضعف والمهانة ، وما هي به من صفتها ، فقال وكيف تستطيع آلهتهم التي يدعونها من دوننا أن تمنعهم منا وهي لا تستطيع نصر أنفسها ، وقوله ( وَلَا هُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ ) اختلف أهل التأويل في المعنى بذلك ، وفي معنى يُصْحَبُونَ ، فقال بعضهم : عنى بذلك الآلهة ، وأنها لا تصحب من الله بخير .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ ) يعنى الآلهة ( وَلَا هُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ ) يقول : لا يصحبون من الله بخير .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولا هم منا ينصرون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال ثنا أبو ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا هُمْ مِنْنَا يُصْحَبُونَ ) قال : لا ينصرون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله

(١) البيت لإبراهيم بن هرمة ، كما قال المؤلف . وقد جاء في (اللسان : كلاً) غير منسوب . وفيه « بزاد » في موضع « بشيء » . قال : يقال : كلاك الله كلاءة ( بالكسر ) حفظك وحرسك . وأنشد : « إن سليمان . . . البيت » . وبجمله ( والله يكلؤها ) اعتراضية للدعاء . ويرزؤها : ينقص منها ويضيرها . يريد : ضنت بشيء هين عليها لو بذلته لنا واستشهد المؤلف به على أن معنى يكلأ يحفظ ، كما قال أهل اللغة .

(أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا؟) إلى قوله (يُصْحَبُونَ) قال : ينصرون ، قال : قال مجاهد : ولا هم يُحفظون .

حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا هُمْ مِينًا يُصْحَبُونَ) يُجَارُونَ ١ .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله (وَلَا هُمْ مِينًا يُصْحَبُونَ) يقول : ولا هم منا يجارون ، وهو قوله (وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ) يعني صاحب ، وهو الإنسان يكون له خفير مما يخاف ، فهو قوله يصحبون .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : هذا القول الذي حكيناه عن ابن عباس وأن (هُم) من قوله (وَلَا هُمْ) من ذكر الكفار ، وأن قوله (يُصْحَبُونَ) بمعنى : يجارون يصحبون بالحوار ، لأن العرب محكى عنها أن لك جار من فلان وصاحب ، بمعنى : أجيرك وأمنعك ، وهم إذا لم يصحبوا بالحوار ، ولم يكن لهم مانع من عذاب الله مع سخط الله عليهم ، فلم يصحبوا بخير ولم ينصروا .

القول في تأويل قوله تعالى :

بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : ما لهؤلاء المشركين من آلهة تمنعهم من دوننا ، ولا جار يجيرهم من عذابنا ، إذا نحن أردنا عذابهم ، فاتكلوا على ذلك ، وعصوا رسلنا اتكالا منهم على ذلك ، ولكننا متعناهم بهذه الحياة الدنيا وآباءهم من قبلهم حتى طال عليهم العمر ، وهم على كفرهم مقيمون ، لا تأتيتهم منا واعظة من عذاب ، ولا زاجرة من عقاب على كفرهم وخلافهم أمرنا ، وعبادتهم الأوثان والأصنام ، فنسوا عهدنا وجهلوا موقع نعمتنا عليهم ، ولم يعرفوا موضع الشكر . وقوله (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) يقول تعالى ذكره : أفلا يرى هؤلاء المشركون بالله السائلو محمد صلى الله عليه وسلم الآيات المستعجلو بالعذاب ، أنا نأتي الأرض نخرّبها من نواحيها بقهرنا أهلها ، وغلبتناهم ، وإجلأهم عنها ، وقتلهم بالسيوف ، فيعتبروا بذلك ويتعظوا به ، ويحذروا منا أن نزل من بأسنا بهم نحو الذي قد أنزلنا بمن فعلنا ذلك به من أهل الأطراف ، وقد تقدم ذكر القائلين بقولنا هذا ومخالفيه ، بالروايات عنهم في سورة الرعد ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله (أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ) يقول تبارك وتعالى : أفهؤلاء المشركون المستعجلو محمد بالعذاب

(١) لم يقدم قبل هذا القول الأخير خلاصته ، كعادته التي سار عليها ، قبل ذكر القائلين له . كان يقول : وقال بعضهم : بل معناد يجارون .

الغالبونا ، وقد رأوا قهرنا من أحلنا بساحته بأسنا في أطراف الأرضين ، ليس ذلك كذلك ، بل نحن الغالبون ، وإنما هذا تقرير من الله تعالى لهؤلاء المشركين به بجهلهم يقول : أفيظنون أنهم يغلبون محمدا ويقهرونه ، وقد قهر من ناوأه من أهل أطراف الأرض غيرهم .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ) يقول ليسوا بغالبين ، ولكن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الغالب .

القول في تأويل قوله تعالى :

### قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لهؤلاء القائلين فليأتنا بآية كما أرسل الأولون : إنما أنذركم أيها القوم بتنزيل الله الذي يوحى به إلى من عنده ، وأخوفكم به بأسه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ ) أي بهذا القرآن .

وقوله ( وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء الأمصار ، ولا يسمع بفتح الياء من ( يَسْمَعُ ) بمعنى أنه فعل للصم ، والصم حينئذ مرفوعون . ورؤى عن أبي عبد الرحمن السلمى أنه كان يقرأ ( وَلَا تُسْمَعُ ) بالتاء وضمها ، فالصم على هذه القراءة مرفوعة ، لأن قوله ( وَلَا تُسْمَعُ ) لم يسم فاعله ، ومعناه على هذه القراءة : ولا يسمع الله الصم الدعاء .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة عندنا في ذلك ما عليه قراء الأمصار لإجماع الحجة من القراء عليه ، ومعنى ذلك : ولا يصغى الكافر بالله بسمع قلبه إلى تذكر ما في وحى الله من المواعظ والذكر ، فيتذكر به ويعتبر ، فينزع عما هو عليه مقيم من ضلاله إذا تلى عليه وأُريد به ، ولكنه يعرض عن الاعتبار به والتفكير فيه ، فعل الأصم الذي لا يسمع ما يقال له فيعمل به .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( وَلَا يَسْمَعُ الصُّمُّ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ) يقول : إن الكافر قد صم عن كتاب الله لا يسمعه ، ولا ينتفع به ولا يعقله ، كما يسمعه المؤمن وأهل الإيمان .

القول في تأويل قوله تعالى :

### وَلٰٓئِن مَّسَّتْهُمُ نَفْحَةٌ مِّنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : ولئن مست هؤلاء المستعجلين بالعذاب يا محمد نفحة من عذاب ربك ، يعنى بالنفحة النصيب والحظ ، من قولهم : نفع فلان لفلان من عطائه : إذا أعطاه قسما أو نصيبا من المال .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَكِنَّ مَسْتَهْمٌ نَفْحَةٌ مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ ) . . . الآية ، يقول : لئن أصابتهم عقوبة .

وقوله ( لَيْسَقُولُنَّ يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ) يقول : لئن أصابتهم هذه النفحة من عقوبة ربك يا محمد بتكذيبهم بك وكفرهم ، ليعلمن حينئذ غب تكذيبهم بك ، وليعترفن على أنفسهم بنعمة الله وإحسانه إليهم ، وكفرانهم أياديه عندهم ، وليقولنَّ يا ويلنا إنا كنا ظالمين في عبادتنا الآلهة والأنداد ، وتركنا عبادة الله الذي خلقنا وأنعم علينا ، ووضعنا العبادة غير موضعها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ ﴿٤٧﴾

يقول تعالى ذكره ( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ ) العدل وهو ( الْقِسْطُ ) وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين ، وهو جمع لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر . وقوله ( لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ) يقول : لأهل يوم القيامة ، ومن ورد على الله في ذلك اليوم من خلقه . وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك إلى « في » كأن معناه عنده : ونضع الموازين القسط في يوم القيامة . وقوله ( فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ) يقول : فلا يظلم الله نفسا ممن ورد عليه منهم شيئا بأن يعاقبه بذنب لم يعمله أو يبخره ثواب عمل عمله ، وطاعة أطاعه بها ، ولكن يجازى المحسن بإحسانه ، ولا يعاقب مسيئا إلا بإساءته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ) . . . إلى آخر الآية ، وهو كقوله ( وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ ) يعنى بالوزن : القسط بينهم بالحق في الأعمال الحسنات والسيئات ؛ فمن أحاطت حسناته بسيئاته ثقلت موازينه ، يقول : أذهبت حسناته سيئاته ، ومن أحاطت سيئاته بحسناته فقد خفت موازينه وأمه هاوية ، يقول : أذهبت سيئاته حسناته .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ) قال : إنما هو مثل ، كما يجوز الوزن كذلك يجوز الحق ، قال الثوري : قال ليث عن مجاهد ( وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ) قال : العدل . وقوله ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ) يقول : وإن كان الذي له من عمل الحسنات ، أو عليه من السيئات وزن حبة من خردل أتينا بها : يقول : جئنا بها فأحضرناها إياه .

• كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ) قال : كتبناها وأحصيناها له وعليه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ) قال : يؤتى بها لك وعليك ، ثم يعفو إن شاء أو يأخذ ، ويجزى بما عمل له من طاعة . وكان مجاهد يقول في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ) قال : جازينا بها .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد أنه كان يقول ( وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ) قال : جازينا بها ، فأخرج قوله بها مخرج كناية المؤنث ، وإن كان الذي تقدم ذلك قوله مثقال حبة ، لأنه عنى بقوله بها الحبة دون المثقال ، ولو عنى به المثقال لقليل به . وقد ذكر أن مجاهدا إنما تأول قوله ( أَتَيْنَا بِهَا ) على ما ذكرنا عنه ، لأنه كان يقرأ ذلك ( آتَيْنَا بِهَا ) بمد الألف . وقوله ( وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ) يقول : وحسب من شهد ذلك الموقف بنا حاسبين ، لأنه لأحد أعلم بأعمالهم ، وما سلف في الدنيا من صالح أو سيئ منا .

القول في تأويل قوله تعالى :

### وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ وَضِيَاءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾

❦ يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى بن عمران وأخاه هارون الفرقان ، يعنى به الكتاب الذى يفرق بين الحق والباطل ، وذلك هو التوراة فى قول بعضهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( الْفُرْقَانَ ) قال : الكتاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ) التوراة حلالها وحرامها ، وما فرق الله به بين الحق والباطل .

وكان ابن زيد يقول فى ذلك ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله ( وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ ) قال : الفرقان : الحق آتاه الله موسى وهارون ، فرق بينهما وبين فرعون ، قضى بينهم بالحق ، وقرأ ( وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ ) قال : يوم بدر .

❦ قال أبو جعفر : وهذا القول الذى قاله ابن زيد فى ذلك أشبه بظاهر التنزيل ، وذلك لدخول الواو فى الضياء ، ولو كان الفرقان هو التوراة كما قال من قال ذلك ، لكان التنزيل : ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان ضياء ، لأن الضياء الذى آتى الله موسى وهارون هو التوراة التى أضاءت لهما ولمن اتبعهما أمر دينهم



فبصرهم الحلال والحرام ، ولم يقصد بذلك في هذا الموضع ضياء الإبصار ، وفي دخول الواو في ذلك دليل على أن الفرقان غير التوراة التي هي ضياء .

❦ فإن قال قائل : وما ينكر أن يكون الضياء من نعت الفرقان ، وإن كانت فيه واو فيكون معناه : وضياء آتيناه ذلك ، كما قال ( بَزِيْنَةُ الْكِدْوَاكِبِ وَحِفْظًا ) ؟ قيل اه : إن ذلك وإن كان الكلام يحتمله ، فإن الأغلب من معانيه ما قلنا . والواجب أن يوجه معاني كلام الله إلى الأغلب الأشهر من وجوهها المعروفة عند العرب ما لم يكن بخلاف ذلك ما يجب التسليم له من حجة خبر أو عقل .

وقوله ( وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ) يقول : وتذكيرا لمن اتقى الله بطاعته وأداء فرائضه ، واجتناب معاصيه ، ذكرهم بما آتى موسى وهارون من التوراة .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِّنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤١﴾

❦ يقول تعالى ذكره : آتيناه موسى وهارون الفرقان : الذكر الذي آتيناهما للمتقين الذين يخافون ربهم بالغيب ، يعنى في الدنيا أن يعاقبهم في الآخرة إذا قدموا عليه بتضييعهم ما ألزمهم من فرائضه فهم من خشيته ، يحافظون على حدوده وفرائضه ، وهم من الساعة التي تقوم فيها القيامة مشفقون ، حذرون أن تقوم عليهم ، فيردوا على ربهم قد فرطوا في الواجب عليهم لله ، فيعاقبهم من العقوبة بما لا قبيل لهم به .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَهَذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ أَفَأَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٤٢﴾

❦ يقول جل ثناؤه : وهذا القرآن الذي أنزلناه إلى محمد صلى الله عليه وسلم ذكر لمن تذكر به ، وموعظة لمن اتعظ به (مبارك ، أنزلناه ) كما أنزلنا التوراة إلى موسى وهارون ذكرا للمتقين ( أفأنتم له منكرون ) يقول تعالى ذكره : أفأنتم أيها القوم لهذا الكتاب الذي أنزلناه إلى محمد منكرين وتقولون ( هو أضغاث أحلام ، بل افترأه ، بل هو شاعر ، فليأتنا بآية كما أرسل الأولون ) وإنما الذي آتيناه من ذلك ذكر للمتقين ، كالذي آتيناه موسى وهارون ذكرا للمتقين .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وهذا ذكركم مبارك ) . . . إلى قوله ( أفأنتم له منكرون ) : أي هذا القرآن .

القول في تأويل قوله تعالى :

\* وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٤٣﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى ذكره (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ) موسى وهارون ، ووفّقناه للحقّ ، وأنقذناه من بين قومه وأهل بيته من عبادة الأوثان ، كما فعلنا ذلك بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وعلى إبراهيم فأنقذناه من قومه وعشيرته من عبادة الأوثان ، وهديناه إلى سبيل الرشاد توفيقاً منا له .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى « ح » وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ) قال : هديناه صغيراً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ) قال : هداه صغيراً .  
حدثنا ابن بشار ، قال ، ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ) قال : هداه صغيراً .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ) يقول : آتيناه هداه .

وقوله (وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ) يقول : وكنا عالمين به أنه ذو يقين وإيمان بالله وتوحيد له ، لا يشرك به شيئاً (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ) يعني في وقت قبله وحين قبله لهم : (مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) يقول : قال لهم : أي شيء هذه الصور التي أنتم عليها مقميون ، وكانت تلك التماثيل أصنامهم التي كانوا يعبدونها .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مَا هَذِهِ التَّمَائِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ) قال : الأصنام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . وقد بينا فيما مضى من كتابنا هذا أن العاكف على الشيء المقيم عليه بشواهد ذلك ، وذكرنا الرواية عن أهل التأويل .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٢﴾ قَالَ لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٣﴾ قَالُوا  
أَجِئْنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ مِنَ اللَّاعِبِينَ ﴿٥٤﴾

يقول تعالى ذكره : قال أبو إبراهيم وقومه لإبراهيم : وجدنا آباءنا لهذه الأوثان عابدين ، فحزن على ملة آباءنا نعبدها كما كانوا يعبدون ، (قال) إبراهيم : (لقد كنتم) أيها القوم (أنتم و آباؤكم) بعبادتهم

إياها ( في ضلالٍ مُبينٍ ) يقول : في ذهاب عن سبيل الحق ، وجور عن قصد السبيل مبين : يقول : بين لمن تأمله بعقل ، إنكم كذلك في جور عن الحق ( قالوا أجيئتنا بالحق ؟ ) يقول : قال أبوه وقومه له : أجيئنا بالحق فيما تقول ( أم أنت ) هازل لآعب ( من اللآعبين ) القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لهم : بل جئتم بالحق لا للعب ، ربكم رب السموات والأرض الذي خلقهن ، وأنا على ذلكم من أن ربكم هو رب السموات والأرض الذي فطرهن ، دون التماثيل التي أنتم لها عاكفون ، ودون كل أحد سواه شاهد من الشاهدين ، يقول : فإياه فاعبدوا لاهذه التماثيل التي هي خلقه التي لاتضر ولا تنفع

القول في تأويل قوله تعالى :

وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَٰن تَوَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جُذَا ۖ إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ لَعَلَّهُمْ  
إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾

ذكر أن إبراهيم صلوات الله عليه حلف بهذه اليمين في سر من قومه وخفاء ، وأنه لم يسمع ذلك منه إلا الذي أفشاه عليه حين قالوا : من فعل هذا بأهتنا إنه لمن الظالمين ، فقالوا : سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( وتالله لأكيدن أصنامكم ) قال : قول إبراهيم حين استتبعه قومه إلى عيد لهم فأبى وقال : إني سقيم ، فسمع منه وعيد أصنامهم رجل منهم استأخر ، وهو الذي يقول ( سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ) حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وتالله لأكيدن أصنامكم ) قال : نرى أنه قال ذلك حيث لم يسمعه بعد أن تولوا مدبرين .

وقوله ( فجعلهم جذا ۖ إلا كبيراً لهم ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء الأمصار سوى يحيى بن وثاب والأعمش والكسائي ( فجعلهم جذا ۖ ) بمعنى جمع جزيذ ، كأنهم أرادوا به جمع جزيذ وجذاذ ، كما يجمع الحفيف خفاف ، والكريم كرام .

(١) في العبارة هنا قصور ، ولعل بها سقطا ، وسيوضحها المؤلف في كلامه الآتي بعدها . والحاصل أن قراءة عامة القراء « جذاذا » بضم الجيم ، قيل هو مفرد كحطام ، وقيل من الجمع العزيز . وقرأ ابن وثاب وجماعة بالكسر ، وهو جزيذ ، ونظيره كريم وكرام .

❦ وأولى القراءتين في ذلك عندنا بالصواب قراءة من قرأه (جُدَّ آذًا) بضم الجيم، لإجماع قرّاء الأمصار عليه، وأن ما أجمعت عليه فهو الصواب، وهو إذا قرئ كذلك مصدر مثل الرُّفَات، والفتُّات، والدُّثاق لا واحد، وأما من كسر الجيم فإنه جمع للجذيد، والجذيد: هو فعيل صُرِفَ من مجذوذ إليه، مثل كسير، وهشيم، والمجذوذة: المكسورة قِطْعًا.   
 وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس، قوله (فَجَعَلَهُمْ جُدَّ آذًا) يقول: حُطَامًا.

حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن، قال: ثنا ورقاء جميعا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد (جُدَّ آذًا) كالصَّيريم.   
 حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، عن مجاهد، مثله.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله (فَجَعَلَهُمْ جُدَّ آذًا): أي قطعاً. وكان سبب فعل إبراهيم صلوات الله عليه بأهله قومه ذلك، كما حدثنا موسى، قال: ثنا عمرو، قال: ثنا أسباط عن السدي أن إبراهيم قال له أبوه: يا إبراهيم إن لنا عيداً لو قد خرجت معنا إليه قد أعجبك ديننا، فلما كان يوم العيد، فخرجوا إليه، فخرج معهم إبراهيم، فلما كان ببعض الطريق ألقى نفسه وقال: إني سقيم، يقول: أشتكى رجلى فتواطئوا رجليه وهو صريع؛ فلما مضوا نادى في آخرهم، وقد بقي ضَعْفَى الناس (تالله لا أكيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين) فسمعوا منه، ثم رجع إبراهيم إلى بيت الآلهة، فإذا هنّ في بهو عظيم، مستقبل باب البهو صنم عظيم إلى جنبه أصغر منه بعضها إلى بعض، كل صنم يليه أصغر منه، حتى بلغوا باب البهو، وإذا هم قد جعلوا طعاماً، فوضعوه بين أيدي الآلهة، قالوا: إذا كان حين نرجع رجعنا، وقد باركت الآلهة في طعامنا، فأكلنا؛ فلما نظر إليهم إبراهيم، وإلى ما بين أيديهم من الطعام (قال ألاتاً كلتون) فلما لم تجبه، قال (ما لكم لا تنطقون فرأغ عليهم ضرباً باليَمِينِ) فأخذ فأس حديد، فنقر كل صنم في حافتيه ثم علق الفأس في عنق الصنم الأكبر، ثم خرج؛ فلما جاء القوم إلى طعامهم نظروا إلى آلهتهم (قالوا من فعل هذا يا لهتنا؟ إنه لمن الظالمين قالوا سمعنا فتى يذكُرُهُمْ يُقالُ له إبراهيمُ).

وقوله (إلاّ كبيراً لهم) يقول: إلا عظيمها للآلهة، فإن إبراهيم لم يكسره، ولكنه فيما ذكر علق الفأس في عنقه.

وبنحو الذي قلنا في ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج (إلاّ كبيراً لهم) قال:

قال ابن عباس : إلا عظيم لهم عظيم آلهتهم . قال ابن جرير ، وقال مجاهد : وجعل إبراهيم الفأس التي أهلك بها أصنامهم مسندة إلى صدر كبيرهم الذي ترك .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : جعل إبراهيم الفأس التي أهلك بها أصنامهم مسندة إلى صدر كبيرهم الذي ترك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أقبل عليهن كما قال الله تبارك وتعالى ( ضَرَبَا بِالْيَمِينِ ) ثم جعل يكسرن بفأس في يده ، حتى إذا بقي أعظم صنم منها ربط الفأس بيده ، ثم تركهن ؛ فلما رجع قومه ، رأوا ما صنع بأصنامهم ، فراعهم ذلك وأعظموه وقالوا : من فعل هذا بأهتنا إنه لمن الظالمين ، وقوله ( لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ) يقول : فعل ذلك إبراهيم بأهتهم ليعتبروا ويعلموا أنها إذا لم تدفع عن نفسها ما فعل بها إبراهيم ، فهي من أن تدفع عن غيرها من أراد به سوء أبعد ، فيرجعوا عما هم عليه مقيمون من عبادتها إلى ما هو عليه من دينه وتوحيد الله ، والبراءة من الأوثان .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ) قال : كادهم بذلك لعلمهم يتذكرون أو يبصرون .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذِهِ إِتِنَّا إِنَّهُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُّهُمْ يُقَالُ لَهُ وَابْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره : قال قوم إبراهيم لما رأوا آلهتهم قد جذت ، إلا الذي ربط به الفأس إبراهيم : من فعل هذا بأهتنا ، إن الذي فعل هذا بأهتنا من الظالمين : أى لمن الفاعلين بها ما لم يكن له فعله ( قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُّهُمْ يُقَالُ لَهُ وَابْرَاهِيمُ ) يقول : قال الذين سمعوه يقول ( تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ ) سمعنا فتى يدكهم يعيب يقال له إبراهيم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ( قَالُوا سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُّهُمْ ) قال ابن جرير : يدكهم يعيبهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قوله ( سَمِعْنَا فَتَى يَدُكُرُّهُمْ يُقَالُ لَهُ وَابْرَاهِيمُ ) سمعناه يسبها ويعيبها ويستهزئ بها ، لم نسمع أحدا يقول ذلك غيره ، وهو الذى نطن صنع هذا بها . وقوله ( فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ عَيْنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) يقول تعالى ذكره : قال قوم إبراهيم

بعضهم لبعض : فأتوا بالذى فعل هذا بأهتنا الذى سمعتموه يذكرها بعيب ويسبها ويذمها على أعين الناس ، فقيل : معنى ذلك : على رعوس الناس . وقال بعضهم : معناه : بأعين الناس ومرأى منهم ، وقالوا : إنما أريد بذلك أظهروا الذى فعل ذلك للناس كما تقول العرب إذا ظهر الأمر وشهر : كان ذلك على أعين الناس ، يراد به كان بأيدي الناس .

واختلف أهل التأويل فى تأويل قوله ( لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) فقال بعضهم : معناه : لعل الناس يشهدون عليه ، أنه الذى فعل ذلك ، فتكون شهادتهم عليه حجة لنا عليه ، وقالوا : إنما فعلوا ذلك لأنهم كرهوا أن يأخذوه بغير بينة .

ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( قَالُوا فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) عليه أنه فعل ذلك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) قال : كرهوا أن يأخذوه بغير بينة . وقال آخرون : بل معنى ذلك : لعلهم يشهدون ما يعاقبونه به ، فيعاقبونه ويرونه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : بلغ ما فعل إبراهيم بأهله قومه نمرود ، وأشرف قومه ، فقالوا ( فَأَتُوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ ) : أى ما يصنع به ، وأظهر معنى ذلك أنهم قالوا : فأتوا به على أعين الناس لعلهم يشهدون عقوبتنا إياه ، لأنه لو أريد بذلك ليشهدوا عليه بفعله كان يقال : انظروا من شهده يفعل ذلك ، ولم يقل : أحضروه بمجمع من الناس .

القول فى تأويل قوله تعالى:

قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِالْهَيْئَةِ الْكَبِيرَةِ هَذَا فَسَأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره : فأتوا بإبراهيم ، فلما أتوا به قالوا له : أنت فعلت هذا بأهتنا من الكسر بها يا إبراهيم ؟ فأجابهم إبراهيم : بل فعله كبيرهم هذا وعظيمهم ، فاسألوا الآلهة من فعل بها ذلك وكسرها إن كانت تنطق ، أو تعبر عن نفسها .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : لما أتى به واجتمع له قومه عند ملكهم نمرود

(قَالُوا أَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ؟ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا، فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) غضب من أن يعبدوا معه هذه الصغار وهو أكبر منها ، فكسرهن .  
حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا )  
... الآية ، وهى هذه الخصلة التى كادهم بها .

وقد زعم بعض من لا يصدق بالآثار ، ولا يقبل من الأخبار إلا ما استفاض به النقل من العوام ، أن معنى قوله ( بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ) إنما هو : بل فعله كبيرهم هذا إن كانوا ينطقون فاسألوهم ، أى إن كانت الآلهة المكسورة تنطق ، فإن كبيرهم هو الذى كسره . وهذا قول خلاف ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن إبراهيم لم يكذب إلا ثلاث كذبات ، كلها فى الله : قوله ( بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ) ، وقوله ( إِنِّى سَقِيمٌ ) ، وقوله لسارة : هى أختى ؛ وغير مستحيل أن يكون الله تعالى ذكره أذن لخليله فى ذلك ، ليقرّع قومه به ، ويحتجّ به عليهم ، ويعرفهم موضع خطئهم ، وسوء نظرهم لأنفسهم ، كما قال مؤذن يوسف لإخوته ( أَيَّتْهَا الْعَيْرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ) ولم يكونوا سرقوا شيئاً .  
القول فى تأويل قوله تعالى :

فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٠﴾ ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا هَؤُلَاءِ يَنطِقُونَ ﴿٦١﴾

يقول تعالى ذكره : فذكروا حين قال لهم إبراهيم صلوات الله عليه ( بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا ، فَاسْأَلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ) فى أنفسهم ، ورجعوا إلى عقولهم ، ونظر بعضهم إلى بعض ، فقالوا إنكم معشر القوم الظالمون هذا الرجل فى مسألتكم إياه ، وقيلكم له : من فعل هذا بآلهتنا يا إبراهيم ؟ وهذه آلهتكم التى فعل بها ما فعل حاضرتم فاسألوها .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ) قال : ارجعوا ورجعوا عنه ، يعنى عن إبراهيم ، فيما ادّعوا عليه من كسرهن ، إلى أنفسهم فيما بينهم ، فقالوا : لقد ظلمناه ، وما نراه إلا كما قال .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( فَرَجَعُوا إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ ) قال : نظر بعضهم إلى بعض ( فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ) .  
وقوله ( ثُمَّ نَكِسُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ ) يقول جل ثناؤه : ثم غلبوا فى الحجّة ، فاحتجوا على إبراهيم بما هو حجة لإبراهيم عليهم ، فقالوا : لقد علمت ما هؤلاء الأصنام ينطقون .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثم قالوا : يعنى قوم إبراهيم ، وعرفوا

أنها، يعنى آلهتهم لاتضر ولا تنفع ولا تبطش ( لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ) : أى لاتتكلم فتخبرنا من صنع هذا بها ، وما تبطش بالأيدى فنصدقك ، يقول الله ( ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ ) فى الحججة عليهم لإبراهيم حين جادلهم ، فقال عند ذلك إبراهيم حين ظهرت الحججة عليهم بقولهم ( لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ) .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قال الله ( ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ ) أدركت الناس حيرة سوء .

وقال آخرون : معنى ذلك : ثم نكسوا فى الفتنة .  
ذكر من قال ذلك

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ( ثُمَّ نَكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ ) قال نكسوا فى الفتنة على رؤوسهم ، فقالوا : لقد علمت ما هؤلاء ينطقون .  
وقال بعض أهل العربية : معنى ذلك : ثم رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم ، فقالوا : لقد علمت ما هؤلاء ينطقون .

وإنما اخترنا القول الذى قلنا فى معنى ذلك ، لأن نكس الشيء على رأسه : قلبه على رأسه ، وتصير أعلاه أسفله ، ومعلوم أن القرم لم يُقبلوا على رؤوس أنفسهم ، وأنهم إنما نكست حجبتهم ، فأقيم الخبر عنهم ، مقام الخبر عن حجبتهم ، وإذ كان ذلك كذلك ، فنكس الحججة لاشك ، إنما هو احتجاج المحتج على خصمه ، بما هو حجة لخصمه . وأما قول السدى : ثم نكسوا فى الفتنة ، فإنهم لم يكونوا خرجوا من الفتنة قبل ذلك ، فنكسوا فيها . وأما قول من قال من أهل العربية ما ذكرنا عنه ، فقول بعيد من الفهوم ، لأنهم لو كانوا رجعوا عما عرفوا من حجة إبراهيم ، ما احتجوا عليه بما هو حجة له ، بل كانوا يقولون له : لاتسألهم ، ولكن نسألك فأخبرنا من فعل ذلك بها ، وقد سمعنا أنك فعلت ذلك ، ولكن صدقوا القول ( فَقَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَمَا هَؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ) وليس ذلك رجوعا عما كانوا عرفوا ، بل هو إقرار به .  
القول فى تأويل قوله تعالى :

قَالَ أَفَعَبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ ۗ أَفِ لَكُمْ وَلِمَ تَعْبُدُونَ  
مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۗ

يقول تعالى ذكره : قال إبراهيم لقومه : أفتعبدون أيها القوم ما لا ينفعكم شيئا ولا يضركم ، وأنتم قد علمتم أنها لم تمنع نفسها من أرادها بسوء ، ولا هى تقدر أن تنطق إن سئلت عن يأتيا بسوء ، فتخبر به ، أفلا تستحيون من عبادة ما كان هكذا .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ( قَالَ أَفَعَبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ



شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ) . . . الآية ، يقول يرحمه الله : ألا ترون أنهم لم يدفعوا عن أنفسهم الضر الذي أصابهم ، وأنهم لا ينطقون فيخبرونكم من صنع ذلك بهم ، فكيف ينفعونكم أو يضرّون .  
وقوله (أَفَ لَكُمْ) يقول : قُبْحًا لَكُمْ وللآلهة التي تعبدون من دون الله ، أفلا تعقلون قبح ما تفعلون من عبادتكم ما لا يضر ولا ينفع ، فتركوا عبادته ، وتعبدوا الله الذي فطر السموات والأرض ، والذي بيده النفع والضر .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ﴿٦١﴾ قُلْنَا يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ  
إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٢﴾ وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ ﴿٦٣﴾

يقول تعالى ذكره : قال بعض قوم إبراهيم لبعض : حرقوا إبراهيم بالنار ( وَاَنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ) يقول : إن كنتم ناصريها ، ولم تريدوا ترك عبادتها .  
وقيل : إن الذي قال ذلك : رجل من أكراد فارس .  
ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله ( حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ )  
قال : قالها رجل من أعراب فارس ، يعني الأكراد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن  
سليان ، عن شعيب الجبتي ، قال : إن الذي قال حرقوه « هيزن » فحسف الله به الأرض ، فهو يتجلجل  
فيها إلى يوم القيامة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : أجمع نمرود وقومه في إبراهيم فقالوا :  
( حَرِّقُوهُ وَانصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ ) : أي لا تنصروها منه إلا بالتحريق بالنار إن  
كنتم ناصريها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن الحسن بن دينار ، عن ليث بن  
أبي سليم ، عن مجاهد ، قال : تلوت هذه الآية على عبد الله بن عمر ، فقال : أتدرى يا مجاهد من الذي أشار  
بتحريق إبراهيم بالنار ؟ قال : قلت لا ، قال : رجل من أعراب فارس ، قلت : يا أبا عبد الرحمن ، أو هل  
للفرس أعراب ؟ قال : نعم الكرد هم أعراب فارس ، فرجل منهم هو الذي أشار بتحريق إبراهيم بالنار .  
وقوله ( قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ) في الكلام متروك اجتزأ بدلالة ما ذكر عليه  
منه ، وهو : فأوقدوا له نارا ليحرقوه ثم ألقوه فيها ، فقلنا للنار : يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم  
وذُكر أنهم لما أرادوا إحراقه بنوا له بنيانا ، كما حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ،  
عن السدي ، قال ( قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ) قال : فحبسوه في بيت ، وجمعوا له حطبًا ، حتى

إن كانت المرأة لتمرض فتقول : لئن عافاني الله لأجمعن حطبا لإبراهيم ؛ فلما جمعوا له ، وأكثروا من الحطب حتى إن الطير لتمر بها فتحترق من شدة وهجها ، فعمدوا إليه فرفعوه على رأس البنيان ، فرفع إبراهيم صلى الله عليه وسلم رأسه إلى السماء ، فقالت السماء والأرض والجبال والملائكة : ربنا ، إبراهيم يحرق فيك ، فقال : أنا أعلم به ، وإن دعاكم فأغيثوه ؛ وقال إبراهيم حين رفع رأسه إلى السماء : اللهم أنت الواحد في السماء ، وأنا الواحد في الأرض ليس في الأرض أحد يعبدك غيري ، حسبي الله ونعم الوكيل ، فقفوه في النار ، فنادها فقال ( يا نار كوني برّداً وسلاماً على إبراهيم ) فكان جبريل عليه السلام هو الذي نادها . وقال ابن عباس : لو لم يتبع بردها سلاماً لما مات إبراهيم من شدة بردها ، فلم يبق يومئذ نار في الأرض إلا طفئت ، ظنت أنها هي تعنى ؛ فلما طفئت النار نظروا إلى إبراهيم ، فإذا هو رجل آخر معه ، وإذا رأس إبراهيم في حجره يمسح عن وجهه العرق ، وذكر أن ذلك الرجل هو ملك الظل ، وأنزل الله نارا فانتفع بها بنو آدم ، وأخرجوا إبراهيم ، فأدخلوه على الملك ، ولم يكن قبل ذلك دخل عليه .

حدثني إبراهيم بن المقدم أبو الأشعث ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت أبي ، قال : ثنا قتادة ، عن أبي سليمان ، عن كعب : قال : ما أحرقت النار من إبراهيم إلا وثاقه .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( قلنا يا نار كوني برّداً وسلاماً على إبراهيم ) قال : ذكر لنا أن كعبا كان يقول : ما انتفع بها يومئذ أحد من الناس ، وكان كعب يقول : ما أحرقت النار يومئذ إلا وثاقه .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن شيخ ، عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه في قوله ( يا نار كوني برّداً وسلاماً على إبراهيم ) قال : بردت عليه حتى كادت تقتله ، حتى قيل : وسلاماً ، قال : لاتضرّيه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : أخبرنا إسماعيل ، عن المنهال بن عمرو ، قال : قال إبراهيم خليل الله : ما كنت أياماً قط أنعم مني من الأيام التي كنت فيها في النار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، قال : لما ألقى إبراهيم خليل الله صلى الله عليه وسلم في النار ، قال الملك خازن المطر : رب خليلك إبراهيم ، رجا أن يؤذن له فيرسل المطر ، قال : فكان أمر الله أسرع من ذلك فقال ( يا نار كوني برّداً وسلاماً على إبراهيم ) فلم يبق في الأرض نار إلا لاطفئت . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الحرث ، عن أبي ررعة ، عن أبي هريرة ، قال : إن أحسن شيء قاله أبو إبراهيم لما رفع عنه الطبق وهو في النار ، وجدته يرشح جبينه ، فقال عند ذلك : نيم الرب ربك يا إبراهيم .

(١) سقطت من هذا الخبر عبارة ذكر نحوها الثعلبي المفسر في عرائس المجالس ، وهي : أشعلوا النار في كل ناحية بالحطب ، فاشتعلت النار ، حتى إن كان الطير ليمر بها فيحترق . . . الخ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني وهب بن سليمان عن شعيب الجبسي ، قال : ألقى إبراهيم في النار وهو ابن ست عشرة سنة ، وذبح إسحاق وهو ابن سبع سنين ، وولده سارة وهي ابنة تسعين سنة ، وكان مذبحه من بيت إيلياء على ميلين ، ولما علمت سارة بما أراد بإسحاق بطنت يومين ، وماتت اليوم الثالث. قال ابن جريج : قال كعب الأحبار : ما أحرقت النار من إبراهيم شيئاً غير وثاقه الذي أوثقوه به .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان التيمي ، عن بعض أصحابه قال : جاء جبريل إلى إبراهيم عليهما السلام وهو يوثق أو يقمط ليلقي في النار ، قال : يا إبراهيم ألك حاجة ؟ قال : أمّا إليك فلا .

قال : ثنا معتمر ، قال : ثنا ابن كعب ، عن أرقم أن إبراهيم قال حين جعلوا يوثقونه ليلقوه في النار : لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين ، لك الحمد ، ولك الملك لا شريك لك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله ( قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ) قال : السلام لا يؤذيه بردها ، ولولا أنه قال : وسلاماً لكان البرد أشدّ عليه من الحرّ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( بَرْدًا ) قال : بردت عليه ( وسلاماً ) لا تؤذيه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ) قال : قال كعب : ما انتفع أحد من أهل الأرض يومئذ بنار ، ولا أحرقت النار يومئذ شيئاً إلا وطاق إبراهيم .

وقال قتادة : لم تأت يومئذ دابة إلا أطفأت عنه النار ، إلا الوزغ .

وقال الزهري : أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتله ، وسماه فوَيْسِقًا .

وقوله ( وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا ) يقول تعالى ذكره : وأرادوا بإبراهيم كيده ( فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ ) يعني الهالكين .

وقد حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ ) قال : ألقوا شيخاً منهم في النار لأن يصيبوا نجاته ، كما نجي إبراهيم صلى الله عليه وسلم ، فاحترق .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ونجينا إبراهيم ووطاً من أعدائهما ، نمرود وقومه من أرض العراق ( إلى الأرضِ

التي بارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) وهي أرض الشام ، فارق صلوات الله عليه وقومه ودينهم ، وهاجر إلى الشام . وهذه القصة التي قصَّ الله من نَبَأِ إِبْرَاهِيمَ وقومه تذكير منه بها قوم محمد صلى الله عليه وسلم من قريش أنهم قد سلكوا في عبادتهم الأوثان ، وأذاهم محمداً على نبيه عن عبادتها ، ودعائهم إلى عبادة الله مخلصين له الدين ، مسلك أعداء أبيهم إبراهيم ، ومخالفتهم دينه ، وأن محمداً في براءته من عبادتها ، وإخلاصه العبادة لله ، وفي دعائهم إلى البراءة من الأصنام ، وفي الصبر على ما يأتي منهم في ذلك سالك منهاج أبيه إبراهيم ، وأنه مخرجه من بين أظهرهم ، كما أخرج إبراهيم من بين أظهر قومه حين تمادوا في غيهم إلى مهاجره من أرض الشام ، ومسلِّ بذلك نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عما يلقي من قومه من المكروه والأذى ، ومعلمه أنه منجيه منهم كما نجَّى أباه إبراهيم من كفره قومه .

وقد اختلف أهل التأويل في الأرض التي ذكر الله أنه نجَّى إبراهيم ولوطاً إليها ، ووصفه أنه بارك فيها للعالمين . فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسين بن حريث المروزي أبو عمار ، قال : ثنا الفضل بن موسى ، عن الحسين بن واقد ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ( وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) قال : الشام ، وما من ماء عذب إلا أخرج من تلك الصخرة التي بييت المقدس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن فرات القزاز ، عن الحسن ، في قوله ( إلى الأرض التي بارَكْنَا فِيهَا ) قال : الشام .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) كانا بأرض العراق ، فأنجيا إلى أرض الشام ، وكان يقال للشام عماد دار الهجرة ، وما نقص من الأرض زيد في الشام ، وما نقص من الشام زيد في فلسطين ، وكان يقال : هي أرض المحشر والمنشر ، وبها مجمع الناس ، وبها ينزل عيسى بن مريم ، وبها يهلك الله شيخ الضلالة الكذاب الدجال .

وحدثنا أبو قلابة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « رَأَيْتُ فِيهَا يَرَى النَّأْمُ كَأَنَّ الْمَلَائِكَةَ حَمَلَتْ عَمُودَ الْكِتَابِ فَوَضَعَتْهُ بِالشَّامِ ، فَأَوْلَتْهُ أَنْ الْفِتْنِ إِذَا وَقَعَتْ فَإِنَّ الْإِيمَانَ بِالشَّامِ » وذكر لنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ذات يوم في خطبه : « إِنَّهُ كَاتِنٌ بِالشَّامِ جُنْدٌ ،

وبالعِراقِ جُنْدٌ ، وباليَمَنِ جُنْدٌ » ، فقال رجل : يا رسول الله خر لي ، فقال : عَلَيْكَ بِالشَّامِ فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ تَكَفَّلَ لِي بِالشَّامِ وَأَهْلِهِ ، فَمَنْ أَبِي فَلْيَلْحَقْ بِأَمْنِهِ وَلْيَسْتَقِ بِقَدَرِهِ » .

وذكر لنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : يا كعب ألا تحوّل إلى المدينة فإنها مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وموضع قبره ، فقال له كعب : يا أمير المؤمنين ، إني أجد في كتاب الله المنزل ، أن الشام كنز الله من أرضه ، وبها كنزه من عباده .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) قال : هاجرا جميعا من كوثي إلى الشام .

حدثنا موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : انطلق إبراهيم ولوط قبيل الشام ، فلقى إبراهيم سارة ، وهي بنت ملك حرّان ، وقد طعنت على قومها في دينهم ، فتزوجها على أن لا يغيرها ١

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : خرج إبراهيم مهاجرا إلى ربه ، وخرج معه لوط مهاجرا ، وتزوج سارة ابنة عمه ، فخرج بها معه يلتمس الفرار بدينه ، والأمان على عبادة ربه ، حتى نزل حرّان ، فكث فيها ما شاء الله أن يمكث ، ثم خرج منها مهاجرا حتى قدم مصر ، ثم خرج من مصر إلى الشام ، فنزل السبع من أرض فلسطين ، وهي برية الشام ، وتزل لوط بالمؤتفكة ، وهي من السبع على مسيرة يوم وليلة ، أو أقرب من ذلك ، فبعثه الله نبيا صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) قال : نجاه من أرض العراق إلى أرض الشام .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، أنه قال في هذه الآية ( بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) قال : ليس ماء عذب إلا يهبط إلى الصخرة التي بيت المقدس ، قال : ثم يتفرق في الأرض .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) قال : إلى الشام .  
وقال آخرون : بل يعني مكة وهي الأرض التي قال الله تعالى ( الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ) يعني مكة ، ونزول إسماعيل البيت .  
ألا ترى أنه يقول ( إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ) .  
قال أبو جعفر : وإنما اخترنا ما اخترنا من القول في ذلك لأنه لا خلاف بين جميع أهل العلم أن هجرة إبراهيم من العراق كانت إلى الشام ، وبها كان مقامه أيام حياته ، وإن كان قد كان قدم مكة ، وبني بها البيت ، وأسكنها إسماعيل ابنه مع أمه هاجر ، غير أنه لم يُقيم بها ، ولم يتخذها وطنا لنفسه ، ولا لوط ، والله إنما أخبر عن إبراهيم ولوط أنهما أنجاهما إلى الأرض التي بارك فيها للعالمين .

(١) في ابن كثير : على أن يفر بها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ۗ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُهْدُونَ  
بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : ووهبنا لإبراهيم إسحاق ولدا ، ويعقوب ولد ولده ، نافلة لك .

واختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( نافلة ) فقال بعضهم : عنى به يعقوب خاصة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد . قال : ثني أبي قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله ( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ) يقول : ووهبنا له إسحاق ولدا ، ويعقوب ابن ابن نافلة .

حدثنا بشر . قال : ثنا يزيد . قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ

نَافِلَةً ) والنافلة : ابن ابنه يعقوب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب . قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ

وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ) قال : سألت واحدا فقال : رب هب لي من الصالحين ، فأعطاه واحدا ، وزاده

يعقوب ، ويعقوب ولد ولده .

وقال آخرون : بل عنى بذلك إسحاق ويعقوب ، قالوا : وإنما عنى النافلة : العطية ، وهما جميعا من

عطاء الله أعطاهما إياه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، في قوله

( وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ) قال : عطية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . في قوله ( إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً ) قال : عطاء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

قال أبو جعفر : وقد بينا فيما مضى قبل ، أن النافلة : الفضل من الشيء ، بصير إلى الرجل . من أي شيء

كان ذلك ، وكلا ولديه إسحاق ويعقوب كان فضلا من الله تفضل به على إبراهيم ، وهبة منه له . وجائز أن

يكون عنى به أنه آتاهما إياه جميعا ، نافلة منه له ، وأن يكون عنى أنه آتاه نافلة يعقوب ، ولا برهان يدل على

أي ذلك المراد من الكلام ، فلا شيء أولى أن يقال في ذلك مما قال الله . ووهب الله لإبراهيم إسحاق ويعقوب

نافلة .

وقوله ( كُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ) عنى عاملين بطاعة الله ، مجتهدين بحارمه ، وعنى بقوله ( كُلًّا ) :

إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب . وقوله ( وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ) يقول تعالى ذكره : وجعلنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب أئمة يؤتم بهم في الخير في طاعة الله في اتباع أمره ونهيه ، ويقتدى بهم ، ويتبسون عليه .

كما حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَجَعَلْنَاهُمْ أُمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ) جعلهم الله أئمة يقتدى بهم في أمر الله وقوله ( يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ) يقول : يهدون الناس بأمر الله إياهم بذلك ، ويدعونهم إلى الله وإلى عبادته . وقوله ( وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ ) يقول تعالى ذكره : وأوحينا فيما أوحينا أن افعلوا الخيرات ، وأقيموا الصلاة بأمرنا بذلك ( وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ) يقول : كانوا لنا خاشعين ، لا يستكبرون عن طاعتنا وعبادتنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ طَاءَ آئِنَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَاسِقِينَ

﴿٧٦﴾

يقول تعالى ذكره : وآتيناه لوطا حكما ، وهو فصل القضاء بين الخصوم ، وعلما : يقول : وآتيناه أيضا علما بأمر دينه ، وما يجب عليه الله من فرائضه . وفي نصب لوط وجهان : أن ينصب لتعلق الواو بالفعل كما قلنا : وآتيناه لوطا ؛ والآخر بمضمر بمعنى : واذكر لوطا .

وقوله ( وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ ) يقول : ونجينا من عذابنا الذي أحلناه بأهل القرية التي كانت تعمل الخبائث ، وهي قرية سدوم التي كان لوط بعث إلى أهلها ، وكانت الخبائث التي يعملونها : إتيان الذكران في أدبارهم ، وخذفهم الناس ، وتضارطهم في أنديتهم ، مع أشياء أخر كانوا يعملونها من المنكر ، فأخرجه الله حين أراد إهلاكهم إلى الشام . كما حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدي ، قال : أخرجهم الله ، يعني لوطا وابنتيه زيثا وزعرثا إلى الشام حين أراد إهلاك قومه .

وقوله ( إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَاسِقِينَ ) مخالفين أمر الله ، خارجين عن طاعته وما يرضى من العمل .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : وأدخلنا لوطا في رحمتنا بانجائنا إياه مما أحلنا بقومه من العذاب والبلاء ، وإنقاذنا منه إنه من الصالحين : يقول : إن لوطا من الذين كانوا يعملون بطاعتنا ، وينتهون إلى أمرنا ونهينا ولا يعصوننا

وكان ابن زيد يقول في معنى قوله ( وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ) ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ) قال : في الإسلام .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوْءًا فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد نوحا إذ نادى ربه من قبلك ، ومن قبل إبراهيم ولوط ، وسألنا أن نهلك قومه الذين كذبوا الله فيما توعدهم به من وعيده ، وكذبوا نوحا فيما أتاهم به من الحق من عند ربه ، ( وَقَالَ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ) فاستجبنا له دعاه ، ونجيناه وأهله ، يعني بأهله : أهل الإيمان من ولده وحلائلهم ( مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ) يعني بالكرب العظيم : العذاب الذي أحل بالمكذبين من الصوفان والغرق . والكرب : شدة الغم ، يقال منه : قد كربني هذا الأمر فهو يكربني كربا . وقوله ( وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بآيَاتِنَا ) يقول : ونصرنا نوحا على القوم الذين كذبوا بحججنا وأدلتنا ، فأنجيناه منهم ، فأغرقناهم أجمعين ، لأنهم كانوا قوم سوء ، يقول تعالى ذكره إن قوم نوح الذين كذبوا بآياتنا كانوا قوم سوء ، يسيئون الأعمال ، فيعصون الله ويخالفون أمره .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِمْ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر داود وسليمان يا محمد إذ يحكمان في الحرث . واختلف أهل التأويل في ذلك الحرث ما كان ؟ فقال بعضهم : كان نبئا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن إسحاق ، عن مرة في قوله ( إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) قال : كان الحرث نبئا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد عن قتادة ، قال : ذكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليل .

وقال آخرون : بل كان ذلك الحرث كثرما .



ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا المحاربي ، عن أشعث ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، عن ابن مسعود ، في قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) قال : كرم قد أنبت عناقيده .  
حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن مسروق ، عن شريح ، قال : كان الحرث كرمًا .

❖ قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ما قال الله تبارك وتعالى ( إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) والحرث : إنما هو حرث الأرض . وجائز أن يكون ذلك كان زرعًا ، وجائز أن يكون غرسًا ، وغير ضائر الجهل بأي ذلك كان .

وقوله ( إِذْ نَفَسْتُمْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ ) يقول : حين دخلت في هذا الحرث غم القوم الآخرين من غير أهل الحرث ليلا ، فرعته أو أفسدته ( وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ) يقول : وكنا لحكم داود وسليمان والقوم الذين حكما بينهم فيما أفسدت غم أهل الغم من حرث أهل الحرث ، شاهدين لا يخفى علينا منه شيء ، ولا يغيب عنا علمه وقوله ( فَفَهَّمْنَاهَا ) يقول : ففهمنا القضية في ذلك ( سُلَيْمَانَ ) دون داود ، ( وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ) يقول : وكلهم من داود وسليمان والرسول الذين ذكرهم في أول هذه السورة آتينا حكما وهو النبوة ، وعلمًا : يعني وعلمًا بأحكام الله .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب وهارون بن إدريس الأصم قالوا : ثنا المحاربي ، عن أشعث ، عن أبي إسحاق ، عن مرة ، عن ابن مسعود ، في قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسْتُمْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ ) قال : كرم قد أنبت عناقيده فأفسدته ، قال : ففضى داود بالغم لصاحب الكرم ، فقال سليمان غير هذا يا نبي الله ، قال : وما ذاك ؟ قال : يدفع الكرم إلى صاحب الغم فيقوم عليه حتى يعود كما كان ، وتدفع الغم إلى صاحب الكرم فيصيب منها ، حتى إذا كان الكرم كما كان دفعت إلى الكرم صاحبه ، ودفعت الغم إلى صاحبها ، فذلك قوله ( فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ )

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) . . . إلى قوله ( وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ) يقول : كنا لما حكما شاهدين . وذلك أن رجلين دخلا على داود ، أحدهما صاحب حرث ، والآخر صاحب غم ، فقال صاحب الحرث : إن هذا أرسل غنمه في حرثي ، فلم يسبق من حرثي شيئًا ، فقال له داود : اذهب فإن الغم كلها لك ، ففضى بذلك داود ، ومرّ صاحب الغم بسليمان ، فأخبره بالذي قضى به داود ، فدخل سليمان على داود فقال : يا نبي الله إن القضاء سوى الذي قضيت ، فقال : كيف ؟ قال

(١) نفست الماشية في الزرع : تفرقت فيه ليلا ترعاه وليس معها راع . والفعل : من باب نصر وضرب وفرح .

سليمان : إن الحرث لا ينجى على صاحبه ما يخرج منه في كل عام ، فله من صاحب الغنم أن يبيع من أولادها وأصوافها وأشعارها حتى يستوفى ثمن الحرث ، فإن الغنم لها نسل في كل عام ، فقال داود : قد أصبت .  
القضاء كما قضيت ، ففهمها الله سليمان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن علي بن زيد ، قال :  
ثنى خليفة ، عن ابن عباس قال : قضى داود بالغنم لأصحاب الحرث ، فخرج الرعاة معهم الكلاب ، فقال  
سليمان : كيف قضى بينكم ؟ فأخبروه ، فقال : لو وافيت أمركم لقضيت بغير هذا ، فأخبر بذلك داود ،  
فدعاه فقال : كيف تقضى بينهم ؟ قال : أدفع الغنم إلى أصحاب الحرث ، فيكون لهم أولادها وألبانها  
وسلاؤها ومنافعها ، ويبذر أصحاب الغنم لأهل الحرث مثل حرثهم ، فإذا بلغ الحرث الذي كان عليه ، أخذ  
أصحاب الحرث الحرث ، وردوا الغنم إلى أصحابها

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ،  
في قول الله ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : أعطاهم داود رقاب الغنم بالحرث ، وحكم سليمان بجزء  
الغنم وألبانها لأهل الحرث ، وعليهم رعايتها على أهل الحرث ، ويحرث لهم أهل الغنم حتى يكون الحرث  
كهيئته يوم أكل ، ثم يدفعونه إلى أهله ، ويأخذون غنمهم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنى ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج بنحوه ، إلا أنه قال : وعليهم رعيها .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن إسحاق ، عن مرة في قوله ( إِذْ  
نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : كان الحرث نبتا ، فنفست فيه ليلا ، فاخصموا فيه إلى داود ، فقضى  
بالغنم لأصحاب الحرث ، فرأوا على سليمان ، فذكروا ذلك له ، فقال : لا ، تدفع الغنم فيصيبون منها ، يعنى  
أصحاب الحرث ، ويقوم هؤلاء على حرثهم ، فإذا كان كما كان ردوا عليهم ، فنزلت ( فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ )  
حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن أبي إسحاق ، عن مسروق ، عن شريح ،  
في قوله ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : كان النفس ليلا ، وكان الحرث كرما ، قال : فجعل داود  
الغنم لصاحب الكرم ، قال : فقال سليمان : إن صاحب الكرم قد بنى له أصل أرضه ، وأصل كرمه ،  
فاجعل له أصوافها وألبانها ، قال : فهو قول الله ( فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ) .

حدثنا ابن أبي زياد ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا إسماعيل ، عن عامر ، قال : جاء  
رجلان إلى شريح ، فقال أحدهما : إن شياه هذا قطعت غزلا لي ، فقال شريح : نهارا أم ليلا ؟ قال : إن  
كان نهارا فقد برى صاحب الشياه ، وإن كان ليلا فقد ضمن ، ثم قرأ ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ  
فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : كان النفس ليلا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن عامر ، عن شريح بنحوه .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا إسماعيل بن أبي خالد عن الشعبي ، عن شريح ، مثله .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) . . . الآية ، النفس بالليل ، والهمل بالنهار . وذكر لنا أن غنم القوم وقعت في زرع ليلاً ، فرُفِعَ ذلك إلى داود ، ففُضِيَ بالغنم لأصحاب الزرع ، فقال سليمان : ليس كذلك ، ولكن له نسلها ورسلها وعوارضها وجزازها ، حتى إذا كان من العام المقبل كهيئته يوم أكل ، دفعت الغنم إلى ربها ، وقبض صاحب الزرع زرعه ، فقال الله ( فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والزهري ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : نفست غنم في حرث قوم . قال الزهري : والنفس لا يكون إلا ليلاً ، ففُضِيَ داود أن يأخذ الغنم ، ففهمها الله سليمان ؛ قال : فلما أخبر بقضاء داود ، قال : لا ، ولكن خذوا الغنم ، ولكم ما خرج من رسلها وأولادها وأصوافها إلى الحول .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : في حرث قوم . قال معمر : قال الزهري : النفس لا يكون إلا بالليل ، والهمل بالنهار . قال قتادة : ففُضِيَ أن يأخذوا الغنم ، ففهمها الله سليمان ، ثم ذكر باقي الحديث نحو حديث ابن عبد الأعلى .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) . . . الآيتين ، قال : انفلت غنم رجل على حرث رجل فأكلته ، فجاء إلى داود ، ففُضِيَ فيها بالغنم لصاحب الحرث بما أكلت ، وكأنه رأى أنه وجه ذلك ، فمروا بسليمان ، فقال : ما قضى بينكم نبي الله ؟ فأخبروه ، فقال : ألا أقضى بينكما عسى أن ترضيا به ؟ فقالا : نعم ، فقال : أما أنت يا صاحب الحرث ، فخذ غنم هذا الرجل فكن فيها كما كان صاحبها ، أصب من لبنها وعارضتها وكذا وكذا ما كان يصيب ، واحرث أنت يا صاحب الغنم حرث هذا الرجل ، حتى إذا كان حرثه مثله ليلة نفست فيه غنمك ، فأعطه حرثه ، وخذ غنمك ، فذلك قول الله تبارك وتعالى ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) وقرأ حتى بلغ قوله ( وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعَلِيمًا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، في قوله ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) قال : رعت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : النفس : الرعية تحت الليل .

قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن حرام بن محيصة بن مسعود ، قال : «دخلت ناقة للبراء بن عازب حائطا لبعض الأنصار فأفسدته ، فرُفِعَ ذلك إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : ( إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ ) ففُضِيَ على البراء بما أفسدته الناقة ، وقال علي أصحاب الماشية حِفْظُ الماشية بالليل ، وعلي أصحاب الحوائط حِفْظُ حيطانهم بالنهار »

قال الزهري : وكان قضاء داود وسليمان في ذلك أن رجلا دخلت ماشيته زرعاً لرجل فأفسدته ، ولا

يكرن النفوس إلا بالليل ، فارتفعا إلى داود ، فقضى بغنم صاحب الغنم لصاحب الزرع ، فانصرفا ، فرآ سليمان . فقال : بماذا قضى بينكما نبي الله ؟ فقالا : قضى بالغنم لصاحب الزرع ، فقال : إن الحكم لعلى غير هذا . انصرفا معي . فأتى أباه داود . فقال : يا نبي الله ، قضيت على هذا بغنمه لصاحب الزرع ، قال نعم : قال : يا نبي الله : إن الحكم لعلى غير هذا ، قال : وكيف يا نبي ؟ قال : تدفع الغنم إلى صاحب الزرع . فيصيب من ألبانها رُسْمُونَهَا وَأَصْوَابَهَا ، وتدفع الزرع إلى صاحب الغنم يقوم عليه ، فإذا عاد الزرع إلى حاله التي أصابته الغنم عليها . رُدَّتْ الغنم على صاحب الغنم ، وردَّ الزرع إلى صاحب الزرع ، فقال داود : لا يقطع الله فمك : فمضى بما قضى سليمان ، قال الزهري : فذلك قوله ( وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ ) . . . إلى قوله ( حُكْمًا وَعِلْمًا ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، وعلى بن مجاهد ، عن محمد بن إسحاق ، قال : فحدثني من سمع الحسن يقول : كان الحكم بما قضى به سليمان ، ولم يعذف الله داود في حكمه .  
وقوله ( وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ) يقول تعالى ذكره : وسخرنا مع داود الجبال والطير ، يسبحن معه إذا سبح .

وكان قتادة يقول في معنى قوله ( يُسَبِّحْنَ ) في هذا الموضع ما حدثنا به بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ ) : أي يصلين مع داود إذا صلى .

وقوله ( وَكُنَّا فَاعِلِينَ ) يقول : وكنا قد قضينا أنا فاعلو ذلك ، وسخرو الجبال والطير في أم الكتاب ، مع داود عليه الصلاة والسلام .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِتُحْصِنَكُمْ مِنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٥٤﴾

يقول تعالى ذكره : وعلّمنا داود صنعة لبوس لكم ، واللّبوس عند العرب : السلاح كله . درعا كان أو جوشنا أو سيفا أو رمحا ، يدل على ذلك قول الهذلي :

وَمَعْنَى لَبُوسٍ لِلْبَيْسِ كَأَنَّهُ رَوْقٌ يُجَبِّهَةٌ ذِي نِجَاجٍ مُجْفِلٍ

وإنما يصف بذلك رمحا . وأما في هذا الموضع فإن أهل التأويل قالوا : عن الدروع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ )

(١) البيت في (الناس : لبس) . واللّبوس : ما يلبس ، واللّبوس : الثياب والسلاح ، مذكور ، فإن ذهبت به إلى الدرع أفتت .

وقال الله تعالى : وعلّمناه صنعة لبوس لكم : قالوا : هي الدرع تلبس في الحروب .

وأما قوله بالبيت على أن اللّبوس عام في السلاح كالدروع والسيف والرمح والحوشن . والتعبير في البيت بمعنى ما قاله

المؤلف ، لأن الشاعر يشبه رمحا بروق الثور المجفل ، يدافع عن نعاجه ، وهو يقر الوحش .

(لَكُمْ) . . . الآية ، قال : كانت قبل داود صفائح ، قال : وكان أول من صنع هذا الخلق وسرد داود . حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ ) قال : كانت صفائح ، فأول من سردها وحلّقها داود عليه السلام .  
واختلفت القراء في قراءة قوله ( لِيُحْصِنَكُمْ ) فقرأ ذلك أكثر قراء الأمصار ( لِيُحْصِنَكُمْ ) بالياء ، بمعنى : ليحصنكم اللبوس من بأسكم ، ذكروه لتذكير اللبوس . وقرأ ذلك أبو جعفر يزيد بن القعقاع ( لِيُحْصِنَكُمْ ) بالتاء ، بمعنى : لتحصنكم الصنعة ، فأنت لتأنيث الصنعة . وقرأ شيبة بن نصاح وعاصم ابن أبي النجود ( لِيُحْصِنَكُمْ ) بالنون ، بمعنى : لنحصنكم نحن من بأسكم .  
❖ قال أبو جعفر : وأولى القراءات في ذلك بالصواب عندى قراءة من قرأه بالياء ، لأنها القراءة التي عليها الحجة من قراء الأمصار ، وإن كانت القراءات الثلاث التي ذكرناها متقاربات المعاني ، وذلك أن الصنعة هي اللبوس ، واللّبوس هي الصنعة ، والله هو المحصن به من البأس ، وهو المحصن بتصوير الله إياه كذلك ، ومعنى قوله ( لِيُحْصِنَكُمْ ) ليحرزكم ، وهو من قوله : قد أحصن فلان جاريته . وقد بينّا معنى ذلك بشواهد فيما مضى قبل . والبأس : القتال ، وعلمنا داود صنعة سلاح لكم ليحرزكم إذا لبستموه ، ولقيم فيه أعداءكم من القتل .

وقوله ( فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ) يقول : فهل أنتم أيها الناس شاكروا الله على نعمته عليكم بما علمكم من صنعة اللبوس المحصن في الحرب وغير ذلك من نعمه عايكم ، يقول : فاشكروني على ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨١﴾

❖ يقول تعالى ذكره ( وَ ) سخرنا ( لِسُلَيْمَانَ ) بن داود ( الرِّيحَ عَاصِفَةً ) وعصوفها : شدة هبوبها ( تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ) يقول : تجرى الريح بأمر سليمان ، إلى الأرض التي باركنا فيها ، يعنى : إلى الشام ، وذلك أنها كانت تجرى بسليمان وأصحابه إلى حيث شاء سليمان ، ثم تعود به إلى منزله بالشام ، فلذلك قيل ( إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا ) .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه قال : كان سليمان إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطير ، وقام له الجن والإنس حتى يجلس إلى سريريه ، وكان أمراً غزاء ، قلما يقعد عن الغزو ، ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله ، وكان فيما يزعمون إذا أراد الغزو ، أمر بعسكره فضرب له بنخشب ، ثم نصب له على الخشب ، ثم حمل عليه الناس والدواب وآلة الحرب كلها ، حتى إذا حمل معه ما يريد أمر العاصف من الريح ، فدخلت تحت ذلك



❦ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر أيوب يا محمد، إذ نادى ربه وقد مسه الضرّ والبلاء، ( رَبِّ إِنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ: فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ) يقول تعالى ذكره : فاستجبنا لأيوب دعاءه إذ نادانا ، فكشفنا ما كان به من ضرّ وبلاء وجهه ، وكان الضرّ الذى أصابه ، والبلاء الذى نزل به ، امتحانا من الله له واختبارا .

وكان سبب ذلك كما حدثني محمد بن سهل بن عسكر البخارى ، قال : ثنا إسماعيل بن عبد الكريم بن هشام ، قال : ثنا عبد الصمد بن معقل <sup>١</sup> ، قال : سمعت وهب بن منبه يقول : كان بدء أمر أيوب الصديق صلوات الله عليه ، أنه كان صابرا نعم العبد . قال وهب : إن لجبريل بين يدي الله مقاما ليس لأحد من الملائكة فى القربة من الله، والفضيلة عنده ، وإن جبريل هو الذى يتلقى الكلام ، فإذا ذكر الله عبدا بخير ، تلقاه جبرائيل منه ، ثم تلقاه ميكائيل ، وحوّله الملائكة المقربون حافين من حول العرش ، وشاع ذلك فى الملائكة المقربين ، صارت الصلاة على ذلك العبد من أهل السموات ، فإذا صلت عليه ملائكة السموات ، هبطت عليه بالصلاة إلى ملائكة الأرض ، وكان إبليس لأىحجب بشيء من السموات ، وكان يقف فيهن حيث شاء ما أرادوا ، ومن هنالك وصل إلى آدم حين أخرجه من الجنة ، فلم يزل على ذلك يصعد فى السموات ، حتى رفع الله عيسى بن مريم ، فحجّب من أربع ، وكان يصعد فى ثلاث ؛ فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، حجّب من الثلاث الباقية ، فهو محجوب هو وجميع جنوده من جميع السموات إلى يوم القيامة ( إِلَّا مَنْ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ) ، ولذلك أنكرت الجن ما كانت تعرف حين قالت : ( وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مَلِيئَةً حَرَسًا شَدِيدًا ) . . . إلى قوله ( شِهَابًا رَصَدًا ) ؛

قال وهب : فلم يرع إبليس إلا تجاوب ملائكتها بالصلاة على أيوب ، وذلك حين ذكره الله ، وأثنى عليه ، فلما سمع إبليس صلاة الملائكة ، أدركه البغى والحسد ، وصعد سريعا ، حتى وقف من الله مكانا كان يقفه ، فقال : يا إلهى ، نظرت فى أمر عبدك أيوب ، فوجدته عبدا أنعمت عليه فشكرك ، وعافيته فحمدك ، ثم لم تجربته بشدة ، ولم تجربته ببلاء ، وأنا لك زعيم : لئن ضربته بالبلاء ليكفرن بك ولينسينك ، وليعبدن غيرك . قال الله تبارك وتعالى له : انطلق ، فقد سلطتك على ماله ، فإنه الأمر الذى تزعم أنه من أجله يشكرنى ، ليس لك سلطان على جسده ، ولا على عقله ، فانقضّ عدوّ الله ، حتى وقع على الأرض ، ثم جمع عفاريت الشياطين وعظماءهم ، وكان لأيوب البتنية من الشام كلها ، بما فيها من شرقها وغربها ، وكان له بها ألف شاة برعاتها ، وخمس مئة فدان ، يتبعها خمس مئة عبد ، لكل عبد امرأة وولد ومال ، وحمل آلة كل فدان أتان ، لكل أتان ولد من اثنين وثلاثة وأربعة وخمسة وفوق ذلك ؛ فلما جمع إبليس الشياطين ، قال لهم : ماذا عندكم من القوة والمعرفة ، فإنى قد سلطت على مال أيوب ، فهى المصيبة الفادحة ، والفتنة التى لا يصبر عليها الرجال ؛ قال عفريت من الشياطين : أعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت إعصارا من نار ، فأحرقت كل شيء آتى عليه ، فقال له

(١) عبد الصمد بن معقل ، بكسر القاف اليماني ؛ يروى عن عمه وهب بن منبه وعنه ابن أخيه إسماعيل بن عبد الكريم . وثقه أحمد . مات سنة ثلاث وثمانين ومئة . ( عن الخلاصة ) . وهذا الحديث من أحاديث أهل الكتاب ، رواه وهب وكعب وغيرهما من أهل الكتاب ، كما قال الثعلبى فى عرائس المجالس (ص ١٥٣-١٦٣) طبعة شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بالقاهرة . وأصله فى الكتاب المقدس سفر أيوب (٧٩٣ - ٨٣٣) .

إبليس : فأت الإبل ورعاتها ، فانطلق يوم الإبل ، وذلك حين وضعت رعوسها ، وثبتت في مراعيها ، فلم تشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إعصار من نار ، تنفخ منها أرواح السموم ، لا يدنو منها أحد إلا احترق ، فلم يزل يُحرقها ورعاتها حتى أتى على آخرها ؛ فلما فرغ منها تمثل إبليس على قعود منها براعيها ، ثم انطلق يوم أيوب ، حتى وجده قائما يصلي ، فقال : يا أيوب ، قال : لبيك ، قال : هل تدري ما الذي صنع ربك الذي اخترت ، وعبدت ووحدت ، بإبلك ورعاتها ؟ قال أيوب : إنها ماله أعارنيه ، وهو أولى به إذا شاء نزع ، وقديما ما وطئت نفسي ومالي على الفناء . قال إبليس : وإن ربك أرسل عليها نارا من السماء فاحترقت ورعاتها ، حتى أتى على آخر شيء منها ومن رعاتها ، فتركت الناس مبهوتين ، وهم وقوف عليها يتعجبون ، منهم من يقول : ما كان أيوب يعبد شيئا ، وما كان إلا في غرور ؛ ومنهم من يقول : لو كان إله أيوب يقدر على أن يمنع من ذلك شيئا لمنع وليه ؛ ومنهم من يقول : بل هو فعّل الذي فعل ، ليشمت به عدوه ، وليفجع به صديقه . قال أيوب : الحمد لله حين أعطاني ، وحين نزع مني ، عريانا خرجت من بطن أمي ، وعريانا أعود في التراب ، وعريانا أحشر إلى الله ، ليس ينبغي لك أن تفرح حين أعارك الله ، وتجزع حين قبض عاريته . الله أولى بك ، وبما أعطاك ، ولو علم الله فيك أيها العبد خيرا ، لنقل روحك مع ملك الأرواح ، فأجرني فيك ، وصرت شهيدا ، ولكنه علم منك شرا ، فأخرك من أجله ، فعراك الله من المصيبة ، وخلصك من البلاء ، كما يخلص الزوان من القمع الخلاص .

ثم رجع إبليس إلى أصحابه خاسئا ذليلا ، فقال لهم : ماذا عندكم من القوة ؟ فإني لم أكلم قلبه . قال عفريت من عظمائهم : عندي من القوة ما إذا شئت صيحت صوتنا لا يسمعه ذو روح إلا خرجت مهجة نفسه ، قال له إبليس : فأت الغنم ورعاتها ، فانطلق يوم الغنم ورعاتها ، حتى إذا سَطَّها صاح صوتنا جشمت أمواتنا من عند آخرها ورعاءها . ثم خرج إبليس متمثلا بقهترمان الرعاء<sup>١</sup> . حتى إذا جاء أيوب وجده وهو قائم يصلي . فقال له القول الأول ، ورد عليه أيوب الرد الأول . ثم إن إبليس رجع إلى أصحابه . فقال لهم : ماذا عندكم من القوة ، فإني لم أكلم قلب أيوب . فقال عفريت من عظمائهم : عندي من القوة إذا شئت تحولت ريحا عاصفا تنسف كل شيء تأتي عليه . حتى لا أبقى شيئا ؛ قال له إبليس : فأت الفدادين والحرث ، فانطلق يومهم . وذلك حين قَرَّبوا الفدادين ، وأنشدها في الحرث ، والأثن وأولادها رُتوع ، فلم يشعروا حتى هبت ريح عاصف ، تنسف كل شيء من ذلك . حتى كأنه لم يكن . ثم خرج إبليس متمثلا بقهترمان الحرث ، حتى جاء أيوب وهو قائم يصلي ، فقال له مثل قوله الأول . ورد عليه أيوب مثل رده الأول .

فلما رأى إبليس أنه قد أفنى ماله ، ولم ينجح منه<sup>٢</sup> ، صعدا سربعا ، حتى وقف من الله الموقف الذي كان يقفه . فقال : يا إلهي ، إن أيوب يرى أنك ما صنعت به نفسه وولده<sup>٣</sup> ، فأنت معطيه المال ، فهل أنت مسلط على ولده ؟ فإنها الفتنه المضلة ، والمصيبة التي لا تقوم لها قلوب الرجال ، ولا يقوى عليها صبرهم ، فقال الله تعالى له : الطاق ، فقد ساططت على ولده ، ولا سلطان لك على قلبه ولا جسده ، ولا على عقله ؛ فانقض

(١) الفدادين وهم من الرعاء ؛ وكقول صاحب المطال ، المخلص بتدبير أمر الرعاء .

(٢) (٣٠٠) النظر عبارة العليبي المفسر في هذا المقام في عرائس المجالس ص ١٥٥ فإنها أوضح وأولى .



عدو الله جوادا، حتى جاء بني أيوب وهم في قصرهم، فلم يزل يزلزل بهم حتى تداعى من قواعده، ثم جعل يناطح الجُدْرَ بعضها ببعض، ويرميهم بالحشب والجنْدَل، حتى إذا مَثَّلَ بهم كل مُثْلَةٌ، رفع بهم القصر، حتى إذا أقله بهم، فصاروا فيه منكسّين، انطلق إلى أيوب متمثلا بالمعالم الذي كان يعلمهم الحكمة، وهو جريح مشدوخ الوجه يسيل دمه، ودماغه متغير لا يكاد يعرف من شدّة التغير، والمُثْلَةُ التي جاء متمثلا فيها؛ فلما نظر إليه أيوب هاله، وحزن ودمعت عيناه، وقال له: يا أيوب، لو رأيت كيف أفلتت من حيث أفلتت، والذي رمانا به من فوقنا ومن تحتنا، ولو رأيت بنيك كيف عُدّبوا، وكيف مُثِّلَ بهم، وكيف قُلبوا فكانوا منكسّين على رءوسهم، تسيل دماؤهم ودماغهم من أنوفهم وأجوافهم، وتقطر من أشفارهم، ولو رأيت كيف شُقَّتْ<sup>١</sup> بطونهم، فتناثرت أعضاؤهم، ولو رأيت كيف قُدِّفوا بالحشب والجنْدَل، يشدخ دماغهم، وكيف دقّ الحشب عظامهم، وخرق جلودهم، وقطع عصبهم، ولو رأيت العصب عُريانا، ولو رأيت العظام مهشمة في الأجواف، ولو رأيت الوجوه مشدوخة، ولو رأيت الجُدْرَ تناطح عليهم، ولو رأيت ما رأيت، قطع قلبك، فلم يزل يقول هذا ونحوه، ولم يزل يرققه حتى رقّ أيوب فبكى، وقبض قبضة من تراب، فوضعها على رأسه، فاغتم إبليس [الفُرْصَةَ مِنْهُ]<sup>١</sup> عند ذلك، فصعد سريعا بالذي كان من جزع أيوب، مسرورا به، ثم لم يلبث أيوب أن فاء وأبصر، فاستغفر، وصعد قرناؤه من الملائكة بتوبة منه، فبدروا إبليس إلى الله، فوجدوه قد علم بالذي رُفِعَ إليه من توبة أيوب، فوقف إبليس خازيا ذليلا، فقال: يا إلهي، إنما هوّن على أيوب خَطَرَ المال والولد، أنه يرى أنك ما تمتعه بنفسه، فأنت تعيد له المال والولد، فهل أنت مسلّطي على جسده؟ فأنا لك زعيم لئن ابتليته في جسده لينسينك، وليكفرن بك، وليجحدنك نعمتك، قال الله: انطلق فقد سلطتك على جسده، ولكن ليس لك سلطان على لسانه، ولا على قلبه، ولا على عقله:

فانقضّ عدو الله جوادا، فوجد أيوب ساجدا، فعجّل قبل أن يرفع رأسه، فأناه من قبيل الأرض في موضع وجهه، فنفخ في منخره نفخة اشتعل منها جسده، فترهّل، ونبتت [به]<sup>١</sup> ثأليل مثل أليات الغم، ووقعت فيه حركة لا يملكها، فحكّ بأظفاره حتى سقطت كلها، ثم حكّ بالعظام، وحكّ بالحجارة الحشنة، وبقطع المسوح الحشنة، فلم يزل يحكّه حتى نَفِدَ لحمه وتقطع، ولما نَخِلَ جلد أيوب، وتغير وأنتن، أخرجه أهل القرية، فجعلوه على تلّ، وجعلوا له عريشا، ورفضه خلق الله غير امرأته، فكانت تختلف إليه بما يُصلحه ويلزمه، وكان ثلاثة من أصحابه اتبعوه على دينه؛ فلما رأوا ما ابتلاه الله به رفضوه، من غير أن يتركوا دينه واتهموه، يُقال لأحدهم بلدد، وأليفز، وصافر<sup>٢</sup>، قال: فانطلق إليه الثلاثة، وهو في بلائه، فبكتوه؛ فلما سمع منهم أقبل على ربه، فقال أيوب صلى الله عليه وسلم: ربّ لأى شيء خلقتني؟ لو كنت إذْ كرهتني في الخير تركتني فلم تخلقني، يا ليتني كنت حيضة ألقني أمي، ويا ليتني ميت في بطنها، فلم أعرف شيئا ولم تعرفني، ما الذنب الذي أذنبت لم يذنبه أحد غيري؟ وما العمل الذي عملت فصرفت وجهك الكريم عني، لو كنت أمتني فألحقتني بآبائي، فالموت كان أجمل بي، فأسوة لي بالسلطين الذين صُفّت من دونهم الجيوش، يضربون عنهم بالسيوف، بخلا بهم عن الموت، وحرصا على بقائهم، أصبحوا في القبور جاثمين،

(١) انظر عرائس المجالس للشعبي المفسر ص ١٥٥ .

(٢) وردت أسماء أصحاب أيوب الثلاثة في الكتاب المقدس ص ٧٩٥ وهم: أليفاز التيماني، وبلدد الشوحي، وصوفر النعماني .

حتى ظنوا أنهم سيخلّدون ، وأُسوة لى بالملوك الذين كنزوا الكنوز ، وطَمروا المطامير ، وجمعوا الجموع ، وظنوا أنهم سيخلّدون . وأُسوة لى بالجبارين الذين بنوا المدائن والحصون ، وعاشوا فيها المثين من السنين ، ثم أصبحت خرابا ، مأوى للوحوش ، ومثى للشياطين .

قال أليفر التيماني : قد أعيانا أمرك يا أيوب ، إن كلّمناك فانرجو للحديث منك موضعا . وإن نسكت عنك مع الذى نرى فيك من البلاء ، فذلك علينا . قد كنا نرى من أعمالك أعمالا كنا نرجو لك عليها من الثواب غير ما رأينا ، فانما يخصد امرؤ ما زرع . ويجزى بما عمل ، أشهد على الله الذى لا يقدر قدر عظمته ، ولا يحصى عدد نعمه ، الذى ينزل الماء من السماء . فيحى به الميت ، ويرفع به الخافض ، ويقوى به الضعيف ، الذى تفضل حكمة الحكماء عند حكمته . وعلم العلماء عند علمه ، حتى تراهم من العى فى ظلمة يمجون ، أن من رجا معونة الله هو القوى . وإن من توكل عليه هو المكنى . هو الذى يكسر ويجبر ، ويجرح ويداوى .

قال أيوب : لذلك سكت فعَضِضْتُ على لساني . ووضعت لسوء الخدمة رأسي ، لأنى علمت أن عقوبته غيرت نور وجهى . وإن قوته نزعَتْ قوّة جسدى ، فأنا عبده ، ما قضى على أصابنى . ولا قوّة لى إلا ما حمل على . لو كانت عظامى من حديد ، وجسدى من نحاس ، وقلبي من حجارة ، لم أطق هذا الأمر ، ولكن هو ابتلاى . وهو يحمله عنى . أتيتموني غيضا ، رهبتم قبل أن تسترهبوا ، وبكيتم من قبل أن تُضربوا ، كيف لى لو قلت لكم : تصدقوا عني بأموالكم ، لعلّ الله أن يخلصنى ، أو قربوا عني قربانا ، لعلّ الله أن يتقبله منى ، ويرضى عني ؟ إذا استيقظت تمنيت النوم ، رجاء أن أستريح ، فإذا نمت كادت تجود نفسى ، تقطعت أصابعى ، فأنى لأرفع اللقمة من الطعام بيدي جميعا . فما تبلغان فى إلا على الجهد منى ، تساقطت كسواتى . ونخر رأسي . فما بين أذنى من سداد . حتى إن إحداهما لُتري من الأخرى ، وإن دماغى ليسيل منى . تساقط شعري عني ، فكأنما حُرِّق بالنار وجهى . وحده قذاي هما متدليتان على خدى ، ورم لساني حتى ملأ منى . فما أدخل فيه طعاما إلا غصنى ، وورمت شفئى حتى غطت العليا أنى ، والسفلى ذقنى ، تقطعت أمعائى فى بطنى ، فأنى لأدخل الطعام فيخرج كما دخل ، ما أحسه ولا ينفعنى ، ذهب قوّة رجلى ، فكأنهما قيربتا ماء ملئنا ، لأطبق حملهما ، أحمل لحافى بيدي وأسنانى ، فما أطبق حمله ، حتى يحمله معى غيرى ، ذهب المال فصرت أسأل بكفى ، فيطعمنى من كنت أعوله اللقمة الواحدة ، فيمئنها على ويعبئنى ، هلك بيتى وبنائى ، ولو بقى منهم أحد أعاننى على بلائى ونفعنى ، وليس العذاب بعذاب الدنيا ، إنه يزول عن أهلها ، ويموتون عنه ، ولكن طوبى لمن كانت له راحة فى الدار التى لا يموت أهلها ، ولا يتحولون عن منازلهم ، السعيد من سعد هنالك ، والشقى من شقى فيها .

قال بلال : كيف يقوم لسانك بهذا القول . وكيف تفصح به ، أنقول إن العدل يجور ، أم نقول إن القوى يضعف ؟ أبك على خطيئتك ، ونضرع إلى ربك عسى أن يرحمك ، وينجاوز عن ذنبك ، وعسى إن كنت برئنا أن يجعل هذا لك ذخرا فى آخرتك ، وإن كان قلبك قد قسا ، فإن قولنا لن ينفعك ، ولن يأخذ

فيك ، هيات أن تنبت الآجام في المفاوز ، و هيات أن ينبت البردي في الفلاة ، من توكل على الضعيف كيف يرجو أن يمنعه ، ومن جحد الحق كيف يرجو أن يوفى حقه ؟

قال أيوب : إني لأعلم أن هذا هو الحق ، لن يفسلج العبد على ربه ، ولا يطيق أن يخاصمه ، فأى كلام لي معه وإن كان إلى القوة ؟ هو الذي سمك السماء فأقامها وحده ، وهو الذي يكشطها إذا شاء ، فتنطوى له ، وهو الذي سطح الأرض ، فدحاها وحده ، ونصب فيها الجبال الراسيات ، ثم هو الذي يزلزها من أصولها ، حتى تعود أسافلها أعاليها ، وإن كان في الكلام ، فأى كلام لي معه ؟ من خلق العرش العظيم بكلمة واحدة ، فحشاه السموات والأرض وما فيهما من الخلق ، فوسعه وهو في سعة واسعة ، وهو الذي كلم البحار ففهمت قوله ، وأمرها فلم تعد أمره ، وهو الذي يفقه الحيتان والطير وكل دابة ، وهو الذي يكلم الموتى فيحييهم قوله ، ويكلم الحجارة فتفهم قوله ، ويأمرها فتطيعه .

قال أليفر : عظيم ما تقول يا أيوب ، إن الجلود لتقشع من ذكر ما تقول ، إن ما أصابك ما أصابك بغير ذنب أذنبته ، مثل هذه الحدة وهذا القول أنزلك هذه المنزلة ، عظمت خطيئتك ، وكثر طلابك ، وغصبت أهل الأموال على أموالهم ، فلبست وهم عراة ، وأكلت وهم جياع ، وحبست عن الضعيف بابك ، وعن الجائع طعامك ، وعن المحتاج معروفك ، وأسررت ذلك وأخفيت في بيتك ، وأظهرت أعمالا كنا نراك تعملها ، فظننت أن الله لا يجزيك إلا على ما ظهر منك ، وظننت أن الله لا يطلع على ما غيبت في بيتك ، وكيف لا يطلع على ذلك وهو يعلم ما غيبت الأرضون ، وما تحت الظلمات والهواء ؟

قال أيوب صلى الله عليه وسلم : إن تكلمت لم ينفعني الكلام ، وإن سكت لم تعذروني ، قد وقع على كسدي ، وأسخطت ربي بخطيئتي ، وأشمت أعدائي ، وأمكنتهم من عنقي ، وجعلتني للبلاء غرضا ، وجعلتني للفتنة نصبا ، لم تنفسي مع ذلك ، ولكن أتبعني ببلاء على إثر بلاء ، ألم أكن للغريب دارا ؟ وللمسكين قرارا ، ولليتيم وليا ، وللأرملة قيما ؛ ما رأيت غريبا إلا كنت له دارا مكان داره ، وقرارا مكان قراره ؛ ولا رأيت مسكينا إلا كنت له مالا مكان ماله ، وأهلا مكان أهله ؛ وما رأيت يتما إلا كنت له أبا مكان أبيه ، وما رأيت أيتما إلا كنت لها قيما ترضى قيامه ، وأنا عبد ذليل ، إن أحسنت لم يكن لي كلام بإحسان ، لأن المن لربي وليس لي ، وإن أسأت فبيده عقوبتي ، وقد وقع على بلاء لو سلطته على جبل ضعف عن حمله ، فكيف يحمله ضعفي ؟

قال أليفر : أتحتاج الله يا أيوب في أمره ، أم تريد أن تناصفه وأنت خاطئ ، أو تبرئها وأنت غير بريء ؟ خلق السموات والأرض بالحق ، وأحصى ما فيهما من الخلق ، فكيف لا يعلم ما أسررت ، وكيف لا يعلم ما عملت ، فيجزيك به ؟ وضع الله ملائكة صفوفًا حول عرشه ، وعلى أرجاء سمواته ، ثم احتجب بالنور ، فأبصارهم عنه كليله ، وقوتهم عنه ضعيفة ، وعزيزهم عنه ذليل ، وأنت تزعم أن لو خاصمك ، وأدلى إلى الحكم معك ، وهل تراه فتناصفه ؟ أم هل تسمعه فتحاوره ؟ قد عرفنا فيك قضاءه ، إنه من أراد أن يرتفع وضعه ، ومن اتضع له رفعه .

قال أيوب صلى الله عليه وسلم : إن أهلكنى فمن ذا الذى يعرض له فى عبده ؟ ويسأله عن أمره ، لا يردّ غضبه شىء إلا رحمة ، ولا ينفع عبده إلا التضرع له ؛ قال : ربّ أقبل علىّ برحمتك ، وأعلمنى ما ذنبى الذى أذنبت ؟ أو لآى شىء صرفت وجهك الكريم عني ، وجعلتني لك مثل العدو ، وقد كنت تكرمني ؟ ليس يغيب عنك شىء . تُحصي قَطْرَ الأمطار ، وورق الأشجار ، وذرة التراب ، أصبح جلدي كالثوب العفن . بأيه أمسكت سقط في يدي . فهب لي قُرْبانا من عندك . وفرجا من بلائي ، بالقدرة التي تبعث موتى العباد . وتنشر بها ميت البلاد . ولا تهلكني بغير أن تعلمني ما ذنبى ، ولا تُفسد عمل يديك ، وإن كنت غنيا عني ، ليس ينبغى في حكمك ظلم . ولا في نعمتك عَجَل . وإنما يحتاج إلى الظلم الضعيف ، وإنما يعجل من يخاف الفتور ، ولا تذكرني خطيئتي وذنوبي ، اذكر كيف خلقتني من طين ، فجعلت مضغّة ، ثم خلقت المضغّة عظاما . وكسوت العظام لحما وجلدا ، وجعلت العصب والعروق لذلك قواما وشدة ، وربيتني صغيرا ، ورزقتني كبيرا . ثم حفظت عهدك ، وفعلت أمرك ، فإن أخطأت فبين لي ، ولا تهلكني غمّا ، وأعلمني ذنبي . فإن لم أرضك ، فأنا أهل أن تعذبني ، وإن كنت من بين خلقك تحصي علىّ عملي ، وأستغفرك فلا تغفر لي ، إن أحسنت لم أرفع رأسي ، وإن أسأت لم تبلغني ربي ، ولم تُقلّني عثرتي ، وقد ترى ضعفي تحتك . وتضرعي لك . فلم خلقتني ؟ أو لم أخرجتني من بطن أمي ؟ لو كنت كمن لم يكن لكان خيرا لي ، فليست الدنيا عندي بخطر لغضبك ، وليس جسدي يقوم بعذابك ، فارحمني وأذقني طعم العافية ، من قبل أن أصير إلى ضيق القبر ، وظلمة الأرض ، وغمّ الموت .

قال صافر : قد تكلمت يا أيوب ، وما يطيق أحد أن يجلس فلك ، تزعم أنك برىء ، فهل ينفعك أن كنت برينا . وعليك من يحصي عمالك ؟ وتزعم أنك تعلم أن الله يغفر لك ذنوبك ، هل تعلم سمك السماء كم بعده ؟ أم هل تعلم عمق الهواء كم بعده ؟ أم هل تعلم أى الأرض أعرضها ؟ أم عندك لها من مقدار تقدرها به ؟ أم هل تعلم أى البحر أعمقه ؟ أم هل تعلم بأى شىء تحبسه ؟ فإن كنت تعلم هذا العلم وإن كنت لا تعلمه ، فإن الله خالقهم وهو يحصيهم . لو تركت كثرة الحديث ، وطلبت إلى ربك ، رجوت أن يرحمك ، فبذلك تستخرج رحمته ، وإن كنت تقم على خطيئتك . وترفع إلى الله يديك عند الحاجة ، وأنت مُصِرٌّ على ذنبك إصرار الماء الجاري في صَبَب لا يستطيع إحباسه . فعند طلب الحاجات إلى الرحمن تسودّ وجوه الأشرار ، وتظلم عيونهم ، وعند ذلك يسرّ بنجاح حوائجهم ، الذين تركوا الشهوات تزيننا بذلك عند ربهم ، وتقدموا في التضرع ، ليستحقوا بذلك الرحمة حين يحتاجون إليها ، وهم الذين كابدوا الليل ، واعتزلوا الفرش ، وانتظروا الأسفار .

قال أيوب : أنتم قوم قد أعجبتمكم أنفسكم ، وقد كنت فيها خيلا والرجال يُوقرُوني ، وأنا معروف حتى ، منصف من خصمي ، فاهر لمن هو اليوم يقهرني . يسألني عن علم غيب الله لأعلمه ، ويسألني ، فلعمرى ما نصح الأخ لأخيه حين نزل به البلاء كذلك ، ولكنه يبكي معه . وإن كنت جادا فإن عقل بقصر عن الذى تسألني عنه ، فسل مطير السماء هل تخبرك ؟ وسل وحوش الأرض هل ترجع إليك ؟ وسل سباع البرية هل تحببك ؟ وسل حيطان البحر هل نصف لك كل ما عادت ؟ تعلم أن صنع هذا يعكسه . وهواه بلطفه .

أما يعلم ابن آدم من الكلام ما سمع بأذنيه ، وما طعم بفيه ، وما شمّ بأنفه ، وأن العلم الذي سألت عنه لا يعلمه إلا الله الذي خلقه ، له الحكمة والجبروت ، وله العظمة واللفظ ، وله الجلال والقدرة ، إن أفسد فمن ذا الذي يصلح ؟ وإن أعجم فمن ذا الذي يُفصّح ؟ إن نظر إلى البحار يبست من خوفه ، وإن أذن لها ابتلعت الأرض ، فإنما يحملها بقدرته هو الذي تبهت الملوك عند ملكه ، وتطيش العلماء عند علمه ، وتعي الحكماء عند حكمته ، ويخسأ المبطلون عند سلطانه ، هو الذي يذكر المنسى ، وينسى المذكور ، ويجري الظلمات والنور ، هذا علمي ، وخلقته أعظم من أن يحصيه عقلي ، وعظمتها أعظم من أن يقدرها مثلي .

قال بيلدد : إن المنافق يُجزى بما أسرّ من نفاقه ، وتضلّ عنه العلانية التي خادع بها ، وتوكل على الجزاء بها الذي عملها ، ويهلك ذكره من الدنيا ، ويظلم نوره في الآخرة ، ويوحش سبيله ، وتوقعه في الأحبولة سريره ، وينقطع اسمه من الأرض ، فلا ذكر فيها ولا عمران ، لا يرثه ولد مصلحون من بعده ، ولا يبقى له أصل يعرف به ، ويبعث من يراه ، وتقف الأشعار عند ذكره .

قال أيوب : إن أكن غويا فعلى غواي ، وإن أكن برياً فأى منعة عندي ؟ إن صرخت فمن ذا الذي يُصّرّخني ، وإن سكت فمن ذا الذي يبعّد رني ، ذهب رجائي وانقضت أحلامي ، وتنكرت لي معارفي ، دعوت غلامي ، فلم يجبني ، وتضرّعت لأمتي فلم ترحمني ، وقع على البلاء فرفضوني ، أنتم كنتم أشدّ على من مصيبي ، انظروا وابتهتوا من العجائب التي في جسدي ، أما سمعتم بما أصابني ، وما شغلكم عني ما رأيتم بي ؟ لو كان عبد يخاصم ربه ، رجوت أن أتغلب عند الحكم ، ولكن لي ربا جبارا تعالى فوق سمواته ، وألقاني هاهنا ، وهنّت عليه ، لاهو عذرتي بعذري ، ولا هو أدناني ، فأخاصم عن نفسي : يسمعني ولا أسمع ، ويراني ولا أراه ، وهو محيط بي ، ولو تجلّ لي لذابت كليتي ، وصعق روحي ، ولو نفسني فأتكلم بملء فمي ، ونزع الهيبة مني ، علمت بأى ذنب عذّبتني . نودي فقيل : يا أيوب ، قال : لبيك ، قال : أنا هذا قد دنوت منك ، فقم فاشدد أزارك ، وقم مقام جبار ، فإنه لا ينبغي لي أن يخاصمني إلا جبار مثلي ، ولا ينبغي أن يخاصمني إلا من يجعل الزمام في فم الأسد ، والسّخال في فم العنقاء ، واللحم في فم التنين ، ويكيل مكيالا من النور ، ويزن مثقالا من الريح ، ويصرّ صرّة من الشمس ، ويرد أمس لغد ، لقد منتك نفسك أمرا ما يبلغ بمثل قوتك ، ولو كنت إذ منتك نفسك ذلك ودعتك إليه ، تذكرت أي مرام رامت بك ، أردت أن تخاصمني بغيرك ؟ ، أم أردت أن تحاجّني بخطئك ، أم أردت أن تكاثرني بضعفك ، أين كنت مني يوم خلقت الأرض فوضعها على أساسها ، هل علمت بأى مقدار قدرتها ؟ أم كنت معي تمرّ بأطرافها ؟ أم تعلم ما بعد زواياها ؟ أم على أي شيء وضعت أكنافها ؟ أبطاعتك حمل الماء الأرض ؟ أم بحكمتك كانت الأرض للماء غطاء ؟ أين كنت مني يوم رفعت السماء سقفا في الهواء لبعلائق ثبتت من فوقها ، ولا يحملها دعائم من تحتها ؟ هل يبلغ من حكمتك أن تجرى نورها ، أو تسير نجومها ، أو يختلف بأمرك ليلها ونهارها ، أين كنت مني يوم سجرت البحار وأنبتت الأنهار ؟ أقدرتك حبست أمواج البحار على حدودها ، أم قدرتك فتحت الأرحام حين بلغت ملتها ؟ أين أنت مني يوم صببت الماء على التراب ، ونصبت شوامخ الجبال ، هل لك من ذراع تطيق حملها ؟ أم هل تدري كم من مثقال فيها ؟ أم أين الماء الذي أنزل من السماء ؟ هل تدري أم تلده أو أب يولده ؟ أحكمتك

أحصت القطر . وقسمت الأرزاق . أم قدرتك تثير السحاب ، وتغشيه الماء ؟ هل تدري ما أصوات الرعود؟ أم من أى شىء لب البروق ؟ هل رأيت عمق البحور ؟ أم هل تدري ما بُعد الهواء ؟ أم هل خزنت أرواح الأموات ؟ أم هل تدري أين خزنة الثلج ، أو أين خزائن البرد ؟ أم أين جبال البرد ؟ أم هل تدري أين خزنة الليل بالنهار ، وأين خزنة النهار بالليل؟ وأين طريق النور ؟ وبأى لغة تتكلم الأشجار؟ وأين خزنة الريح ، وكيف تحبسه الأغلاق ؟ ومن جعل العقول فى أجواف الرجال ؟ ومن شقّ الأسماع والأبصار ؟ ومن ذلّت الملائكة لملكه ؟ وقهر الجبارين بجبروته ؟ وقسم أرزاق الدواب بحكمته ؟ ومن قسم للأسد أرزاقها ؟ وعرف الطير معاشها ، وعطفها على أفرانها ؟ من أعتق الوحش من الخدمة ؟ وجعل مساكنها البرية؟ لا تستأنس بالأصوات ، ولا تهاب المسلطين ؟ أمن حكمتك تفرّعت أفراخ الطير وأولاد الدواب لأمهاتها ؟ أم من حكمتك عطفت أمهاتها عليها ، حتى أخرجت لها الطعام من بطونها ، وآثرتها بالعيش على نفوسها ؟ أم من حكمتك يبصر العُقاب ، فأصبح فى أماكن القتلى ؟ أين أنت منى يوم خلقت بهموت<sup>١</sup> ، مكانه فى منقطع التراب ، والوتينان<sup>٢</sup> يحملان الجبال والقرى والعمران ، آذانهما كأنها شجر الصنوبر الطوال ، رءوسهما كأنها آكام الجبال ، وعروق أفخاذهما كأنها أوتاد الحديد ، وكان جلودهما فلتق الصخور ، وعظامهما كأنها عمود النحاس ، هما رأسا خلقى الدين خلق للقتال ، أنت ملأت جلودهما لحما ؟ أم أنت ملأت رءوسهما دماغا ؟ أم هل لك فى خلقتهما من شريك ؟ أم لك بالقوة التى عملت بها يدان ؟ أو هل يبلغ من قوتك أن تخطم على أنوفهما ، أو تضع يدك على رءوسهما ، أو تقعد لهما على طريق فتحبسهما ، أو تصدّهما عن قوتهما ؟ أين أنت يوم خلقت التسنين ورزقه فى البحر ، ومسكنه فى السحاب ، عيناه ترقدان نارا ، ومنخره يثوران دخانا ، آذناه مثل قوس السحاب ، يثور منهما لهب كأنه إعصار العجاج ، جوفه يحترق ، ونفّسه يلتهب ، وزبده كأمثال الصخور ، وكان صريف أسنانه صوت الصواعق ، وكان نظر عينيه لهب البرق ، أسراره لا تدخله الهموم ، تمرّ به الحيوش وهو متكئ ، لا يفزعه شىء ليس فيه مفصل [زُبُر] الحديد عنده مثل التبن ، والنحاس عنده مثل الخيوط ، لا يفزع من النشّاب ، ولا يحسّ وقع الصخور على جسده ، ويضحك من النيازك ، ويسير فى الهواء كأنه عصفور ، ويهلك كل شىء يمرّ به ملك الوحوش ، وإياه آثرت بالقوة على خلقى ، هل أنت آخذة بأجولتك فرابطه بلسانه ؟ أو واضع اللجام فى شدقه ؟ أنظنه يوفى بمهادك ؟ أو يسبح من خوفك ؟ هل تحصى عمره ؟ أم هل تدري أجله ؟ أو تفوت رزقه ؟ أم هل تدري ماذا خرب من الأرض ؟ أم ماذا يخرّب فيما بقى من عمره ؟ أنطبق غضبه حين بغضب ؟ أم تأمره فيعطيك ؟ تبارك الله وتعالى ؟

قال أيوب صلى الله عليه وسلم : قَصُرْتُ عن هذا الأمر الذى تعرض لى ، لبت الأرض انشفت لى ، فذهبت فى بلائى ، ولم أنكلم بشىء يسخط ربى ، اجتمع علىّ البلاء ، إلهى جعلتنى لك مثل العدو ، وقد كنت تكرمنى ، وتعرف نصحى ، وقد علمت أن الذى ذكرت صنع بديك ، وتدير حكمتك ، وأعظم من هذا ما شئت عملت ، لا يعجزك شىء ، ولا يخفى عليك خافية ، ولا تغيب عنك غائبة ، من هذا الذى يظن أن يسير عنك سرا ، وأنت تعلم ما يخطر على القلوب ، وقد علمت منك فى بلائى هذا ما لم أكن أعلم ، وعظمت

(١) فى الكتاب المقدس من ٣٨١ : ٤ لويانان .

(٢) فى الكتاب المقدس من ٨٣١ : ٤ يسموت .

حين بلوت أمرك أكثر مما كنت أخاف ، إنما كنت أسمع بسطوتك سمعا ، فأما الآن فهو بصر العين ، إنما تكلمت حين تكلمت لتعذرني ، وسكت حين سكت لترحمي ، كلمة زلت فلن أعود ، قد وضعت يدي على فمي ، وعضيت على لساني ، وأصقت بالتراب خدي ، ودست وجهي لصغاري ، وسكت كما أسكتني خطيئتي ، فاغفر لي ماقلت فلن أعود لشيء تكرهه مني .

قال الله تبارك وتعالى : يا أيوب نفذ فيك علمي ، وبحلمي صرفت عنك غضبي ، إذ نخطت فقد غفرت لك ، ورددت عليك أهلك ومالك ومثلهم معهم ، فاغتسل بهذا الماء ، فإن فيه شفاءك ، وقرب عن صحابتك قربانا ، واستغفر لهم ، فإنهم قد عصوني فيك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى محمد بن إسحاق ، عن لايتهم ، عن وهب بن منبه اليماني ، وغيره من أهل الكتب الأول ، أنه كان من حديث أيوب أنه كان رجلا من الروم ، وكان الله قد اصطفاه ونباهه ، وابتلاه في الغنى بكثرة الولد والمال ، وبسط عليه من الدنيا ، فوسع عليه في الرزق ، وكانت له البشنية من أرض الشام ، أعلاها وأسفلها ، وسهلها وجبلها ، وكان له فيها من أصناف المال كله ، من الإبل والبقر والغنم والحيل والحمير ما لا يكون للرجل أفضل منه في العدة والكثرة ، وكان الله قد أعطاه أهلا وولدا من رجال ونساء ، وكان براء تقيا رحيا بالمساكين ، يطعم المساكين ، ويحمل الأرامل ، ويكفل الأيتام ، ويكرم الضيف ، ويبلغ ابن السبيل ؛ وكان شاكرا لأنعم الله عليه ، مؤديا لحق الله في الغنى ، قد امتنع من عدو الله إبليس أن يصيب منه ما أصاب من أهل الغنى من العزة والغفلة ، والسهو والتشاغل عن أمر الله بما هو فيه من الدنيا ، وكان معه ثلاثة قد آمنوا به وصدقوه ، وعرفوا فضل ما أعطاه الله على من سواه منهم رجل من أهل اليمن يقال له : أليفز ، ورجلان من أهل بلاده يقال لأحدهما : صوفر ، وللآخر : بلدد ، وكانوا من بلاده كهولا ، وكان لإبليس عدو الله منزل من السماء السابعة يقع به كل سنة موقعا يسأل فيه ؛ فصعد إلى السماء في ذلك اليوم الذي كان يصعد فيه ، فقال الله له : أو قيل له عن الله : هل قدرت من أيوب عبدي على شيء ؟ قال : أي رب وكيف أقدر منه على شيء ؟ أو إنما ابتليته بالرخاء والنعمة والسعة والعافية ، وأعطيته الأهل والمال والولد والغنى والعافية في جسده وأهله وماله ، فإله لا يشكرك ويعبدك ويطيعك ، وقد صنعت ذلك به ، لو ابتليته بنزع ما أعطيته لحال عما كان عليه من شكرك ، ولترك عبادتك ، ونخرج من طاعتك إلى غيرها ، أو كما قال عدو الله ؛ فقال : قد سلطتك على أهله وماله ، وكان الله هو أعلم به ، ولم يسلطه عليه إلا رحمة ليعظم له الثواب بالذي يصيبه من البلاء ، وليجعله عبرة للصابرين ، وذكرى للعابدين في كل بلاء نزل بهم ، ليتأسوا به ، وليرجوا من عاقبة الصبر في عرض الدنيا ثواب الآخرة وما صنع الله بأيوب ، فانحط عدو الله سريعا ، فجمع عفاريت الجن ومرردة الشياطين من جنوده ، فقال : إني قد سلطت على أهل أيوب وماله ، فإذا عليكم ؟ فقال قائل منهم : أكون إعصارا فيه نار ، فلا أمر بشيء من ماله إلا أهلكته ؛ قال : أنت وذاك ، فخرج حتى أتى إبله ، فأحرقها ورعاها جميعا ؛ ثم جاء عدو الله إلى أيوب في صورة قيّمه عليها وهو في مصلى فقال : يا أيوب أقبلت نار حتى غشيت إبلك

فأحرقها ومن فيها غيرى ، فجتتك أخبرك بذلك ، فعرفه أيوب ، فقال : الحمد لله الذى هو أعطاها ، وهو أخذها ، الذى أخرجك منها كما يخرج الزؤان من الحب النقى ، ثم انصرف عنه ، فجعل يصيب ماله مالا مالا حتى مرّ على آخره ، كلما انتهى إليه هلاك مال من ماله حمد الله وأحسن عليه الثناء ورضى بالقضاء ، ووطن نفسه بالصبر على البلاء ، حتى إذا لم يبق له مال أتى أهله وولده ، وهم فى قصر لهم معهم حظيانهم وخدمهم ، فتمثل ريحا عاصفا ، فاحتمل القصر من نواحيه ، فألقاه على أهله وولده ، فشدخهم تحته ، ثم أتاه فى صورة قهرمانه عليهم ، قد شدخ وجهه ، فقال : يا أيوب قد أتت ريح عاصف ، فاحتملت القصر من نواحيه ، ثم ألقته على أهلك وولدك فشدختهم غيرى ، فجتتك أخبرك ذلك ، فلم يجزع على شيء أصابه جزعه على أهله وولده ، وأخذ ترابا فوضعه على رأسه ، ثم قال : ليت أمتى لم تلدنى ، ولم أك شيئا ، وسرّ بها عدوّ الله منه ؛ فأصعد إلى السماء جدّلا ، وراجع أيوب التوبة مما قال ، فحمد الله ، فسبقت توبته عدوّ الله إلى الله ؛ فلما جاء وذكر ما صنع ، قيل له قد سبقتك توبته إلى الله ومراجعتك . قال : أى ربّ فلسطنى على جسده ، قال : قد سلطتك على جسده إلا على لسانه وقلبه ونفسه وسمعه وبصره ؛ فأقبل إليه عدوّ الله وهو ساجد ، فنفخ فى جسده نفخة أشعل ما بين قرنيه إلى قدمه ، كحريق النار ، ثم خرج فى جسده نأليل كألبيات الغم ، فحكّ بأظفاره حتى ذهبت ، ثم بالفخّار والحجارة حتى تساقط لحمه ، فلم يبق منه إلا العروق والعصب والعظام ، عيناه تجولان فى رأسه للنظر ، وقلبه للعقل ، ولم يخلص إلى شيء من حشو البطن ، لأنه لا بقاء للنفس إلا بها ، فهو يأكل ويشرب على التواء من حشوته ، فكث كذلك ماشاء الله أن يمكث .

فحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة عن ابن إسحاق ، عن ابن دينار ، عن الحسن أنه كان يقول : مكث أيوب فى ذلك البلاء سبع سنين وستة أشهر ملقى على رماد مكنسة فى جانب القرية . قال وهب بن منبه : ولم يبق من أهله إلا امرأة واحدة تقوم عليه وتكسب له ، ولا يقدر عدوّ الله منه على قليل ولا كثير مما يريد . فلما طال البلاء عليه وعليها ، وشمها الناس ، وكانت تكسب عليه ماتطعمه وتسقيه . قال وهب بن منبه : فحدثت أنها التمسّت له يوما من الأيام تطعمه ، فما وجدت شيئا حتى جزّت قرنا من رأسها فباعته برغيف ، فأنته به فعشته إياه ، فلبث فى ذلك البلاء تلك السنين ، حتى إن كان المارّ ليمرّ فيقول : لو كان لهذا عند الله خير لأراحه مما هو فيه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : فحدثني محمد بن إسحاق ، قال : وكان وهب بن منبه يقول : لبث فى ذلك البلاء ثلاث سنين لم يزد يوما واحدا ؛ فلما غلبه أيوب فلم يستطع منه شيئا ، اعترض لامرأته فى هيئة ليست كههيئة بنى آدم فى العظم والجسم والطول على مركب ليس من مراكب الناس ، له عظم وبهاء وجمال ليس لها ، فقال لها : أنت صاحبة أيوب هذا الرجل المبلى ؟ قالت نعم ، قال : هل تعرفينى ؟ قالت لا ، قال : فأنا إله الأرض ، وأنا الذى صنعت بصاحبك ما صنعت ، وذلك أنه عبد إله السماء وتركنى فأغضبى ، ولو سجد لى سجدة واحدة رددت عليه وعليك كل ما كان لكما من مال وولد ، فإنه عندى ، ثم أراها إياهم فيها ترى ببطن الوادى الذى لفيها فيه . قال : وقد سمعت أنه إنما قال : لو أن صاحبك أكمل



طعاما ولم يسمّ عليه، لعوفي مما به من البلاء، والله أعلم . وأراد عدوّ الله أن يأتيه من قبيلها، فرجعت إلى أيوب، فأخبرته بما قال لها وما أراها؛ قال: أو قد أتاك عدوّ الله، ليفتنك عن دينك؟ ثم أقسم إن الله عافاه ليضربها مئة ضربة؛ فلما طال عليه البلاء، جاءه أولئك النفر الذين كانوا معه قد آمنوا به وصدّقوه، معهم فتى حديث السنّ، قد كان آمن به وصدّقته، فجلسوا إلى أيوب ونظروا إلى ما به من البلاء، فأعظموا ذلك وقطّعوا به، وبلغ من أيوب صلوات الله عليه مجهوده، وذلك حين أراد الله أن يفرّج عنه ما به؛ فلما رأى أيوب ما أعظموا مما أصابه، قال: أي ربّ لأى شىء خلقتنى؟ ولو كنت إذ قضيت علىّ البلاء تركتني فلم تخلقني، ليتني كنت دما ألقنتى أمي، ثم ذكر نحو حديث ابن عسكر، عن إسماعيل بن عبد الكريم، إلى: وكابدوا الليل، واعتزلوا الفراش، وانتظروا الأسحار، ثم زاد فيه: أولئك الآمنون الذي لا يخافون، ولا يهتمون ولا يحزنون، فأين عاقبة أمرك يا أيوب من عواقبهم؟

قال فتى حضرهم، وسمع قولهم: ولم يفتنوا له، ولم يأبهوا لمجلسه، وإنما قيّضه الله لهم، لما كان من جورهم في المنطق وشططهم، فأراد الله أن يصغر به إليهم أنفسهم، وأن يسفّه بصغره لهم أحلامهم؛ فلما تكلم تبادى في الكلام، فلم يزد إلا حكما، وكان القوم من شأنهم الاستماع والحشوع إذا وُعدوا أو ذُكروا، فقال: إنكم تكلمتم قبلي أيها الكهول، وكنتم أحقّ بالكلام وأولى به مني، لحقّ أسنانكم، ولأنكم جرتبتم قبلي، ورأيتم وعلمتم ما لم أعلم، وعرفتم ما لم أعرف، ومع ذلك قد تركتم من القول أحسن من الذي قلتم، ومن الرأي أصوب من الذي رأيتم، ومن الأمر أجهل من الذي أتيتم، ومن الموعدة أحكم من الذي وصفتم، وقد كان لأيوب عليكم من الحقّ والذمّ أفضل من الذي وصفتم، هل تدرون أيها الكهول حقّ من انتقصتم؟ وحرمة من انتهكتم؟ ومن الرجل الذي عبتم واتهمتم؟ ولم تعلموا أيها الكهول أن أيوب نبيّ الله وخيرته وصفوته من أهل الأرض يومكم هذا، اختاره الله لوحيه، واصطفاه لنفسه، وأتمنه على نبوته، ثم لم تعلموا ولم يطلعكم الله على أنه سخط شيئا من أمره مذآتاه ما آتاه إلى يومكم هذا، ولا على أنه نزع منه شيئا من الكرامة التي أكرمه بها مذآتاه ما آتاه إلى يومكم هذا، ولا أن أيوب غيّر الحقّ في طول ما صحبتموه إلى يومكم هذا، فإن كان البلاء هو الذي أزرى به عندكم، ووضع في أنفسكم، فقد علمتم أن الله يبتلي النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين، ثم ليس بلاؤه لأولئك بدليل سخطه عليهم، ولا هوانه لهم، ولكنها كرامة وخيرة لهم، ولو كان أيوب ليس من الله بهذه المنزلة، ولا في النبوة ولا في الأثرة ولا في الفضيلة ولا في الكرامة، إلا أنه أخ أحببتموه على وجه الصحابة، لكان لا يجمل بالحكيم أن يعذّل أخاه عند البلاء، ولا يعيره بالمصيبة بما لا يعلم وهو مكروب حزين، ولكن يرحمه ويبكى معه، ويستغفر له، ويحزن لحزنه، ويدله على مرشد أمره، وليس بحكيم ولا رشيد من جهل هذا، فالله الله أيها الكهول في أنفسكم.

قال: ثم أقبل على أيوب صلى الله عليه وسلم فقال: وقد كان في عظمة الله وجلاله وذكر الموت، ما يقطع لسانك، ويكسر قلبك، وينسبك حججك، ألم تعلم يا أيوب أن الله عبادا أسكتهم خشيته من غير عي ولا بكتم؟ وإلهم لهم الفصحاء النطقاء النبلاء الألباء، العالمون بالله وبآياته، ولكنهم إذا ذكروا عظمة الله

انقطعت ألسنتهم . واقشعرت جلودهم ، وانكسرت قلوبهم ، وطاشت عقولهم إعظاما لله ، وإعزازا وإجلالا فإذا استفاقوا من ذلك استتبقوا إلى الله بالأعمال الزاكية ، يتعدون أنفسهم مع الظالمين والخطائين ، وإنهم لأنزاه برآء ، ومع المقصرين والمفرطين ، وإنهم لأكياس أقوياء ، ولكنهم لا يستكثرون لله الكثير ، ولا يرضون لله بالقليل ، ولا يبدلون عليه بالأعمال فهم مروءون مفزعون مغتمون خاشعون وجلون مستكينون معترفون ، متى ما رأيتهم يا أيوب .

قال أيوب : إن الله يزرع الحكمة بالرحمة في قلب الصغير والكبير ، فتى نبتت في القلب يظهرها الله على اللسان ، وليست تكون الحكمة من قبل السن ، ولا الشبيبة ، ولا طول التجربة ، وإذا جعل الله العبد حكما في الصيام لم يسقط منزله عند الحكماء ، وهم يرون عليه من الله نور الكرامة ، ولكنكم قد أعجبتم أنفسكم ، وظننتم أنكم عوفيتم باحسانكم ، فهناك بغيتم وتعززتم ، ولو نظرتم فيما بينكم وبين ربكم ، ثم صدقتم أنفسكم لو جدتم لكم عيوباً سترها الله بالعافية التي ألبسكم ، ولكني قد أصبحت اليوم وليس لي رأى ولا كلام معكم . قد كنت فيما خلا مسموعا كلامي ، معروفا حتى ، منتصفا من خصمي ، قاهرا لمن هو اليوم يقهرني ، مهيبا مكاني ، والرجال مع ذلك ينصتون لي ويوقروني ، فأصبحت اليوم قد انقطع رجائي ، ورفع حذري ، وملتي أهلي ، وعفني أرحامي ، وتنكرت لي معارفي ، ورغب عني صديقي ، وقطعني أصحابي ، وكفرتني أهل بيتي ، وجحدت حقوقي ، ونسيت صناعي ، أصرخ فلا يضرخونني ، وأعتذر فلا يعذرونني ، وإن قضاءه هو الذي أذلني ، وأقماني ، وأحساني ، وإن سلطانه هو الذي أسقمني ، وأنحل جسمي ، ولو أن ربي نزع الهيبة التي في صدري ، وأطلق لساني حتى أتكلم بملء فمي ، ثم كان ينبغي للعبد أن يجاج عن نفسه ، لرجوت أن يعافيني عند ذلك مما بي ، ولكنه ألقاني ، وتعالى عني ، فهو يراني ، ولا أراه ، ويسمعني ولا أسمع ، لا نظر إلى فرحمي ، ولا دنا مني ولا أدناني ، فأدلى بعذري ، وأتكلم ببراعتي ، وأخاصم عن نفسي ، لما قال ذلك أيوب وأصحابه عنده ، أظله نعام حتى ظن أصحابه أنه عذاب ، ثم نودي منه ، ثم قيل له : يا أيوب ، إن الله يقول : ها أنا ذا قد دنوت منك ، ولم أزل منك قريبا ، فقم فأدل بعذرك الذي زعمت ، وتكلم ببراعتك ، وخاصم عن نفسك ، واشدد إزارك ، ثم ذكر نحو حديث ابن عسكر ، عن إسماعيل ، إلى آخره ، وزاد فيه : ورحمتي سبقت غضبي ، فأركض برجلك هذا مغتسل بارد وشراب فيه شفاؤك ، وقد وهبت لك أهلك ، ومثلهم معهم ، ومالك ومثله معه : وزعموا : ومثله معه لتكون لمن خلفك آية . ولتكون عبرة لأهل البلاء ، وعزاء للصابرين ، فركض برجله ، فانفجرت له عين ، فدخل فيها فاغتسل ، فأذهب الله عنه ، كل ما كان به من البلاء ، ثم خرج فجلس ، وأقبلت امرأته تلثمسه في مضجعه ، فلم تجده ، فقامت كالوالهة مثلهدة ، ثم قالت : يا عبد الله ، هل لك علم بالرجل المبثلي الذي كان ههنا ؟ قال : لا ، ثم تبسم ، فعرفته بمضحكه ، فاعتنقته .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن بعض أهل العلم ، عن وهب بن منبه ،

قال : فحدثت عبد الله بن عباس حديثه ، واعتناقها إياه ، فقال عبد الله : فوالذي نفس عبد الله بيده ما فارقت من عناقه حتى مرّ بها كلّ مال لهما وولد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : وقد سمعت بعض من يذكر الحديث عنه أنه دعاها حين سألت عنه ، فقال لها : وهل تعرفينه إذ رأيتك ؟ قالت : نعم ، ومالي لأعرفه ؟ فتبسّم ، ثم قال : ها أنا هو ، وقد فرّج الله عني ما كنت فيه ، فعند ذلك اعتنقته . قال وهب : فأوحى الله في قسمه لي ضربها في الذي كلمته ، أن ( وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنُتْ ) أي قد برت يمينك ، يقول الله تعالى ( إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا ، نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ) يقول الله ( وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا ، وَذِكْرَى لَأُولَى الْأَلْبَابِ ) .

حدثنا يحيى بن طلحة اليربوعي ، قال : ثنا فضيل بن عياض ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : لقد مكث أيوب مطروحا على كنانة سبع سنين وأشهر ما يسأل الله أن يكشف ما به . قال : وما على وجه الأرض خلق أكرم على الله من أيوب ، فيزعمون أن بعض الناس قال : لو كان لربّ هذا فيه حاجة ما صنع به هذا ، فعند ذلك دعا .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليه ، عن يونس ، عن الحسن ، قال : بقي أيوب على كنانة لبني إسرائيل سبع سنين وأشهرات مختلف عليه الدواب .

حدثني محمد بن إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن معين ، قال : ثنا ابن عيينة ، عن عمرو ، عن وهب بن منبه ، قال : لم يكن بأيوب أكلة ، إنما كان يخرج به مثل ثدى النساء ثم ينقفه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا مخلد بن حسين ، عن هشام ، عن الحسن ، وحجاج عن مبارك ، عن الحسن : زاد أحدهما على الآخر قال : إن أيوب آتاه الله مالا ، وأوسع عليه ، وله من النساء والبقر والغنم والإبل ، وإن عدوّ الله إبليس قيل له : هل تقدر أن تفتن أيوب ؟ قال : ربّ إن أيوب أصبح في دنيا من مال وولد ، ولا يستطيع أن لا يشكرك ، ولكن سلطني على ماله وولده ، فسترى كيف يطعني ويعصيك ، قال : فسلطه على ماله وولده ، قال : فكان يأتي بالماشية من ماله من الغنم فيحرقها بالنيران ، ثم يأتي أيوب ، وهو يصلي متشبها براعى الغنم ، فيقول : يا أيوب تصلى لربك ما ترك الله لك من ماشيتك شيئا من الغنم إلا أحرقها بالنيران ، وكنت ناحية فجئت لأخبرك ، قال : فيقول أيوب : اللهم أنت أعطيت ، وأنت أخذت ، مهما تبقى نفسي أحمدك على حسن بلائك ، فلا يقدر منه على شيء مما يريد ، ثم يأتي ماشيته من البقر فيحرقها بالنيران ، ثم يأتي أيوب فيقول له ذلك ، ويردّ عليه أيوب مثل ذلك . قال : وكذلك فعل بالإبل حتى ما ترك له من ماشية حتى هدم البيت على ولده ، فقال : يا أيوب أرسل الله على ولدك من هدم عليهم البيوت ، حتى هلكوا ؛ فيقول أيوب مثل ذلك ، قال ربّ هذا حين أحسنت إلى الإحسان كله ، قد كنت قبل اليوم يشغلني حبّ المال بالنهار ، ويشغلني حبّ الولد بالليل شفقة عليهم ، فالآن أفرغ سمعي

وبصرى ، وليلى ونهارى بالذكر والحمد ، والتقديس والتهليل ، فينصرف عدو الله من عنده لم يصب منه شيئا مما يريد .

قال : ثم إن الله تبارك وتعالى قال : كيف رأيت أيوب ؟ قال إبليس : أيوب قد علم أنك ستردّ عليه ماله وولده . ولكن سلطني على جسده ، فإن أصابه الضرّ فيه أطاعني وعصاك ، قال : فسلط على جسده ، فأناه فنفخ فيه نفخة قرح من لدن قرنه إلى قدمه ، قال : فأصابه البلاء بعد البلاء ، حتى حمل فوضع على ميزبلة كُناسة لبني إسرائيل ، فلم يبق له مال ولا ولد ولا صديق ، ولا أحد يقربه غير زوجته ، صبرت معه بصدق ، وكانت تأتيه بطعام ، وتحمد الله معه إذا حمد ، وأيوب على ذلك لا يفر من ذكر الله ، والتحميد والثناء على الله ، والصبر على ما ابتلاه الله . قال الحسن : فصرخ إبليس عدو الله صرخة جمع فيها جنوده من أقطار الأرض ، جزعا من صبر أيوب ، فاجتمعوا إليه وقالوا له : جمعتنا ، ما خبرك ؟ ما أعيالك ؟ قال : أعياني هذا العبد الذي سألت ربي أن يسلمني على ماله وولده ، فلم أدع له مالا ولا ولدا ، فلم يزدد بذلك إلا صبورا وثناء على الله وتحميدا له ، ثم سلّطت على جسده فتركته قرحا ملقاة على كُناسة بني إسرائيل ، لا يقربه إلا امرأته ، فقد افتضحت بربي ، فاستعنت بكم ، فأعينوني عليه ، قال : فقالوا له : أين مكرك ؟ أين علمك الذي أهلكت به من مضى ، قال : بطل ذلك كله في أيوب ، فأشيروا على ، قالوا : نشير عليك ، رأيت آدم حين أخرجته من الجنة ، من أين أتيت ؟ قال : من قبل امرأته ، قالوا : فشأنك بأيوب من قبل امرأته ، فإنه لا يستطيع أن يعصيا ، وليس أحد يقربه غيرها ، قال : أصبتم ، فانطلق حتى أتى امرأته وهي تصدّق ، فتمثل لها في صورة رجل ، فقال : أين بعلك يا أمة الله ؟ قالت : هو ذاك يحكّ قروحه ، ويردد الدوابّ في جسده ، فلما سمعها طمع أن تكون كلمة جزع ، فوقع في صدرها ، فوسوس إليها ، فذكرها ما كانت فيه من النعم والمال والدوابّ ، وذكرها جمال أيوب وشبابه ، وما هو فيه من الضرّ ، وأن ذلك لا ينقطع عنهم أبدا . قال الحسن : فصرخت ، فلما صرخت علم أن قد صرخت وجزعت ، أتاها بسخلة ، فقال : ليذبح هذا إلى أيوب ويبرأ ، قال : فجاءت تصرخ يا أيوب ، يا أيوب ، حتى متى يعذبك ربك ، ألا يرحمك ؟ أين الماشية ؟ أين المال ؟ أين الولد ؟ أين الصديق ؟ أين لونك الحسن ؟ قد تغير ، وصار مثل الرماد ؟ أين جسمك الحسن الذي قد بلى وتردد فيه الدوابّ ؟ اذبح هذه السخلة واسترح ، قال أيوب : أذاك عدو الله ، فنفخ فيك ، فوجد فيك رفقا ، وأجبتك ؟ وبلك ! رأيت ماتبكين عليه مما تذكركين ، مما كنا فيه من المال والولد والصحة والشباب ؟ من أعطانيه ؟ قالت : الله ، قال : فكم متعنا به ؟ قالت : ثمانين سنة ، قال : فذكم ابتلانا الله بهذا البلاء الذي ابتلانا به ؟ قالت : منذ سبع سنين وأشهر ، قال : وبلك ! والله ما عدلت ، ولا أنصفت ربك ، ألا صبرت حتى نكون في هذا البلاء الذي ابتلانا ربنا به ثمانين سنة ، كما كنا في الرخاء ثمانين سنة ؟ والله لئن شفاني الله لأجلدنك مئة جلدة ، هيه أمريني أن أذبح لغبر الله ، طعامك وشرابك الذي تأثمني به على حرام ، وأن أذوق ما تأثمني به بعد ، إذ قلت لي هذا فأغرني عنى ، فلا أراك ، فطردها ، فذهبت ، فقال الشيطان : هذا قد وطن نفسه ثمانين سنة على هذا البلاء الذي هو فيه ،

فباء بالغلبة ورفضه . ونظر أيوب إلى امرأته وقد طردها ، وليس عنده طعام ، ولا شراب ، ولا صديق . قال الحسن : ومرّ به رجلان وهو على تلك الحال ، ولا والله ما على ظهر الأرض يومئذ أكرم على الله من أيوب ، فقال أحد الرجلين لصاحبه : لو كان لله في هذا حاجة ، ما بلغ به هذا ، فلم يسمع أيوب شيئا كان أشدّ عليه من هذه الكلمة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن جرير بن حازم ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : كان لأيوب أخوان ، فأتياه ، فقاما من بعيد لا يقدران أن يدنوا منه من ريحه ، فقال أحدهما لصاحبه : لو كان الله علم في أيوب خيرا ما ابتلاه بما أرى ، قال : فما جزع أيوب من شيء أصابه جزعه من كلمة الرجل ، فقال أيوب : اللهم إن كنت تعلم أني لم أبت ليلة شبعان قطّ وأنا أعلم مكان جائع فصدقتني ، فصدّق وهما يسمعان ، ثم قال : اللهم إن كنت تعلم أني لم أتخذ قميصين قطّ وأنا أعلم مكان عار فصدقتني ، فصدّق وهما يسمعان ، قال : ثم خرّ ساجدا .

فحدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : فحدثني مخلد بن الحسين ، عن هشام ، عن الحسن ، قال : فقال ( رَبِّ إِنِّي مَسَّيْنِي الضُّرُّ ) ثم ردّ ذلك إلى ربه فقال ( وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن جرير ، عن عبد الله بن عبيد بن عمير ، قال : فقيل له : ارفع رأسك فقد استجيب لك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن مبارك ، عن الحسن ومخلد ، عن هشام ، عن الحسن ، دخل حديث أحدهما في الآخر قالوا : فقيل له ( أُرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ) فركض برجله فنبعت عين ، فاغتسل منها ، فلم يبق عليه من دائه شيء ظاهر إلا سقط ، فأذهب الله كل ألم وكل سقم ، وعاد إليه شبابه وجماله ، أحسن ما كان وأفضل ما كان ، ثم ضرب برجله ، فنبعت عين أخرى فشرب منها ، فلم يبق في جوفه داء إلا خرج ، فقام صحيحا ، وكسبي حلة ، قال : فجعل يتأفت ولا يرى شيئا مما كان له من أهل ومال إلا وقد أضعفه الله له ، حتى والله ذكر لنا أن الماء الذي اغتسل به ، تطاير على صدره جرادا من ذهب ، قال : فجعل يضمه بيده ، فأوحى الله إليه : يا أيوب ألم أغنك ؟ قال : بلى ، ولكنها بركتك ، فمن يشبع منها ، قال : فخرج حتى جلس على مكان مشرف ، ثم إن امرأته قالت : رأيت إن كان طردني إلى من أكله ؟ أدعه يموت جوعا أو يضيع فتأكله السباع ؟ لأرجعنّ إليه فرجعت ، فلا كُناسة ترى ، ولا من تلك الحال التي كانت ، وإذا الأمور قد تغيرت ، فجعلت تطوف حيث كانت الكُناسة وتبكي ، وذلك بعين أيوب ، قالت : وهابت صاحب الحلة أن تأتبه فتسأل عنه ، فأرسل إليها أيوب فدعاها ، فقال : ما تريدن يا أمة الله ؟ فبكت وقالت : أردت ذلك المبتلى الذي كان منبوذا على الكُناسة ، لا أدري أضع ، أم ما فعل ؟ قال لها أيوب : ما كان منك ؟ فبكت وقالت : بعلى ، فهل رأيت ؟ وهي تبكي إنه قد كان ها هنا ، قال : وهل تعرفينه إذا رأيتيه ؟ قالت : وهل يخفي على

أحد رآه؟ ثم جعلت تنظر إليه وهي تهابه ، ثم قالت : أما إنه كان أشبه خلق الله بك إذ كان صحيحا . قال : فإني أنا أيوب الذي أمرتني أن أذبح للشيطان ، وإني أطعت الله وعصيت للشيطان ، فدعوت الله فردت علي ماترين ؛ قال الحسن : ثم إن الله رحمها بصبرها معه على البلاء أن أمره تخفيفا عنها أن يأخذ جماعة من الشجر فيضربها ضربة واحدة تخفيفا عنها بصبرها معه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أُنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ ) . . . إلى آخر الآيتين ، فإنه لما مسه الشيطان بنصب وعذاب ، أنساه الله الدعاء أن يدعوه ، فيكشف ما به من ضرر ، غير أنه كان يذكر الله كثيرا ، ولا يزيده البلاء في الله إلا رغبة وحسن إيمان ؛ فلما انتهى الأجل ، وقضى الله أنه كاشف ما به من ضرر أذن له في الدعاء ، ويسر له ، وكان قبل ذلك يقول تبارك وتعالى : لا ينبغي لعبدي أيوب أن يدعوني ، ثم لاستجيب له ، فلما دعا استجاب له ، وأبدله بكل شيء ، ذهب له ضعفين رد إليه أهله ومثلهم معهم ، وأثنى عليه فقال : ( إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا . نِعِمَّ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ) .

واختلف أهل الأوائل في الأهل الذي ذكر الله في قوله ( وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) أهم أهله الذين أوتيتهم في الدنيا ، أم ذلك وعد وعده الله أيوب أن يفعل به في الآخرة ؟ فقال بعضهم : إنما آتى الله أيوب في الدنيا مثل أهله الذين هلكوا ، فإنهم لم يردوا عليه في الدنيا ، وإنما وعد الله أيوب أن يوتيه إياهم في الآخرة .

حدثني أبو السائب سلم بن جنادة ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، قال : أرسل مجاهد رجلا يقال له قاسم إلى عكرمة يسأله عن قول الله لأيوب ( وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) فقال : قيل له : إن أهلك لك في الآخرة ، فإن شئت عجلناهم لك في الدنيا ، وإن شئت كانوا لك في الآخرة ، وآتيناك مثلهم في الدنيا ، فقال : يكونون لي في الآخرة ، وأوتى مثلهم في الدنيا ، قال : فرجع إلى مجاهد فقال أصاب وقال آخرون : بل رداهم إليه بأعيانهم ، وأعطاه مثلهم معهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن أبي سنان ، عن ثابت ، عن الضحاك ، عن ابن مسعود ( وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) قال : أهله بأعيانهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، لما دعا أيوب استجاب الله له ، وأبدله بكل شيء ذهب له ضعفين ، رد إليه أهله ومثلهم معهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) قال : أحياءهم بأعيانهم ، ورد إليه مثلهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جريور ، عن ليث ، عن مجاهد ، في قوله ( وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ )

(١) هذا يناسب الاستشهاد على عدم رداهم بأعيانهم ، فلهذا لم يرد من تقديم .

مَعَهُمْ ) قال : قيل له : إن شئت أحييناهم لك ، وإن شئت كانوا لك في الآخرة ، وتعطى مثلهم في الدنيا ، فاختر أن يكونوا في الآخرة ومثلهم في الدنيا .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (وَأَتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) قال الحسن وقاتدة : أحيى الله أهله بأعيانهم ، وزاده إليهم مثلهم .

وقال آخرون : بل آتاه المثل من نسل ماله الذى رده عليه وأهله ، فأما الأهل والمال فإنه ردهما عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن رجل ، عن الحسن ( ( وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ ) ) قال : من نسلهم .

وقوله ( رَحْمَةً ) نصبت بمعنى : فعلنا بهم ذلك رحمة منا له . وقوله ( وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ) يقول : وتذكرة للعبادين ربهم ، فعلنا ذلك به ليعتبروا به ، ويعلموا أن الله قد يبتلى أوليائه ومن أحب من عباده في الدنيا بضروب من البلاء في نفسه وأهله وماله ، من غير هوان به عليه ، ولكن اختبارا منه له ليلبغ بصره عليه ، واحتسابه إياه ، وحسن يقينه منزلته التي أعدها له تبارك وتعالى من الكرامة عنده .

وقد حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ، في قوله ( رَحْمَةً مِّنْ عِنْدِنَا وَذِكْرَى لِلْعَابِدِينَ ) قال : أيما مؤمن أصابه بلاء فذكر ما أصاب أيوب فليقل : قد أصاب من هو خير منا نبيا من الأنبياء .

القول في تأويل قوله تعالى

وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾

يعنى تعالى ذكره بإسماعيل : إسماعيل بن إبراهيم صادق الوعد ، وإدريس : أخنوخ ، وبذى الكفل : رجلا تكفل من بعض الناس ، إما من نبي وإما من ملك من صالحى الملوك بعمل من الأعمال ، فقام به من بعده ، فأثنى الله عليه حسن وفائه بما تكفل به ، وجعله من المعدودين في عباده ، مع من حمد صبره على طاعة الله . وبالذى قلنا في أمره جاءت الأخبار عن سلف العلماء .

ذكر الرواية بذلك عنهم

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن عبد الله بن الحارث ، أن نبيا من الأنبياء ، قال : من تكفل لى أن يصوم النهار ويقوم الليل ، ولا يغضب ، فقام شاب فقال : أنا ، فقال : اجلس . ثم عاد فقال : من تكفل لى أن يصوم النهار ، ولا يغضب ؟ فقام ذلك الشاب فقال : أنا ، فقال : اجلس . ثم عاد فقال : من تكفل لى أن يقوم الليل ، ولا يغضب ؟ فقام ذلك الشاب فقال : أنا ، فقال : تقوم الليل ، وتصوم النهار ، ولا تغضب

فأت ذلك النبيّ ، فجلس ذلك الشاب مكانه يقضى بين الناس ، فكان لا يغضب . فجاءه الشيطان في صورة إنسان ليغضبه وهو صائم يريد أن يقيل ، ف ضرب الباب ضربا شديدا ، فقال : من هذا ؟ فقال : رجل له حاجة ، فأرسل معه رجلا ، فقال : لا أرضى بهذا الرجل ، فأرسل معه آخر ، فقال : لا أرضى بهذا ، فخرج إليه فأخذ بيده ، فانطلق معه ، حتى إذا كان في السوق خلاه وذهب ، فسُميَ ذا الكفل .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا عفان بن مسلم ، قال : ثنا وهيب ، قال : ثنا داود ، عن مجاهد ، قال : لما كبر اليسع قال : «لو أني استخلفت على الناس رجلا يعمل عليهم في حياتي ، حتى أنظر كيف يعمل ، قال : فجمع الناس ، فقال : من يتقبَّلُ لي بثلاث أستخلفه : يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ولا يغضب .» قال : فقام رجل تردديه العين ، فقال : أنا ، فقال : أنت تصوم النهار ، وتقوم الليل ، ولا تغضب ؟ قال : نعم ، قال : فردّهم ذلك اليوم ، وقال مثلها اليوم الآخر ، فسكت الناس وقام ذلك الرجل ، فقال : أنا ، فاستخلفه . قال : فجعل إبليس يقول للشياطين : عليكم بفلان ، فأعياهم ، فقال : دعوني وإياه ، فأتاه في صورة شيخ كبير فقير ، فأتاه حين أخذ مضجعه للقائلة ، وكان لا ينام الليل والنهار إلا تلك النوم ، فدق الباب ، فقال من هذا ؟ قال : شيخ كبير مظلوم ، قال : فقام ففتح الباب ، فجعل يقصّ عليه ، فقال : إن بيني وبين قومي خصومة ، وإنهم ظلموني ، وفعلوا بي وفعلوا ، فجعل يطول عليه ، حتى حضر الرّواح ، وذهبت القائلة ، وقال : إذا رحمت فأنتي آخذ لك بحقك ، فانطلق وراح ، فكان في مجلسه ، فجعل ينظر هل يرى الشيخ ، فلم يره ، فجعل يبتغيه : فلما كان الغد جعل يقضى بين الناس وينتظره فلا يراه ، فلما رجع إلى القائلة ، فأخذ مضجعه ، أتاه فدق الباب ، فقال : من هذا ؟ قال : الشيخ الكبير المظلوم ، ففتح له ، فقال : ألم أقل لك إذا قعدت فأنتي ، فقال : إنهم أخبث قوم إذا عرفوا أنك قاعد ، قالوا : نحن نعطيك حقا ، وإذا قمت جحدوني ، قال : فانطلق فإذا رحمت فأنتي ، قال : ففاتته القائلة ، فراح فجعل ينظر فلا يراه ، فشقّ عليه الناس ، فقال لبعض أهله : لا تدعُنْ أحدا يقرب هذا الباب حتى أنام ، فإني قد شقّ على النوم ؛ فلما كان تلك الساعة جاء ، فقال له الرجل وراءك ، فقال : إني قد أتيت أمس ، فذكرت له أمرى ، قال : والله لقد أمرنا أن لا ندع أحدا يقربه ؛ فلما أعياه نظر فرأى كوة في البيت ، فتسوّر منها ، فإذا هو في البيت ، وإذا هو يدق الباب ، قال : واستيقظ الرجل فقال : يا فلان ، ألم أمرك ؟ قال : أما من قبلي والله فلم تؤت ، فانظر من أين أتيت ، قال : فقام إلى الباب ، فإذا هو مغلق كما أغلقه ، وإذا هو معه في البيت ، فعرفه فقال : أعدو الله ؟ قال : نعم أعبيتي في كل شيء ، ففعلت ما ترى لأغضبك ، فسأه ذا الكفل ، لأنه تكفل بأمر فوّق به .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله : ( وذا الكفل ) قال رجل صالح غير نبيّ ، تكفل لنبيّ قومه أن يكفيه أمر قومه ، ويقبضه لهم ، ويقضى بينهم بالعدل ، ففعل ذلك ، فسُميَ ذا الكفل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،



قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد بنحوه ، إلا أنه قال : ويقضى بينهم بالحق .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن  
 قيس قال : كان في بني إسرائيل ملك صالح ، فكبر ، فجمع قومه فقال : أيكم يكفل لي بملكى هذا ،  
 على أن يصوم النهار ، ويقوم الليل ، ويحكم بين بني إسرائيل بما أنزل الله ولا يغضب ؟ قال : فلم يقم أحد  
 إلا في شاب ، فازدراه لحدائة سنه ، فقال : أيكم يكفل لي بملكى هذا ، على أن يصوم النهار ، ويقوم  
 الليل ، ولا يغضب ، ويحكم بين بني إسرائيل بما أنزل الله ، فلم يقم إلا ذلك الفتى ؛ قال : فازدراه ، فلما  
 كانت الثالثة قال مثل ذلك ، فلم يقم إلا ذلك الفتى ، فقال : تعال ، فخلي بينه وبين ملكه ، فقام الفتى  
 ليلة ؛ فلما أصبح جعل يحكم بين بني إسرائيل ؛ فلما انتصف النهار دخل ليقيل ، فأتاه الشيطان في صورة  
 رجل من بني آدم ، ف جذب ثوبه ، فقال : أتنام والحصوم ببابك ؟ قال : إذا كان العشية فأتني ، قال :  
 فانتظره بالعشى فلم يأت ، فلما انتصف النهار دخل ليقيل ، جذب ثوبه وقال : أتنام والحصوم على بابك ؟  
 قال : قلت لك : ائتني العشى فلم تأتني ، ائتني بالعشى ؛ فلما كان بالعشى انتظره فلم يأت ؛ فلما دخل  
 ليقيل جذب ثوبه ، فقال : أتنام والحصوم ببابك ؟ قال : أخبرني من أنت ، لو كنت من الإنس سمعت  
 ما قلت ، قال : هو الشيطان ، جئت لأفتنك ، فعصمك الله مني . فقضى بين بني إسرائيل بما أنزل الله زمانا  
 طويلا ، وهو ذو الكفل ، سمي ذا الكفل لأنه تكفل بالملك .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أبي موسى الأشعري ، قال وهو  
 يخطب الناس : إن ذا الكفل لم يكن نبيا ، ولكن كان عبدا صالحا ، تكفل بعمل رجل صالح عند موته ،  
 كان يصلي لله كل يوم مئة صلاة ، فأحسن الله عليه الثناء في كفالته إياه .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو ، قال : أمّا ذو الكفل فإنه كان على بني إسرائيل  
 مَلِكًا ؛ فلما حضره الموت ، قال : من يكفل لي أن يكفيني بني إسرائيل ، ولا يغضب ، ويصلي كل يوم  
 مئة صلاة ، فقال ذو الكفل : أنا ، فجعل ذو الكفل يقضى بين الناس ، فإذا فرغ صلى مئة صلاة ، فكاده  
 الشيطان ، فأمهله حتى إذا قضى بين الناس ، وفرغ من صلاته ، وأخذ مضجعه فنام ، أتى الشيطان بابه  
 فجعل يده ، فخرج إليه ، فقال : ظلّمت وصنّع بي ، فأعطاه خاتمه وقال : اذهب فأتني بصاحبك ،  
 وانتظره ، فأبطأ عليه الآخر ، حتى إذا عرف أنه قد نام وأخذ مضجعه ، أتى الباب أيضا كي يغضبه ، فجعل  
 يده ، وخذش وجه نفسه ، فسالت الدماء ، فخرج إليه فقال : مالك ؟ فقال : لم يتبعني ، وضربت وفعل ،  
 فأخذه ذو الكفل ، وأنكر أمره ، فقال : أخبرني من أنت ؟ وأخذه أخذًا شديدًا ، قال : فأخبره من هو .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَذَا الْكِفْلِ )  
 قال : قال أبو موسى الأشعري : لم يكن ذو الكفل نبيا ، ولكنه كفّل بصلاة رجل كان يصلي كل يوم مئة  
 صلاة ، فوفى ، فكفل بصلاته ، فلذلك سمي ذا الكفل ، ونُصِبَ إسماعيل وإدريس وذا الكفل ، عطفًا على

أيوب ، ثم استؤنف بقوله ( كَلِّ ) فقال ( كَلِّ مِنَ الصَّابِرِينَ ) ومعنى الكلام : كلهم من أهل الصبر فيما نابهم في الله .

وقوله ( وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا لَأَنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ) يقول تعالى ذكره : وأدخلنا إسماعيل وإدريس وذا الكفل ، والهاء والميم عائدتان عليهم ( فِي رَحْمَتِنَا لَأَنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ) يقول : لأنهم ممن صلح ، فأطاع الله ، وعمل بما أمره ..

القول في تاويل قوله تعالى :

وَذَا النُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَن لَّا إِلَهَ إِلَّا أَنتَ سُبْحٰنَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠١﴾

يقول تعالى ذكره : واذكر يا محمد ذا النون ، يعنى صاحب النون ، والنون : الحوت . وإنما عنى بذي النون : يونس بن متى ، وقد ذكرنا قصته في سورة يونس بما أغنى عن ذكره في هذا الموضع . وقوله ( إِذْ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا ) يقول : حين ذهب مغاضبا .

واختلف أهل التأويل في معنى ذهابه مغاضبا ، وعن كان ذهابه ، وعلى من كان غضبه ، فقال بعضهم : كان ذهابه عن قومه وإياهم غاضب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَذَا النُّونِ إِذْ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا ) يقول : غضب على قومه .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( إِذْ ذَّهَبَ مُغَاضِبًا ) أما غضبه ، فكان على قومه .

وقال آخرون : ذهب عن قومه مغاضبا لربه ، إذ كشف عنهم العذاب بعد ما وعدهموه .

ذكر من قال ذلك ، وذكر سبب مغاضبته ربه في قولهم

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : بعثه الله ، يعنى يونس إلى أهل قريته ، فردوا عليه ما جاءهم به وامتنعوا منه ، فلما فعلوا ذلك أوحى الله إليه : إني مرسل عليهم العذاب في يوم كذا وكذا ، فأخرج من بين أظهرهم ، فأعلم قومه الذى وعده الله من عذابه إياهم ، فقالوا : ارمقوه ، فإن خرج من بين أظهركم فهو والله كائن ما وعدكم ، فلما كانت الليلة التى وعدوا بالعذاب فى صباحها أدلج ورآه القوم ، فخرجوا من القرية إلى براز من أرضهم ، وفرقوا بين كل دابة وولدها ، ثم عرجوا إلى الله ، فاستقالوه ، فأقالهم ، ونظروا يونس الخبير عن القرية وأهلها ، حتى مر به مرة ، فقال : ما فعل أهل القرية ؟ فقال : فعلوا أن يخرج من بين أظهرهم ، عرفوا أنه صدقهم ما وعدهم من العذاب ، فخرجوا من قريتهم إلى براز من

الأرض، ثم فرقوا بين كل ذات ولد وولدها، وعجّوا إلى الله، وتابوا إليه، فقبل منهم، وأخّر عنهم العذاب؛ قال: فقال يونس عند ذلك وغضب: والله لأرجع إليهم كذّابا أبدا، وعدتهم العذاب في يوم ثم رُدّ عنهم، ومضى على وجهه مغاضبا.

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا محمد بن جعفر، قال: ثنا عوف، عن سعيد بن أبي الحسن، قال: بلغني أن يونس لما أصاب الذنب، انطلق مغاضبا لربه، واستزله الشيطان.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن مجالد بن سعيد، عن الشعبي، في قوله (إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا) قال: مغاضبا لربه.

حدثنا الحارث، قال: ثنا عبد العزيز، قال: ثنا سفيان، عن إسماعيل بن عبد الملك، عن سعيد بن جبير، فذكر نحو حديث ابن حميد، عن سلمة، وزاد فيه: قال: فخرج يونس ينظر العذاب، فلم ير شيئا، قال: جربوا على كذبا، فذهب مغاضبا لربه حتى أتى البحر.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، قال: ثنا محمد بن إسحاق، عن ربيعة بن أبي عبد الرحمن، عن وهب بن منبه اليماني، قال: سمعته يقول: إن يونس بن متى كان عبدا صالحا، وكان في خلقه ضيق؛ فلما حملت عليه أثقال النبوة، ولها أثقال لا يحملها إلا قليل، تفسخ تحتها تفسخ الربع تحت الحمل، فقدفها بين يديه، وخرج هاربا منها، يقول الله لنبيه صلى الله عليه وسلم (فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ - وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ - وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ) : أي لا تلق أمرى كما ألقاه، وهذا القول، أعنى قول من قال: ذهب عن قومه مغاضبا لربه، أشبه بتأويل الآية، وذلك لدلالة قوله (فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ) على ذلك، على أن الذين وجهوا تأويل ذلك إلى أنه ذهب مغاضبا لقومه، إنما زعموا أنهم فعلوا ذلك استنكارا منهم أن يغاضب نبي من الأنبياء ربه، واستعظاما له. وهم بقتيلهم أنه ذهب مغاضبا لقومه قد دخلوا في أمر أعظم مما أنكروا، وذلك أن الذين قالوا: ذهب مغاضبا لربه، اختلفوا في سبب ذهابه كذلك. فقال بعضهم: إنما فعل ما فعل من ذلك كراهة أن يكون بين قوم قد جربوا عليه الحلف فيما وعدهم، واستحيا منهم، ولم يعلم السبب الذي دفع به عنهم البلاء. وقال بعض من قال هذا القول: كان من أخلاق قومه الذين فارقهم قتل من جربوا عليه الكذب، عسى أن يقتلوه من أجل أنه وعدهم العذاب، فلم ينزل بهم ما وعدهم من ذلك. وقد ذكرنا الرواية بذلك في سورة يونس، فكرهنا إعادته في هذا الموضع.

وقال آخرون: بل إنما غاضب ربه من أجل أنه أمر بالمصير إلى قوم لينذرهم بأسه، ويدعوهم إليه، فسأل ربه أن ينظره، ليتأهب للشخص إلىهم، فقبل له: الأمر أسرع من ذلك، ولم ينظر حتى شاء أن ينظر إلى أن يأخذ نعلا ليلبسها، فقبل له نحو القول الأول، وكان رجلا في خلقه ضيق، فقال: أعجلني ربي أن آخذ نعلا، فذهب مغاضبا.

(١) الربع: ولد الناقة أول ما يحمل عليه.

ومن ذكر هذا القول عنه : الحسن البصرى ، حدثني بذلك الحارث ، قال : ثنا الحسن بن موسى ، عن أبي هلال ، عن شهر بن حوشب ، عنه .  
قال أبو جعفر : وليس في واحد من هذين القولين من وصف نبي الله يونس صلوات الله عليه شيء إلا وهو دون ما وصفه بما وصفه الذين قالوا : ذهب مغاضبا لقومه ، لأن ذهابه عن قومهم مغاضبا لهم ، وقد أمره الله تعالى بالمقام بين أظهرهم ، ليبلغهم رسالته ، ويحذّرهم بأسه وعقوبته ، على تركهم الإيمان به ، والعمل بطاعته لاشك أن فيه ما فيه ، ولولا أنه قد كان صلى الله عليه وسلم أتى ما قاله الذين وصفوه بإتيان الخطيئة ، لم يكن الله تعالى ذكره ليعاقبه العقوبة التي ذكرها في كتابه ، ويصفه بالصفة التي وصفه بها ، فيقول لنبىه صلى الله عليه وسلم ( وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ) ويقول : ( فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ، فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ، لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ) .

وقوله ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) اختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : فظن أن لن نعاقبه بالتضييق عليه ، من قولهم قدرت على فلان : إذا ضيقت عليه ، كما قال الله جل ثناؤه ( وَمَنْ قَدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) يقول : ظن أن لن يأخذه العذاب الذي أصابه .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) يقول : ظن أن لن نقضى عليه عقوبة ، ولا بلاء فيما صنع بقومه في غضبه إذ غضب عليهم وفراره ، وعقوبته أخذ النون إياه .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، أنه قال في هذه الآية ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قال : فظن أن لن نعاقبه بذنبه .

حدثني موسى بن عبد الرحمن المسروقي ، قال : ثنا زيد بن حباب ، قال : ثنى شعبة ، عن مجاهد ، ولم يذكر فيه الحكم .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قال : يقول : ظن أن لن نعاقبه .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة والكلبي ( فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قالوا : ظن أن لن نقضى عليه العقوبة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله

( فَظَنَّ أَنَّ لَنَّا نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) يقول : ظنَّ أن الله لن يقضى عليه عقوبة ، ولا بلاء في غضبه الذي غضب على قومه ، وفراقه إياهم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن ابن عباس ، في قوله ( فَظَنَّ أَنَّ لَنَّا نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قال : البلاء الذي أصابه .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : فظنَّ أنه يُعجز ربه ، فلا يقدر عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا عوف ، عن سعيد بن أبي الحسن ، قال : بلغني أن يونس لما أصاب الذنب ، انطلق مغاضبا لربه ، واستزله الشيطان ، حتى ظن أن لن نقدر عليه ، قال : وكان له سلف وعبادة وتسبيح ، فأبى الله أن يدعه للشيطان ، فأخذه فقذفه في بطن الحوت ، فمكث في بطن الحوت أربعين ، من بين ليلة ويوم ، فأمسك الله نفسه ، فلم يقتله هناك ، فتاب إلى ربه في بطن الحوت ، وراجع نفسه ؛ قال : فقال ( سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) قال : فاستخرجه الله من بطن الحوت برحمته ، بما كان سلف من العبادة والتسبيح ، فجعله من الصالحين . قال عوف : وبلغني أنه قال في دعائه : وبنيت لك مسجدا في مكان لم يبنيه أحد قبلي .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ( فَظَنَّ أَنَّ لَنَّا نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) وكان له سلف من عبادة وتسبيح ، فتداركه الله بها ، فلم يدعه للشيطان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن عبد الرحمن بن الحارث ، عن إياس بن معاوية المدني ، أنه كان إذا ذكر عنده يونس ، وقوله ( فَظَنَّ أَنَّ لَنَّا نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) يقول إياس : فلم فرّ؟ وقال آخرون : بل ذلك بمعنى الاستفهام ، وإنما تأويله : أظنَّ أن لن نقدر عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَظَنَّ أَنَّ لَنَّا نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قال : هذا استفهام ، وفي قوله ( فَظَنَّ أَنَّ لَنَّا نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) قال : استفهام أيضا .

قال أبو جعفر : وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصواب ، قول من قال : عني به : فظنَّ يونس أن لن نجبسه ونضيق عليه ، عقوبة له على مغاضبته ربه .

وإنما قلنا ذلك أولى بتأويل الكلمة ، لأنه لا يجوز أن يُنسب إلى الكفر ، وقد اختاره لنبوته ، ووصفه بأن ظنَّ أن ربه يعجز عما أراد به ، ولا يقدر عليه ، وصف له بأنه جهل قدرة الله ، وذلك وصف له بالكفر ، وغير جائز لأحد وصفه بذلك . وأما ما قاله ابن زيد ، فإنه قول لو كان في الكلام دليل على أنه استفهام حسن ، ولكنه لا دلالة فيه على أن ذلك كذلك ، والعرب لا تحذف من الكلام شيئا لهم إليه حاجة ، إلا وقد أبت دليلا على أنه مراد في الكلام ، فإذا لم يكن في قوله ( فَظَنَّ أَنَّ لَنَّا نَقْدِرَ عَلَيْهِ ) دلالة على

أن المراد به الاستفهام ، كما قال ابن زيد : كان معلوما أنه ليس به ؛ وإذ فسد هذان الوجهان ، صحَّ الثالث وهو ما قلنا .

وقوله ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) اختلف أهل التأويل في المعنى بهذه الظلمات ، فقال بعضهم : عنى بها ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : ظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل ، وكذلك قال أيضا ابن جرير .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جبيرة ، عن ابن عباس ، قال : نادى في الظلمات : ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت ( لَإِلَهِ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) .

حدثني محمد بن إبراهيم السلمى ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : أخبرنا محمد بن رفاعه ، قال : سمعت محمد ابن كعب يقول في هذه الآية ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت . حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قوله ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : ظلمة الليل ، وظلمة البحر ، وظلمة بطن الحوت .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : ظلمة بطن الحوت ، وظلمة البحر ، وظلمة الليل .

وقال آخرون : إنما عنى بذلك أنه نادى في ظلمة جوف حوت في جوف حوت آخر في البحر ، قالوا : فذلك هو الظلمات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن سالم بن أبي الجعد . ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : أوحى الله إلى الحوت أن لا تضر له لحما ولا عظما ، ثم ابتلع الحوت حوت آخر ، قال ( فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ ) قال : ظلمة الحوت ، ثم حوت ، ثم ظلمة البحر .

قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أخبر عن يونس أنه ناداه في الظلمات ( أَنْ لَإِلَهِ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) ولا شك أنه قد عنى بإحدى الظلمات : بطن الحوت ، وبالأخرى : ظلمة البحر ، وفي الثالثة اختلاف ، وجائز أن تكون تلك الثالثة : ظلمة الليل ، وجائز أن تكون كون الحوت في جوف حوت آخر ، ولا دليل يدل على أي ذلك من أي ، فلا قول في ذلك أولى بالحق من التسليم لظاهر التنزيل .

وقوله ( لا إلهَ إلاَّ أنتَ سُبْحانَكَ ) يقول : نادى يونس بهذا القول معترفا بذنبه ، تائباً من خطيئته ( إني كنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) في معصيتي إياك .

كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد ، عن عبد الله بن أبي سلمة ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال ( نادى في الظُّلُماتِ أنْ لا إلهَ إلاَّ أنتَ سُبْحانَكَ إني كنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) معترفاً بذنبه ، تائباً من خطيئته .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال أبو معشر : قال محمد بن قيس : قوله ( لا إلهَ إلاَّ أنتَ سُبْحانَكَ ) ما صنعتُ من شيءٍ فلم أعبد غيرك ( إني كنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ) حين عصيتك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن عوف الأعرابي . قال : لما صار يونس في بطن الحوت ، ظن أنه قد مات ، ثم حرك رجله ، فلما تحركت سجد مكانه ، ثم نادى : يا رب اتخذتُ لك مسجداً في موضع ما اتخذهُ أحد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنى ابن إسحاق عن حدثه ، عن عبد الله بن رافع ، مولى أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : سمعت أبا هريرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لَمَّا أَرَادَ اللهُ حَبْسَ يُونُسَ فِي بَطْنِ الحُوتِ ، أَوْحَى اللهُ إِلَى الحُوتِ : أَنْ خُذْهُ ، وَلَا تَخْذِشْ لَهُ لَحْماً ، وَلَا تَكْسِرْ عَظْماً ، فَأَخَذَهُ ثُمَّ هَوَى بِهِ إِلَى مَسْكِنِهِ مِنَ البَحْرِ فَلَمَّا انْتَهَى بِهِ إِلَى أَسْفَلِ البَحْرِ ، سَمِعَ يُونُسَ حَسِياً ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ : مَا هَذَا ؟ قَالَ : فَأَوْحَى اللهُ إِلَيْهِ وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ : إِنَّ هَذَا تَسْبِيحُ دَوَابِّ البَحْرِ ، قَالَ : فَسَبَّحَ وَهُوَ فِي بَطْنِ الحُوتِ ، فَسَمِعَتِ الملائكةُ تَسْبِيحَهُ ، فَقَالُوا : يَا رَبَّنَا إِنَّا نَسْمَعُ صَوْتاً ضَعِيفاً بِأَرْضِ غَرِيبَةٍ ، قَالَ : ذَلِكَ عَبْدِي يُونُسُ ، عَصَانِي فَحَبَسْتَهُ فِي بَطْنِ الحُوتِ فِي البَحْرِ ، قَالُوا : العَبْدُ الصَّالِحُ الَّذِي كَانَ يَتَّعَدُّ إِلَيْكَ مِنْهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ عَمَلٌ صَالِحٌ ؟ قَالَ : بَعَمْ ، قَالَ : فَشَفَعُوا لَهُ عِنْدَ ذَلِكَ ، فَأَمَرَ الحُوتَ فَمَقَدَفَهُ فِي السَّاحِلِ ، كَمَا قَالَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : وَهُوَ سَقِيمٌ » .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ وَكَذَلِكَ نُجِّي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ( فاستجبنا له ) ليونس دعاءه إيانا ، إذ دعانا في بطن الحوت ، ونجيناه من الغم الذي كان فيه بحبسناه في بطن الحوت ، ونعمه بخطيئته وذنبه ( وكذلك ننجي المؤمنين ) يقول جل ثناؤه : وكما أنجينا يونس من كرب الحبس في بطن الحوت في البحر إذ دعانا ، كذلك ننجي المؤمنين من كربهم إذا استغاثوا بنا ودعونا .

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاء الأثر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عمران بن بكار الكُلاعيّ ، قال : ثنا يحيى بن صالح ، قال : ثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو يحيى بن عبد الرحمن ، قال : ثنا بشر بن منصور ، عن عليّ بن زيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : سمعت سعد بن مالك يقول : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « اسمُ الله الذي إذا دُعِيَ بِهِ أجابَ ، وإذا سُئِلَ بِهِ أعطَى ، دَعْوَةُ يُونُسَ بْنِ مَتَّى . قال : فقلت : يا رسول الله ، هي ليونس بن متى خاصة ، أم لجماعة المسلمين ؟ قال : هي ليونس بن متى خاصة ، وللمؤمنين عامة إذا دعوا بها ، ألم تسمع قولَ الله تبارك وتعالى ( فنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَإِلهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ، فَاسْتَجَبْنَا لَهُ ، وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الغَمِّ ، وَكَذَلِكَ نُنَجِّي الْمُؤْمِنِينَ ) ، فهو شرط الله لمن دعاه بها .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( نُنجي المؤمنين ) فقرأت ذلك قراء الأمصار ، سوى عاصم ، بنونين الثانية منهما ساكنة ، من أنجينا ، فنحن ننجيه . وإنما قرءوا ذلك كذلك ، وكتابته في المصاحف بنون واحدة ، لأنه لو قرئ بنون واحدة وتشديد الجيم ، بمعنى ما لم يسم فاعله ، كان « المؤمنون » رفعا ، وهم في المصاحف منصوبون ، ولو قرئ بنون واحدة ، وتخفيف الجيم ، كان الفعل للمؤمنين ، وكانوا رفعا ، ووجب مع ذلك أن يكون قوله « نجى » مكتوبا بالألف ، لأنه من ذوات الواو ، وهو في المصاحف بالياء .

فإن قال قائل : فكيف كتب ذلك بنون واحدة ، وقد علمت أن حكم ذلك إذا قرئ ( نُنجي ) أن يكتب بنونين ؟ قيل : لأن النون الثانية لما سكنت ، وكان الساكن غير ظاهر على اللسان ، حذفت كما فعلوا ذلك بإلا ، فحذفوا النون من « إن » لحنائها ، إذ كانت مندغمة في اللام من « لا » ، وقرأ ذلك عاصم ( نُنجي المؤمنين ) بنون واحدة ، وتخفيف الجيم ، وتسكين الياء ، فإن يكن عاصم وجه قراءته ذلك إلى قول العرب ، ضرب الضرب زيدا ، فكفى عن المصدر الذي هو النجاء ، وجعل الخبر ، أعنى خبر ما لم يسم فاعله المؤمنين ، كأنه أراد : وكذلك نجى النجاء المؤمنين ، فكفى عن النجاء ، فهو وجه ، وإن كان غيره أصوب ، وإلا فإن الذي قرأ من ذلك على ما قرأه لحن ، لأن المؤمنين اسم على القراءة التي قرأها ما لم يسم فاعله ، والعرب ترفع ما كان من الأسماء كذلك ، وإنما حمل عاصم على هذه القراءة أنه وجد المصاحف بنون واحدة وكان في قراءته إياه على ما عليه قراءة القراء ، إلحاق نون أخرى ليست في المصحف ، فظن أن ذلك زيادة ما ليس في المصحف ، ولم يعرف لحذفها وجهها بصرفه إليه .

قال أبو جعفر : والصواب من القراءة التي لأستجيز غيرها في ذلك عندنا ما عليه قراء الأمصار ، من قراءته بنونين ، وتخفيف الجيم ، لإجماع الحجة من القراء عليها ، ونخطبها بخلافه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَزَكَرِيَّا إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿ ٨٢ 〉 فَاسْتَجَبْنَا



لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ يُحْيِي وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ وَإِنَّهُمْ كَانَُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ  
وَيَدْعُونََنَا رَغْبًا وَرَهْبًا وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ ﴿٤﴾

❖ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر يا محمد زكريا حين نادى ربه ( رَبِّ لَا تَذَرْنِي ) وحيدا ( فَرْدًا ) لا ولد لي ولا عقب ( وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ) يقول : فارزقني وارثا من آل يعقوب يرثني ، ثم رد الأمر إلى الله فقال : وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ، يقول الله جل ثناؤه : فاستجبنا لزكريا دعاءه ، ووهبنا له يحيى ولدا ووارثا يرثه ، وأصلحنا له زوجه .

واختلف أهل التأويل في معنى الصلاح الذي عناه الله جل ثناؤه بقوله ( وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ) فقال بعضهم : كانت عقيما فأصلحها ، بأن جعلها وكدودا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبيد المحاربي ، قال : ثنا حاتم بن إسماعيل ، عن حميد بن صخر ، عن عمار ، عن سعيد ، في قوله ( وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ) قال : كانت لا تلد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، في قوله ( وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ) قال : وهبنا له ولدها .

حدثنا بشر ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة قوله : ( وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ) : كانت عاقرا ، فجعلها الله وكدودا ، ووهب له منها يحيى .

وقال آخرون : كانت سيئة الخلق ، فأصلحها الله له بأن رزقها حسن الخلق .

❖ قال أبو جعفر : والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله أصلح لزكريا زوجه ، كما أخبر تعالى ذكره بأن جعلها ولودا حسنة الخلق ، لأن كل ذلك من معاني إصلاحه إياها ، ولم يخص الله جل ثناؤه بذلك بعضا دون بعض في كتابه ، ولا على لسان رسوله ، ولا وضع على خصوص ذلك دلالة ، فهو على العموم ما لم يأت ما يجب التسليم له بأن ذلك مراد به بعض دون بعض .

وقوله ( إِنَّهُمْ كَانَُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ) يقول الله : إن الذين سميناهم ، يعني زكريا وزوجه ويحيى ، كانوا يسارعون في الخيرات في طاعتنا ، والعمل بما يقرّبهم إلينا . وقوله ( وَيَدْعُونََنَا رَغْبًا وَرَهْبًا ) يقول تعالى ذكره : وكانوا يعبدوننا رغبًا ورهبًا ، وعسى بالدعاء في هذا الموضع : العبادة ، كما قال : ( وَأَعْتَزِلُّكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ، وَأَدْعُوا رَبِّي عسى أن لا أكون بدعاء ربّي شقيًّا ) ويعنى بقوله ( رَغْبًا ) أنهم كانوا يعبدونه رغبة منهم فيما يرجون منه من رحمته وفضله ( وَرَهْبًا ) يعنى رهبة منهم من عذابه وعقابه ، بتركهم عبادته ، وركوبهم معصيته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْحَيْرَاتِ ، وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ) قال : رغبا في رحمة الله ، ورهبا من عذاب الله .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ) قال : خوفا وطمعا ، قال : وليس ينبغي لأحدهما أن يفارق الآخر .  
واختلفت القراء في قراءة ذلك . فقرأته عامة قراء الأمصار ( رَغَبًا وَرَهَبًا ) بفتح الغين والهاء من الرغَب والرهب . واختلف عن الأعمش في ذلك ، فرُويت عنه الموافقة في ذلك للقراء ، ورُوى عنه أنه قرأها رُغْبًا ورُهْبًا بضم الراء في الحرفين وتسكين الغين والهاء .  
والصواب من القراءة في ذلك ما عليه قراء الأمصار ، وذلك الفتح في الحرفين كليهما .  
وقوله ( وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ) يقول : وكانوا لنا متواضعين متذللين ، ولا يستكبرون عن عبادتنا .  
ودعائنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : واذكر التي أحصنت فرجها ، يعني مريم بنت عمران . ويعني بقوله ( أَحْصَنَتْ ) : حفظت ، ومنعت فرجها مما حرم الله عليها إباحته فيه .  
واختلاف في الفرج الذي عنى الله جل ثناؤه أنها أحصنته ، فقال بعضهم : عنى بذلك فرج نفسها أنها حفظته من الفاحشة .

وقال آخرون : عنى بذلك جيب درعها أنها منعت جبرئيل منه قبل أن تعلم أنه رسول ربها ، وقبل أن تثبت معرفته . قالوا : والذي يدل على ذلك قوله ( فَنفَخْنَا فِيهَا ) ويعقب ذلك قوله ( وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا ) قالوا : وكان معلوما بذلك أن معنى الكلام : والتي أحصنت جيبها ( فَنفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ) .  
قال أبو جعفر : والذي هو أولى القولين عندنا بتأويل ذلك ، قول من قال : أحصنت فرجها من الفاحشة ، لأن ذلك هو الأغلب من معنيه عليه ، والأظهر في ظاهر الكلام ( فَنفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا ) يقول : فنفخنا في جيب درعها من روحنا . وقد ذكرنا اختلاف المتأولين في معنى قوله ( فَنفَخْنَا فِيهَا ) في غير هذا الموضع . والأولى بالصواب من القول في ذلك فيما مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وقوله ( وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ) يقول : وجعلنا مريم وابنها عبرة لعالمى زمانهما يعتبرون بهما ، ويتفكرون في أمرهما ، فيعلمون عظيم سلطانتنا وقدرتنا على ما نشاء : وقيل آية ولم يقل آيتين وقد ذكر آيتين : لأن معنى الكلام : جعلناهما علما لنا وحجة ، فكل واحدة منهما في معنى الدلالة على الله ، وعلى عظيم قدرته ، يقوم مقام الآخر إذا كان أمرهما في الدلالة على الله واحدا .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴾

❦ يقول تعالى ذكره : إن هذه مِلَّتِكُمْ ملة واحدة ، وأنا ربكم أيها الناس فاعبدون دون الآلهة والأوثان ، وسائر ما تعبدون من دوني .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله . قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ) يقول : دينكم دين واحد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين . قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، في قوله ( إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ) قال : دينكم دين واحد ، ونصبت الأمة الثانية على القطع ، وبالنصب قرأه جماعة قرآء الأمصار ، وهو الصواب عندنا ، لأن الأمة الثانية نكرة ، والأولى معرفة . وإذ كان ذلك كذلك ، وكان الخبر قبل مجيء النكرة مستغنيا عنها كان وجه الكلام النصب هدامع إجماع الحجة من القرآء عليه . وقد ذكر عن عبد الله بن أبي إسحاق رفع ذلك أنه قرأه ( أُمَّةً وَاحِدَةً ) بنية تكرير الكلام ، كأنه أراد : إن هذه أمتكم هذه أمة واحدة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كُلُّ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ﴾

❦ يقول تعالى ذكره : وتفرّق الناس في دينهم الذي أمرهم الله به ، ودعاهم إليه ، فصاروا فيه أحزابا ، فهدّدت اليهود ، وتنصّرت النصارى ، وعبدت الأوثان ، ثم أخبر جلّ ثناؤه عما هم إليه صائرون ، وأن مرجع جميع أهل الأديان إليه متوعدا بذلك أهل الزيغ منهم والضلال ، ومعلمهم أنه لهم بالمرصاد ، وأنه مجاز جميعهم جزاء المحسن بإحسانه ، والمسيء بإساءته .

وبنحو الذي قلنا في تأويل قوله ( وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ ) قال : تقطّعوا : اختلفوا . في الدين .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَكْفُرْ بِإِسْمِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ ﴾

❦ يقول تعالى ذكره : فمن عمل من هؤلاء الذين تفرّقوا في دينهم بما أمره الله به من العمل الصالح ، وأطاعه

في أمره ونهيه ، وهو مقرّ بوحداية الله ، مصدق بوعدده ووعيدته ، متبرئ من الأنداد والآلهة ( فلا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ ) يقول : فإن الله يشكر عمله الذي عمل له مطيعا له ، وهو به مؤمن ، فيثيبه في الآخرة ثوابه الذي وعد أهل طاعته أن يثيبهموه ، ولا يكفر ذلك له فيجحدته ، ويحرمه ثوابه على عمله الصالح (وإنّا له كَاتِبُونَ ) يقول : ونحن نكتب أعماله الصالحة كلها ، فلا نترك منها شيئا لنجزيه على صغير ذلك وكبيره وقليله وكثيره .

قال أبو جعفر : والكفران مصدر من قول القائل : كفرت فلانا نعمته فأنا أكفّره كُفْرًا وكُفْرَانًا ، ومنه قول الشاعر :

مِنَ النَّاسِ نَاسٌ مَا تَنَامُ خُدُودُهُمْ وَخَدَى وَلَا كُفْرَانَ لِلَّهِ نَائِمٌ<sup>١</sup>

القول في تأويل قوله تعالى :

وَحَرَامٌ عَلَىٰ قَرْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٠﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله ( وَحَرَامٌ ) فقراءته عامة قراء أهل الكوفة ( وَحَرِيمٌ ) بكسر الحاء . وقراء ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة ( وَحَرَامٌ ) بفتح الحاء والألف .

والصواب من القول في ذلك أنهما قراءتان مشهورتان متفقتا المعنى ، غير مختلفتيه ، وذلك أن الحريم هو الحرام ، والحرام هو الحريم ، كما الحل هو الحلال ، والحلال هو الحل ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب . وكان ابن عباس يقرؤه ( وَحَرِيمٌ ) بتأويل : وعزم .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا بن علي ، عن أبي المعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، كان يقرؤها ( وَحَرِيمٌ عَلَى قَرْبَةٍ ) قال : فقلت لسعيد : أي شيء حريم ؟ قال : عزم .

حدثنا محمد بن المني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي المعلى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، كان يقرؤها ( وَحَرِيمٌ عَلَى قَرْبَةٍ ) قلت لأبي المعلى : ما الحريم ؟ قال : عزم عليها .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عكرمة ، عن ابن عباس أنه كان يقرأ هذه الآية ( وَحَرِيمٌ عَلَى قَرْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) فلا يرجع منهم راجع ، ولا يتوب منهم تائب .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود عن عكرمة ، قال ( وَحَرَامٌ عَلَى قَرْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) قال : لم يكن ليرجع منهم راجع حرام عليهم ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا عيسى بن فرقد ، قال : ثنا جابر الجعفي ، قال : سألت أبا جعفر عن الرجعة ، فقرأ هذه الآية ( وَحَرَامٌ عَلَى قَرْبَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) فكان أبا جعفر وجه تأويل ذلك إلى أنه : وحرام على أهل قربة أمناهم أن يرجعوا إلى الدنيا ، والقول الذي قاله عكرمة في ذلك أولى عندي بالصواب ، وذلك أن الله تعالى ذكره ، أخبر عن تفريق الناس دينهم الذي بعث به إليهم الرسل ،

(١) البيت شاهد على أن الكفران في قوله تعالى « فلا كفران لسعيه » مصدر من قول القائل : كفرت فلانا نعمته ، فأنا أكفّره كُفْرًا وكُفْرَانًا ، قال في (اللسان : كُفْرٌ) : ووقول : كُفْرًا نعمته الله ، وبنعمة الله ، كُفْرًا وكُفْرَانًا وكُفْرًا .

ثم أخبر عن صنيعه بمن عمل بما دعت إليه رسله من الإيمان به ، والعمل بطاعته ، ثم أتبع ذلك قوله ( وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) فلأن يكون ذلك خبراً عن صنيعه بمن أبقى إجابة رسله ، وعمل بمعصيته ، وكفر به ، أخرى ، ليكون بيانا عن حال القرية الأخرى التي لم تعمل الصالحات ، وكفرت به . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : حرام على أهل قرية أهلكتناهم بطبعنا على قلوبهم ، وختمنا على أسماعهم وأبصارهم ، إذ صدوا عن سبيلنا ، وكفروا بآياتنا ، أن يتوبوا ، ويراجعوا الإيمان بنا ، واتباع أمرنا ، والعمل بطاعتنا . وإذا كان ذلك تأويل قول الله ( وَحَرَامٌ ) وعزم ، على ما قال سعيد ، لم تكن « لا » في قوله ( أَنَّهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ) صلة ، بل تكون بمعنى النفي ، ويكون معنى الكلام : وعزم منا على قرية أهلكتناها أن لا يرجعوا عن كفرهم . وكذلك إذا كان معنى قوله ( وَحَرَامٌ ) نوجبه . وقد زعم بعضهم أنها في هذا الموضع صلة ، فإن معنى الكلام : وحرام على قرية أهلكتناها أن يرجعوا ، وأهل التأويل الذين ذكرناهم كانوا أعلم بمعنى ذلك منه .

القول في تأويل قوله تعالى :

حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِّن كُلِّ حَدِيثٍ يَنْسِلُونَ ﴿١١﴾

❦ يقول تعالى ذكره : حتى إذا فُتِحَ عن يأجوج ومأجوج ، وهما أمتان من الأمم ردمهما . كما حدثني عصام بن داود بن الجراح ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنا سفيان بن سعيد الثوري ، قال : ثنا منصور بن المعتمر ، عن ربيعي بن حيراش ، قال : سمعت حذيفة بن اليمان يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « أَوَّلُ الْآيَاتِ : الدَّجَالُ ، وَنَزُولُ عِيسَى ، وَنَارُ تَخْرُجُ مِنْ قَعْرِ عَدَنِ أَبْسِينَ ، تَسُوقُ النَّاسَ إِلَى الْمَحْشَرِ ، تَقِيلُ مَعَهُمْ إِذَا قَالُوا ، وَالدُّخَانُ ، وَالدَّابَّةُ ، ثُمَّ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ » قال حذيفة : قلت : يا رسول الله ، وما يأجوج ومأجوج ؟ قال : يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ : أُمَّمٌ ، كُلُّ أُمَّةٍ أَرْبَعُ مِئَةِ أَلْفٍ ، لَا يَمُوتُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ حَتَّى يَرَى أَلْفَ عَيْنٍ تَطْرَفُ بَيْنَ يَدَيْهِ مِنْ صُلْبِهِ ، وَهُمْ وَلَدُ آدَمَ ، فَيَسِيرُونَ إِلَى خَرَابِ الدُّنْيَا ، يَكُونُ مُقَدِّمَتُهُمْ بِالشَّامِ وَسَاقَتُهُمْ بِالْعِرَاقِ ، فَيَمْرُونَ بِأَنْهَارِ الدُّنْيَا ، فَيَشْرَبُونَ الْفُرَاتَ وَالدَّجْلَةَ وَبَحِيرَةَ الطَّبْرِيَّةِ حَتَّى يَأْتُوا بَيْتَ الْمُقَدَّسِ ، فَيَقُولُونَ قَدْ قَتَلْنَا أَهْلَ الدُّنْيَا ، فَقاتِلُوا مَنْ فِي السَّمَاءِ ، فَيَرْمُونَ بِالنُّشَابِ إِلَى السَّمَاءِ ، فَتَرْجِعُ نَشَابُهُمْ مُخَضَّبَةً بِالدَّمِ ، فَيَقُولُونَ قَدْ قَتَلْنَا مَنْ فِي السَّمَاءِ ، وَعِيسَى وَالْمُسْلِمُونَ بِجَبَلِ طُورِ سَيْنِينَ ، فَيُوحَى لِلَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ إِلَى عِيسَى : أَنْ أَحْرِزْ عِبَادِي بِالطُّورِ ، وَمَا يَلِي أَيْلَةَ ، ثُمَّ إِنَّ عِيسَى يَرْفَعُ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ ، وَيُؤَمِّنُ الْمُسْلِمُونَ فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ دَابَّةً يُقَالُ لَهَا النَّعْفُ ، تَدْخُلُ مِنْ مَنَاخِرِهِمْ ، فَيُصْبِحُونَ مَوْتَى ، مِنْ حَاقِ الشَّامِ إِلَى حَاقِ الْعِرَاقِ ، حَتَّى تَنْتَنَ الْأَرْضُ مِنْ جِيْفِهِمْ ، وَيَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فَتُمْطِرُ

كَأَفْوَاهِ الْقِرْبِ ، فَتَغْسِلُ الْأَرْضَ مِنْ جَيْفِهِمْ وَتَنْتَنِيهِمْ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، قال : إن يأجوج ومأجوج يزيدون على سائر الإنس الضعف ، وإن الجنّ يزيدون على الإنس الضعف ، وإن يأجوج ومأجوج رجلان اسمهما يأجوج ومأجوج .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت وهب ابن جابر يحدث ، عن عبد الله بن عمرو أنه قال : إن يأجوج ومأجوج يمرّ أولهم بنهر مثل دجلة ، ويمرّ آخرهم فيقول : قد كان في هذا مرة ماء ، لا يموت رجل منهم إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا ، وقال : من بعدهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم إلا الله : تاويل ، وتاريس ، وناسك أو منسك ، شك شعبة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن وهب بن جابر الحيواني ، قال : سألت عبد الله بن عمرو . عن يأجوج ومأجوج ، أمن بنى آدم هم ؟ قال : نعم ، ومن بعدهم ثلاث أمم لا يعلم عددهم إلا الله : تاريس . وتاويل ، ومنسك .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا سهل بن حماد أبو عتاب . قال : ثنا شعبة ، عن النعمان بن سالم ، قال : سمعت نافع بن جبيرة بن مطعم يقول : قال عبد الله بن عمرو : يأجوج ومأجوج لهم أنهار يلقمونها ماشاءوا ، ونساء يجامعون ماشاءوا ، وشجر يلقمون ماشاءوا ، ولا يموت رجل إلا ترك من ذريته ألفا فصاعدا .

حدثنا محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا زكريا ، عن عامر ، عن عمرو بن ميمون ، عن عبد الله بن سلام ، قال : ما مات أحد من يأجوج ومأجوج إلا ترك ألف ذرة فصاعدا . حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن عطية . قال : قال أبو سعيد : يخرج يأجوج ومأجوج فلا يتركون أحدا إلا قتلوه ، إلا أهل الحصون ، فيمرون على البحيرة فيشربونها ، فيمرّ الماء فيقول : كأنه كان ههنا ماء ، قال : فيبعث الله عليهم النغف حتى يكسر أعناقهم فيصبروا خبالا ، فتقول أهل الحصون : لقد هلك أعداء الله ، فيدلون رجلا لينظر ، ويشترط عليهم إن وجدهم أحياء أن يرفعوه ، فيجدهم قد هلكوا ، قال : فينزل الله ماء من السماء فيقذفهم في البحر ، فتظهر الأرض منهم ، ويغرس الناس بعدهم الشجر والنخل ، وتخرج الأرض ثمرتها ، كما كانت تخرج في زمن يأجوج ومأجوج .

حدثنا محمد بن المني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبيد الله بن أبي يزيد ، قال : رأى ابن عباس صبيانا ينزوا بعضهم على بعض يلعبون ، فقال ابن عباس : هكذا يخرج يأجوج ومأجوج . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، قال : بلغنا أن ملكا دون الردم يبعث خبالا كل يوم يخرسون الردم لا يأمن يأجوج ومأجوج أن يخرج عليهم ، قال : فيسمعون جلبة وأمرأ شديدًا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن أنى إسحاق أن عبد الله بن عمرو ، قال : ما يموت الرجل من يأجوج ومأجوج حتى يولد له من صلبه ألف ، وإن من ورأهم لثلاث أمم ما يعلم عددهم إلا الله : منسك ، وتاويل ، وتاريس .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن عمرو البىكالى ، قال : إن الله جزأ الملائكة والإنس والجن عشرة أجزاء ، فتسعة منهم الكروبيون ، وهم الملائكة الذين يحملون العرش ، ثم هم أيضا الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون . قال : ومن بقى من الملائكة لأمر الله ووحى رسالته . ثم جزأ الإنس والجن عشرة أجزاء ، فتسعة منهم الجن ، لا يولد من الإنس ولد إلا ولد من الجن تسعة . ثم جزأ الإنس على عشرة أجزاء ، فتسعة منهم يأجوج ومأجوج ، وسائر الإنس جزء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، قوله ( حتى إذا فتحت يا أجوج وما أجوج ) قال : أممتان من وراء ردم ذى القرنين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن غير واحد ، عن حميد بن هلال ، عن أبى الصيف ، قال : قال كعب : إذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج حفروا حتى يسمع الذين يلونهم قرع فتوسهم ، فإذا كان الليل قالوا : نجىء غدا فنخرج ، فيعيدها الله كما كانت ، فيجيئون من الغد ، فيجدونه قد أعاده الله كما كان ، فيحفرونه حتى يسمع الذين يلونهم قرع فتوسهم ، فإذا كان الليل ألقى الله على لسان رجل منهم يقول : نجىء غدا فنخرج إن شاء الله ، فيجيئون من الغد فيجدونه كما تركوه . فيحفرون ثم يخرجون ، فتمر الزمرة الأولى بالبحيرة فيشربون ماءها ، ثم تمر الزمرة الثانية فيلحسون طينها ، ثم تمر الزمرة الثالثة فيقولون : قد كان ههنا مرة ماء - وتفر الناس منهم ، فلا يقوم لهم شىء ، يرمون بسهامهم إلى السماء ، فترجع مخضبة بالدماء ، فيقولون : غلبنا أهل الأرض وأهل السماء ، فيدعو عليهم عيسى بن مريم ، فيقول : اللهم لا طاقة ولا يدين لنا بهم ، فاكفناهم بما شئت ، فيسلط الله عليهم دودا يقال له النغف ، فتفرس رقابهم ، ويبعث الله عليهم طيرا ، فتأخذهم بمناقرها ، فتلقيهم فى البحر ، ويبعث الله عينا يقال لها الحياة ، تطهر الأرض منهم ، وتنبتها ، حتى إن الرمانة ليشبع منها السكن ؛ قيل : وما السكن يا كعب ؟ قال : أهل البيت ؛ قال : فبيننا الناس كذلك ، إذ أتاهم الصريخ أن ذا السويقتين يريد ، فيبعث عيسى طليعة سبع مئة ، أو بين السبع مئة والثمان مئة ، حتى إذا كانوا ببعض الطريق بعث الله ريحا يمانية طيبة ، فيقبض الله فيها روح كل مؤمن ، ثم يبقى عجاج من الناس يتسافدون كما تتسافد البهائم ؛ فشئل الساعة كمثل رجل يطيف حول فرسه ينتظرها متى تضع ، فمن تكلف بعد قولى هذا شيئا ، أو على هذا شيئا فهو المتكلف .

حدثنا العباس بن الوليد البيروتي ، قال : أخبرنى أبى ، قال : سمعت ابن جابر ، قال : ثنى محمد بن جابر الطائى ، ثم الحمصى ، ثنى عبد الرحمن بن جبير بن نفيير الحضرمى ، قال : ثنى أبى أنه سمع النواس بن سميان الكلابى يقول : « ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم الدجال ، وذكر أمره ، وأن عيسى بن مريم

يقتله ، ثم قال : فينا هو كذلك ، أوحى الله إليه : يا عيسى ، إني قد أخرجت عبادا لي لا يد لأحد بقتالهم ، فحرز عبادي إلى الطور ، فبيعت الله بأجوج ومأجوج ، وهم من كل حدب ينسلون ، فيمر أحدهم على بحيرة طبرية ، فيشربون مافيها ، ثم ينزل آخرهم ، ثم يقول : لقد كان بهذه ماء مرة ، فيحاصر نبي الله عيسى وأصحابه ، حتى يكون رأس الثور يومئذ خيرا لأحدكم من مئة دينار لأحدكم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم ، فيصبحون فرسي موت نفس واحدة ، فيهبط نبي الله عيسى وأصحابه ، فلا يجدون موضعا إلا قد ملأه زهمهم وندتهم ودمائهم ، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله ، فيرسل عليهم طيرا كأعناق البخت . فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله ، ثم يرسل الله مطرا لا يكن منه بيت مدر ولا وبر ، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة .

وأما قوله ( وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى به . فقال بعضهم : عني بذلك بنو آدم أنهم يخرجون من كل موضع كانوا دفنوا فيه من الأرض ، وإنما عني بذلك الحشر إلى موقف الناس يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قوله ( مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) قال : جمع الناس من كل مكان جاءوا منه يوم القيامة ، فهو حدب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) ، قال ابن جريج : قال مجاهد : جمع الناس من كل حدب من مكان جاءوا منه يوم القيامة فهو حدب .

وقال آخرون : بل عني بذلك بأجوج ومأجوج ، وقوله : وهم كناية أسماهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله أنه قال : يخرج بأجوج ومأجوج فيمرحون في الأرض ، فيفسدون فيها ، ثم قرأ عبد الله ( وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) قال : ثم يبعث الله عليهم دابة مثل النغف ، فتلج في أسماهم ومناخرهم فيموتون منها فتنين الأرض منهم . فيرسل الله عز وجل ماء فيطهر الأرض منهم . والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا : عني بذلك : بأجوج ومأجوج . وإن قوله ( وَهُمْ ) كناية عن أسماهم للخبر الذي حدثنا به ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن عاصم بن عمر ، عن فتادة الأنصاري ، ثم الظفري ، عن محمود بن لبيد أخي بني عبد الأشهل ، عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « يَفْتَحُ بِأَجُوجٍ وَمَأْجُوجٍ يَخْرُجُونَ عَلَى النَّاسِ كَمَا قَالَ اللَّهُ ( مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) فَيُغَسِّقُونَ الْأَرْضَ » .



حدثني أحمد بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم بن بشير ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن جبلة بن سحيم ، عن مؤثر ، وهو ابن عفازة العبدى ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما يذكر عن عيسى بن مريم ، قال : قال عيسى : عَهْدَ إِلَى رَبِّي أَنْ الدَّجَالَ خَارِجٌ ، وَأَنَّهُ مُهْبِطِي إِلَيْهِ ، فَذَكَرَ أَنَّ مَعَهُ قَضِيْبَيْنِ ، فَإِذَا رَأَى أَهْلَكَهُ اللهُ ، قَالَ : فَيَنْدُوبُ كَمَا يَنْدُوبُ الرِّصَاصُ ، حَتَّى إِنْ الشَّجَرَ وَالْحَجَرَ لَيَقُولُ : يَا مُسْلِمُ هَذَا كَافِرٌ فَاقْتُلْهُ ، فَيَهْلِكُهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى ، وَيَرْجِعُ النَّاسُ إِلَى بِلَادِهِمْ وَأَوْطَانِهِمْ ، فَيَسْتَقْبِلُهُمْ يَا جُوجُ وَمَا جُوجُ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ، لَا يَأْتُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكَوهُ ، وَلَا يَمُرُّونَ عَلَى مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ .

حدثني عبيد بن إسماعيل الهباري ، قال : ثنا المحاربي ، عن أصبغ بن زيد ، عن العوام بن حوشب ، عن جبلة بن سحيم ، عن مؤثر بن عفازة ، عن عبد الله بن مسعود ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بنحوه .

وأما قوله ( مِنْ كُلِّ حَدَبٍ ) فإنه يعنى من كل شرف ونشز وأكمة .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) يقول : من كل شرف يقبلون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر عن قتادة ( مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) قال : من كل أكمة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) قال : الحدب : الشئ المشرف . وقال الشاعر :

عَلَى الحِدَابِ تَمُورٌ

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَا جُوجُ وَمَا جُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ) قال : هذا مبتدأ يوم القيامة . وأما قوله ( يَنْسِلُونَ ) فإنه يعنى : أنهم يخرجون منشاة مسرعين في مشيهم كنسلان الذئب ، كما قال الشاعر :

عَسَلَانَ الذَّئْبِ أَمْسَى قَارِبًا بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ فَنَسَل<sup>٢</sup>

(١) هذا جزء من بيت لم ينسبه المؤلف عند قوله تعالى : « وهم من كل حدب ينسلون » قال في ( اللسان : حدب ) يريد يظهر من غليظ الأرض ومرتفعها . وقال الفراء : « من كل حدب ينسلون » : من كل أكمة ومن كل موضع مرتفع والجمع أحداب وحداب والحدب : الغلظ من الأرض في ارتفاع ، والجمع الحداب . والحدبة : ما أشرف من الأرض وغلظ وارتفع . ولا تكون الحدبة إلا في قف أو غلظ أرض . وتمور : من مار الشيء يمور مورا : تحرك وجاء وذهب ، كما تنكفأ النخلة لعيدانة .

(٢) البيت للبيد أو للنايفة الجعدى ( اللسان : عسل ، ونسل ) . وعسل الذئب والثعلب يعسل عسلا وعسلانا : مضى مسرعا ، واضطرب في عدوه ، وهز رأسه . والقارب : الذى يطلب الماء ليلا ، يسير إليه مسرعا . ونسل الماشئ ينسل ( كيضرب ويقتل ) نسلا ( بالتسكين والتحرك ) ونسلانا : أسرع . وأصل النسلان للذئب ، ثم استعمل في غيره .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا يَوْتِلِكَا قَدَكُنَّا  
فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٧﴾

يقول تعالى ذكره : حتى إذا فتحت بأجوج ومأجوج ، اقترب الوعد الحق ، وذلك وعد الله الذي وعد عباده أنه يبعثهم من قبورهم للجزاء والثواب والعقاب ، وهو لاشك حق كما قال جل ثناؤه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد . قال : ثنا الحكم بن بشير . قال : ثنا عمرو ، يعني ابن قيس ، قال : ثنا حذيفة :  
أو أن رجلا افتلى فلوا بعد خروج بأجوج ومأجوج لم يركبه حتى تقوم القيامة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ )  
قال : اقترب يوم القيامة منهم . والواو في قوله ( وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ ) مقحمة . ومعنى الكلام : حتى  
إذا فتحت بأجوج ومأجوج اقترب الوعد الحق ، وذلك نظير قوله ( فَلَمَّا أَسْلَمًا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ . وَنَادَيْنَاهُ )  
معناه : نادينا بغير واو ، كما قال امرؤ القيس :

فَلَمَّا أَجْرْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى بِنَا بَطْنُ خَبْتِ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلِ ١

يريد : فلما أجرنا ساحة الحي انتحى بنا .

وقوله ( فَإِذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ) ففي هي التي في قوله فإذا هي وجهان : أحدهما  
أن تكون كناية عن الأبصار : وتكون الأبصار الظاهرة بيانا عنها ، كما قال الشاعر :

لَعَمْرُؤُ أَبِيهَا لَا تَقُولُ ظَعِينَتِي أَلَا فَرَّ عَنِّي مَالِكُ بْنُ أَبِي كَعْبٍ ٢

(١) البيت من معلقة امرؤ القيس بن حجر الكندي (مختار الشعر الجاهلي ، بشرح مصطفي السفا طبعة مصطفى البابي الحلبي ص ٢٧)  
قال : أجرنا : قطعنا . والساحة : الفناء . والخبث : أرض مطمئنة . والحقف من الرمل : المعوج ، والجمع حفاف ، و يروى «ركام»  
أي بعضه فوق بعض . وعقنقل : متعقد متداخل بعضه في بعض . والبيت شاهد على أن الواو في قوله : « وانتحى » : مقحمة ، يريد :  
فلما أجرنا ساحة الحي انتحى . وهي نظير الواو في قوله تعالى : « حتى إذا فتحت بأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون . واقتراب  
الوعد الحق » . الواو في « واقتراب » : مقحمة . والفعل جواب للشرط « حتى إذا فتحت » . قال الفراء في معاني القرآن ( الورقة ٣٠٦  
من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ) : وقوله ( واقتراب الوعد الحق ) معناه والله أعلم ، حتى إذا فتحت اقتراب ، ودخول الواو في  
الجواب في « حتى إذا » بمنزلة قوله : « حتى إذا جاءوها وفتحت » . وفي قراءة عبد الله « فلما جهزهم بجهازهم وجعل السقاية » .  
وفي قراءة ثنا بغير واو . ومثله في الصافات « فلما أسلما وتله للجبين . وناديناها ، معناها : ناديناها . وقال امرؤ القيس : « فلما أجرنا ...  
البيت » يريد انتحى .

(٢) البيت من شواهد الفراء في معاني القرآن ( الورقة ٣٠٧ من مصورة الجامعة ) عند قوله تعالى : « فإذا هي شاخصة أبصار القوم  
كفروا » قال : تكون هي عمادا يصلح في موضعها هو ، فتكون كقوله « إنه أنا الله العزيز » . ومثله قوله : « فلأبصار لا تسمى الأبصار »  
فجاء التانيث لأن الأبصار مؤنثة ، والتذكير للعماد . . وإن شئت جعلت هي « للأبصار » كقوله « كذبت عنها ثم أظهرت الأبصار لتفسرها »  
كما قال الشاعر : لعمر أبيها . . البيت « . ٨١ .

فكفي عن الظعينة في : لعمر و أبيها ، ثم أظهرها ، فيكون تأويل الكلام حينئذ : فإذا الأبصار شاخصة أبصار الذين كفروا .

والثاني : أن تكون عمادا كما قال جل ثناؤه ( فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ) وكقول الشاعر :

فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِمَا هَاهُنَا رَأْسٌ ١

وقوله ( يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا ) يقول تعالى ذكره : فإذا أبصار الذين كفروا قد شخصت عند مجيء الوعد الحق بأهواله ، وقيام الساعة بحقائقها ، وهم يقولون : يا ويلنا قد كنا قبل هذا الوقت في الدنيا في غفلة من هذا الذي نرى ونعائن ، ونزل بنا من عظيم البلاء . وفي الكلام متروك ترك ذكره استغناء بدلالة ما ذكر عليه عنه ، وذلك يقولون من قوله ( فَأَذَا هِيَ شَاخِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا ) يقولون : يا ويلنا . وقوله ( بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ) يقول مخبرا عن قيل الذين كفروا بالله يومئذ : ما كنا نعمل لهذا اليوم ما ينجينا من شدائده ، بل كنا ظالمين بمعصيتنا ربنا ، وطاعتنا إبليس وجنده في عبادة غير الله عز وجل .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرِدُونَ ﴿٩١﴾

يقول تعالى ذكره : إنكم أيها المشركون بالله ، العابدون من دونه الأوثان والأصنام ، وما تعبدون من دون الله من الآلهة .

كما حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : في قوله ( إِنَّكُمْ وَمَنْ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ) يعنى الآلهة ومن يعبدها ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) وأما حصب جهنم ، فقال بعضهم : معناه : وقود جهنم وشجرها .

وعلى كلام الفراء يكون الضمير « في أبيها » مفسرا بقوله ظعيني . ومثله الضمير « هي » في الآية « فإذا هي » مفسر بقوله « أبصار » . وقال أبو البقاء العكبري في إعراب القرآن وهو كالوجه الأول من الوجهين اللذين ذكرهما الفراء : إذا للمفاجأة ، وهي مكان . والعامل فيها شاخصة . و « هي » : ضمير القصة . و « أبصار الذين » : مبتدأ و شاخصة خبره . وقال الشوكاني في فتح القدير ( ٣ : ٤١٣ )

مبيناً الوجهين : الضمير في فإذا هي للقصة ، أو مبهم يفسره ما بعده . وإذا للمفاجأة . (١) هذا شطر بيت من أبيات ثلاثة وردت في الجزء الأول من هذا التفسير ص ٤٠١ عند قوله تعالى « وهو محرم عليكم إخراجهم » . وقد بين أن الضمير « هو » فيه وجهان من التأويل ، كما قال في قوله تعالى « فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا » ومثل قول الشاعر :

فَأَبْلِغْ أَبَا يَحْيَى إِذَا مَا لَقَيْتَهُ عَلَى الْعَيْسِ فِي آبَاطِهَا عَرَقٌ يَبْبَسُ  
بَأَنَّ السُّلَامِيَّ الَّذِي بِبِضْرِيَّةِ أَمِيرَ الْحِمَى قَدْ بَاعَ حَقِّي بَنِي عَبَّسُ  
بِثَوْبٍ وَدِينَارٍ وَشَاةٍ وَدِرْهَمٍ فَهَلْ هُوَ مَرْفُوعٌ بِمَا هَاهُنَا رَأْسُ

والأبيات : من شواهد الفراء في آية البقرة ولم يورد هنا إلا الشطر الثاني من البيت الثالث .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) : شجر جهنم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي . قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه - عن ابن عباس : قوله ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ) يقول : وقودها . وقال آخرون : بل معناه : حطب جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . في قول الله ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) قال : حطبها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج . عن ابن جريج . عن مجاهد . وزاد فيه : وفي بعض القراءة ( حَطَبُ جَهَنَّمَ ) يعني في قراءة عائشة .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور . عن معمر . عن قتادة ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) قال : حطب جهنم بقذفون فيها .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن . قال : ثنا سفيان . عن ابن الحر . عن عكرمة ، قوله ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) قال : حطب جهنم .

وقال آخرون : بل معنى ذلك أنهم يرمي بهم في جهنم .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) يقول : إن جهنم إنما تحصب بهم ، وهو الرمي ، يقول : يرمي بهم فيها .

واختلف في قراءة ذلك ، فقرأته قرأه الأمصار ( حَصَبُ جَهَنَّمَ ) بالصاد ، وكذلك القراءة عندنا لإجماع الحجة عليه .

وروى عن عليّ وعائشة أنهما كانا يقرآن ذلك ( حَطَبُ جَهَنَّمَ ) بالطاء . ورؤي عن ابن عباس أنه قرأه ( حَصَبُ ) بالصاد .

حدثنا بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا إبراهيم بن محمد ، عن عثمان بن عبد الله ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أنه قرأها كذلك . وكان ابن عباس إن كان قرأ ذلك كذلك ، أراد أنهم الذين

تسجر بهم جهنم ، ويوقد بهم فيها النار ، وذلك أن كل ما هيئت به النار ، وأوقدت به ، فهو عند العرب حصب لها . فإذا كان الصواب من القراءة في ذلك ما ذكرنا ، وكان المعروف من معنى الحصب عند العرب :

الرمي ، من قولهم : حصبت الرجل : إذا رميته ، كما قال جل ثناؤه ( إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا ) كان الأولى بتأويل ذلك ، قول من قال : معناه : أنهم نقذف جهنم بهم ، ويرمي بهم فيها ، وقد ذكر أن الحصب

في لغة أهل اليمن : الحطب ، فإن يكن ذلك كذلك ، فهو أيضا وجه صحيح . وأما ما قلنا من أن معناه الرمي فإنه في لغة أهل نجد . وأما قوله ( أَنْتُمْ كَهَمَّا وَرِدُونَ ) فان معناه : أنتم عليها أيها الناس أو إليها واردون ، يقول : داخلون . وقد بينت معنى الورد فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾

❖ يقول تعالى ذكره هؤلاء المشركين الذين وصف صفتهم أنهم ما يأتهم من ذكر من ربهم محدث إلا استمعوه وهم يلعبون ، وهم مشركو قريش أنتم أيها المشركون وما تعبدون من دون الله وارجو جهنم ، ولو كان ما تعبدون من دون الله آلهة ما وردوها ، بل كانت تمنع من أراد أن يوردكموها إذ كنتم لها في الدنيا عابدين ، ولكنها إذ كانت لا نفع عندها لأنفسها ، ولا عندها دفع ضرر عنها ، فهي من أن يكون ذلك عندها لغيرها أبعد ، ومن كان كذلك كان بينا بعده من الألوهة ، وإن الإله هو الذي يقدر على ما يشاء ، ولا يقدر عليه شيء ، فأما من كان مقدورا عليه ، فغير جائز أن يكون إلها . وقوله ( وكلٌّ فيها خالدون ) يعني الآلهة ومن عبدها أنهم ما كثون في النار أبدا بغير نهاية ، وإنما معنى الكلام : كلكم فيها خالدون . وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ) قال : الآلهة التي عبد القوم ، قال : العابد والمعبود .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا  
الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

❖ يعني تعالى ذكره بقولهم ( لَهُمْ ) المشركين وآلهمم ، والهاء والميم في قوله ( لَهُمْ ) من ذكر كل التي في قوله ( وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ) يقول تعالى ذكره : لكلهم في جهنم زفير ( وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) يقول : وهم في النار لا يسمعون .

وكان ابن مسعود يتأول في قوله ( وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن المسعودي ، عن يونس بن خباب ، قال : قرأ ابن مسعود هذه الآية ( لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) قال : إذا ألقى في النار من يخلد فيها جعلوا في توايت من نار ، ثم جعلت تلك التوايت في توايت أخرى ، ثم جعلت التوايت في توايت أخرى فيها مسامير من نار ، فلا يرى أحد منهم أن في النار أحدا يعذب غيره ، ثم قرأ ( لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) .

وأما قوله ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ ) أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) فإن أهل التأويل اختلفوا في المعنى به ، فقال بعضهم : عنى به كل من سبق له من الله السعادة من خلقه أنه عن النار مُبْعَد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن يوسف بن سعد وليس بابن مَاهِك ، عن محمد بن حاطب ، قال : سمعت عليا يخطب فقرأ هذه الآية ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ ) أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) . قال : عثمان رضى الله عنه منهم .  
وقال آخرون : بل عنى : من عبد من دون الله ، وهو لله طائع ، ولعبادة من يعبد كاره .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم . قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) قال : عيسى ، وعزير ، والملائكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
قال ابن جريج : قوله ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ ) ثم استثنى فقال ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ، والحسن البصرى قالا : قال في سورة الأنبياء ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ . لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ، لَهُمْ فِيهَا زُفِيرٌ ، وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) ثم استثنى فقال : ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ ) أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) فقد عبثت الملائكة من دون الله ، وعزير وعيسى من دون الله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ( أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) قال : عيسى .

حدثني إسماعيل بن سيف ، قال : ثنا علي بن مسهر ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في قوله ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ ) قال : عيسى ، وأمه ، وعزير ، والملائكة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : « جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما بلغني يوما مع الوليد بن المغيرة ، فجاء النضر بن الحارث حتى جلس معهم وفي المجلس غير واحد من رجال قريش ، فنكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فعرض له النضر بن الحارث ، وكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أفحمه ، ثم تلا عليه وعاليمهم ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ، لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلِهَةً مَا وَرَدُوهَا ، وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ) . . . إلى قوله ( وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ) ثم قام رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأقبل عبد الله بن الزبير بن عيسى

ابن عمري السهمي ، حتى جلس ، فقال الوليد بن المغيرة لعبد الله بن الزبعرى : والله ما قام النصر بن الحارث لابن عبد المطلب آنفا ، وما قعد ، وقد زعم أننا وما نعبد من آلهتنا هذه حصب جهنم ، فقال عبد الله بن الزبعرى : أما والله لو وجدته لخصمته ، فسلوا محمدا : أكل من عبد من دون الله في جهنم مع من عبده ؟ فتحن نعبد الملائكة ، واليهود تعبد عزيرا ، والنصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم ، فعجب الوليد بن المغيرة ، ومن كان في المجلس من قول عبد الله بن الزبعرى ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : نَعَمْ كُلُّ مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُعْبَدَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، فَهُوَ مَعَ مَنْ عَبَدَهُ ، إِنَّمَا يَعْبُدُونَ الشَّيَاطِينَ وَمَنْ أَمَرَهُمْ بِعِبَادَتِهِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْهِ ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) . . . إلى ( خَالِدُونَ ) : أى عيسى ابن مريم ، وعزير ، ومن عبدوا من الأحرار والرهبان الذين مضوا على طاعة الله ، فاتخذهم من بعدهم من أهل الضلالة أربابا من دون الله ، فأنزل الله فيما ذكروا أنهم يعبدون الملائكة ، وأنها بنات الله ( وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ ، بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ) . . . إلى قوله ( تَجْزِي الظَّالِمِينَ ) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك ، قال : يقول : ناس من الناس ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) يعنى من الناس أجمعين ، فليس كذلك ، إنما يعنى من يعبد الآلهة ، وهو لله مطيع مثل عيسى ، وأمه ، وعزير ، والملائكة ، واستثنى الله هؤلاء الآلهة المعبودة ، التى هى ومن يعبدها فى النار .

حدثنا ابن سنان القزاز ، قال : ثنا الحسن بن الحسين الأشقر ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما نزلت ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ) قال المشركون ، فإن عيسى يعبد وعزير والشمس والقمر يعبدون ، فأنزل الله ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) لعيسى وغيره .  
 وأولى الأقوال فى تأويل ذلك بالصواب : قول من قال : عنى بقوله : ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ) ما كان من معبود ، كان المشركون يعبدونه والمعبود لله مطيع ، وعابدوه بعبادتهم إياه بالله كفار ، لأن قوله تعالى ذكره ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَىٰ ) : ابتداء كلام محقق لأمر كان ينكره قوم ، على نحو الذى ذكرنا فى الخبر ، عن ابن عباس ، فكأن المشركين قالوا لنبى الله صلى الله عليه وسلم ، إذ قال لهم ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ) ما الأمر كما تقول ، لأننا نعبد الملائكة ، ويعبد آخرون المسيح وعزيرا ، فقال عز وجل ردّا عليهم قولهم ، بل ذلك كذلك ، وليس الذين سبقتم لهم منا الحسنى هم عنها مبعدون ، لأنهم غير معينين بقولنا ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ) ، فأما قول الذين قالوا ذلك استثناء من قوله ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ) فقول لامعنى له ، لأن الاستثناء إنما هو لإخراج المستثنى من المستثنى منه ، ولا شك أن الذين سبقتم لهم منا الحسنى ، إنما هم إما ملائكة ، وإما إنس أو جان ،

إنس أو جان وكل هؤلاء إذا ذكرتها العرب فإن أكثر ما تذكرها بمن ، لا بما ، والله تعالى ذكره إنما ذكر المعبود بن الذين أخبر أنهم حصب جهنم بما ، قال : ( إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ ) إنما أريد به ما كانوا يعبدونه من الأصنام والآلهة من الحجارة والخشب ، لا من كان من الملائكة والإنس . فإذا كان ذلك كذلك لما وصفنا ، فقوله ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى ) جواب من الله للقاتلين ما ذكرنا من المشركين مبتدأ . وأما الحسنى فإنها الفعلية من الحسن ، وإنما عني بها السعادة السابقة من الله لهم .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى ) قال : الحسنى : السعادة ، وقال : سبقت السعادة لأهلها من الله ، وسبق الشقاء لأهلها من الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ﴿١١٧﴾

يقول تعالى ذكره : لا يسمع هؤلاء الذين سبقت لهم منا الحسنى حسيس النار ، ويعني بالحسيس : الصوت والحس .

فإن قال قائل : فكيف لا يسمعون حسيسها ، وقد علمت ما روى من أن جهنم يؤتى بها يوم القيامة فتزفر زفرة ، لا يبقى ملك مقرب ، ولا نبي مرسل إلا جئا على ركبته خوفا منها ؟ قيل : إن الحال التي لا يسمعون فيها حسيسها هي غير تلك الحال ، بل هي الحال التي حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِيهَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ) يقول : لا يسمع أهل الجنة حسيس النار إذا نزلوا منزلهم من الجنة . وقوله ( وَهُمْ فِيهَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ ) يقول : وهم فيها تشبهه نفوسهم من نعيمها ولذاتها ما كثون فيها ، لا يخافون زوالها عنها ، ولا انتقالها عنها .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١١٨﴾

اختلف أهل التأويل في الفزع الأكبر : أي الفزع هو ؟ فقال بعضهم : ذلك النار إذا أطبقت على أهلها . ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا يحيى بن بمان ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ( لَا يَحْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ) قال : النار إذا أطبقت على أهلها . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جريج : قوله ( لَا يَحْزَنُهُمُ



الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ) قال : حين يطبق جهنم ، وقال : حين ذبح الموت . وقال آخرون : بل ذلك النفخة الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ) يعني النفخة الآخرة .

وقال آخرون : بل ذلك حين يؤمر بالعبء إلى النار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن رجل ، عن الحسن ( لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ ) قال : انصرف العبد حين يؤمر به إلى النار .

❖ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : ذلك عند النفخة الآخرة ، وذلك أن من لم يحزنه ذلك الفزع الأكبر ، وأمن منه ، فهو مما بعده أحمرى أن لا يفزع ، وأن من أفزعه ذلك فغير مأمون عليه الفزع مما بعده .

وقوله ( وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ) يقول : وتستقبلهم الملائكة ، يهتئونهم يقولون ( هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ) فيه الكرامة من الله ، والحياء ، والجزيل من الثواب على ما كنتم تنصبون في الدنيا لله في طاعته .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال ابن زيد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ) قال : هذا قبل أن يدخلوا الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدَّا عَلَيْنَا  
إِنَّا كُنَّا فَعِلِينَ ﴿١٠٤﴾

❖ يقول تعالى ذكره : لا يحزنهم الفزع الأكبر ، يوم نطوي السماء ، فيوم صلة من يحزنهم . واختلف أهل التأويل في معنى السجل الذي ذكره الله في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو اسم ملك من الملائكة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا أبو الوفاء الأشجعي ، عن أبيه ، عن ابن عمر ، في قوله ( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ) قال : السجيل : ملك ، فإذا صعد بالاستغفار قال : اكتبها نوراً .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، قال : سمعت السدي يقول ، في قوله ( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ ) قال : السجل : ملك .

وقال آخرون : السجل : رجل كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا نوح بن قيس ، قال : ثنا عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس في هذه الآية ( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتُبِ ) قال : كان ابن عباس يقول : هو الرجل .

قال : ثنا نوح بن قيس ، قال : ثنا يزيد بن كعب عن عمرو بن مالك ، عن أبي الجوزاء ، عن ابن عباس ، قال : السجل : كاتب كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتُبِ ) يقول : كطي الصحيفة على الكتاب .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبيد بن عمير ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتُبِ ) يقول : كطي الصحف .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى - وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : السجل : الصحيفة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتُبِ ) قال : السجل : الصحيفة .

وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب : قول من قال : السجل في هذا الموضع : الصحيفة ، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب ، ولا يعرف لدينا صلى الله عليه وسلم كاتب كان اسمه السجل ، ولا في الملائكة ملك ذلك اسمه .

فإن قال قائل : وكيف نطوي الصحيفة بالكتاب إن كان السجل صحيفة ؟ قيل : ليس المعنى كذلك ، وإنما معناه : يوم نطوي السماء كطي السجل على ما فيه من الكتاب ، ثم جعل نطوي مصدرا ، فقيل ( كَطَيِّ السَّجِلِّ لِلْكُتُبِ ) واللام في قوله للكتاب ، بمعنى على .

واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ، سوى أبي جعفر القارئ ( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ ) بالنون ، وقرأ ذلك أبو جعفر ( يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ ) بالتاء وضمها ، على وجه ما لم يسم فاعله . والصواب من القراءة في ذلك : ما عليه قراء الأمصار ، بالنون ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وشذوذ ما يخالفه . وأما السجل فإنه في قراءة جميعهم بشديد اللام ، وأما الكتاب ، فإن قراء أهل المدينة ، وبعض

أهل الكوفة والبصرة قرءوه بالتوحيد ، كطى السجل للكتاب ، وقرأ ذلك عامة قرء الكوفة ( للكتب ) على الجماع .

❖ وأولى القراءتين عندنا في ذلك بالصواب : قراءة من قرأه على التوحيد للكتاب ، لما ذكرنا من معناه ، فإن المراد منه : كطى السجل على ما فيه مكتوب ، فلا وجه إذ كان ذلك معناه لجميع الكتب إلا وجه تتبعه من معروف كلام العرب ، وعند قوله ( كطى السجل ) انقضاء الخبر عن صلة قوله ( لا يحزنهم الفزع الأكبر ) ، ثم ابتداء الخبر عما الله فاعل بخلقه يومئذ فقال تعالى ذكره : ( كما بدأنا أول خلق نعيده ) فالكاف التي في قوله ( كما ) من صلة نعيد ، تقدمت قبلها ؛ ومعنى الكلام : نعيد الخلق عرأة حفاة غرلا يوم القيامة ، كما بدأناهم أول مرة ، في حال خلقناهم في بطون أمهاتهم ، على اختلاف من أهل التأويل في تأويل ذلك .

وبالذي قلنا في ذلك قال جماعة من أهل التأويل ، وبه الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلذلك اخترت القول به على غيره .

ذكر من قال ذلك ، والأثر الذي جاء فيه

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى - وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أول خلق نعيده ) قال : حفاة عرأة غرلا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد قوله ( أول خلق نعيده ) قال : حفاة غلفا . قال ابن جرير أخبرني إبراهيم بن ميسرة ، أنه سمع مجاهدا يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لإحدى نسائه : « يأتونه حفاة عرأة غلفا ، فاستترت بكم درعها ، وقالت وأسواتاه » قال ابن جرير : أخبرت أنها عائشة قالت : يا نبي الله ، لا يحتشم الناس بعضهم بعضا ، قال : « لكل امرئ يومئذ شأن يغنيه » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثني المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يحشرون الناس حفاة عرأة غرلا ، فأول من يكسى إبراهيم ، ثم قرأ : ( كما بدأنا أول خلق نعيده ، وعدا علينا إنا كنا فاعلين ) » .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف ، قال : ثنا سفيان ، عن المغيرة بن النعمان ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بموعظة ، فذكر نحوه . » حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن المغيرة بن النعمان النخعي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : « قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فذكر نحوه . » حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا وكيع ، عن شعبة ، قال : ثنا المغيرة بن النعمان النخعي ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، نحوه .

حدثنا عيسى بن يوسف بن الطباع أبو يحيى ، قال : ثنا سفیان ، عن عمرو بن دينار ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يخطب فقال : « إِنَّكُمْ مُلَاقُوا اللَّهِ مُشَاةً غُرْلًا » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ، عن عائشة ، قالت : « دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وعندى عجوز من بنى عامر ، فقال : مَنْ هَذِهِ الْعَجُوزُ يَا عَائِشَةُ ؟ فقلت : إحدى خالاتي ، فقالت : ادع الله أن يدخاني الجنة ، فقال : إِنَّ الْجَنَّةَ لَا يَدْخُلُهَا الْعَجْزَةُ ، قالت : فأخذ العجوز ما أخذها ، فقال : إِنَّ اللَّهَ يُنْشِئُهُنَّ خَلْقًا غَيْرَ خَلْقِهِنَّ ، ثم قال : يُحْشَرُونَ حُفَاةَ عُرَاةٍ غُلْفًا ، فقالت : حاش لله من ذلك ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بَلَى إِنَّ اللَّهَ قَالَ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعَدْنَا عَلَيْنَا ) . . . إلى آخر الآية ، فأول مَنْ يُكْنَى إِبْرَاهِيمُ خَلِيلُ اللَّهِ » .

حدثني محمد بن عمارة الأسدي ، قال : ثنا عبيد الله . قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن عطاء ، عن عقبه بن عامر الجهني ، قال : يجمع الناس في صعيد واحد ينفذهم البصر ، ويسمعهم الداعي ، حفاة عراة ، كما خلقوا أول يوم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن هلال بن حبان ، عن سعيد بن جبیر ، عن ابن عباس ، قال : « يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة مشاة غرلا ، قلت : يا أبا عبد الله ما الغرل ؟ قال : الغلف ، فقال بعض أزواجه : يارسول الله ، أينظر بعضنا إلى بعض إلى عورته ؟ فقال لكل امرئ منهم يومئذ ما يشغله عَنِ النَّظَرِ إِلَى عَمْرَةٍ أُخِيهِ » قال هلال : قال سعيد بن جبیر : ( وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فَرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ) قال : كيوم ولدته أمه ، يرد عليه كل شيء انتقص منه مثل يوم ولد .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : كما كنا ولا شيء غيرنا قبل أن نخلق شيئا ، كذلك نملك الأشياء ، فنعيدها فانية ، حتى لا يكون شيء سوانا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ) . . . الآية ، قال : نملك كل شيء كما كان أول مرة ، وقوله ( وَعَدْنَا عَلَيْنَا ) يقول : وعدناكم ذلك وعدا حقا علينا أن نوفي بما وعدنا ، إنا كنا فاعلي ما وعدناكم ، من ذلك أيها الناس ، لأنه قد سبق في حكمنا وقضائنا أن نفعله ، على يقين بأن ذلك كائن ، واستعدوا وتأهبوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَدِئِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴿١٠٢﴾

اختلف أهل التأويل في المعنى بالزبور والذكر في هذا الموضع ، فقال بعضهم : عنى بالزبور : كتب الأنبياء كلها ، التي أنزلها الله عليهم ، وعنى بالذكر : أم الكتاب التي عنده في السماء .

ذكر من قال ذلك

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملى ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، قال : سألت سعيدا ، عن قول الله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال : الذكر : الذى فى السماء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن الأعمش ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ) قال : قرأها الأعمش ( الزُّبُرِ ) قال : الزبور ، والتوراة ، والإنجيل ، والقرآن ( مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال : الذكر الذى فى السماء .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( الزَّبُورِ ) قال : الكتاب ( مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال : أم الكتاب عند الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( الزَّبُورِ ) قال : الكتاب ، بعد الذكر : قال : أم الكتاب عند الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ) قال : الزبور : الكتب التي أنزلت على الأنبياء . والذكر : أم الكتاب الذى تكتب فيه الأشياء قبل ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد ، فى قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال : كتبنا فى القرآن من بعد التوراة .

وقال آخرون : بل عنى بالزبور : الكتب التي أنزلها الله على من بعد موسى من الأنبياء ، وبالذكر : التوراة . ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) .. الآية ، قال : الذكر : التوراة ، والزبور : الكتب . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، فى قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) . . . الآية ، قال : الذكر : التوراة ، ويعنى بالزبور من بعد التوراة : الكتب .

وقال آخرون : بل عنى بالزبور : زبور داود ، وبالذكر : توراة موسى صلى الله عليهما .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن عامر أنه قال فى هذه الآية ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال : زبور داود ، من بعد الذكر : ذكر موسى التوراة .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن الشعبي ، أنه قال في هذه الآية ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ ) قال : في زبور داود ، من بعد ذكر موسى .  
 \* وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك : ما قاله سعيد بن جبير ومجاهد ، ومن قال بقولهما في ذلك ، من أن معناه : ولقد كتبنا في الكتب من بعد أم الكتاب الذي كتب الله كل ما هو كائن فيه ، قبل خلق السموات والأرض ، وذلك أن الزبور هو الكتاب ، يقال منه : زبرت الكتاب وذبرته : إذا كتبه ، وإن كل كتاب أنزله الله إلى نبي من أنبيائه ، فهو ذِكْرٌ . فإذا كان ذلك كذلك ، فإن إدخاله الألف واللام في الذكر ، الدلالة البينة أنه معنى به ذكر بعينه ، معلوم عند المخاطبين بالآية ، ولو كان ذلك غير أم الكتاب التي ذكرنا ، لم تكن التوراة بأولى من أن تكون المعنية بذلك ، من صحف إبراهيم ، فقد كان قبل زبور داود . فتأويل الكلام إذن ، إذ كان ذلك كما وصفنا : ولقد قضينا ، فأثبتنا قضاءنا في الكتب من بعد أم الكتاب ، أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ؛ يعني بذلك : أن أرض الجنة يرثها عبادي العاملون بطاعته ، المنتهون إلى أمره ونهيه من عباده ، دون العاملين بمعصيته منهم ، المؤثرين طاعة الشيطان على طاعته .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الله الهلالي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي يحيى القتات ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قوله ( أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ) قال : أرض الجنة . حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ) قال : أخبر سبحانه في التوراة والزبور وسابق علمه ، قبل أن تكون السموات والأرض ، أن يورث أمة محمد صلى الله عليه وسلم الأرض ، ويدخلهم الجنة ، وهم الصالحون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن سعيد بن جبير في قوله ( وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ) قال : كتبنا في القرآن بعد التوراة ، والأرض أرض الجنة . حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ( أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ) قال : الأرض : الجنة .

حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، قال : سألت سعيدا عن قول الله ( أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ) قال : أرض الجنة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( أن الأرض يرثها عبادي الصالحون ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :

(١) في (اللسان : ذبر) : الذبر : الكتابة ، مثل الزبور . ذبر الكتاب يذبره ( كغصره ) ويذبره ( كغصره ) ذبرا ، واذبره ( بالضم ) ككلامها : كتبه ، وقيل : نطقه ، وقيل : قرأه قراءة عفيفة ، بلغة هذيل .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ) قال : الجنة . وقرأ قول الله جل ثناؤه ( وقالوا الحمد لله الذى صدقنا وعده ، وأورثنا الأرض نتبوا من الجنة حيث نشاء ، فنعيم أجر العاملين ) قال : فالجنة . مبتدؤها فى الأرض ، ثم تذهب درجات علواً ، والنار مبتدؤها فى الأرض ، وبينهما حجاب سور ، ما يدرى أحد ما ذاك السور ، وقرأ ( باب باطنه فيه الرحمة ، وظاهره من قبله العذاب ) قال : ودرجها تذهب سفلاً فى الأرض ، ودرج الجنة تذهب علواً فى السموات .

حدثنا محمد بن عوف ، قال : ثنا أبو المغيرة ، قال : ثنا صفوان ، سألت عامر بن عبد الله أبا اليمان : هل أنفس المؤمنين تجتمع ؟ قال : فقال : إن الأرض التى يقول الله ( ولقد كتبنا فى الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ) قال : هى الأرض التى تجتمع إليها أرواح المؤمنين حتى يكون البعث .

وقال آخرون : هى الأرض يورثها الله المؤمنين فى الدنيا .

وقال آخرون : عني بذلك بنو إسرائيل ، وذلك أن الله وعدهم ذلك فوفى لهم به ، واستشهد لقوله ذلك بقول الله ( وأورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض ومغاربها التى باركنا فيها ) . وقد ذكرنا قول من قال ( أن الأرض يرثها عبادى الصالحون ) أنها أرض الأمم الكافرة ، ترثها أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وهو قول ابن عباس الذى روى عنه على بن أبى طلحة .

القول فى تأويل قوله تعالى :

إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاغًا لِّقَوْمٍ عَابِدِينَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٦﴾

يقول تعالى ذكره : إن فى هذا القرآن الذى أنزلناه على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، لبلاغاً لمن عبد الله بما فيه من الفرائض التى فرضها الله ، إلى رضوانه ، وإدراك الطلبة عنده .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن الجريرى ، عن أبى الورد بن ثمامة ، عن أبى محمد الحضرمي ، قال : ثنا كعب فى هذا المسجد ، قال : والذى نفس كعب بيده ، إن فى هذا لبلاغاً لقوم عابدين ، إنهم لأهل أو أصحاب الصلوات الخمس ، ساهم الله عابدين .

حدثنا الحسين بن يزيد الطحان ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد بن إياس الجريرى ، عن أبى الورد عن كعب ، فى قوله ( إن فى هذا لبلاغاً لقوم عابدين ) قال : صوم شهر رمضان ، وصلاة الخمس ، قال : هى ملء اليدين والبحر عبادة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن الحسين ، عن الجريرى ، قال : قال كعب

(١) الأصل : هل لأنفس المؤمنين بمجتمع ؟ والصواب : ما أثبتناه .

الأخبار ( إن في هذا لبلاغاً لقوم عابدين ) : لأمة محمد .  
 حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( إن في هذا  
 لبلاغاً لقوم عابدين ) يقول : عاملين .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( إن في هذا لبلاغاً  
 لقوم عابدين ) قال : يقولون في هذه السورة لبلاغاً .  
 ويقول آخرون : في القرآن تنزيل لفرائض الصلوات الخمس ، من أداها كان بلاغاً لقوم عابدين ، قال : عاملين .  
 حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إن في هذا لبلاغاً لقوم  
 عابدين ) قال : إن في هذا لمنفعة وعلما ، لقوم عابدين ذلك البلاغ .

وقوله ( وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين ) يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : وما  
 أرسلناك يا محمد إلى خلقنا إلا رحمة لمن أرسلناك إليه من خلقي .  
 ثم اختلف أهل التأويل في معنى هذه الآية ، أجمع العالم الذي أرسل إليهم محمد أريد بها مؤمنهم  
 وكافرهم ؟ أم أريد بها أهل الإيمان خاصة ، دون أهل الكفر ؟ فقال بعضهم : غني بها جميع العالم المؤمن والكافر .  
 ذكر من قال ذلك

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا إسحاق بن يوسف الأزرق ، عن المسعودي ، عن رجل يقال له  
 سعيد ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، في قول الله في كتابه ( وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين )  
 قال : من آمن بالله واليوم الآخر ، كتب له الرحمة في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن بالله ورسوله ، عوفي مما  
 أصاب الأمم من الحسف والقذف .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن المسعودي ، عن أبي سعيد ، عن  
 سعيد جبير ، عن ابن عباس ، في قوله ( وما أرسلناك إلا رحمةً للعالمين ) قال : تمت الرحمة لمن آمن  
 به في الدنيا والآخرة ، ومن لم يؤمن به عوفي مما أصاب الأمم قبل .  
 وقال آخرون : بل أريد بها أهل الإيمان دون أهل الكفر .  
 ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وما أرسلناك إلا رحمةً  
 للعالمين ) قال : العالمون : من آمن به وصدق به . قال : ( وإن أدري لعلك فتننة لكم ومتاع إلى  
 حين ) قال : فهو لهؤلاء فتننة ، ولهؤلاء رحمة ، وقد جاء الأمر مجملاً رحمة للعالمين ، والعالمون ههنا : من  
 آمن به وصدق به وأطاعه .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : القول الذي روى عن ابن عباس ، وهو أن الله أرسل نبيه محمداً  
 صلى الله عليه وسلم رحمة لجميع العالم ، مؤمنهم وكافرهم . فأما مؤمنهم فإن الله هداه به ، وأدخله بالإيمان به ،  
 وبالعامل بما جاء من عند الله ، الجنة . وأما كافرهم فإنه دفع به عنه عاجل البلاء ، الذي كان ينزل بالأمم المكذبة  
 رسلها من قبله .



القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَىٰ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ وَوَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد : ما يوحى إلى ربى إلا أنه لا إله لكم يجوز أن يُعبد إلا إله واحد ، لاتصاح العبادة إلا له ، ولا ينبغي ذلك لغيره ( فَهَلْ أَنْتُمْ مُّسْلِمُونَ ) يقول : فهل أنتم مدعون له أيها المشركون ، العابدون الأوثان والأصنام بالخضوع لذلك ، ومتبرئون من عبادة ما دونه من آلهتكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلَّآ أَذَنْتُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾

يقول تعالى ذكره : فإن أدبرهؤلاء المشركون يا محمد عن الإقرار بالإيمان ، بأن لا إله لهم إلا إله واحد ، فأعرضوا عنه ، وأبوا الإجابة إليه ، فقل لهم ( قَدْ أَذَنْتُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ) يقول : أعلمهم أنك وهم على علم من أن بعضكم لبعض حرب ، لاصح بينكم ولا سلم .

وإنما عنى بذلك قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم من قريش كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعَلَّآ أَذَنْتُمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ ) فإن تولوا : يعنى قريشا .

وقوله ( وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ) يقول تعالى ذكره لنبيه : قل وما أدرى متى الوقت الذى يحلّ بكم عقاب الله الذى وعدكم ، فينتقم به منكم ، أقرب نزوله بكم ، أم بعيد ؟ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( وَإِنْ أَدْرَىٰ أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ) قال : الأجل .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّهُ يَعْلَمُ الْجَهْرَ مِنَ الْقَوْلِ وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرَىٰ لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١١١﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهؤلاء المشركين ، إن الله يعلم الجهر الذى تجهرون به من القول ، ويعلم ما تخفونه ، فلا تجهرون به ، سواء عنده خفيه وظاهره ، وسره وعلايته ، انه لا يخفى عليه منه شيء ، فان أحرر عنكم عقابه على ما تخفون من الشرك به ، أو تجهرون به ، فما أدرى

ما السبب الذي من أجله يؤخر ذلك عنكم؟ لعل تأخير ذلك عنكم مع وعده إياكم ، لفتنة يريد بها بكم ، ولتتمتعوا بحياتكم إلى أجل قد جعله لكم تبلغونه ، ثم ينزل بكم حينئذ نعمته .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم . قال : ثنا الحسين . قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( وَإِنْ أَدْرَى لَعَلَّهُ فِتْنَةً لَكُمْ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ) يقول : لعل ما أُقْرَب لكم من العذاب والساعة ، أن يؤخر عنكم لمدتكم ، ومتاع إلى حين ، فيصير قولي ذلك لكم فتنة .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٠٨﴾

يقول تعالى ذكره : قل يا محمد : يا ربّ افصل بيني وبين من كذّبي من مشركي قومي وكفرك بك ، وعبد غيرك ، بإحلال عذابك ونقمتهك بهم ، وذلك هو الحقّ الذي أمر الله تعالى نبيه أن يسأل ربه الحكم به ، وهو نظير قوله جل ثناؤه ( رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ ) ، وأنت خير الفاتحين .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( قَالَ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ) قال : لا يحكم بالحقّ إلا الله ، ولكن إنما استعجل بذلك في الدنيا ، يسأل ربه على قومه .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا شهد قتالا قال : ( رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ) .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ( قُلْ رَبِّ احْكُم ) بكسر الباء ، ووصل الألف ألف احكم ، على وجه الدعاء والمسألة ، سوى أبي جعفر ، فإنه ضمّ الباء من الربّ ، على وجه نداء المفرد ، وغير الضحاك بن مزاحم ، فإنه روى عنه أنه كان يقرأ ذلك ( رَبِّي أَحْكُم ) على وجه الخبر بأن الله أحكم بالحقّ من كلّ حاكم ، فيثبت الباء في الربّ ، ويهمز الألف من أحكم ، ويرفع أحكم ، على أنه خبر للربّ تبارك وتعالى .

والصواب من القراءة عندنا في ذلك : وصل الباء من الربّ وكسرها باحكم ، وترك قطع الألف من احكم ، على ما عليه قراء الأمصار ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، وشذوذ ما خالفه . وأما الضحاك فإن في القراءة التي ذكرت عنه زيادة حرف على خطّ المصاحف ، ولا ينبغي أن يزداد ذلك فيها ، مع صحة معنى القراءة بترك زيادته . وقد زعم بعضهم أن معنى قوله ( رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ ) قل : ربّ احكم بحكمك الحقّ ، ثم حذف الحكم الذي الحقّ نعت له ، وأقيم الحقّ مقامه ، ولذلك وجه ، غير أن الذي قلناه أوضح وأشبه بما قاله أهل التأويل ، فإليك الخبرناه .

وقوله ( وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ) يقول جل ثناؤه : وقل يا محمد : وربنا الذي يرحم عباده، ويعمهم بنعمته، الذي أستعينه عليكم فيما تقولون وتصفون من قولكم لي، فيما أتيتكم به من عند الله ( إِنَّ هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ، أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ وَأَنْتُمْ تَبْصُرُونَ ؟ ) ، وقولكم ( بَلْ افْتَرَاهُ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ ) ، وفي كذبكم على الله جل ثناؤه وقيلكم ( اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ) فإنه حين عليه تغيير ذلك، وفصل ما بيني وبينكم ، بتعجيل العقوبة لكم ، على ما تصفون من ذلك .  
آخر تفسير سورة الأنبياء عليهم السلام

(٢٢) سُورَةُ الْجَحِّ فَالْتِنِيزِ  
وَأَنْبِيَاءِ الْهَامِلِينَ وَسَيِّجُونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى:

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوُنَّهَا نُدَّهْلُ كُلُّ  
مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَرَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَرَىٰ  
وَلَا يَكُنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدًا ﴿٢﴾

❦ قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره : يا أيها الناس احذروا عقاب ربكم بطاعته ، فأطيعوه ولا تعصوه ، فإن عقابه لمن عاقبه يوم القيامة شديد ، ثم وصف جل ثناؤه هول أشراف ذلك اليوم وبدوه ، فقال : ( إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ) .

واختلف أهل العلم في وقت كون الزلزلة التي وصفها جل ثناؤه بالشدّة ، فقال بعضهم : هي كائنة في الدنيا قبل يوم القيامة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، في قوله ( إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ) قال : قبل الساعة .

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن عطاء ، عن عامر ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ كُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ) قال : هذا في الدنيا قبل يوم القيامة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج في قوله ( إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ )

فقال : زلزلتها : أشرطها . . . الآيات ( يَوْمَ تَرَوُنَّهَا تُذْهِلُ كُلُّ مَرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ، وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَىٰ وَمَا هُمْ بِسُكَارَىٰ ) .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عامر ( يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم ) قال : هذا في الدنيا من آيات الساعة .  
وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم بنحو ما قال هؤلاء خبر ، في إسناده نظرا ، وذلك ما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن إسماعيل بن رافع المدني ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن رجل من الأنصار ، عن محمد بن كعب القرظي ، عن رجل من الأنصار ، عن أبي هريرة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لما فرغ الله من خلق السموات والأرض ، خلق الصور ، فأعطاه إسرافيل ، فهو وأضعه على فيه ، شاخص ببصره إلى العرش ، ينتظر متى يؤمر .  
قال أبو هريرة : يا رسول الله ، وما الصور ؟ قال : قرن ، قال : وكيف هو ؟ قال : قرن عظيم ينفخ فيه ثلاث نفخات : الأولى : نفخة الفرع ، والثانية : نفخة الصعق ، والثالثة : نفخة القيام لرب العالمين ، يأمر الله عز وجل إسرافيل بالنفخة الأولى ، فيقول : انفخ نفخة الفرع ، فيفرغ أهل السموات والأرض إلا من شاء الله ، ويأمره الله فيدبمها ويبطولها ، فلا يفتر ، وهي التي يقول الله ( ما ينظرون هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق ) ، فيسير الله الجبال ، فتكون سرايا ، وترج الأرض بأهلها رجاء ، وهي التي يقول الله ( يوم ترجف الرافة تتبعها الرافة ، قلوب يومئذ واجفة ) ، فتكون الأرض كالسفينينة الموبقة في البحر ، تضربها الأمواج ، تكفأ بأهلها ، أو كالقنديل المعلق بالعرش ترجفه الأرواح ، فتميد الناس على ظهرها ، فتذهل المراضع ، وتضع الحوامل ، وتشيب الولدان ، وتطير الشياطين هاربة حتى تأتي الأقطار ، فتلقاها الملائكة ، فتضرب وجوهها ، فترجع ، ويوتى الناس مدبرين ، ينادى بعضهم بعضا ، وهو الذي يقول الله ( يوم تولون مدبرين ما لكم من الله من عاصم ، ومن يضلل الله فما له من هاد ) ، فبينما هم على ذلك ، إذ تصدعت الأرض من قطري إلى قطري ، فرأوا أمرا عظيما ، وأخذهم لذلك من الكرب ما الله أعلم به ، ثم نظروا إلى السماء ، فإذا هي كالهل ، ثم خسف شمسه وخسف قمرها ، وانتشرت نجومها ، ثم كسفت عنهم . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : والاموات لا يعلمون بشيء من ذلك . فقال أبو هريرة : فن استثنى الله حين يقول : ( ففرغ من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ) قال : أولئك الشهداء ، وإنما يصل الفرع إلى الأحياء ، أولئك أحياء عند ربهم يرزقون ، وقاهم الله فرغ ذلك اليوم وآمنهم ، وهو عذاب الله ببعضه على سيرار خلقه ، وهو الذي يقول ( يا أيها الناس )

(١) لعل المراد بأن في إسناده نظرا ، أن فيه رجالين مجهولين من الأنصار .

اتَّقُوا رَبَّكُمْ ، إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ) . . . إلى قوله ( وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ) .  
وهذا القول الذي ذكرناه عن علقمة والشعبي ومن ذكرنا ذلك عنه ، قول لولا مجيء الصحاح من  
الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بخلافه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم أعلم بمعاني وحى الله  
وتنزيله .

❖❖❖ والصواب من القول في ذلك : ما صح به الخبر عنه .

ذكر الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما ذكرنا

حدثني أحمد بن المقدم ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت أبي يحدث عن قتادة ، عن صاحب  
له حديثه ، عن عمران بن حصين ، قال : « بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه ، وقد فاوت  
السَّيْرَ بأصحابه ، إذ نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الآية ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ  
زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ) قال : فحشَّوا المطى ، حتى كانوا حول رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال  
« هل تَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَلِكَ ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم ، قال : ذلك يَوْمَ يُنَادَى آدَمُ ، يُنَادِيهِ  
رَبُّهُ : ابْعَثْ بَعْثَ النَّارِ ، مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِئَةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ إِلَى النَّارِ ، قال : فأبلس  
القوم ، فما وضع منهم ضاحك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أَلَا اعْمَلُوا وَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّ مَعَكُمْ  
خَلِيقَتَيْنِ مَا كَانَتَا فِي قَوْمٍ إِلَّا كَثَّرْتَاهُ ، فَمَنْ هَلَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ ، وَمَنْ هَلَكَ مِنْ بَنِي  
إِبْلِيسَ وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، قال : أبشِرُوا ، ما أنتم في النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ ،  
أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي جَنَاحِ الدَّابَّةِ .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا هشام بن أبي عبد الله ، عن قتادة ، عن  
الحسن ، عن عمران بن حصين ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ؛ حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا معاذ بن هشام ،  
قال : ثنا أبي ؛ وحدثنا ابن أبي عدي ، عن هشام جميعا ، عن قتادة ، عن الحسن ، عن عمران بن حصين ،  
عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا محمد بن بشر ، عن سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن العلاء بن زياد  
عن عمران ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، بنحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، قال : « بلغني أن رسول الله  
صلى الله عليه وسلم لما قفل من غزوة العُسْرَةِ ، ومعه أصحابه ، بعد ما شارف المدينة ، قرأ ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ  
اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ، يَوْمَ تَرَوْنَهَا ) . . . الآية ، فقال رسول الله صلى  
الله عليه وسلم : « أَتَدْرُونَ أَيُّ يَوْمٍ ذَاكُمْ ؟ قيل : الله ورسوله أعلم ، فذكر نحوه ، إلا أنه زاد :  
وإنه لم يكن رسولان إلا كان بينهما فترة من الجاهلية ، فهم أهل النار ، وإنكم  
بين ظهري خَلِيقَتَيْنِ لا يُعَادُهُمَا أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا كَثَّرُوهُمُ ، وَهُمْ يَا جُوجُ  
وَمَا جُوجُ ، وَهُمْ أَهْلُ النَّارِ ، وَتَكْمُلُ الْعِدَّةُ مِنَ الْمُنَافِقِينَ » .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه . عن جدّه . عن الأعمش ، عن أبي صالح عن أبي سعيد ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يُقَالُ لِآدَمَ : أَخْرِجْ بَعَثَ النَّارَ ، قَالَ : فَيَقُولُ : وَمَا بَعَثَ النَّارَ ؟ فَيَقُولُ : مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِثَّةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَشِيبُ الصَّغِيرُ ، وَتَضَعُ الْحَامِلُ حَمْلَهَا ، وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى ، وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ » ، قَالَ : قُلْنَا فَأَيْنَ النَّاجِي يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : « أَبْشِرُوا : فَإِنَّ وَاحِدًا مِنْكُمْ وَالنَّاسُ مِنْ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ، ثُمَّ قَالَ : لَأَتَى لِأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَكَبَّرْنَا وَحَمِدْنَا اللَّهَ ، ثُمَّ قَالَ : لَأَتَى لِأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، فَكَبَّرْنَا وَحَمِدْنَا اللَّهَ ، ثُمَّ قَالَ : لَأَتَى لِأَطْمَعُ أَنْ تَكُونُوا نِصْفَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، لَأَتَى مِثْلُكُمْ فِي النَّاسِ كَمِثْلِ الشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ ، أَوْ كَمِثْلِ الشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ » .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد الخدري ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يَقُولُ اللَّهُ لِآدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ . حدثني عيسى بن عثمان بن عيسى الرملي ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي سعيد ، قال : « ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْحَشْرَ ، قَالَ : يَقُولُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : يَا آدَمُ ، فَيَقُولُ : لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ ، وَالْحَشِيرُ بِيَدَيْكَ . فَيَقُولُ : ابْعَثْ بَعَثْنَا إِلَى النَّارِ » . ثُمَّ ذَكَرَ نَحْوَهُ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن أنس قال : « نَزَلَتْ ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ) . . . حَتَّى لَمَّا نَزَلَتْ ( عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ) . . . الْآيَةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ فِي مَسِيرٍ ، فَرَجَعَ بِهَا صَوْتَهُ ، حَتَّى ثَابَ إِلَيْهِ أَصْحَابُهُ ، فَقَالَ : أَتَدْرُونَ أَيَّ يَوْمٍ هَذَا ؟ هَذَا يَوْمَ يَقُولُ اللَّهُ لِآدَمَ : يَا آدَمُ قُمْ فَابْعَثْ بَعَثَ النَّارِ ، مِنْ كُلِّ أَلْفٍ تِسْعَ مِثَّةٍ وَتِسْعَةَ وَتِسْعِينَ ، فَكَبَّرَ ذَلِكَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : سَدِّدُوا وَقَارِبُوا وَأَبْشِرُوا ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ : مَا أَنْتُمْ فِي النَّاسِ إِلَّا كَالشَّامَةِ فِي جَنْبِ الْبَعِيرِ ، أَوْ كَالرَّقْمَةِ فِي ذِرَاعِ الدَّابَّةِ ، وَإِنَّ مَعَكُمْ لَخَلِيفَتَيْنِ مَا كَانَتْمَا فِي شَيْءٍ قَطُّ إِلَّا كَسَّرْتَاهُ : يَا جُوجُ وَمَأْجُوجُ ، وَمَنْ هَلَكَ مِنْ كَفَرَةِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : دخلت على ابن مسعود بيت المال ، فقال : سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول : « أَنْتَرَضُونَ أَنْ تَكُونُوا رُبْعَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ قُلْنَا نَعَمْ ، قَالَ : أَنْتَرَضُونَ أَنْ تَكُونُوا ثُلُثَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ؟ قُلْنَا نَعَمْ ، قَالَ : فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ ، لَأَتَى لِأَرْجُو أَنْ تَكُونُوا شَطْرَ أَهْلِ الْجَنَّةِ ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذَلِكَ ، إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا نَفْسٌ مُسْلِمَةٌ ، وَإِنَّ قَلَّةَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْكُفَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، كَالشَّعْرَةِ السَّوْدَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَبْيَضِ ، أَوْ كَالشَّعْرَةِ الْبَيْضَاءِ فِي الثَّوْرِ الْأَسْوَدِ » .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إن زلزلة الساعة شيء عظيم ) قال : هذا يوم القيامة ، والزلزلة : مصدر من قول القائل : زلزلت بفلان الأرض ، أزلزلها زلزلة وزلزالا ، بكسر الزاى من الزلزال ، كما قال الله ( إذا زلزلت الأرض زلزالها ) وكذلك المصدر من كل سليم من الأفعال إذا جاءت على فِعلال ، فبكسر أوله مثل وسوس وسوسة ووسواس ، فإذا كان اسما كان بفتح أوله الزلزال والوسواس ، وهو ما وسوس إلى الإنسان ، كما قال الشاعر :

يَعْرِفُ الْجَاهِلُ الْمُضَلَّلُ أَنَّ الدَّهْرَ فِيهِ النَّكَرَاءُ وَالزَّلْزَالُ<sup>١</sup>

وقول تعالى ( يَوْمَ تَرَوُنَّهَا ) يقول جل ثناؤه : يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة تذهل من عظمها ، كل مرضعة مولود عما أرضعت ، ويعنى بقوله ( تَذْهَلُ ) تنسى وتترك من شدة كربها ، يقال : ذَهَلْتُ عن كذا أذْهَلَّ عنه ذُهُولًا وَذَهَلْتُ أَيضًا ، وهى قليلة ، والفصيح : الفتح فى الهاء ، فأما فى المستقبل فالهاء مفتوحة فى اللغتين ، لم يسمع غير ذلك ؛ ومنه قول الشاعر :

صَحَا قَلْبُهُ يَا عَزَّ أَوْ كَادَ يَذْهَلُ<sup>٢</sup>

فأما إذا أريد أن الهول أنساه وسلاه ، قلت : أذهله هذا الأمر عن كذا يذْهله إذْهالا . وفى إثبات الهاء فى قوله ( كُلُّ مُرْضِعَةٍ ) اختلاف بين أهل العربية<sup>٣</sup> . وكان بعض نحوى الكوفيين يقول : إذا أثبتت الهاء فى المرضعة فانما يراد أم الصبى المرضع ، وإذا أسقطت ، فإنه يراد المرأة التى معها صبى ترضعه ، لأنه أريد الفعل بها ، قالوا : ولو أريد بها الصفة فيما يرى لقال مُرْضِعٌ . قال : وكذلك كل مُفْعِلٍ أو فاعل يكون للأنتى ، ولا يكون للذكر ، فهو بغير هاء ، نحو : مُقْرَبٌ ، ومُوقِرٌ ، ومُشْدَنٌ ، وحائضٌ . قال أبو جعفر : وهذا القول عندى أولى بالصواب فى ذلك ، لأن العرب من شأنها إسقاط هاء التأنيث من كل فاعل ومفعول ، إذا وصفوا المؤنث به ، ولو لم يكن للمذكر فيه حظ . فاذا أرادوا الخبر عنها أنها

(١) البيت شاهد على أن المصدر الرباعى المضعف إذا جاء على « فِعلال » فهو بكسر الفاء ، فإذا فتحت الفاء فهو اسم للمصدر ، وليس بمصدر ، كما فى البيت . قال فى ( اللسان : زل ) : والزلزلة والزلزال ( بالفتح ) : تحريك الشيء ، وقد زلزه زلزلة وزلزالا ( بكسر الزاى فى الثانى ) وقد قالوا : إن الفِعلال ( بالفتح ) والزلزال ( بالكسر ) مطرد فى جميع مصادر المضاعف . والاسم الزلزال ( بالفتح ) . وليس فى الكلام فِعلال ، بفتح الفاء إلا فى المضعف نحو الصلصال والزلزال . وقال أبو إسحاق والزلزال بالكسر : المصدر ؛ والزلزال ، بالفتح : الاسم ، وكذلك الوسواس : المصدر ، والوسواس الاسم . ٥١ .

(٢) هذا مطلع قصيدة لكثير بن عبد الرحمن الخزاعى المشهور ( بكثير عزة ) فى مدح عبد الملك بن مروان ، ومصرعه الثانى : \* وأضحى يريد الصرم أو يتبدل \* ( ديوانه طبع الجزائر ٢ : ٢٨ ) قال شارحه : قوله « صحا قلبه » : قال فى الاقتضاب : قال ابن قتبية : أصححت السماء وأصححت العاذلة وصحا من السكر . أما السماء فلا يقال فيها إلا أصححت بالألف وأما السكر فلا يقال فيه إلا صحا بغير ألف وأما الإفاقة من الحب فلم أسمع فيه إلا صحا بغير ألف ، كالسكر . وهو شاهد على الفعل تذهل فى ماضيه لفتان فتح الهاء وكسرها ، والأولى أفصح اللغتين . قال فى ( اللسان : ذهل ) : وفى التنزيل العزيز : « يوم تذهل كل مرضعة » أى تسلو عن ولدها . ابن سيده : ذهل الشيء وذهل عنه وذله وذهل الكسر يذهل فهما ذهلا وذهولا : تركه على عمد أو غفل عنه أو نسيه لشغل . وقيل : الذهل : السلو وطيب النفس عن الإلف . وقد أذهله الأمر ، وذله عنه ٥١ .

(٣) يتأمل فى هذا المقام ويراجع اللسان فإنه أبسط .

ستفعله ، ولم تفعله ، أثبتوا هاء التأنيث ليفرقوا بين الصفة والفعل ، منه قول الأعشى فيما هو واقع ، ولم يكن وقع قبل :

أيا جارتنا بيبي فإنك طالقته

كذالك أمور الناس غاد وطارقه<sup>١</sup>

وأما فيما هو صفة ، نحو قول امرئ القيس :

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضِع

فألهيبتها عن ذي تمام محمول<sup>٢</sup>

وربما أثبتوا الهاء في الحالتين ، وربما أسقطوهما فيهما غير أن الفصيح من كلامهم ما وصفت :

فتأويل الكلام إذن : يوم ترون أيها الناس زلزلة الساعة ، تنسى وتترك كل والدة مولود ترضع ولدها

عما أرضعت .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ

مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ) قال : ترك ولدها للكرب الذي نزل بها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن الحسن ( تَذْهَلُ كُلُّ

مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ ) قال : ذهلت عن أولادها بغير فطام ، ( وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا )

قال ألفت الحوامل ما في بطونها لغير تمام ، ( وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا ) : يقول : وتسقط

كل حامل من شدة كرب ذلك حملها .

وقوله ( وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ) قرأت قرآء الأمصار ( وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى ) على وجه الخطاب

للو احد ، كأنه قال : وترى يا محمد الناس حينئذ سُكَارَى ، وما هم بسُكَارَى . وقد روى عن أبي زرعة بن

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة ، من قصيدة له قالها لامرأته الهزانية ( ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢٦٣ )

والرواية فيه : يا جارتى . قال شارحه الجارة هنا : زوجته . بيبي : أى فارق . غاد وطارقه : ذكر ( غاد ) على إرادة الجمع ،

وأنت ( طارقة ) على إرادة الجماعة . والغادى : الذى يأق غدوة فى الصباح . والطارق الذى يطرق ، أى يأق ليلا . وأنشده صاحب

( اللسان : طلق ) قال ابن الأعرابي : طلفت ( بضم اللام ) من الطلاق : أجود ، وطلقت بفتح اللام - جائز . وكلهم يقول : امرأة

طالقت ، بغير هاء . وأما قول الأعشى : أيا جارتنا بيبي فإنك طالقته . فإن البيت قال : أراد : طالقة غدا . قال غيره قال طالقة على

الفعل ، لأنها يقال لها : قد طلقت ، فبني النعت على الفعل ، وطلاق المرأة : بينوتها عن زوجها . وامرأة طالقت من نسوة طلق ، وطلالقة

من نسوة طوالق . وأنشد قول الأعشى : « أجاتنا بيبي فإنك طالقته » . . . البيت .

(٢) البيت من معلقة امرئ القيس بن حجر الكندي ( مختار الشعر الجاهل ) بشرح مصطفى السقا طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده

ص ٢٥ ) قال شارحه : طرفت : أتيت . والتمام : عود تعلق على الطفل . ومحمول : أى تم له حول ، يقال : أحول الصبي فهو

محمول . ويروي : مغيل . وهو الذى ترضعه أمه وهى حبل ، يقال : أغالت المرأة وأدها ، فهى مغيل ( بكسر الغين ) ، وأغيلته

فهى مغيل ، ( بسكون الغين ، وكسر الياء ) ؛ سفته الغيل ، وهو لبن الحبل ، والولد : مغال ومغيل . والشاهد فى البيت أن « مرضع »

يدون هاء . هو من الأوصاف الخاصة بالنساء دون الرجال ، وهو لذلك مستعين عن الهاء التى تدخل فى الصفات للفرقة بين المذكر والمؤنث

فأما قوله تعالى ( يوم تذهل كل مرضعة عما أرضعت ) بالهاء فى مرضعة ، فلأنما يراد به المرأة التى معها سبى ترضعه ، فهى متلبسة

بالفعل ، فالفعل مراد هنا ، والصفة حينئذ تجرى على الفعل فى التذكير والتأنيث . ويقال أرضعت أو ترضع الأم ولدها ، فهى مرضعة

له . فأما الأئمة التى من شأنها أن تكون مرضعا ولم تنلبس بالفعل ، فلأنما يقال لها مرضع بلا هاء تأنيث ، لأن هذا وصف خاص بالإناث

فلا حاجة فيه إلى الهاء للفرق .



عمرو بن جرير ( وَتَرَى النَّاسَ ) بضم التاء ونصب الناس ، من قول القائل : أَرَيْتَ تَرَى ، التي تطاب الاسم والفعل ١ ، كظن وأخواتها .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا ، ما عليه قراء الأمصار ، لإجماع الحجة من القراء عليه .  
واختلف القراء في قراءة قوله ( سَكَارَى ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة : ( سَكَارَى وَمَا هُمْ بِسَكَارَى ) وقرأته عامة قراء أهل الكوفة ( وَتَرَى النَّاسَ سَكْرَى وَمَا هُمْ بِسَكْرَى ) .

والصواب من القول في ذلك عندنا ، أنهما قراءتان مستفيضتان في قراءة الأمصار ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارى فصيب الصواب ، ومعنى الكلام : وترى الناس يا محمد من عظيم ما نزل بهم من الكرب وشدته سكارى من الفزع ، وما هم بسكارى من شرب الخمر .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر ، عن الحسن ( وَتَرَى النَّاسَ سَكَارَى ) من الخوف ( وَمَا هُمْ بِسَكَارَى ) من الشراب .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَمَا هُمْ بِسَكَارَى ) قال : ما هم بسكارى من الشراب ( وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَتَرَى النَّاسَ سَكَارَى وَمَا هُمْ بِسَكَارَى ) قال : ما شربوا خمرًا ( وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ ) يقول تعالى ذكره : ولكنهم صاروا سكارى من خوف عذاب الله عند معابنتهم ما عاينوا من كرب ذلك وعظيم هوله ، مع علمهم بشدة عذاب الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّبِعُ كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ﴾

ذكر أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) قال : النضر بن الحارث ٢ . ويعنى بقوله ( مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ ) من يخاصم في الله ، فيزعم أن الله غير قادر على إحياء من قد بلى وصار ترابا ، بغير علم يعلمه ، بل بجهل منه بما يقول ، ( وَيَتَّبِعُ ) في قياه ذلك وجداله في الله بغير علم ( كُلَّ شَيْطَانٍ مَّرِيدٍ ) .

(١) لعل الصواب : الاسم والخبر . لأن ظن وأرى وأعلم تدخل على الجملة الاسمية من المبتدأ والخبر .

(٢) كان النضر بن الحارث بن كلدة قد أخذ الطب والفلسفة مع أبيه في الحيرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠١﴾

يقول تعالى ذكره : قضى على الشيطان ، فعنى ( كُتِبَ ) ههنا قضى ، والهاء التي في قوله عليه من ذكر الشيطان .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر بن قتادة ( كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ ) قال : كُتِبَ على الشيطان ، أنه من اتبع الشيطان من خلق الله .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَنْ تَوَلَّاهُ ) قال : الشيطان اتبعه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، أنه من تولاه ، قال : اتبعه . وقوله ( فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ ) يقول : فإن الشيطان يضلّه ، يعنى : يضلّ من تولاه . والهاء التي في يضلّه عائدة على « من » التي في قوله ( مَنْ تَوَلَّاهُ ) وتأويل الكلام قضى على الشيطان أنه يضلّ أتباعه ولا يهديهم إلى الحق . وقوله ( وَيَهْدِيهِ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ ) يقول : وَيَسُوقُ مَنْ اتَّبَعَهُ إِلَى عَذَابِ جَهَنَّمَ الموقدة ، وسبأه إياه إليه بدعائه إياه إلى طاعته ومعصية الرحمن ، فذلك هدايته من تبعه إلى عذاب جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقَرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ آجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ

وهذا احتجاج من الله على الذي أخبر عنه من الناس أنه يجادل في الله بغير علم ، اتباعا منه للشيطان المرید ، وتنبيه له على موضع خطأ قوله ، وإنكاره ما أنكر من قدرة ربه . قال : يا أيها الناس إن كنتم في شكّ من قدرتنا على بعثكم من قبوركم بعد مماتكم وبلاكم استعظاما منكم لذلك ، فإن في ابتدائنا خلق أبيكم آدم صلى الله عليه وسلم من تراب ، ثم إنشائناكم من نطفة آدم ، ثم تصریفناكم أحوالا حالا بعد حال ، من نطفة إلى عاقمة ، ثم من عاقمة إلى مُضْغَةٍ ، لكم معتبرا ومنعظا تعبرون به ، فتعلمون أن من قدر على ذلك فغير متعذر عليه إعادتكم بعد فنائكم ، كما كنتم أحياء قبل الفناء .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ ، فقال بعضهم : هي من صفة النطفة ، قال : ومعنى ذلك : فإنا خلقناكم من تراب ، ثم من نطفة مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُّخَلَّقَةٍ ، قالوا : فأما المُّخَلَّقَةُ : فما كان مخلقا مسويّا ، وأما غير مُّخَلَّقَةٍ ، فما دفعته الأرحام من النطفة ، وألفته قبل أن يكون مخلقا .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن داود بن أبي هند ، عن عامر ، عن علقمة ، عن عبد الله قال : إذا وقعت النطفة في الرحم ، بعث الله ملكا فقال : يا ربّ مخلّقة ، أو غير مخلّقة ؟ فإن قال : غير مخلّقة ، مجّتها الأرحام دما ، وإن قال : مخلّقة ، قال : يا ربّ فما صفة هذه النطفة ، أذكر أم أنثى ما رزقها ما أجلها ، أشقى أو سعيد ؟ قال : فيقال له : انطلق إلى أم الكتاب ، فاستنسخ منه صفة هذه النطفة . قال : فينطلق الملك فينسخها فلا تزال معه حتى يأتي على آخر صفتها . وقال آخرون : معنى ذلك : تامة وغير تامة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا سليمان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة في قول الله ( مُخَلَّقَةٌ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٌ ) قال : تامة وغير تامة .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن قتادة ( مُخَلَّقَةٌ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٌ ) فذكر مثله .  
وقال آخرون : معنى ذلك المضغّة مصوّرة لإنسانا وغير مصوّرة ، فإذا صوّرت فهي مخلّقة وإذا لم تصوّر فهي غير مخلّقة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قوله ( مُخَلَّقَةٌ ) قال : السقط مخلّقة ( وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٌ ) .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( مُخَلَّقَةٌ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٌ ) قال : السقط مخلوق وغير مخلوق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه .  
حدثنا ابن المنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن عامر أنه قال في النطفة والمضغّة إذا نكست في الخلق الرابع ، كانت نسمة مخلّقة ، وإذا قذفتها قبل ذلك فهي غير مخلّقة .  
قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، عن حماد بن أبي سلامة ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي العالية ( مُخَلَّقَةٌ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٌ ) قال : السقط .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : الخلقة : المصوّرة خلقا تاما ، وغير مخلّقة : السقط قبل تمام خلقه ، لأن الخلقة وغير الخلقة من نعت المضغّة والنطفة بعد مصيرها مضغّة ، لم يبق لها حتى تصير خلقا سويا إلا التصوير ، وذلك هو المراد بقوله ( مُخَلَّقَةٌ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٌ ) خلقا سويا ، وغير مخلّقة بأن تلقب الأم مضغّة ولا تصوّر ، ولا ينفخ فيها الروح .

وقوله ( لِنُبَيِّنَ لَكُمْ ) يقول تعالى ذكره : جعلنا المضغة منها المحاقمة التامة ، ومنها السقط غير التام لنبين لكم قدرتنا على ما نشاء ، ونعرفكم ابتداءنا خلقكم .  
 وقوله ( وَنُقِرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) يقول تعالى ذكره : من كنا كتبنا له بقاء وحياة إلى أمد وغاية ، فإنا نقره في رحم أمه إلى وقته الذي جعلنا له أن يمكث في رحمها فلا تسقطه ، ولا يخرج منها حتى يبلغ أجله ، فإذا بلغ وقت خروجه من رحمها أذننا له بالخروج منها ، فيخرج .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَنُقِرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال : التمام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثني يونس . قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَنُقِرِّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال : الأجل المسمى : إقامته في الرحم حتى يخرج .

وقوله ( ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ) يقول تعالى ذكره : ثم نخرجكم من أرحام أمهاتكم إذا بلغتم الأجل الذي قدرته لخروجكم منها طفلا صغارا ، ووجد الطفل ، وهو صفة للجميع ، لأنه مصدر مثل عدل وزور . وقوله ( ثُمَّ لَتَسْبُلُنَّوَأَشَدُّكُمْ ) يقول : ثم لتبلغوا كمال عقولكم ونهاية قواكم بعمركم .  
 وقد ذكرت اختلاف المختلفين في الأشد ، والصواب من القول فيه عندنا بشواهد فيها مضى بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنْكُمْ مَّنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ أَبَاهَا النَّاسُ مِنْ يُتَوَفَّى قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ فَيَمُوتُ ، وَمِنْكُمْ مَّنْ يُنْسَأُ فِي أَجَلِهِ فَيَعْمُرُ حَتَّى يَهْرَمَ ، فَيُرَدُّ مِنْ بَعْدِ انْتِهَاءِ شِبَابِهِ ، وَبَاوُغُهُ غَايَةُ أَشُدِّهِ إِلَى أُرْدُلِ عَمْرِهِ ، وَذَلِكَ الْهَرَمُ حَتَّى يَمُوتَ كَهَيْئَتِهِ فِي حَالِ صِبَاهٍ ، لَا يَعْقِلُ مِنْ بَعْدِ عَقْلِهِ الْأَوَّلِ شَيْئًا .

بِهَيْجِ ⑤

ومعنى الكلام : ومنكم من يرد إلى أُرْدُلِ الْعُمُرِ بَعْدَ بَلُوغِهِ أَشُدَّهُ ( لِيَكْتَسِلَ بِعِلْمِهِ مِنْ بَعْدِ عِلْمِهِ ) كان يعلمه ( شَيْئًا ) . وقوله ( وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً ) يقول تعالى ذكره : وترى الأرض باهتة باسنة

دارسة الآثار من النبات والزرع ، وأصل الهمود : الدروس والدثور ، ويقال منه : همدت الأرض تهمد  
همودا ؛ ومنه قول الأعشى ميمون بن قيس :

قَالَتْ قُتَيْلَةَ : مَا لِجِسْمِكَ شَاحِبًا وَأَرَى ثِيَابَكَ بِالْبِيَاتِ هَمْدًا  
والهمد : جمع همد ، كما الركع جمع راع .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله ( وَتَرَى الْأَرْضَ  
هَامِدَةً ) قال : لانبات فيها .

وقوله ( فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ ) يقول تعالى ذكره : فإذا نحن أنزلنا على هذه الأرض  
الهامدة التى لانبات فيها ، المطر من السماء اهتزت : يقول : تحركت بالنبات ( وَرَبَّتْ ) يقول : وأضعفت  
النبات بمجىء الغيث .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ ) قال :  
عُرِفَ الْغَيْثُ فِي رَبُّهَا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( اهْتَزَّتْ وَرَبَّتْ )  
قال : حسنت ، وعرف الغيث فى ربوها .

وكان بعضهم يقول : معنى ذلك : فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت ، ويوجه المعنى إلى الزرع ، وإن كان  
الكلام مخرجه على الخبر عن الأرض ، وقرأت قراء الأمصار ( وَرَبَّتْ ) بمعنى : الربو : الذى هو النماء  
والزيادة . وكان أبو جعفر القارى يقرأ ذلك ( وَرَبَّاتٌ ) بالهمز .

حدثت عن الفراء ، عن أبى عبد الله التميمى عنه ، وذلك غلط ، لأنه لا وجه للرب ههنا ، وإنما يقال :  
رباً بالهمز بمعنى : حرس من الربيثة ، ولا معنى للحراسة فى هذا الموضع ، والصحيح من القراءة ما عليه  
قراء الأمصار .

وقوله ( وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ) يقول جل ثناؤه : وأنبتت هذه الأرض الهامدة بذلك  
الغيث ، من كل نوع بهيج ، يعنى بالبهيج : البهج ، وهو الحسن .

(١) البيت لأعشى بنى قيس بن ثعلبة ( ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٢٢٧ ) . وهو من قصيدة قالها لكسرى  
حين أراد منهم رهائن ، لما أغار الحارث بن وعله على بعض السواد . والرواية فيه « ساينا » فى موضع « شاحبا » . قال فى تفسيره :  
سايه : يسوء من رآه . وهد الثوب تقطع من طول الطى ، ينظر إليه الناظر فيحسبه صحيحا ، فإذا مسه تناثر من البلى ، ومثله فى ( اللسان  
هد ) : ( وترى الأرض هامدة ) : أى جافة ذات تراب . وأرض هامدة : مقشعة ، لانبات فيها إلا اليابس المتحطم ، وقد أهدها  
القمح . اه .

وينحوما قلنا في ذلك قال أهل التأويل

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ) قال : حسن .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْتَ بِحِي الْمَوْتِ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠﴾ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿١١﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله : ذلك هذا الذى ذكرت لكم أيها الناس من بدتنا خاتمكم فى بطون أمهاتكم ، ووصفنا أحوالكم قبل الميلاد وبعده ، طفلا ، وكهلا ، وشيخا هرما ، وتبينناكم على فعلنا بالأرض الهامدة بما نزل عليها من الغيث لتؤمنوا وتصدقوا بأن ذلك الذى فعل ذلك ، الله الذى هو الحق لا شك فيه ، وأن من سواه مما تعبدون من الأوثان والأصنام باطل لأنها لا تقدر على فعل شيء من ذلك ، وتعلموا أن القدرة التى جعل بها هذه الأشياء العجيبة ، لا يتعدّر عليها أن يحيى بها الموتى بعد فنائها ودروسها فى التراب ، وأن فاعل ذلك على كل ما أراد وشاء من شيء قادر ، لا يمتنع عليه شيء أراده ، ولتوقنوا بذلك أن الساعة التى وعدتكم أن أبعث فيها الموتى من قبورهم جاثية لا محالة ( لا ريبَ فيها ) يقول : لا شك فى مجيئها وحدوثها ( وأن الله يبعث من فى القبور ) حينئذ من فى منها من الأموات أحياء إلى موقف الحساب ، فلا تشكروا فى ذلك ، ولا تتمرؤوا فيه .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : ومن الناس من يخاصم فى توحيد الله وإفراده بالألوهة بغير علم منه بما يخاصم به ( ولا هدى ) يقول : وبغير بيان معه ، لا يقول ولا يبرهان ( ولا كتاب منير ) يقول : وبغير كتاب من الله أتاه لصحة ما يقول ( منير ) يقول ينير عن حجته . وإنما يقول ما يقول من الجهل ظلما منه وحسانا ، وذكر أنه حنى بهذه الآية التى بعدها النضر بن الحارث بن بنى عبد الدار .

القول فى تأويل قوله تعالى :

ثَانِي عِظْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَعْنَةُ اللَّهِ لِّلَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهِمْ وَنُدِيِّمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غَابَ الْحَرِيقُ ﴿١٣﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : يجادل هذا الذي يجادل في الله بغير علم (ثاني عِطْفِهِ) .  
واختلف أهل التأويل في المعنى الذي من أجله وصف بأنه يثني عطفه ، وما المراد من وصفه إياه بذلك ،  
فقال بعضهم : وصفه بذلك لتكبره وتبخره ، وذكر عن العرب أنها تقول : جاءني فلان ثاني عطفه : إذا  
جاء متبخترا من الكبر .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله (ثاني عطْفِهِ) يقول : مستكبرا في نفسه .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا ورقبته .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (ثاني عطْفِهِ) قال : رقبته .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (ثاني عطْفِهِ) قال : لا وعنقه .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .  
وقال آخرون : معنى ذلك أنه يعرض عما يدعى إليه فلا يسمع له .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله (ثاني عطْفِهِ) يقول : يعرض عن ذكرى .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد (ثاني عطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ  
الله) قال : لاويا رأسه ، معرضا موليا ، لا يريد أن يسمع ما قيل له ، وقرأ (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا  
يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللهِ لَوَّأَ رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ - وَإِذَا  
تَنَزَّلَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا وَآتَيْنَا وَلِيًّا مُسْتَكْبِرًا) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله (ثاني عطْفِهِ) قال : يعرض عن الحق .

قال أبو جعفر : وهذه الأقوال الثلاثة متقاربات المعنى ، وذلك أن من كان ذا استكبار ، فمن شأنه  
الإعراض عما هو مستكبر عنه وليّ عنقه عنه والإعراض .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن الله وصف هذا المخاصم في الله بغير علم أنه من كبره إذا  
دُعِيَ إلى الله ، أعرض عن داعيه ، ولوى عنقه عنه ، ولم يسمع ما يقال له استكبارا .

وقوله (لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللهِ) يقول تعالى ذكره : يجادل هذا المشرك في الله بغير علم معرضا

عن الحق استكبارا ، ليصد المؤمنين بالله عن دينهم الذي هداهم له ، ويستزلم عنه ( له في الدنيا خزي ) يقول جل ثناؤه : لهذا الجادل في الله بغير علم ، في الدنيا خزي وهو القتل والذل والمهانة بأبدى المؤمنين ، فقتله الله بأيديهم يوم بدر .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( في الدنيا خزي ) قال : قتل يوم بدر .

وقوله ( وَتَذِيْقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ) يقول تعالى ذكره : ونحرقه يوم القيامة بالنار . وقوله ( ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ ) يقول جل ثناؤه : ويقال له إذا أذيق عذاب النار يوم القيامة : هذا العذاب الذي نذيقه اليوم بما قلمت يداك في الدنيا من الذنوب والآثام ، واكتسبته فيها من الإجمام ( وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ) يقول : وفعلنا ذلك ، لأن الله ليس بظلام للعبيد ، فيعاقب بعض عبيده على جرم ، وهو يغفر أمثله من آخر غيره ، أو يحمل ذنب مذنّب على غير مذنّب ، فيعاقبه به ، ويعفو عن صاحب الذنب ، ولكنه لا يعاقب أحدا إلا على جرمه ، ولا يعذب أحدا على ذنب يغفر مثله لآخر إلا بسبب استحق به منه مغفرته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾

\* يعني جل ذكره بقوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ) أعرابا كانوا يقدمون على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، مهاجرين من بلادهم ، فإن نالوا رخاء من عيش بعد الهجرة والدخول في الإسلام أقاموا على الإسلام ، وإلا ارتدوا على أعقابهم ، فقال الله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ ) على شك ( فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ ) وهو السعة من العيش ، وما يشبهه من أسباب الدنيا اطمأن به . يقول : استقر بالإسلام وثبت عليه ( وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ) وهو الضيق بالعيش وما يشبهه من أسباب الدنيا ( انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ) يقول : ارتد فانقلب على وجهه الذي كان عليه من الكفر بالله .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا حمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ ) . . . إلى قوله ( انْقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِ ) قال : الفتنه البلاء ، كان أحدهم إذا قدم المدينة وهي أرض وبيئة ، فإن صح بها جسمه ، ونشجت فرسه مهرا حسنا ، وولدت امرأته غلاما رضى به ، واطمأن إليه وقال : ما أصبت منذ كنت على ديني هذا إلا خيرا ، وإن

(١) في الأصل يعلو . وفي العبارة ارتباك ، فلو صحح في آخر كلامه .



أصابه وجع المدينة ، وولدت امرأته جارية ، وتأخرت عنه الصدقة ، أتاه الشيطان فقال : والله ما أصبت منذ كنت على دينك هذا إلا شراً ، وذلك الفتنة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عنيسة ، عن أبي بكر ، عن محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد في قول الله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ) قال : على شك .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( عَلَى حَرْفٍ ) قال : على شك ( فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ ) رَخَاءٌ وَعَافِيَةٌ ( اطمأنَّ بِهِ ) : استقرَّ ( وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ) عذاب ومصيبة ( انقلَبَ ) ارتدَّ ( عَلَى وَجْهِهِ ) كافراً .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه . قال ابن جريج : كان ناس من قبائل العرب ومن حولهم من أهل القرى يقولون : نأتى محمداً صلى الله عليه وسلم ، فإن صادفنا خيراً من معيشة الرزق ثبتنا معه ، وإلا لحقنا بأهلنا .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ) قال : شك ( فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ ) يقول : أكثر ماله ، وكثرت ماشيته اطمأنَّ وقال : لم يصبني في ديني هذا منذ دخلته إلا خير ( وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ) يقول : وإن ذهب ماله ، وذهبت ماشيته ( انقلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِيرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، نحوه .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ) الآية . كان ناس من قبائل العرب ، ومن حول المدينة من القرى كانوا يقولون : نأتى محمداً صلى الله عليه وسلم فننظر في شأنه ، فإن صادفنا خيراً ثبتنا معه ، وإلا لحقنا بمنزلنا وأهلينا ، وكانوا يأتونه فيقولون : نحن على دينك ، فإن أصابوا معيشة ، ومنتجوا خيلهم ، وولدت نساؤهم الغلمان اطمأنوا وقالوا : هذا دين صدق ، وإن تأخر عنهم الرزق ، وأزلقت خيولهم ، وولدت نساؤهم البنات ، قالوا : هذا دين سوء ، فانقلبوا على وجوههم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ ) قال : هذا المنافق ، إن صاححت له دنياه أقام على العبادة ، وإن فسدت عليه دنياه ، وتغيرت انقلب ، ولا يقيم على العبادة إلا لما صلح من دنياه . وإذا أصابته شدة أو فتنة ، أو اختبار أو ضيق ، ترك دينه ورجع إلى الكفر .

وقوله ( خَسِيرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) يقول : غيبن هذا الذي وصف جل ثناؤه صفته دنياه ، لأنه لم

يظفر بحاجته منها بما كان من عبادته الله على الشك ، ووضع في تجارته فلم يربح ، والآخرة : يقول : وخسر الآخرة ، فإنه معذب فيها بنار الله الموقدة . وقوله ( ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ) يقول : وخسارته الدنيا والآخرة هي الخسران : يعني الهلاك المبين : يقول : يبين لمن فكّر فيه وتدبره أنه قد خسر الدنيا والآخرة .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته قرأه الأمصار جميعا ، غير حميد الأعرج ( خَسِرَ الدنيا والآخرة ) على وجه المضي . وقرأه حميد الأعرج ( خاسِرًا ) نصبا على الحال على مثال فاعل .

القول في تاويل قوله تعالى :

يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : وإن أصابت هذا الذي يعبد الله على حرف فتنة ، ارتدّ عن دين الله ، يدعو من دون الله آلهة لا تنصره إن لم يعبدها في الدنيا ، ولا تنفعه في الآخرة إن عبدها ( ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ) يقول : ارتداده ذلك داعيا من دون الله هذه الآلهة هو الأخذ على غير استقامة ، والذهاب عن دين الله ذهابا بعيدا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ) يكفر بعد إيمانه ( ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ) .

القول في تاويل قوله تعالى :

يَدْعُوا لِمَنْ ضَرَّهُمْ أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِمْ لِيُبْسَ الْمُؤَلَّىٰ وَلِيُبْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : يدعو هذا المنقلب على وجهه من أن أصابته فتنة آلهة لضرها في الآخرة له ، أقرب وأسرع إليه من نفعها . وذكر أن ابن مسعود كان يقرؤه : يدعو من ضره أقرب من نفعه .

واختلف أهل العربية في موضع « مَنْ » ، فكان بعض نحوبي البصرة يقول : موضعه نصب يدعو ، ويقول : معناه : يدعو لآلهة ضرها أقرب من نفعها ، ويقول : هو شاذ لأنه لم يوجد في الكلام يدعو لزيدا . وكان بعض نحوبي الكوفة يقول : اللام من صيغة « ما » بعد « مَنْ » ، كأن معنى الكلام عنده : يدعو من لضره أقرب من نفعه . وحكى عن العرب سبها منها عندي لما خيرته خيرا منه ، بمعنى : عندي ما لغيره خيرا منه . وأعطيتك لما خيرته خيرا منه ، بمعنى : ما لغيره خيرا منه . وقال : جائز في كل ما لم يبين فيه الإعراب الاعتراض باللام دون الاسم .

وقال آخرون منهم : جائز أن يكون معنى ذلك : هو الضلال البعيد يدعو ، فيكون يدعو صيغة الضلال البعيد ، وتضمير في يدعو الهاء ثم تستأنف الكلام باللام ، فتقول : لمن ضره أقرب من نفعه : لبس المؤل ، كقولك في الكلام في مذهب الجزاء لما فعلت لمؤخسبرك ، فعل هذا القول « من » في موضع رفع بالهاء

في قوله ضَرُّهُ، لأن مَنْ إذا كانت جزءاً فإنما يعربها ما بعدها ، واللام الثانية في لبئس المولى جواب اللام الأولى ، وهذا القول الآخر على مذهب العربية أصح ، والأول إلى مذهب أهل التأويل أقرب .  
وقوله ( لَبِئْسَ الْمَوْلَى ) يقول : لبئس ابن العم هذا الذي يعبد الله على حرف ( وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ) يقول : ولبئس الخليفة المعاشر والصاحب : هو كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ) قال : العشير : هو المعاشر الصاحب ، وقد قيل : عنى بالمولى في هذا الموضع : المولى الناصر .

وكان مجاهد يقول : عنى بقوله ( لَبِئْسَ الْمَوْلَى وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ) الوثن .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ) قال : الوثن .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : إن الله يدخل الذين صدقوا الله ورسوله ، وعملوا بما أمرهم الله في الدنيا ، وانتهوا عما نهاهم عنه ، فيها جنات : يعني بساتين ( تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) يقول : تجري الأنهار من تحت أشجارها ( إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ) فيعطى ماشاء من كرامته أهل طاعته ، وما شاء من الهوان أهل معصيته .

القول في تأويل قوله تعالى :

مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ بَيْنَ آيَاتٍ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ﴿١٦﴾

اختلف أهل التأويل في المعنى بالهاء التي في قوله ( أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ) .

فقال بعضهم : عنى بها نبي الله صلى الله عليه وسلم ، فتأويله على قول بعض قائل ذلك : من كان من الناس يحسب أن لن ينصر الله محمداً في الدنيا والآخرة ، فليمدد بجبل ، وهو السبب إلى السماء : يعني سماء البيت ، وهو سقفه ، ثم ليقطع السبب بعد الاختناق به ، فلينظر هل يذهبن اختناقه ذلك ، وقطعه السبب بعد الاختناق ما يغيظ : يقول : هل يذهبن ذلك ما يجد في صدره من الغيظ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا نصر بن علي ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا خالد بن قيس ، عن قتادة : من كان يظن أن لن

ينصر الله نبيه ولا دينه ولا كتابه ( فإيمدُ دُ بسبب ) يقول : بجبل إلى سماء البيت فليختنق به ( فَلْيَسْتَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ) .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) قال : من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، ( فَلْيَسْمُدْ بِسَبَبٍ ) يقول : بجبل إلى سماء البيت ( ثُمَّ لِيَقْتَطِعَ ) يقول : ثم ليختنق ثم لينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال أخبرنا معمر ، عن قتادة ، بنحوه .  
وقال آخرون ممن قال : الهاء في ينصره من ذكر اسم رسول الله صلى الله عليه وسلم السماء التي ذكرت في هذا الموضع ، هي السماء المعروفة .

قالوا : معنى الكلام ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) فقرأ حتى بلغ ( هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ) قال : من كان يظن أن لن ينصر الله نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويكابد هذا الأمر ليقطعه عنه ، ومنه : فليقطع ذلك من أصله من حيث يأتيه ، فإن أصله في السماء ، فإيمد بسبب إلى السماء ، ثم ليقطع عن النبي صلى الله عليه وسلم الوحي الذي يأتيه من الله ، فإنه لا يكابده حتى يقطع أصله عنه ، فكابد ذلك حتى قطع أصله عنه ( فَلْيَسْتَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِيظُ ) مادخلهم من ذلك ، وغاظهم الله به من نصرة النبي صلى الله عليه وسلم وما ينزل عليه . وقال آخرون ممن قال « الهاء » التي في قوله ( يَنْصُرُهُ ) من ذكر محمد صلى الله عليه وسلم معنى النصر هاهنا الرزق ، فعلى قول هؤلاء تأويل الكلام : من كان يظن أن لن يرزق الله محمداً في الدنيا ، ولن يعطيه . وذكروا سماعاً من العرب : من ينصر في نصره الله ، بمعنى : من يعطى أعطاه الله . وحكوا أيضاً سماعاً منهم : نصر المطر أرض كذا : إذا جادها وأحياها ، واستشهد لذلك بيت الفقعسي :  
وإنك لاتعطي أمراً فوق حظه  
ولا تملك الشق الذي الغيث ناصره<sup>١</sup>

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، قال : قلت لابن عباس : رأيت قوله ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَسْمُدْ )

(١) البيت للفقعسي ، كما قال المؤلف . والشاهد فيه قوله « الغيث ناصره » . قال في ( اللسان : نصر ) قال أبو حنيفة الديلمي : الناصر والناصر : ما جاء من مكان بعيد إلى الرادى ، فنصر السيول . ونصر البلاد ينصرها أي يأنسها . عن ابن الأعرابي ، ونصرت أرض بني فلان أي أنبأها ، ونصر الغيث الأرض نصراً : أغناها وسفأها وأنبأها . قال :

من كان أخطأ الربيع فإنما نصر الحجاز بغيث عبد الواحد

ونصر الغيث البلد : إذا أعانه هل الخصب والنبات . وقال أبو عبيد : نصرت البلاد : إذا مطرت . فهي منصورة : أي مطورة . ونصر الغوم : إذا أنبأها . وفي الحديث : إن هذه السحابة تنصر أرض بني كعب . أي تطهرم .

بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لَيَقْتَطِعَ فَلَيَنْظُرُ هَلْ يَدْهَبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ( قال : من كان يظن أن لن ينصر الله محمدا ، فليربط حبلا في سقف ، ثم ليختنق به حتى يموت .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام عن عنبسة ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن التميمي ، قال : سألت ابن عباس ، عن قوله ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ) قال : أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة ( فَلَيَمْدُدُ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ) والسبب : الحبل ، والسماء : سقف البيت ، فليعلق حبلا في سماء البيت ، ثم ليختنق ( فَلَيَنْظُرُ هَلْ يَدْهَبَنَّ كَيْدُهُ ) هذا الذي صنع ما يجد من الغيظ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو بن مطرف ، عن أبي إسحاق ، عن رجل من بني تميم ، عن ابن عباس ، مثله .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن التميمي ، عن ابن عباس ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلَيَمْدُدُ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ) قال : سماء البيت .

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا أبو داود ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، قال : سمعت التميمي ، يقول : سألت ابن عباس ، فذكر مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) ... إلى قوله ( مَا يَغِيظُ ) قال : السماء التي أمر الله أن يمد إليها بسبب سقف البيت أمر أن يمد إليه بحبل فيختنق به ، قال : فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيب إذا ختنق إن خشى أن لا ينصره الله !

وقال آخرون : الهاء في ينصره من ذكر « مَنْ » . وقالوا : معنى الكلام : من كان يظن أن لن يرزقه الله في الدنيا والآخرة ، فليمدد بسبب إلى سماء البيت ، ثم ليختنق ، فلينظر هل يذهبن فعله ذلك ما يغيب ، أنه لا يرزق !

#### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قول الله ( أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ) قال : يرزقه الله ( فَلَيَمْدُدُ بِسَبَبِ ) قال : بحبل ( إِلَى السَّمَاءِ ) سماء ما فوقك ( ثُمَّ لَيَقْتَطِعُ ) ليختنق ، هل يذهبن كيده ذلك خنقه أن لا يرزق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ ) يرزقه الله ( فَلَيَمْدُدُ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ) قال : بحبل إلى السماء .

قال ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : ( إِلَى السَّمَاءِ ) إلى سماء البيت . قال ابن جريج : وقال مجاهد : ( ثُمَّ لَيَقْتَطِعُ ) قال : ليختنق ، وذلك كيده ما يغيب ، قال : ذلك خنقه أن لا يرزقه الله .

(١) في السند اختصار لعله من الناسخ .

حدثت عن الحسين، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( فَلْيَسْمُدْ بِسَبَبِ ) يعني : بجبل ( إلى السماء ) يعني : سماء البيت .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : أخبرنا أبو رجاء ، قال : سئل عكرمة عن قوله : ( فَلْيَسْمُدْ بِسَبَبِ إِلَى السَّمَاءِ ) قال : سماء البيت ( ثُمَّ لَيَقْتَطِعَنَّ ) قال : يَخْتَنِقُ .  
وأولى ذلك بالصواب عندى في تأويل ذلك قول من قال : الهاء من ذكر نبي الله صلى الله عليه وسلم ودينه ، وذلك أن الله تعالى ذكره ، ذكر قوما يعبدونه على حرف ، وأنهم يطمثون بالدين إن أصابوا خيرا في عبادتهم إياه ، وأنهم يرتدون عن دينهم لشدة تصيبهم فيها ، ثم أتبع ذلك هذه الآية ، فعلوم أنه إنما أتبعه إياها توبيخا لهم على ارتدادهم عن الدين ، أو على شكهم فيه نفاقهم ، استبطاء منهم السعة في العيش ، أو السبوغ في الرزق . وإذا كان الواجب أن يكون ذلك عقيب الخبر عن نفاقهم ، فعنى الكلام إذن ، إذ كان ذلك كذلك : من كان يحسب أن لن يرزق الله محمدا صلى الله عليه وسلم وأمته في الدنيا ، فيوسع عليهم من فضله فيها ، ويرزقهم في الآخرة من سني عطاياه وكرامته ، استبطاء منه فعل الله ذلك به وبهم ، فليمدد بجبل إلى سماء فوقه : إما سقف بيت ، أو غيره مما يعلق به السبب من فوقه ، ثم يخنق إذا اغتاط من بعض ما قضى الله ، فاستعجل انكشاف ذلك عنه ، فلينظر هل يذهب كيدته اختناقه ، كذلك ما يغيظ ، فإن لم يذهب ذلك غيظه ، حتى يأتي الله بالفرج من عنده فيذهب ، فكذلك استعجاله نصر الله محمدا ودينه لن يؤخر ما قضى الله له من ذلك عن ميقاته ، ولا يعجل قبل حينه . وقد ذكر أن هذه الآية نزلت في أسد وخطفان ، تباطنوا عن الإسلام ، وقالوا : نخاف أن لا ينصر محمد صلى الله عليه وسلم ، فينقطع الذي بيننا وبين حلفائنا من اليهود فلا يمروننا ولا يروؤونا ، فقال الله تبارك وتعالى لهم : من استعجل من الله نصر محمد ، فليمدد بسبب إلى السماء فليخنق فلينظر استعجاله بذلك في نفسه ، هل هو مذهب غيظه ؟ فكذلك استعجاله من الله نصر محمد غير مقدم نصره قبل حينه .

واختلف أهل العربية في « ما » التي في قوله ( ما يَغِيظُ ) فقال بعض نحوئي البصرة هي بمعنى الذي ، وقال : معنى الكلام : هل يذهب كيدته الذي يغيظه ، قال : وحذفت الهاء لأنها صلة الذي ، لأنه إذا صار جميعا اسما واحدا كان الحذف أخف . وقال غيره : بل هو مصدر لاحاجة به إلى الهاء ، هل يذهب كيدته غيظه .

وقوله ( وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) يقول تعالى ذكره : وكما بيئت لكم حُجَجِي على من جحد قدرني على إحياء من مات من الخلق بعد فنائه ، فأوضحها أيها الناس ، كذلك أنزلنا إلى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم هذا القرآن آيات بيِّنات ، يعني دلالات واضحات ، يهدين من أراد الله هدايته إلى الحق ( وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ ) يقول جل ثناؤه : ولأن الله يوفق للصواب ويسبيل الحق من أراد ، أنزل هذا القرآن آيات بيِّنات ، فإن في موضع نصب .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ  
بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : إن الفصل بين هؤلاء المنافقين الذين يعبدون الله على حرف ، والذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام ، والذين هادوا ، وهم اليهود والصابئين والنصارى والمجوس الذين عظموا النيران وخدموها ، وبين الذين آمنوا بالله ورسله إلى الله ، وسيفصل بينهم يوم القيامة بعدل من القضاء ونصله بينهم إدخاله النار الأحزاب كلهم والجنة المؤمنين به ورسله ، فذلك هو الفصل من الله بينهم .

وكان قتادة يقول في ذلك ما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ) قال : الصابئون : قوم يعبدون الملائكة ، ويصلون القبلة ، ويقرءون الزبور . والمجوس : يعبدون الشمس والقمر والنيران . والذين أشركوا : يعبدون الأوثان . والأديان ستة : خمسة للشيطان ، وواحد للرحمن . وأدخلت « إن » في خبر « إن » الأولى لما ذكرت من المعنى ، وأن الكلام بمعنى الجزاء ، كأنه قيل : من كان على دين من هذه الأديان ، ففصل ما بينه وبين من خالفه على الله والعرب تدخل أحيانا في خبر « إن » إذا كان خبر الاسم الأول في اسم مضاف إلى ذكره ، فتقول : إن عبد الله إن الخير عنده لكثير ، كما قال الشاعر :

إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنْ أَلَّفَ اللَّهُ سَرْبَلَهُ  
سِرْبَالَ مَلِكٍ بِهِ تُرْجَى الْخَوَاتِيمُ<sup>١</sup>

وكان الفراء يقول : من قال هذا لم يقل : إنك إنك قائم ، ولا إن إياك إنه قائم ، لأن الاسم قد اختلفا ، فحسن رفض الأول ، وجعل الثاني كأنه هو المبتدأ ، فحسن للاختلاف ، وقبح للاتفاق . وقوله ( إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ) يقول : إن الله على كل شيء من أعمال هؤلاء الأصناف الذين ذكرهم الله جل ثناؤه ، وغير ذلك من الأشياء كلها شهيد لا يخفى عنه شيء من ذلك .

(١) البيت لجرير ( ديوانه طبعة الصاوي ص ٥٢٧ ) وهو من قصيدة يمدح بها بعض بني مروان وفي روايته : « يَكُونُ » في موضع « إن » الأولى . وترجى ، في موضع ترجى . قال شارح شواهد الكشاف : خاتم الشيء : عاقبته . وترجى أي تساق خواتيم الإمارة ، والخاتم بفتح التاء وكسرهما ، يقال أزجيت الإبل أي سقتها . والبيت شاهد عند قوله تعالى : ( إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ ... ، إن الله يفصل بينهم ) أدخلت إن على كل واحد من جزأى الجملة ، لزيادة التأكيد . وحسن دخول إن الثانية على الجملة الواقعة خبرا ، طول الفصل بينهما بالمعاطيف . والمؤلف ساق البيت شاهدا على أنه نظير ما في الآية من دخول إن الثانية على جملة الخبر إذا كان فيه ضمير . ويجوز في البيت وجه آخر ، وهو أن تكون جملة إن الله سربله سربال ملك ، جملة معترضة بين اسم إن وخبرها ، ولا يجوز ذلك في الآية ، قاله أبو حيان ، ونقله عنه شارح شواهد الكشاف . اهـ . والسربال : القميص والدرع . والمراد هنا الأول .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ  
وَالشَّجَرُ وَالذَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تر يا محمد بقلبك ، فتعلم أن الله يسجد له من في السموات من الملائكة ، ومن في الأرض من الخلق من الجن وغيرهم ، والشمس والقمر والنجوم في السماء ، والجبال ، والشجر ، والدواب في الأرض ، وسجد ذلك ظلاله حين تطلع عليه الشمس ، وحين تزول ، إذا تحول ظل كل شيء فهو سجدته .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالذَّوَابُّ ) قال : ظلال هذا كله .

وأما سجد الشمس والقمر والنجوم ، فإنه كما حدثنا به ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ومحمد بن جعفر ، قالوا : ثنا عوف ، قال : سمعت أبا العالية الرياحي يقول : ما في السماء نجم ولا شمس ولا قمر ، إلا يقع لله ساجدا حين يغيب ، ثم لا ينصرف حتى يؤذن له ، فيأخذ ذات اليمين ، وزاد محمد حتى يرجع إلى مطامعه . وقوله ( وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ) يقول : ويسجد كثير من بني آدم ، وهم المؤمنون بالله .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ) قال : المؤمنون . وقوله ( وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) يقول تعالى ذكره : وكثير من بني آدم حق عليه عذاب الله ، فوجب عليه بكفره به ، وهو مع ذلك يسجد لله ظله .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) وهو يسجد مع ظله ، فعلى هذا التأويل الذي ذكرناه عن مجاهد ، وقع قوله ( وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) بالعطف على قوله ( وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ) ويكون داخل في عداد من وصفه الله بالسجود له ، ويكون قوله ( حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) من صلة كثير ، ولو كان الكثير الثاني ممن لم يدخل في عداد من وصف بالسجود كان مرفوعا بالعائد من ذكره في قوله ( حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) وكان معنى الكلام حينئذ : وكثير أتى السجود ، لأن قوله ( حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) يدل على معصية الله وإبائه السجود ، فاستحق بذلك العذاب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿١٣٠﴾

يقول تعالى ذكره : ومن يهينه الله من خاقه في نفسه ( فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ) بالسعادة بسعده بها ، لأن



الأمور كلها بيد الله ، يوفق من يشاء لطاعته ، ويخذل من يشاء ، ويشقى من أراد ، ويسعد من أحب . وقوله ( إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ) يقول تعالى ذكره : إن الله يفعل في خلقه ما يشاء من إهانة من أراد إهانتة ، وإكرام من أراد كرامته ، لأن الخلق خلقه ، والأمر أمره ، ( لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ) . وقد ذكر عن بعضهم أنه قرأه ( فَتَالَهُ مِنْ مُكْرَمٍ ) بمعنى : فثاله من إكرام ، وذلك قراءة لأستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القراء على خلافه .

القول في تأويل قوله تعالى :

هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ يُصَبُّ مِنْ  
فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ﴿١٠﴾ يُصْهِرُ بِهِمْ نَارُ فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ﴿١١﴾ وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ  
﴿١٢﴾ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٣﴾

اختلف أهل التأويل في المعنى بهذين الخصمين اللذين ذكرهما الله ، فقال بعضهم : أحد الفريقين : أهل الإيمان ، والفريق الآخر : عبدة الأوثان من مشركي قريش الذين تبارزوا يوم بدر .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو هاشم ، عن أبي مجاز ، عن قيس بن عباد قال : سمعت أبا ذرٍّ يقسم قسماً أن هذه الآية ( هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) نزلت في الذين تبارزوا يوم بدر حمزة وعليّ وعبيدة بن الحارث وعتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة ، قال : وقال عليّ : إني لأول ، أو من أول من يجثو للخصومة يوم القيامة بين يدي الله تبارك وتعالى .

حدثنا عليّ بن سهل ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي هاشم ، عن أبي مجاز ، عن قيس بن عباد ، قال : سمعت أبا ذرٍّ يقسم بالله قسماً : لنزلت هذه الآية في ستة من قريش حمزة بن عبد المطلب وعليّ بن أبي طالب ، وعبيدة بن الحارث رضي الله عنهم ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ( هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) . . . إلى آخر الآية ( إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي هاشم ، عن أبي مجاز ، عن قيس بن عباد ، قال : سمعت أبا ذرٍّ يقسم ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن محبوب ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور بن المعتمر ، عن هلال بن يساف ، قال : نزلت هذه الآية في الذين تبارزوا يوم بدر ( هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة بن الفضل ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، عن بعض أصحابه ، عن عطاء ابن يسار ، قال : نزلت هؤلاء الآيات ( هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) في الذين تبارزوا يوم

بدر : حمزة ، وعلى ، وعبيدة بن الحارث ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة . إلى قوله ( وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ) .

قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي هاشم ، عن أبي مُجَلِّز ، عن قيس بن عباد ، قال : والله لأنزلت هذه الآية ( هَذَا أَنْ خَصَّصُوا فِي رَبِّهِمْ ) في الذين خرج بعضهم إلى بعض يوم بدر : حمزة ، وعلى ، وعبيدة رحمة الله عليهم ، وشيبة ، وعتبة ، والوليد بن عتبة .  
وقال آخرون : ممن قال : أحد الفريقين فريق الإيمان ، بل الفريق الآخر أهل الكتاب .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( هَذَا أَنْ خَصَّصُوا فِي رَبِّهِمْ ) قال : هم أهل الكتاب ، قالوا للمؤمنين : نحن أولى بالله ، وأقدم منكم كتابا ، ونبينا قبل نبيكم . وقال المؤمنون : نحن أحق بالله ، آمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم ، وآمنا بنبيكم ، وبما أنزل الله من كتاب ، فأنتم تعرفون كتابنا ونبينا ، ثم تركتموه وكفرتم به حسدا ، وكان ذلك خصومتهم في ربهم .

وقال آخرون منهم : بل الفريق الآخر الكفار كلهم ، من أي ملة كانوا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الثاقب ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، قال : ثنا أبو ثميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر عن مجاهد وعطاء بن أبي رباح ، وأبي قزعة ، عن الحسين ، قال : هم الكافرون والمؤمنون اختصموا في ربهم . قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد : مثل الكافر والمؤمن . قال ابن جريج : خصومتهم التي اختصموا في ربهم ، خصومتهم في الدنيا من أهل كل دين ، يرون أنهم أولى بالله من غيرهم .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر بن عياش ، قال : كان عاصم والكلبي يقولان جميعا في ( هَذَا أَنْ خَصَّصُوا فِي رَبِّهِمْ ) قال : أهل الشرك والإسلام حين اختصموا أيهم أفضل ، قال : جعل الشرك ملة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى - وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( هَذَا أَنْ خَصَّصُوا فِي رَبِّهِمْ ) قال : مثل المؤمن والكافر اختصموا في البعث .

وقال آخرون : الحصان اللذان ذكرهما الله في هذه الآية : الجنة والنار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الفاعم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو ثميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة

( هَذَا أَنْ خَصَمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ ) قَالَ : هُمَا الْجَنَّةُ وَالنَّارُ اخْتَصَمْتَا ، فَقَالَتِ النَّارُ : خَلَقَنِي اللَّهُ لِعَقُوبَتِهِ وَقَالَتِ الْجَنَّةُ : خَلَقَنِي اللَّهُ لِرَحْمَتِهِ ، فَقَدْ قَصَّ اللَّهُ عَلَيْكَ مِنْ خَبْرِهِمَا مَا تَسْمَعُ .

وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب ، وأشبهها بتأويل الآية : قول من قال : عني بالخصمين : جميع الكفار من أن أصناف الكفر كانوا وجميع المؤمنين ، وإنما قلت ذلك أولى بالصواب ، لأنه تعالى ذكره ذكر قبل ذلك صنفين من خلقه : أحدهما أهل طاعة له بالسجود له ، والآخر : أهل معصية له ، قد حُقَّ عليه العذاب ، فقال ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ ، وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ) ثم قال : ( وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ) ، ثم أتبع ذلك صفة الصنفين كليهما وما هو فاعل بهما ، فقال ( فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ ) وقال الله ( إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) فكان بيدنا بذلك أن ما بين ذلك خبر عنهما .

فإن قال قائل : فما أنت قائل فيما روى عن أبي ذرٍّ في قوله ( إِنَّ ذَلِكَ ) نزل في الذين بارزوا يوم بدر ؟ قيل : ذلك إن شاء الله كما روى عنه ، ولكن الآية قد تنزل بسبب من الأسباب ، ثم تكون عامة في كل ما كان نظير ذلك السبب ، وهذه من تلك ، وذلك أن الذين تبارزوا إنما كان أحد الفريقين أهل شرك وكفر بالله ، والآخر أهل إيمان بالله وطاعة له ، فكل كافر في حكم فريق الشرك منهما في أنه لأهل الإيمان خصم ، وكذلك كل مؤمن في حكم فريق الإيمان منهما في أنه لأهل الشرك خصم .

فتأويل الكلام : هذان خصمان اختصموا في دين ربهم ، واختصامهم في ذلك معاداة كل فريق منهما الفريق الآخر ، ومحاربتة إياه على دينه .

وقوله ( فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ ) يقول تعالى ذكره : فأما الكافر بالله منهما فإنه يقطع له قميص من نحاس من نار .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ ) قال : الكافر قطع له ثياب من نار ، والمؤمن يدخله الله جنات تجرى من تحتها الأنهار .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر ، عن سعيد ، في قوله ( فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّنْ نَّارٍ ) قال : ثياب من نحاس ، وليس شيء من الآنية أحمى وأشد حراً منه .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الكفار قطع لهم ثياب من نار ، والمؤمن يدخل جنات تجرى من تحتها الأنهار . وقوله ( يُصَبُّ مِنْ فَوْقِ رءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ) يقول : يصب على رؤوسهم ماء مغلي .

كما حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا إبراهيم بن إسحاق الطالقاني ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سعيد بن

زيد ، عن أبي السَّمْح ، عن ابن جُحيرة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « إنَّ الحَمِيمَ لَيُصَبُّ عَلَى رُءُوسِهِمْ ، فَيَنْفُذُ الجُمُجْمَةَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ ، فَيَسْلُتُ مَا فِي جَوْفِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَدَمَيْهِ ، وَهِيَ الصَّهْرُ ، ثُمَّ يُعَادُ كَمَا كَانَ » .

حدثني محمد بن المثنى ، قال : ثنا يعمر بن بشر ، قال : ثنا ابن المبارك ، قال : أخبرنا سعيد بن زيد ، عن أبي السَّمْح ، عن ابن جحيرة ، عن أبي هريرة ، عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثله ، إلا أنه قال : « فَيَنْفُذُ الجُمُجْمَةَ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى جَوْفِهِ ، فَيَسْلُتُ مَا فِي جَوْفِهِ » .

وكان بعضهم يزعم أن قوله ( وَهِيَ الصَّهْرُ ) من المؤخر الذي معناه التقديم ، ويقول : وجه الكلام : فالذين كفروا قطعتم لهم ثياب من نار ، ولهم مقامع من حديد يصب من فوق رؤوسهم الحميم ويقول : إنما وجب أن يكون ذلك كذلك ، لأن الملك يضربه بالمقمع من الحديد حتى يثقب رأسه ، ثم يصب فيه الحميم الذي انتهى حره ، فيقطع بطنه . والخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ذكرنا ، يدل على خلاف ما قال هذا القائل ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم أخبر أن الحميم إذا صب على رؤوسهم نفذ الجمجمة حتى يخلص إلى أجوافهم ، وبذلك جاء تأويل أهل التأويل ، ولو كانت المقامع قد تثقب رؤوسهم قبل صب الحميم عليها ، لم يكن لقوله صلى الله عليه وسلم : « إنَّ الحَمِيمَ يَنْفُذُ الجُمُجْمَةَ » معنى : ولكن الأمر في ذلك بخلاف ما قال هذا القائل .

وقوله ( يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بَطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ) يقول : يذاب بالحميم الذي يصب من فوق رؤوسهم ما في بطونهم من الشحوم ، وتشوى جاودهم منه فتساقط ، والصر : هو الإذابة ، يقال منه : صهرت الألية بالنار : إذا أذبتها أصهرها صهرا ، ومنه قول الشاعر :

تَرَوِي لَقَى الْقَيْ فِي صَفْصَفٍ تَصَهَّرُهُ الشَّمْسُ وَلَا يَنْصَهَرُ

ومنه قول الراجز : . شَكَّ السَّفَافِيدِ الشَّوَاءَ الْمُصْطَهَرُ .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( يُصَهَّرُ بِهِ ) قال : يذاب إذابة .

(١) يسلت في جوفه من باب نصر : أي يقطعه ويستأصله .

(٢) البيت لابن أحر يصف فرخ قطة (اللسان : صهر) قال : وصهرته الشمس تصهره صهرا ، وصهرته : أشد وقعها عليه وحرها حتى ألم دماغه ، وانصهر هو ، قال ابن أحر يصف فرخ قطة ... البيت : أي تذيبه الشمس ، فيصبر على ذلك . وتروى تسوق إليه الماء ، أي تصيره كالراوية ؛ يقال : رويت أهل وعليهم ريا : أنيهم بالماء . والصر : إذابة الشحم ، صهر الشحم يصهره صهرا ؛ إذابه . وفي التنزيل : ( يصهر به ما في بطونهم والجلود ) أي يذاب . واصطهره : أذابه وأكله . اهـ . واللقى : كمل شيء مطروح متروك كالذقة . والصفصاف : أرض ملساء مستوية ، كما في اللسان . اهـ .

(٣) البيت للعجاج بن ربيعة الراجز المشهور (اللسان : صهر) قال الأزهرى : الصهر إذابة الشحم ، والصحارة : ما ذاب منه وكذلك الاصطهار في إذابة ، أو أكل صحارته . وقال العجاج : ( شك السفايفه . . . البيت ) . والبيت شاهد مثل الذي قبله على أن الصهر معناه الإذابة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . قال ابن جريج ( يُصَهَّرُ بِهِ ) : قال : ما قطع لهم من العذاب .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ )  
قال : يُذَابُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ) . . . إلى قوله ( يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ  
وَالْجُلُودُ ) يقول : يسقون ما إذا دخل بطونهم أذابها ، والجلود مع البطون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن جعفر وهارون بن عنبرة ، عن سعيد بن جبير ، قال :  
هارون : إذا عام أهل النار ، وقال جعفر : إذا جاع أهل النار استغاثوا بشجرة الزقوم ، فيأكلون منها ،  
فاختلست جلود وجوههم ، فلو أن ماراً مرت بهم يعرفهم ، يعرف جاود وجوههم فيها ، ثم يصب عليهم  
العطش ، فيستغيثوا ، فيغاثوا بماء كالمسهل ، وهو الذي قد انتهى حره ، فإذا أدنوه من أفواههم انشوى  
من حره لحوم وجوههم التي قد سقطت عنها الجلود و ( يُصَهَّرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ ) يعني أمعاءهم ،  
وتساقط جلودهم ، ثم يضربون بمقامع من حديد ، فيسقط كل عضو على حاله ، يدعون بالويل والثبور .  
وقوله ( وَ لَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ ) تضرب رءوسهم بها الخزنة إذا أرادوا الخروج من النار حتى  
ترجعهم إليها . وقوله ( كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا ) يقول : كلما أراد  
هؤلاء الكفار الذين وصف الله صفتهم الخروج من النار ، مما نالهم من الغم والكرب ، رددوا إليها .

كما حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا جعفر بن عون ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن أبي ظبيان ، قال :  
النار سوداء مظلمة ، لا يضيء لها ولا جمرها ، ثم قرأ ( كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ  
أُعِيدُوا فِيهَا ) وقد ذكر أنهم يحاولون الخروج من النار حين تجيش جهنم فتلقى من فيها إلى أعلى أبوابها ،  
فيريدون الخروج ، فتعيدهم الخزان فيها بالمقامع ، ويقولون لهم : إذا ضربوهم بالمقامع ( ذُوقُوا عَذَابَ  
الْحَرِيقِ ) . وعنى بقوله ( ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ ) ويقال لهم : ذوقوا عذاب النار ، وقيل عذاب الحريق  
والمعنى : المحرق ، كما قيل : العذاب الأليم ، بمعنى : المؤلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَلَّوْنَ فِيهَا  
مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿١٣﴾ وَهُدًى وَآيَاتٍ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ  
وَهُدًى وَآيَاتٍ لِلْحَمِيدِ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره: وأما الذين آمنوا بالله ورسوله فأطاعوهما بما أمرهم الله به من صالح الأعمال ، فإن الله يدخلهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار ، فيحايهم فيها من أساور من ذهب ولؤلؤا .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( وَكُلُّوْا ) فقرأته عامة قراء أهل المدينة وبعض أهل الكوفة نصبا مع التي في الملائكة ، بمعنى : يحلون فيها أساور من ذهب ولؤلؤا ، عطفًا باللؤلؤ على موضع الأساور ، لأن الأساور وإن كانت مخفوضة من أجل دخول من فيها ، فإنها بمعنى النصب ، قالوا : وهي تعدّ في خط المصحف بالألف ، فذلك دليل على صحة القراءة بالنصب فيه . وقرأت ذلك عامة قراء العراق والمصريين ( وَكُلُّوْا ) خفضا عطفًا على إعراب الأساور الظاهر .

واختلف الذين قرءوا ذلك كذلك في وجه إثبات الألف فيه ، فكان أبو عمرو بن العلاء فيما ذكر لي عنه يقول : أثبتت فيه كما أثبتت في قالوا ، وكالوا . وكان الكسائي يقول : أثبتوها فيه للهمزة ، لأن الهمزة حرف من الحروف .

والقول في ذلك عندي أنهما قراءتان مشهورتان ، فدقرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، متفقنا المعنى ، صحيحنا المخرج في العربية ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب .

وقوله ( وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ) يقول : ولبوسهم التي تلى أبقارهم فيها ثياب حرير . وقوله ( وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ) يقول تعالى ذكره : وهداهم ربهم في الدنيا إلى شهادة أن لا إله إلا الله .

كما حدثني بونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ) قال : هدوا إلى الكلام الطيب : لا إله إلا الله ، والله أكبر ، والحمد لله ، قال الله ( إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ) .

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( وَهَدُّوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ ) قال : ألهموا . وقوله ( وَهَدُّوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ) يقول جل ثناؤه : وهداهم ربهم في الدنيا إلى طريق الرب الحميد ، وطريقه : دينه دين الإسلام الذي شرعه لخالقه ، وأمرهم أن يسلكوه ؛ والحميد : فاعيل ، صرف من مفعول إليه ، ومعناه : أنه محمود عند أوليائه من خلقه ، ثم صرف من محمود إلى حميد .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿١٣٦﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين كفروا ويصدون عن سبيل الله ، والمسجد الحرام ، وأنكروا ما جاءهم به من عند ربهم ، ويصدون عن سبيل الله : يقول : ويمنعون الناس عن دين الله أن يدخلوا فيه ، وعن المسجد الحرام

الذي جعله الله للناس الذين آمنوا به كافة لم يخصص منها بعضا دون بعض (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) يقول : معتدل في الواجب عليه من تعظيم حرمة المسجد الحرام ، وقضاء نسكه به ، والنزول فيه ، حيث شاء العاكف فيه ، وهو المقيم به ؛ والباد : وهو المنتاب إليه من غيره .

واختلف أهل التأويل ، في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : سواء العاكف فيه ، وهو المقيم فيه ؛ والباد في أنه ليس أحدهما بأحقّ بالمنزل فيه من الآخر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عمرو ، عن يزيد بن أبي زياد ، عن ابن سابط ، قال : كان الحجاج إذا قدموا مكة ، لم يكن أحد من أهل مكة بأحقّ بمنزله منهم ، وكان الرجل إذا وجد سعة نزل ، ففشا فيهم السرقة ، وكل إنسان يسرق من ناحيته ، فاصطنع رجل بابا ، فأرسل إليه عمر : أتخذت بابا من حجاج بيت الله ؟ فقال : لا ، إنما جعلته ليحرز متاعهم ، وهو قوله (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) قال : الباد فيه كالمقيم ، ليس أحد أحقّ بمنزله من أحد إلا أن يكون أحد سبق إلى منزل .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، قال : قالت لسعيد ابن جبير : أعتكف بمكة ، قال : أنت عاكف ، وقرأ (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام عن عنبسة ، عن ذكره ، عن أبي صالح (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) العاكف : أهله ، والباد : المنتاب في المنزل سواء .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) يقول : يُنزل أهل مكة وغيرهم في المسجد الحرام .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) قال : العاكف فيه : المقيم بمكة ؛ والباد : الذي يأتيه هم فيه سواء في البيوت .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) سواء فيه أهله وغير أهله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا ابن حميد ، قال ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ) قال : أهل مكة وغيرهم في المنازل سواء .

وقال آخرون في ذلك نحو الذي قلنا فيه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ) قال : الساكن ، والباد : الجانب سواء حقّ الله عليهما فيه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد في قوله ( سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ ) قال : الساكن ( والباد ) : الجانب .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن مجاهد وعطاء ( سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ ) قالوا من أهله ، والباد : الذي يأتونه من غير أهله هما في حرمة سواء .

وإنما اخترنا القول الذي اخترنا في ذلك ، لأن الله تعالى ذكره ، ذكر في أول الآية صدّ من كفر به من أراد من المؤمنين قضاء نسكه في الحرم عن المسجد الحرام ، فقال ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ) ثم ذكر جل ثناؤه صفة المسجد الحرام ، فقال ( الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ ) فأخبر جل ثناؤه أنه جعله للناس كلهم ، فالكافرون به يمنعون من أراده من المؤمنين به عنه ، ثم قال ( سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ ) فكان معلوماً أن خبره عن استواء العاكف فيه والباد ، إنما هو في المعنى الذي ابتداء الله الخبر عن الكفار أنهم صدّوا عنه المؤمنين به ، وذلك لاشكّ طوافهم ، وقضاء مناسكهم به ، والمقام لا الخبر عن ملكهم إياه وغير ملكهم . وقيل ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ ) فعطف ببيصدون وهو مستقبل على كفروا ، وهو ماض ، لأن الصدّ بمعنى الصفة لهم والدوام . وإذا كان ذلك معنى الكلام : لم يكن إلا بلفظ الاسم أو الاستقبال ، ولا يكون بلفظ الماضي . وإذا كان ذلك كذلك ، فعنى الكلام : إن الذين كفروا من صفتهم الصدّ عن سبيل الله ، وذلك نظير قول الله ( الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ ) . وأما قوله ( سَوَاءٌ الْعَاكِفُ فِيهِ ) فإن قرأه الأمصار على رفع سواء بالعاكف ، والعاكف به ، وإعمال جعلناه في الماء المتصلة به ، واللام التي في قوله للناس ، ثم استأنف الكلام بسواء ، وكذلك تفعل العرب بسواء إذا جاءت بعد حرف قد تمّ الكلام به ، فتقول مررت برجل سواء عنده الخير والشرّ ، وقد يجوز في ذلك الخفض ، وإنما يختار الرفع في ذلك لأن سواء في مذهب واحد عندهم ، فكأنهم قالوا : مررت برجل واحد عنده الخير والشرّ . وأما من خفضه فإنه يوجهه إلى معتدل عنده الخير والشرّ ، ومن قال ذلك في سواء فاستأنف به ، ورفع لم يقله في معتدل ، لأن معتدل فعل مصرّح ، وسواء مصدر فاخراجهم إياه إلى الفعل كما خراجهم حسب في قولهم : مررت برجل حسبك من رجل إلى الفعل . وقد ذكر عن بعض القرّاء أنه قرأه سواء نصبا على إعمال جعلناه فيه ، وذلك وإن كان له وجه في العربية ، فقراءة لأستجيز القراءة بها لإجماع الحجة من القرّاء على خلافه .

وقوله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظَلْمٍ يُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ) يقول تعالى ذكره : ومن يرد فيه إلحاداً بظلم ندقه من عذاب أليم ، وهو أن يميل في البيت الحرام بظلم ، وأدخلت الباء في قوله بِالْحَادِ ، والمعنى فيه ما قلت ، كما أدخلت في قوله نثبت بالدهن ، والمعنى : نثبت الدهن ، كما قال الشاعر :

بِوَادِ بَيْمَانَ يُنْبِتُ الشَّتَّ صَدْرُهُ وَأَسْفَلُهُ بِالْمَرْخِ وَالشَّبَّهَانِ

(١) البيت للأحول الهشكري ، واسمه يعلى قاله في ( اللسان : شبه ) نقله عن أبي عبيدة . وقد مر هذا الشاهد على مثل ما استشهد به المؤلف هنا ، عند قوله تعالى « وهزى إليك بجماع النملة » ( ١٦ : ٧٢ ) وروينا الكلام في رواياته ونحوه ، فراجعه ثم .



والمعنى : وأسفله ينبت المرخ والشبهان ؛ وكما قال أعشى بنى ثعلبة :

ضَمِنْتُ بِرِزْقِ عِيَالِنَا أَرْمَاحُنَا بَيْنَ الْمَرَاجِلِ وَالصَّرِيحِ الْأَجْرَدِ ١

بمعنى : ضمنت رزق عيالنا أرماحنا فى قول بعض نحوى البصريين . وأما بعض نحوى الكوفيين فإنه كان يقول : أدخلت الياء فيه ، لأن تأويله : ومن يرد بأن يلحد فيه بظلم . وكان يقول : دخول الباء فى أن أسهل منه فى إلحاد ، وما أشبهه ، لأن أن تضم الحواض معها كثيرا ، وتكون كالشرط فاحتملت دخول الحافض وخروجه ، لأن الإعراب لا يتبين فيها ، وقال فى المصادر يتبين الرفع والحفض فيها ، قال : وأنشدنى أبو الجراح :

فَلَمَّا رَجَتُ بِالشَّرْبِ هَزَّهَا الْعَصَا شَحِيحٌ لَهُ عِنْدَ الْآدَاءِ نَهِيمٌ ٢

وقال امرؤ القيس :

أَلَا هَلْ أَنَا وَالْحَوَادِثُ بَهْمَةَ بَأْنَ أَمْرًا الْقَيْسِ بِنِ تَمْلِكَ بَيْقَرًا ٣

(١) هذا البيت ينسب لأعشى بنى قيس بن ثعلبة ، ولم أجد فى ديوانه قصيدة دالية مكسورة من بحر الكامل ، ووجدت البيت فى دالية منصوبة باختلاف فى رواية وهذا هو البيت مع البيتين قبله :

جَعَلَ الْإِلَهَ طَعَامَنَا فِي مَالِنَا رِزْقًا تَضَمَّنَهُ لَنَا لَنْ يَنْفَدَا

مِثْلَ الْهِيضَابِ جَزَارَةٍ لَسِيُوفِنَا فَإِذَا تُرَاعُ فَإِنَّهَا لَنْ تُطْرَدَا

ضَمِنْتُ لَنَا أَعْجَازَهُنَّ قُدُورَنَا وَضُرُوعَهُنَّ لَنَا الصَّرِيحَ الْأَجْرَدَا

ومعنى الأبيات : جعل الله طعامنا فى الإبل ، نرحلها حيث نشاء رزقا لا ينفد . وهى ضخمة كالهضاب نعقرها بسيوفنا للضيغان ، لا يطردها مروع أو مفير ، وقد ضمنت أعجازها لنا قدورنا أن تفرغ ، لسنها وكثرة لحمها ، وضمنت ضروعها لنا اللبن خالصا صافيا . (انظر الديوان طبع القاهرة ص ٢٣٠ بشرح الدكتور محمد حسين) . وفى اللسان رواية أخرى للبيت ، مع نسبه للأعشى ( فى : جرد ) قال : ألبن وجرده لارغوة له قال الأعشى :

ضَمِنْتُ لَنَا أَعْجَازَهُ أَرْمَاحُنَا مِيلَاءَ الْمَرَاجِلِ وَالصَّرِيحِ الْأَجْرَدَا

وعلى هاتين الروايتين لأشاهد فى البيت ؛ لأن المؤلف إنما ساقه شاهدا على زيادة الباء فى قوله « برزق » ، ولا بقاء زائدة فى هاتين الروايتين . وقد جعل الباء فى قوله ( برزق ) نظير الباء التى فى الآية « ومن يرد فيه بالإلحاد بظلم » أى على تقدير « ومن يرد فيه بالإلحاد بظلم » .

(٢) هذا البيت من شواهد الفراء تلميذ الكسائى وهما زعيما نخاعة أهل الكوفة وهوما أنشده إياه أبو الجراح أحد الأعراب الذين كان يأخذ عنهم اللغة ( انظره فى معانى القرآن للفراء ، الورقة ١٠ من مصورة الجامعة ) . والنهم كما فى ( اللسان : نهم ) : صوت كأنه زحير . وقيل صوت فوق الزئير . والنهم صوت وتوعد وزجر . والضمير فى لها : لعله راجع إلى الإبل التى أرادت الشرب ، حتى إذا كادت تبلغ الماء ، هزها العصا ، وردها عنه ، رجل له صوت شديد منكر . والشاهد فى البيت أن الباء الزائدة فى قوله ( بالشرب ) داخله على مصدر صريح ، وأن الفراء يرى أن دخولها على المصدر المؤول بأن أو بما والفعل ، أحسن من دخولها على المصدر الصريح . قال الفراء : قوله « ومن يرد فيه بالإلحاد بظلم » دخلت الباء فى الإلحاد ، لأن تأويله : ومن يرد بأن يلحد فيه بظلم ، ودخول الباء فى « أن » أسهل منه فى الإلحاد ، وما أشبهه ، لأن « أن » تضم الحفوض معها كثيرا ( يريد حروف الحفض ) فاحتملت دخول الحافض وخروجه ، لأن الإعراب لا يتبين فيها ، وقل فى المصادر ( أى الصريحة ) لتبين الحفض والرفع فيها ؛ أنشدنى أبو الجراح :

« فلما رجت بالشرب هزها العصا » . . . البيت .

(٣) البيت لامرئ القيس بن حجر ( العقد الثمين لألورد ص ١٣٠ ) وليس فى رواية الأعم الشنتمرى لديوان امرئ القيس . والبيت شاهد كالذى قبله على أن الباء فى قوله ( بأن ) زائدة فى المصدر المؤول المرفوع وهى أحسن منها فى المصدر الصريح لخفاء الإعراب معها . وهو من شواهد الفراء فى معانى القرآن ، ساقه مع الشاهد الذى قبله ( انظر معانى القرآن للفراء ، الورقة ٣١٠ ) قال : أدخل الباء على ( أن ) وهى فى موضع رفع كما أدخلها على الإلحاد بظلم ، وهو فى موضع نصب .

قال : فأدخل الباء على أن وهي في موضع رفع كما أدخلها على إلحاد ، وهو في موضع نصب ، قال : وقد أدخلوا الباء على ما إذا أرادوا بها المصدر ، كما قال الشاعر :

أَلَمْ يَأْتِيكَ وَالْأَنْبَاءُ تَنْمِي بِمَا لَاقَتْ لَبُونُ بَنِي زِيَادٍ

وقال : وهو في « ما » أقل منه في « أن » ، لأن أن أقل شيها بالأسماء من « ما » . قال : وسمعت أعرابيا من ربيعة ، وسألته عن شيء ، فقال : أرجو بذلك : يريد أرجو ذلك .

واختلف أهل التأويل في معنى الظلم الذي من أراد الإلحاد به في المسجد الحرام ، أذاقه الله من العذاب الأليم ، فقال بعضهم : ذلك هو الشرك بالله وعبادة غيره به : أي بالبيت .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ ) يقول : بشرك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ ) هو أن يعبد فيه غير الله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، عن أبيه ، قال ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ ) قال : هو الشرك ، من أشرك في بيت الله عذبه الله .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة ، مثله . وقال آخرون : هو استحلال الحرام فيه أو ركوبه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ نَذِقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ) يعني أن تستحل من الحرام ما حرم الله عليك من لسان أو قتل ، فتظلم من لا يظلمك ، وتقتل من لا يقتلك ، فإذا فعل ذلك فقد وجب له عذاب أليم

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ ) قال : يعمل فيه عملا سيئا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

حدثنا أبو كريب وأنصر بن عبد الرحمن الأودعي قالوا : ثنا المحارب ، عن سفیان عن السدي ، عن مرة عن

(١) البيت لفيس بن زهير العبسي كما في ( النوادر لأبي زيد الأنصاري ص ٢٠٣ ) ولم تحذف الباء في قوله ( يأتوك ) للبحازم ، للضرورة ، والبيت من شواهد الفراء في ( معاني القرآن ص ٣١٠ ) على أنهم قد يدخلون الحرف الزائد على المصدر المؤول بما وما بعدها . قال : وقد أدخلوها على ( ما ) إذا أرادوا المصدر ( يعني الباء ) وقال فليس بن زهير : « ألم يأتوك » . البيت « وهو فيها أقل منه في ( أن ) ، لأن ( أن ) أقل شيها بالأسماء من ( ما ) . وسمعت أعرابيا من ربيعة وسألته عن شيء ، فقال : أرجو بذلك ، يريد : أرجو ذلك .

عن عبد الله ، قال : ما من رجل يهيم بسينة فتكتب عليه ، ولو أن رجلا بعد أن بين هم أن يقتل رجلا بهذا البيت ، لأذاقه الله من العذاب الأليم .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا شعبة ، عن السدي ، عن مرة ، عن عبد الله ، قال مجاهد ، قال يزيد ، قال لنا شعبة ، رفعه ، وأنا لأرفعه لك في قول الله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْإِحَادِ بِظُلْمٍ نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ) قال : لو أن رجلا هم فيه بسينة وهو بعدن أبين ، لأذاقه الله عذابا أليما . حدثنا الفضل بن الصباح ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن أبيه ، عن الضحاك بن مزاحم ، في قوله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْإِحَادِ بِظُلْمٍ ) قال : إن الرجل ليهم بالخطيئة بمكة وهو في بلد آخر ولم يعملها ، فتكتب عليه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قول الله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْإِحَادِ بِظُلْمٍ نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ) قال : الإحاد : الظلم في الحرم . وقال آخرون : بل معنى ذلك الظلم : استجلال الحرم متعمدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ( بِالْإِحَادِ بِظُلْمٍ ) قال : الذي يريد استحلاله متعمدا ، ويقال الشرك . وقال آخرون : بل ذلك احتكار الطعام بمكة .

ذكر من قال ذلك

حدثني هارون بن إدريس الأصم ، قال : ثنا عبد الرحمن بن محمد المحاربي ، عن أشعث ، عن حبيب ابن أبي ثابت في قوله ( وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْإِحَادِ بِظُلْمٍ نَذِقْهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ) قال : هم المحتكرون الطعام بمكة .

وقال آخرون : بل ذلك كل ما كان منهيا عنه من الفعل ، حتى قول القائل : لا والله ، وبلى والله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، عن مجاهد ، عن عبد الله ابن عمرو ، قال : كان له فسطاطان : أحدهما في الحل ، والآخر في الحرم ، فاذا أراد أن يعاتب أهله عاتبهم في الحل ، فسئل عن ذلك ، فقال : كنا نحدث أن من الإحاد فيه أن يقول الرجل : كلا والله ، وبلى والله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن أبي ربيعي ، عن الأعمش ، قال : كان عبد الله بن عمر ويقول لا والله ، وبلى والله من الإحاد فيه .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال التي ذكرناها في تأويل ذلك بالصواب القول الذي ذكرناه عن ابن مسعود وابن عباس من أنه معنى بالظلم في هذا الموضع ، كل معصية لله ، وذلك أن الله عم بقوله ( وَمَنْ )

يُرَدُّ فِيهِ بِالْحَادِ بِظُلْمٍ) ولم يخصص به ظلم دون ظلم في خبر ولا عقل ، فهو على عمومه . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : ومن يرد في المسجد الحرام بأن يميل بظلم ، فيعصى الله فيه ، نذقه يوم القيامة من عذاب موجه له . وقد ذكر عن بعض القراء أنه كان يقرأ ذلك ( وَمَنْ يَرِدْ فِيهِ ) بفتح الياء ، بمعنى : ومن يترده بالحاد من وردت المكان أَرَدَهُ . وذلك قراءة لا يجوز القراءة عندي بها لخلافها ما عليه الحجة من القراء مجمعة مع بعدها من فصيح كلام العرب ، وذلك أن يَرِدْ فعل واقع ، يقال منه : هو يَرِدُ مكان كذا أو بلدة كذا غدا ، ولا يقال : يَرِدُ في مكان كذا . وقد زعم بعض أهل المعرفة بكلام العرب ، أن طَيْسًا تقول : رغبت فيك ، تريد : رغبت بك ، وذكر أن بعضهم أنشده بيتا :  
 وَأَرْغَبُ فِيهَا عَنْ لَقِيظٍ وَرَهْطِيهِ وَلَكِنِّي عَنْ سِنْبِسٍ لَسْتُ أَرْغَبُ  
 بمعنى : وأرغب بها ، فإن كان ذلك صحيحا كما ذكرنا ، فإنه يجوز في الكلام ، فأما القراءة به فغير جائزة لما وصفت .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ  
 وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ ١٢٦

يقول تعالى ذكره لئيبه محمد صلى الله عليه وسلم ، مُعَلِّمَهُ عَظِيمٍ ما ركب من قومه قريش خاصة دون غيرهم من سائر خلقه بعبادتهم في حرمه ، والبيت الذي أمر إبراهيم خليله صلى الله عليه وسلم ببنائه وتطهيره من الآفات والرئيب والشرك : واذكر يا محمد كيف ابتدأنا هذا البيت الذي يعبد قومك فيه غيري ، إذ بوأنا لخليلنا إبراهيم ، يعني بقوله : بوأنا : وطأنا له مكان البيت .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ) قال : وضع الله البيت مع آدم صلى الله عليه وسلم حين أهبط آدم إلى الأرض وكان مهبطه بأرض الهند ، وكان رأسه في السماء ورجلاه في الأرض فكانت الملائكة تنابه فنقص إلى ستين ذراعا ، وإن آدم لما فقد أصوات الملائكة ونسبيحهم ، شكوا ذلك إلى الله ، فقال الله : يا آدم إنى قد أهبطت لك بيتا بطاف به كما يطاف حول عرشي ، ويصلي عنده كما يصلي حول عرشي ، فانطلق إليه ، فخرج إليه ، ومد له في خطوه ، فكان بين كل خطوتين مفازة ، فلم تزل تلك المفاز على ذلك حتى أتى آدم البيت ، فطاف به ومن بعده من الأنبياء .

(١) البيت سبق الاستشهاد به على مثل ما استشهد به المؤلف هنا ، في ( ١٣ : ١٨٩ ) وهو من شواهد الفراء في معاني القرآن ، الورقة ١٦١ ، والورقة ٣١٠ من مصورة الجامعة ( على أن من العرب من يجعل ) ( في ) في موضع الياء ، فيقول أدعك الله بالجنة ، يرويه في الجنة . قال الفراء في ( ص ٣١٠ ) : وقد يجوز في لغة الطالبيين : لأنهم يقولون : رغبت فيك ، يروون : رغبت بك . أنشده في بعضهم : « وأرغب فيها عن لقيظ ورهطي » . البيت . يعني بنسبه . اهـ .

حدثني موسى ، قال : ثنا عمرو ، قال : ثنا أسباط ، عن السدى ، قال : لما عهد الله إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين ، انطلق إبراهيم حتى أتى مكة ، فقام هو وإسماعيل ، وأخذ المعاول ، لا يدريان أين البيت ، فبعث الله ريحا يقال لها ريح الخمجوج ، لها جناحان ورأس في صورة حية ، فكنست لهما ما حول الكعبة عن أساس البيت الأول ، واتبعاها بالمعاول يحفران ، حتى وضعوا الأساس ، فذلك حين يقول ( وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ ) ويعنى بالبيت : الكعبة ( أَنْ لَا تُشْرِكُ بِي شَيْئًا ) في عبادتك إياي ( وَطَهَّرْ بَيْتِي ) الذى بنيته من عبادة الأوثان .

كما حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو عن سفيان عن ليث ، عن مجاهد ، فى قوله ( وَطَهَّرْ بَيْتِي ) قال :

من الشرك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، عن ابن جريج ، عن عطاء ، عن عبيد بن عمير ،

قال : من الآفات والريب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( طَهَّرَ بَيْتِي ) قال : من الشرك

وعبادة الأوثان .

وقوله ( لِلطَّائِفِينَ ) يعنى للطائفين به ، والقائمين بمعنى المصلين الذين هم قيام فى صلاتهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميم ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عطاء ،

فى قوله ( وَطَهَّرْ بَيْتِي لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ ) قال : القائمون فى الصلاة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، والقائمين : قال :

القائمون المصلون .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ

السُّجُودِ ) قال : القائم والراكع والساجد هو المصلى والطائف هو الذى يطوف به . وقوله ( وَالرُّكَّعِ

السُّجُودِ ) يقول : والركع السجود فى صلاتهم حول البيت .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿١٧﴾

لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ

الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ وَالرَّسُولِ لَعَلَّكُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلِيُوفُوا

نُدُورَهُمْ وَلِيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره : عهدنا إليه أيضا أن أذن فى الناس بالحج : يعنى بقوله ( وَأَذِّنْ ) أعلم وناد فى

الناس أن حجوا أيها الناس بيت الله الحرام ( يَا تَوَكَّرِ جَالًا ) يقول : فإن الناس يأتون البيت الذي تأمرهم بحجه مشاة على أرجلهم ( وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ) يقول : وركبانا على كل ضامر ، وهي الإبل المهازبل ( يَا تَيْنَ مِينَ كُلِّ فَجِّ عَمِيقٍ ) يقول : تأتي هذه الضوامر من كل فج عميق : يقول : من كل طريق ومكان ومسلك بعيد . وقيل : يأتين ، فجمع لأنه أريد بكل ضامر : النوق . ومعنى الكل : الجمع ، فلذلك قيل : يأتين . وقد زعم الفراء أنه قليل في كلام العرب : مررت على كل رجل قائمين . قال : وهو صواب ، وقول الله ( وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَا تَيْنَ ) ينبي عن صحة جوازه . وذكر أن إبراهيم صلوات الله عليه لما أمره الله بالتأذين بالحج ، قام على مقامه فنادى : يا أيها الناس إن الله كتب عليكم الحج فحجوا بيته . العتيق .

وقد اختلف في صفة تأذين إبراهيم بذلك .

فقال بعضهم : نادى بذلك كما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قيل له ( أذّن في الناس بالحج ) قال : رب وما يبلغ صوتي ؟ قال : أذن ، وعلى الباطن فنادى إبراهيم : أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فحجوا - قال : فسمعه ما بين السماء والأرض ، أفلا ترى الناس يجيئون من أقصى الأرض يلبون .

حدثنا الحسن بن عرفة ، قال : ثنا محمد بن فضيل بن غزوان الضبي ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما بنى إبراهيم البيت أوحى الله إليه ، أن أذن في الناس بالحج ، قال : فقال إبراهيم : ألا إن ربكم قد اتخذ بيتا ، وأمركم أن تحجوه ، فاستجاب له ما سمعه من شيء من حجر وشجر وأكمة أو تراب أو شيء : لبّيك اللهم لبّيك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا ابن واقد ، عن أبي الزبير ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأذّن في الناس بالحج ) قال : قام إبراهيم خايل الله على الحجر ، فنادى : يا أيها الناس كتب عليكم الحج ، فأسمع من في أصلاب الرجال وأرحام النساء ، فأجابه من آمن ممن سبق في علم الله أن يحج إلى يوم القيامة : لبّيك اللهم لبّيك .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد ابن جبير ( وَأذّن في الناس بالحج يَا تَوَكَّرِ جَالًا ) قال : وقرت في قلب كل ذكر وأنى .

حدثني ابن حميد ، قال : ثنا حكام عن عمرو ، عن عطاء ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما فرغ إبراهيم من بناء البيت ، أوحى الله إليه ، أن أذن في الناس بالحج ، قال : فخرج فنادى في الناس : يا أيها الناس إن ربكم قد اتخذ بيتا فحجوه ، فلم يسمعه يومئذ من إنس ، ولا جن ، ولا شجر ، ولا أكمة ، ولا تراب ، ولا جبل ، ولا ماء ، ولا شيء إلا قال : لبّيك اللهم لبّيك .

قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : قام إبراهيم على المقام حين أمر أن يؤذن في الناس بالحج .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ، في قوله ( وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ) قال : قام إبراهيم على مقامه ، فقال : يا أيها الناس أجيئوا ربكم ، فقالوا : لبئس اللهم لبئسك ، فمن حج اليوم فهو ممن أجاب إبراهيم يومئذ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عكرمة بن خالد الخزومي ، قال : لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت ، قام على المقام . فنادى نداء سمعه أهل الأرض : إن ربكم قد بنى لكم بيتا فحجروه . قال داود : فأرجو من حج اليوم من إجابة إبراهيم عليه السلام .<sup>١</sup>

حدثني محمد بن سنان القزاز ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، عن أبي عاصم الغنوي ، عن أبي الطفيل ، قال : قال ابن عباس : هل تدري كيف كانت التلبية ؟ قلت : وكيف كانت التلبية ، قال : إن إبراهيم لما أمر أن يؤذن في الناس بالحج ، خفضت له الجبال رعوسها ، ورُفِعَت القُرى ، فأذن في الناس . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قوله ( وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ) قال إبراهيم : كيف أقول يا رب ؟ قال : قل : يا أيها الناس استجيبوا لربكم ، قال : وقرت في قلب كل مؤمن .

وقال آخرون في ذلك ، ما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة ، عن مجاهد ، قال : قيل لإبراهيم : أذن في الناس بالحج ، قال : يا رب كيف أقول ؟ قال : قل لبئسك اللهم لبئسك . قال : فكانت أول التلبية .

وكان ابن عباس يقول : عمي بالناس في هذا الموضع : أهل القبلة .

ذكر الرواية بذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ ) يعني بالناس : أهل القبلة : ألم تسمع أنه قال : ( إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَيْكَةِ مَبَارَكَا ) . . . إلى قوله ( وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ) يقول : ومن دخله من الناس الذين أمر أن يؤذن فيهم ، وكتب عليهم الحج ، فإنه آمن ، فعظّموا حرمة الله تعالى ، فإنها من تقوى القلوب .

وأما قوله ( يَا تَوَكَّرْ جَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ) فإن أهل التأويل قالوا فيه نحو قولنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، قال : قال ابن عباس ( يَا تَوَكَّرْ جَالًا ) قال : مشاة .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية عن الحجاج بن أرطاة ، قال : قال ابن عباس : ما آسى على شيء فأتى ، إلا أن لا أكون حججت ماشيا ، سمعت الله يقول ( يَا تَوَكَّرْ جَالًا ) .

(١) كذا وردت هذه العبارة الأخيرة في الأصل ، ولعل أصلها : فأرجو أن كل من حج اليوم ، فحجه من إجابة إبراهيم .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : حج إبراهيم وإسماعيل ماشيين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن ابن عباس ( يَا تَوَكَّرِ جَالًا ) قال : على أرجلهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ) قال : الإبل .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ) قال : الإبل .

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا الهاربي ، عن عمر بن ذر ، قال : قال مجاهد : كانوا لا يركبون ، فأنزل الله ( يَا تَوَكَّرِ جَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ ) قال : فأمرهم بالزاد ، ورخص لهم في الركوب والمتجر .

وقوله ( مِينَ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ) . حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( مِينَ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ) يعني : من مكان بعيد .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( مِينَ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ) قال : بعيد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَجٍّ عَمِيقٍ ) قال : مكان بعيد . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة مثله .

وقوله ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضع فقال بعضهم : هي التجارة ومنافع الدنيا .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، قال : ثنا عمرو عن عاصم ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال : هي الأسواق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميمة ، عن أبي حمزة ، عن جابر بن الحكم ، عن مجاهد عن ابن عباس ، قال : تجارة .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم بن بهدلة ، عن أبي رزين ، في قوله ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال : أسواقهم .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن واقد ، عن سعيد بن جبير ( لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال : التجارة .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق بن سفيان ، عن واقد ، عن سعيد بن جبير ، مثله .



حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن واقد ، عن سعيد ، مثله .  
 حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا سنان ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي رزين  
 ( لَيْشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال : الأسواق .  
 وقال آخرون : هي الأجر في الآخرة ، والتجارة في الدنيا .  
 ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، وسوار بن عبد الله ، قالا : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح :  
 عن مجاهد ( لَيْشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال : التجارة ، وما يرضى الله من أمر الدنيا والآخرة .  
 حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : ثنا إسحاق ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : ثنا سفيان ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن أبي بشر ، عن ابن أبي نجيح ،  
 عن مجاهد ، في قوله ( لَيْشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ ) قال : الأجر في الآخرة ، والتجارة في الدنيا .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
 وقال آخرون : بل هي العفو والمغفرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن سفيان ، عن جابر ، عن أبي جعفر ( لَيْشْهَدُوا مَنَافِعَ  
 لَهُمْ ) قال : العفو .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو تميمة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، قال : قال محمد  
 ابن علي : مغفرة .

❦ وأولى الأقوال بالصواب قول من قال : غنى بذلك : ليشهدوا منافع لهم من العمل الذي يرضى الله  
 والتجارة ، وذلك أن الله عمّ لهم منافع جميع ما يشهد له الموسم ، ويأتي له مكة أيام الموسم من منافع الدنيا  
 والآخرة ، ولم يخص من ذلك شيئا من منافعهم بخبر ولا عقل ، فذلك على العموم في المنافع التي وصفت .  
 وقوله ( وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَاتٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِّنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ) يقول  
 تعالى ذكره : وكفى يذكروا اسم الله على ما رزقهم من الهدايا والبضائع التي أهدوها من الإبل والبقر والغنم ،  
 في أيام معلومات ، وهن أيام التشريق في قول بعض أهل التأويل . وفي قول بعضهم أيام العشر . وفي قول  
 بعضهم : يوم النحر وأيام التشريق .

وقد ذكرنا اختلاف أهل التأويل في ذلك بالروايات . وبيننا الأولى بالصواب منها في سورة البقرة ،  
 فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع ، غير أني أذكر بعض ذلك أيضا في هذا الموضع .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ) يعني أيام التشريق .  
 حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : ثنا عبيد بن سليمان ، قال : سمعت الضحاک في قوله ( أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ) يعني أيام التشريق ، ( عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ) يعني البدن .  
 حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ ) قال : أيام العشر ، والمعدودات : أيام التشريق .

وقوله ( فَكُلُوا مِنْهَا ) يقول : كلوا من بهائم الأنعام التي ذكرت اسم الله عليها أيها الناس هنالك . وهذا الأمر من الله جل ثناؤه أمر بإباحة ، لا أمر بإيجاب ، وذلك أنه لا خلاف بين جميع الحجّة ، أن ذابح هديه أو بدنته هنالك ، إن لم يأكل من هديه أو بدنته ، أنه لم يضيع له فرضا كان واجبا عليه ، فكان معلوما بذلك أنه غير واجب .

ذكر الرواية عن بعض من قال ذلك من أهل العلم

حدثنا سرّار بن عبد الله ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن ابن جرّيج ، عن عطاء ، قوله ( فَكُلُوا مِنْهَا ) وأطعموا البائس الفقير ) قال : كان لا يرى الأكل منها واجبا .

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن مجاهد ، أنه قال : هي رخصة : إن شاء أكل ، وإن شاء لم يأكل ، وهي كقوله ( وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ) ، فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ) يعني قوله ( فَكُلُوا مِنْهَا ) وأطعموا القانيع والمعترّ .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله ( فَكُلُوا مِنْهَا ) قال : هي رخصة : فإن شاء أكل ، وإن شاء لم يأكل .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء في قوله ( فَكُلُوا مِنْهَا ) قال : هي رخصة : فإن شاء أكلها ، وإن شاء لم يأكل .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا زيد ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن مجاهد ، في قوله ( فَكُلُوا مِنْهَا ) قال : إنما هي رخصة .

وقوله ( وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ) يقول : وأطعموا مما تذبحون أو تنحرون هنالك من بهيمة الأنعام ، من هديكم وبُدنكم البائس ، وهو الذي به ضرّ الجوع والزمانة والحاجة . والفقير : الذي لا شيء له .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَكُلُوا مِنْهَا ) وأطعموا البائس الفقير ) يعني : الرمين الفقير .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن رجل ، عن مجاهد ( البائس الفقير ) :  
الذى يمد إليك يديه .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله ( البائس الفقير ) قال :  
هو القانع .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، قال : أخبرنى عمر بن عطاء ،  
عن عكرمة ، قال : البائس : المضطر الذى عليه البؤس ، والفقير : المتعفف .  
قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ، قوله ( البائس ) الذى يبسط  
يديه . وقوله ( ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ) يقول : تعالى ذكره : ثم ليقضوا ما عليهم من مناسك حجهم :  
من حلق شعر ، وأخذ شارب ، ورمى جمرة ، وطواف بالبيت .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن أبى الشوارب ، قال : ثنى يزيد ، قال : أخبرنا الأشعث بن سوار ، عن نافع ، عن ابن  
عمر ، أنه قال ( ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ) قال : ما هم عليه فى الحج .  
حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنى الأشعث ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قال :  
التفت : المناسك كلها .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبد الملك ، عن عطاء ، عن ابن عباس ، أنه قال ، فى قوله ( ثُمَّ  
لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ) قال : التفت : حلق الرأس ، وأخذ من الشاربين ، وبتف الإبط ، وحلق العانة ،  
وقص الأظفار ، والأخذ من العارضين ، ورمى الجمار ، والموقف بعرفة والمزدلفة .  
حدثنا حميد ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا خالد ، عن عكرمة ، قال : التفت : الشعر والظفر .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، عن خالد ، عن عكرمة ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنى أبو صخر ، عن محمد بن كعب القرظى ، أنه  
كان يقول فى هذه الآية ( ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ) : روى الجمار ، وذبح الذبيحة ، وأخذ من الشاربين  
واللحية والأظفار ، والطواف بالبيت وبالصفى والمروة .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد أنه قال  
فى هذه الآية ( ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ) قال : هو حلق الرأس ، وذكر أشياء من الحج ، قال شعبة :  
لا أحفظها .

قال : ثنا ابن أبى عدى ، عن شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( **لِيَقْتَضُوا نَفْسَهُمْ** ) قال : حاق الرأس ، وحلق العانة ، وقص الأظفار ، وقص الشارب ، ورمى الجمار ، وقص اللحية .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . إلا أنه لم يقل في حديثه : وقص اللحية :

حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا المحاربي ، قال : سمعت رجلا يسأل ابن جريج ، عن قوله ( **لِيَقْتَضُوا نَفْسَهُمْ** ) قال : الأخذ من اللحية ، ومن الشارب ، وتقليم الأظفار ، ونف الإبط ، وحلق العانة ، ورمى الجمار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا منصور ، عن الحسن ، وأخبرنا جوير ، عن الضحاك أنهما قالا : حلق الرأس .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( **لِيَقْتَضُوا نَفْسَهُمْ** ) يعني : حاق الرأس :

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : التفت : حلق الرأس ، وتقليم الظفر .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( **لِيَقْتَضُوا نَفْسَهُمْ** ) يقول : نسكهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( **لِيَقْتَضُوا نَفْسَهُمْ** ) قال : التفت : حرمهم .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( **لِيَقْتَضُوا نَفْسَهُمْ** ) قال : يعني بالتفت : وضع إحرامهم من حاق الرأس ولبس الثياب ، وقص الأظفار ونحو ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء بن السائب ، قال : التفت : حاق الشعر ، وقص الأظفار والأخذ من الشارب ، وحلق العانة ، وأمر الحج كله .

وقوله ( **وَلْيُؤْفُوا نَذُورَهُمْ** ) يقول : وليؤفوا الله بما نذروا من هدى وبدنة وغير ذلك .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( **وَلْيُؤْفُوا نَذُورَهُمْ** ) نحر ما نذروا من البدن .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( **وَلْيُؤْفُوا نَذُورَهُمْ** ) نذر الحج والهدى ، وما نذر الإنسان من شيء يكون في الحج .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ( وَلْيُؤْفُوا نُدُورَهُمْ ) قال : نذر الحج والهدى ، وما نذر الإنسان على نفسه من شيء يكون في الحج .  
وقوله ( وَلْيُؤْفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) يقول : وليطوفوا ببیت الله الحرام .  
واختلف أهل التأويل في معنى قوله ( الْعَتِيقِ ) في هذا الموضع ، فقال بعضهم : قيل ذلك لبیت الله الحرام ، لأن الله أعتقه من الجبابرة أن يصلوا إلى تخريبه وهدمه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري أن ابن الزبير ، قال : إنما سمي البيت العتيق ، لأن الله أعتقه من الجبابرة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن ابن الزبير ، مثله .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : إنما سمي العتيق ، لأنه أعتق من الجبابرة .

قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا أبو هلال ، عن قتادة ( وَلْيُؤْفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : أعتق من الجبابرة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : أعتقه الله من الجبابرة ، يعني الكعبة .

وقال آخرون : قيل له عتيق ، لأنه لم يملكه أحد من الناس .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن عبيد ، عن مجاهد ، قال : إنما سمي البيت العتيق لأنه ليس لأحد فيه شيء .  
وقال آخرون : سمي بذلك لقدمه :

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : العتيق : القديم ، لأنه قديم ، كما يقال : السيف العتيق ، لأنه أول بيت وضع للناس بناه آدم ، وهو أول من بناه ، ثم بوأ الله موضعه لإبراهيم بعد الغرق ، فبناه إبراهيم وإسماعيل .

قال أبو جعفر : ولكل هذه الأقوال التي ذكرناها عن ذكرناها عنه في قوله ( الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) وجه صحيح ، غير أن الذي قاله ابن زيد أغلب معانيه عليه في الظاهر ، غير أن الذي روى عن ابن الزبير أولى بالصحة ، إن كان ما حدثني به محمد بن سهل البخاري ، قال : ثنا عبد الله بن صالح ، قال : أخبرني الليث ، عن عبد الرحمن بن خالد بن مسافر ، عن الزهري ، عن محمد بن عروة ، عن عبد الله بن الزبير ، قال : قال

رسول الله صلى الله عليه وسلم « إِنَّمَا سُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْتَقَهُ مِنَ الْجَبَابِرَةِ فَلَمْ يَظْهَرَ عَلَيْهِ قَطُّ صَحِيحًا » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال الزهري : بلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِنَّمَا سُمِّيَ الْبَيْتُ الْعَتِيقُ لِأَنَّ اللَّهَ أَعْتَقَهُ » ثم ذكر مثله .  
وعنى بالطواف الذى أمر جل ثناؤه حاج بيته العتيق به فى هذه الآية طواف الإفاضة الذى يُطاف به بعد التعريف ، إما يوم النحر ، وإما بعده ، لاختلاف بين أهل التأويل فى ذلك .

ذكر الرواية عن بعض من قال ذلك

حدثنا عمرو بن سعيد القرشى ، قال : ثنا الأنصارى ، عن أشعث ، عن الحسن ( وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : طواف الزيارة .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا خالد ، قال : ثنا الأشعث ، أن الحسن قال فى قوله ( وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : للطواف الواجب .

حدثنى على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) يعنى : زيارة البيت .

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن حجاج وعبد الملك ، عن عطاء ، فى قوله ( وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : طواف يوم النحر .

حدثنى أبو عبد الرحمن البرقى ، قال : ثنا عمرو بن أبى سلمة ، قال : سألت زهيراً عن قول الله : ( وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : طواف التوداع .

واختلف القراء فى قراءة هذه الحروف ، فقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( ثُمَّ لِيَقْضُوا نَفْسَهُمْ وَلِيُقِوْا نُدُورَهُمْ ، وَلْيَطَّوَّفُوا ) بتسكين اللام فى كل ذلك طلب التخفيف ، كما فعلوا فى هو إذا كانت قبلها واو ، فقالوا ( وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ) فسكّنوا الهاء ، وكذلك يفعلون فى لام الأمر إذا كان قبلها حرف من حروف النسق كالواو والفاء وثم ، وكذلك قرأت عامة قراء أهل البصرة ، غير أن أبا عمرو بن العلاء كان يكسر اللام من قوله ( ثُمَّ لِيَقْضُوا ) خاصة من أجل أن الوقوف على ثم دون ليقضوا حسن ، وغير جائز الوقوف على الواو والفاء ، وهذا الذى اعتل به أبو عمرو لقراءته علة حسنة من جهة القياس ، غير أن أكثر القراء على تسكينها .

والله وأولى الأقوال بالصواب فى ذلك عندى ، أن التسكين فى لام « ليقضوا » والكسر قراءتان مشهورتان ، ولغتان سائرتان ، فبأيهما قرأ القارئ لمصيب الصواب ، غير أن الكسر فيها خاصة أقيس ، لما ذكرنا لأبي عمرو من العلة ، لأن من قرأ ( وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ) فهو بتسكين الهاء مع الواو والفاء ، وبغيركها فى قوله ( ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ) فذلك الواجب عليه أن يفعل فى قوله ( ثُمَّ »

لِيَقْتَضُوا تَفْثَهُمْ) فيحرك اللام إلى الكسر مع « ثم » ، وإن سكنتها في قوله ( وَلْيُسْوَفُوا نَذُورَهُمْ ) وقد ذكر عن أبي عبد الرحمن السلمى والحسن البصرى تحريكها مع « ثم » والواو، وهي لغة مشهورة ، غير أن أكثر القراء مع الواو والفاء على تسكينها ، وهي أشهر اللغتين في العرب وأفصحها ، فالقراءة بها أعجب إلى من كسرهما .

القول في تأويل قوله تعالى

ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنَعَامُ  
إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿١٧﴾

❦ يعنى تعالى ذكره بقوله ( ذلك ) : هذا الذى أمر به من قضاء للتفث ، والوفاء بالنذور ، والطواف بالبيت العتيق هو الفرض الواجب عليكم يا أيها الناس فى حجكم ( وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ) يقول : ومن يجتنب ما أمره الله باجتنابه فى حال إحرامه تعظيما منه لحدود الله أن يواقعها وحرمته أن يستحلها ، فهو خير له عند ربه فى الآخرة .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد ، فى قوله ( ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَاتِ اللَّهِ ) قال : الحرمة : مكة والحج والعمرة ، وما نهى الله عنه من معاصيه كلها .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَمَنْ يُعْظِمَ حُرْمَاتِ اللَّهِ ) قال : الحرمات : المشعر الحرام ، والبيت الحرام ، والمسجد الحرام ، والبلد الحرام ، هؤلاء الحرمات . وقوله ( وَأُحِلَّتْ لَكُمْ الْآنَعَامُ ) يقول جل ثناؤه : وأحل الله لكم أيها الناس الأنعام ، أن تأكلوها إذا ذكيتموها ، فلم يحرم عليكم منها بحيرة ، ولا سائبة ، ولا وصيلة ، ولا حاما ، ولا ما جعلتموه منها لآهنتكم ( إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ) يقول : إلا ما يتلى عليكم فى كتاب الله ، وذلك : الميتة ، والدم ، ولحم الخنزير ، وما أهل لغير الله به ، والمنخنقة ، والموقوذة ، والمتردية ، والنطيحة ، وما أكل السبع ، وما ذبح على النصب ، فإن ذلك كله رجس .

كما حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ ) قال : إلا الميتة ، وما لم يذكر اسم الله عليه .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

وقوله ( فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ) يقول : فاتقوا عبادة الأوثان ، وطاعة الشيطان فى عبادتها فإنها رجس .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ) يقول تعالى ذكره : فاجتنبوا طاعة الشيطان في عبادة الأوثان . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج في قوله ( الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ) قال : عبادة الأوثان .

وقوله ( وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ) يقول تعالى ذكره : واتقوا قول الكذب والقرية على الله بقولكم في الآلهة ( مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ) وقولكم للملائكة : هي بنات الله ، ونحو ذلك من القول ، فإن ذلك كذب وزور ، وشرك بالله .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله : قول الزور ، قال : الكذب . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، ( وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ حُنْفَاءَ اللَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ) يعني : الافتراء على الله والتكذيب .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عاصم ، عن وائل بن ربيعة ، عن عبد الله ، قال : تعدل شهادة الزور بالشرك ، وقرأ ( فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا أبو بكر ، عن عاصم ، عن وائل بن ربيعة ، قال : عدلت شهادة الزور الشرك ، ثم قرأ هذه الآية ( فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ) .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو أسامة ، قال : ثنا سفيان العصفري ، عن أبيه ، عن خريم بن فانك قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالشَّرْكِ بِاللَّهِ ، ثُمَّ قَرَأَ ( فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ) » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن سفيان العصفري ، عن فانك بن فضالة ، عن أيمن بن خريم ، أن النبي صلى الله عليه وسلم قام خطيبا فقال : « أَيُّهَا النَّاسُ عُدِلَتْ شَهَادَةُ الزُّورِ بِالشَّرْكِ بِاللَّهِ ، مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ( فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ ، وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ) » ويجوز أن يكون مرادا به : اجتنبوا أن ترجسوا أنفسكم أيها الناس من الأوثان بعبادتهم إياها .



﴿ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ : وَهَلْ مِنَ الْأَوْثَانِ مَا لَيْسَ بِرَجْسٍ ، حَتَّى قِيلَ : فَاجْتَنِبُوا الرَّجْسَ مِنْهَا ؟ قِيلَ : كُلُّهَا رَجْسٌ ، وَلَيْسَ الْمَعْنَى مَا ذَهَبَتْ إِلَيْهِ فِي ذَلِكَ . وَإِنَّمَا مَعْنَى الْكَلَامِ : فَاجْتَنِبُوا الرَّجْسَ الَّذِي يَكُونُ مِنَ الْأَوْثَانِ أَى عِبَادَتِهَا ، فَالَّذِي أَمَرَ جَلَّ ثَنَاؤُهُ بِقَوْلِهِ ( فَاجْتَنِبُوا الرَّجْسَ ) مِنْهَا اتِّقَاءَ عِبَادَتِهَا ، وَتِلْكَ الْعِبَادَةُ هِيَ الرَّجْسُ عَلَى مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ ، وَمَنْ ذَكَرْنَا قَوْلَهُ قَبْلَ .

القول في تأويل قوله تعالى :

حُفَّاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٢١﴾

﴿ يقول تعالى ذكره : اجتنبوا أيها الناس عبادة الأوثان ، وقول الشرك ، مستقيمين لله على إخلاص التوحيد له ، وإفراد الطاعة والعبادة له خالصا دون الأوثان والأصنام ، غير مشركين به شيئا من دونه ، فإنه من يشرك بالله شيئا من دونه ، فثله في بعده من الهدى وإصابة الحق وهلاكه وذهابه عن ربه ، مثل من خرَّ من السماء ، فتخطفه الطير ، فهلك ، أو هوت به الريح في مكان سحيق ، يعني من بعيد قولهم : أبعده الله وأسحقه ، وفيه لغتان : أسحقته الريح ، وسحقته . ومنه قيل للنخلة الطويلة : نخلة سحوق ؛ ومنه قول الشاعر :

كَانَتْ لَنَا جَارَةٌ فَأَزْعَجَهَا قَاذُورَةٌ تَسْحَقُ النَّوَى قَدُمَا

ويروى : تسحق : يقول : فهكذا مثل المشرك بالله في بعده من ربه ، ومن إصابة الحق ، كبعد هذا الواقع من السماء إلى الأرض ، أو كهلاك من اختطفته الطير منهم في الهواء .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ) قال : هذا مثل ضربه الله لمن أشرك بالله في بعده من الهدى وهلاكه ( فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ ، أَوْ تَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ) قال : بعيد .

(١) البيت مما أنشده الأزهري في تهذيبه ، ونقله عنه صاحب (اللسان : سحق) قال : السحق في العدو فوق المشى ودون الخضر ، وأنشد الأزهري : « كانت لنا جارة . . . البيت » . والقاذورة من الإبل : التي تبرك ناحية منها وتستبعد وتنافرها عند الحلب .  
وتسحق : تجرد في سيرها . والنوى : التحول من مكان إلى مكان ، أو الوجه الذي ينوبه المسافر من قرب أو من بعد . وقدم : لا تعرج ولا تنثنى . يريد أن جارتها نأت عنه بناقة تجرد في سيرها ، ولا تعرج على شيء . والبيت شاهد على أن السحق معناه السير الجاد فوق المشى ودون العدو .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
 وقيل ( فَتَخَطَّفَهُ الطَّيْرُ ) ، وقد قيل قبله ( فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ ) وخر فعل ماضٍ ، وتخطفه  
 مستقبل ، فعطف بالمستقبل على الماضي ، كما فعل ذلك ، في قوله ( إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَن  
 سَبِيلِ اللَّهِ ) وقد بيّنت ذلك هناك .  
 القول في تاويل قوله تعالى :

ذَٰلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣١﴾

يقول تعالى ذكره : هذا الذي ذكرت لكم أيها الناس ، وأمرتكم به ، من اجتناب الرجس من الأوثان ،  
 واجتناب قول الزور ، حنفاء لله ، وتعظيم شعائر الله ، وهو استحسان البدن واستئمانها ، وأداء مناسك  
 الحج ، على ما أمر الله جل ثناؤه ، من تقوى قلوبكم .  
 وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا إسماعيل بن إبراهيم ، قال : ثنا محمد بن زياد ، عن محمد بن أبي ليلي ،  
 عن الحكم ، عن ميسم ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ )  
 قال : استعظامها ، واستحسانها ، واستئمانها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم ، بن أبي بزة  
 عن مجاهد ، في قوله ( وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ) قال : الاستئمان والاستعظام .  
 وبه عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : والاستحسان .

حدثنا عبد الحميد بن بيان الراسطي ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن أبي بشر ، وحدثني محمد بن عمرو ، قال :  
 ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ،  
 عن مجاهد ، قوله ( وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ) قال : استعظام البدن ، واستئمانها ، واستحسانها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، عن محمد بن  
 أبي موسى ، قال : الوقوف بعرفة من شعائر الله ، ويجمع من شعائر الله ، ورمى الجمار من شعائر الله ،  
 والبدن من شعائر الله ، ومن يعظمها فإنها من شعائر الله في قوله ( وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ) فمن يعظمها  
 فإنها من تقوى القلوب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ  
 اللَّهِ ) قال : الشعائر : الجمار ، والصفاء والمرورة من شعائر الله ، والمشعر الحرام والمزدلفة ، قال : والشعائر  
 تدخل في الحرم ، هي شعائر ، وهي حرم .

(١) جمع : هي المزدلفة .

❦ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أخبر أن تعظيم شعائره ، وهي ما جعله أعلاما لخلقها فيما تعبدهم به من مناسك حجهم ، من الأماكن التي أمرهم بأداء ما افترض عليهم منها عندها ، والأعمال التي ألزمهم عملها في حجهم : من تقوى قلوبهم ، لم يخصص من ذلك شيئا ، فتعظيم كل ذلك من تقوى القلوب ، كما قال جل ثناؤه : وحق على عباده المؤمنين به تعظيم جميع ذلك ، وقال (إنها من تقوى القلوب) وأنت ولم يقل : فإنه ، لأنه أريد بذلك ، فإن تلك التعظيمة مع اجتناب الرجس من الأوثان من تقوى القلوب ، كما قال جل ثناؤه (إن ربك من بعد لها لغفور رحيم) وعنى بقوله (فإنها من تقوى القلوب) فإنها من وجل القلوب من خشية الله ، وحقيقة معرفتها بعظمته وإخلاص توحيدته.

القول في تأويل قوله تعالى .

لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾

اختلف أهل التأويل في معنى المنافع التي ذكر الله في هذه الآية ، وأخبر عباده أنها إلى أجل مسمى ، على نحو اختلافهم في معنى الشعائر التي ذكرها جل ثناؤه في قوله ( وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ) فقال : الذين قالوا عنى بالشعائر : البدن ، معنى ذلك : لكم أيها الناس في البدن منافع . ثم اختلف أيضا الذين قالوا هذه المقالة في الحال التي لهم فيها منافع ، وفي الأجل الذي قال عز ذكره ( إلى أجل مسمى ) فقال بعضهم : الحال التي أخبر الله جل ثناؤه أن لهم فيها منافع ، هي الحال التي لم يوجبها صاحبها ، ولم يسمها بدنة ، ولم يقلدها ، قالوا : ومنافعها في هذه الحال : شرب ألبانها ، وركوب ظهورها ، وما يرزقهم الله من نتاجها وأولادها . قالوا : والأجل المسمى الذي أخبر جل ثناؤه أن ذلك لعباده المؤمنين منها إليه ، هو إلى إيجابهم إياها ، فإذا أوجبوها بطل ذلك ، ولم يكن لهم من ذلك شيء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن عيسى ، عن ابن أبي ليلى ، عن الحكم ، عن مقسم ، عن ابن عباس في ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال : ما لم يسم بدنا .

حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق بن يوسف ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال : الركوب واللبن والولد ، فإذا سميت بدنة أو هديا ذهب كله .

حدثنا محمد بن المنثري ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، في هذه الآية ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال : لكم في ظهورها وألبانها وأوبارها ، حتى تصير بدنا . قال : ثنا ابن عدى ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، بمثله .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ابن أبي نجيح ، وليث عن مجاهد ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال : في أشعارها وأوبارها وألبانها ، قبل أن تسميها بدنة .

قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن عنبسة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال :  
 في البدن لحومها وألبانها وأشعارها وأوبارها وأصوافها قبل أن تسمى هديا .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، وزاد  
 فيه : وهي الأجل المسمى :

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء أنه قال في قوله ( لَكُمْ فِيهَا  
 مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : منافع في ألبانها وظهورها وأوبارها ،  
 إلى أجل مسمى : إلى أن تقلد .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جوير ، عن الضحاك ، مثل ذلك .  
 حدثني يعقوب ، قال : قال ابن عليّة : سمعت ابن أبي نجيح يقول في قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى  
 أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال : إلى أن توجبها بدنة .

قال : ثنا ابن عليّة ، عن ابن أبي نجيح ، عن قتادة ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) يقول :  
 في ظهورها وألبانها ، فاذا قلدت فحملها إلى البيت العتيق .

وقال آخرون ممن قال : الشعائر : البدن في قوله ( وَمَنْ يُعْظَمُ شَعَائِرَ اللَّهِ فَلَا تَمَسُّ مِنْهَا شَيْئًا )  
 (القلوب) والهاء في قوله ( لَكُمْ فِيهَا ) من ذكر الشعائر ، ومعنى قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ) لكم  
 في الشعائر التي تعظمونها لله منافع بعد اتخاذكموها لله بدنا أو هدايا ، بأن تركبوا ظهورها إذا احتجتم إلى  
 ذلك ، وتشربوا ألبانها إن اضطررتم إليها . قالوا : والأجل المسمى الذي قال جل ثناؤه ( إِلَى أَجَلٍ  
 مُّسَمًّى ) إلى أن تنحر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ابن أبي نجيح ، عن عطاء ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ  
 إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال : هو ركوب البدن ، وشرب لبنها إن احتاج .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عطاء بن أبي رباح  
 في قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال : إلى أن تنحر ، قال له أن يحماها عابها المبي  
 والمنقطع به من الضرورة ، كان النبي صلى الله عليه وسلم يأمر بالبدنة إذا احتاج إليها سيدها أن يحمل عليها  
 ويركب عند منوكة . قلت لعطاء : ما ، قال : الرجل الراجل ، والمنقطع به ، والمنبع وإن نتجت ، أن  
 يحمل عليها ولدها ، ولا يشرب من لبنها إلا فضلا عن ولدها ، فإن كان في لبنها فضل فلا يشرب من أهداها  
 ومن لم يهداها ، وأما الذين قالوا : معنى الشعائر في قوله ( وَمَنْ يُعْظَمُ شَعَائِرَ اللَّهِ ) : شعائر الحج ،  
 وهي الأماكن التي ينسك عندها لله ، فإنهم اختلفوا أيضا في معنى المنافع التي قال الله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ )

فقال بعضهم : معنى ذلك : لكم في هذه الشعائر التي تعظمونها منافع بتجار تكم عندها ، ويبيعكم وشرائكم بحضرتها ، وتسوقكم . والأجل المسمى : الخروج من الشعائر إلى غيرها ، ومن المواضع التي ينسك عندها إلى ما سواها في قول بعضهم .

حدثني الحسن بن علي الصُّدَّائِي ، قال : ثنا أبو أسامة عن سليمان الضبي ، عن عاصم بن أبي النجود ، عن أبي رزين ، عن ابن عباس ، في قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ ) قال : أسواقهم ، فإنه لم يذكر منافع إلا للدنيا .

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، عن محمد بن أبي موسى ، قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) قال : والأجل المسمى : الخروج منه إلى غيره . وقال آخرون منهم : المنافع التي ذكرها الله في هذا الموضع : العمل لله بما أمر من مناسك الحج . قالوا : والأجل المسمى : هو انقضاء أيام الحج التي يُنْسَكُ لله فيهن .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ، ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) فقرأ قول الله ( وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَلِئِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ) لكم في تلك الشعائر منافع إلى أجل مسمى ، إذا ذهبت تلك الأيام لم تر أحدا يأتي عرفة يقف فيها ، يبتغي الأجر ، ولا المزدلفة ، ولا رمي الجمار ، وقد ضربوا من البلدان لهذه الأيام التي فيها المنافع ، وإنما منافعها إلى تلك الأيام ، وهي الأجل المسمى ، ثم محلها حين تنقضي تلك الأيام إلى البيت العتيق . قال أبو جعفر : وقد دللنا قبل على أن قول الله تعالى ذكره ( وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ ) معنى به : كل ما كان من عمل أو مكان جعله الله علما لمناسك حج خاقه ، إذ لم يخص من ذلك جل ثناؤه شيئا في خبر ولا عقل . وإذا كان ذلك كذلك فمعلوم أن معنى قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) في هذه الشعائر منافع إلى أجل مسمى ، فما كان من هذه الشعائر بدنا وهديا ، فنافعها لكم من حين تملكون ، إلى أن أوجبتموها هدايا وبدنا وما كان منها أما كن ينسك لله عندها ، فنافعها ، التجارة لله عندها ، والعمل بما أمر به إلى الشخوص عنها ، وما كان منها أوقانا بأن يُطَاعَ الله فيها بعمل أعمال الحج وبطلب المعاش فيها بالتجارة ، إلى أن يطاف بالبيت في بعض ، أو يوافي الحرم في بعض ، ويخرج عن الحرم في بعض .

وقد اختلف الذين ذكرنا اختلافهم في تأويل قوله ( لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ) في تأويل قوله ( ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) فقال الذين قالوا : عنى بالشعائر في هذا الموضع : البدن معنى ذلك ثم محل البدن إلى أن تباع مكة ، وهي التي بها البيت العتيق .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : أخبرنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء ( ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) إلى مكة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد . ( ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) يعني محل البدن حين تسمى إلى البيت العتيق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال ( ثُمَّ مَحَلُّهَا ) حين تسمى هديا إلى البيت العتيق ، قال : الكعبة أعتقها من الجبابرة ، فوجه هؤلاء تأويل ذلك إلى ثُمَّ منحر البدن والهدايا التي أوجبتموها إلى أرض الحرم ، وقالوا : عنى بالبيت العتيق أرض الحرم كلها ؛ وقالوا : وذلك نظير قوله ( فَلَا يَتَقَرَّبُوا إِلَى الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ) والمراد : الحرم كله . وقال آخرون : معنى ذلك : ثم محلكم أيها الناس من مناسك حجكم إلى البيت العتيق أن تطوفوا به يوم النحر ، بعد قضائكم ما أوجبه الله عليكم في حجكم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا يزيد بن هارون ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، عن محمد بن أبي موسى ( ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) قال : محل هذه الشعائر كلها : الطواف بالبيت . وقال آخرون : معنى ذلك : ثم محل منافع أيام الحج إلى البيت العتيق بانقضائها .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ثُمَّ مَحَلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ) حين تنقضى تلك الأيام ، أيام الحج إلى البيت العتيق .

وأولى هذه الأقوال عندى بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : ثم محل الشعائر التي لكم فيها منافع إلى أجل مسمى إلى البيت العتيق ، فما كان من ذلك هديا أو بدنا ، فبموافاته الحرم في الحرم ، وما كان من نسك ، فالطواف بالبيت .

وقد بينا الصواب في ذلك من القول عندنا في معنى الشعائر .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِنَّهُمْ إِلَى اللَّهِ وَاحِدٌ قَلْبُهُ  
أَسْلِمُوا وَأَبَشِرِ الْمُخْبِرِينَ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره ( وَلِكُلِّ أُمَّةٍ ) ولكل جماعة سأل فيكم من أهل الإيمان بالله أيها الناس ، جعلنا ذبعا يهريقون دمه ( لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ) بذلك ، لأن من البهائم ما ليس من الأنعام ، كالخيل والبغال والحمير . وقيل : إنما قيل للبهائم ، بهائم لأنها لا تتكلم . ويحوي الذي قلنا في تأويل قوله ( جَعَلْنَا مَنْسَكًا ) قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا ) قال : إهراق الدماء ( لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقوله ( فَلِإِلَهِكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ ) يقول تعالى ذكره : فاجتنبوا الرجس من الأوثان ، واجتنبوا قول الزور ، فإلهكم إله واحد ، لا شريك له ، فإياه فاعبدوا ، وله أخصوا الألوهة . وقوله ( فَلَهُ أُسْلِمُوا ) يقول : فإلهكم فاحضعوا بالطاعة ، وله فذلوا بالإقرار بالعبودية . وقوله ( وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ) يقول تعالى ذكره : وبشر يا محمد الخاضعين لله بالطاعة ، المذعنين له بالعبودية ، المنيبين إليه بالتوبة . وقد بينا معنى الإخبات بشواهد فيها مضى من كتابنا هذا .

وقد اختلف أهل التأويل في المراد به في هذا الموضع ، فقال بعضهم : أريد به : وبشر المظلمين إلى الله .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ) قال : المظلمين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ) المظلمين إلى الله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ) قال : المظلمين .  
حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ ) قال : المتواضعين .

وقال آخرون في ذلك بما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا محمد بن مسلم ، عن عثمان ابن عبد الله بن أوس ، عن عمرو بن أوس ، قال : المحبتون : الذين لا يظلمون ، وإذا ظلموا لم ينتصروا .  
حدثني محمد بن عثمان الواسطي ، قال : ثنا حفص بن عمر ، قال : ثنا محمد بن مسلم الطائفي ، قال : ثني عثمان بن عبد الله بن أوس ، عن عمرو بن أوس ، مثله .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمُ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمُ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣٥﴾

فهذا من نعت المحبتين ؛ يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وبشّر يا محمد المحبتين الذين تخشع قلوبهم لذكر الله ، وتخضع من خشيته وجسلاً من عقابه ، وخوفاً من سخطه .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ ) قال : لا تقسو قلوبهم ( والصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ ) من شدة في أمر الله ، ونالهم من مكروه في جنبه ( والمُقِيمِي الصَّلَاةِ ) المفروضة ( وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ ) من الأموال ( يُنْفِقُونَ ) في الواجب عليهم إنفاقها فيه في زكاة ، ونفقة عيال ، ومن وجبت عليه نفقته ، وفي سبيل الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُم مِّنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا الْقَائِعَ وَالْمُعْتَرَكُ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦٦﴾

يقول تعالى ذكره : والبُدْنُ : وهي جمع بدنة ، وقد يقال لواحدها : بدَن . وإذا قيل بدَن احتتمل أن يكون جمعا وواحدا ، يدل على أنه قد يقال ذلك للواحد قول الراجز :

عَلَىٰ حِينٍ تَمْلِكُ الْأُمُورَا صَوْمَ شُهُورٍ وَجَبَّتْ نُدُورَا  
وَحَلَقَ رَأْسِي وَأَفِيأَ مَضْفُورَا وَبَدْنَا مُدْرَعَا مَوْفُورَا

والبدن : هو الضخم من كل شيء ، ولذلك قيل لامرئ القيس بن النعمان صاحب الخورنق والسدير : البدن : لضخمه واسترخاء لحمه ، فإنه يقال : قد بدَن تبتينا . فمعنى الكلام : والإبل العظام الأجسام

(١) هذه أربعة أبيات من مشطور الرجز ، رواها المؤلف عن الفراء في معاني القرآن في هذا الموضع من التفسير ، وأنشدها قبل ذلك ثلاثة منها في ( ٧ : ١٢٠ ) عند تفسير قوله تعالى « فأحران يفومان مقامهما من الذين استحق عليهم الأوليان » في سورة المائدة . مع اختلاف في بعض الألفاظ عن روايته لها هنا ، وهي :

عَلَىٰ حِينٍ تَمْلِكُ الْأُمُورَا صَوْمَ شُهُورٍ وَجَبَّتْ نُدُورَا  
وَبَادِنَا مُقْلَدًا مَنَحُورَا

ولفظه ( بادنا ) على هذه الرواية ، قد تكون صحيحة ، يريد جملا سميئا جسيما . كما في ( اللسان : بدن ) ، يقال : رجل بادن ، والأنثى بادن وبادنة والجمع : بدن ( بضم فسكون ) ، وبدن ( بالضم وتشديد الدال المفتوحة ) . وقد تكون ( بادنا ) محرفة عن ( بدنا ) بالتحريك ، بدليل تخريج المؤلف له بقوله « والبدن » ( بضم فسكون ) جمع بدنة ( بالتحريك ) ، وقد يقال لواحدها : بدن ( بالتحريك ) يدل عليه قول الراجز : « وبدنا مدرعا موفورا » . اهـ .

وربما يدل أيضا قول أبي اليقظ العكبري في إعراب القرآن : البدن ( بضم فسكون ) : وجمع بدن ، ( بالتحريك ) وواحدته : بدنة ؛ مثال خشب ( بضم فسكون ) وخصب ( بالتحريك ) . ويقال هو جمع بدنة ، مثل ثمرة وتمرة ( الأخريرة بضم فسكون ) ، ويقرأ بضم الفاء والبدنة كما في ( اللسان : بدن ) بالهاء ؛ تقع على الناقة والبقرة والبعير الذكر ، مما يجوز في الهدى والأضاحي . . . ولا تقع على الناقة ؛ سميت بدنة لعظمتها وخصبها . اهـ . يقول الراجز : أوجبت على نفسي إذا ملكت الأمور ( بناء المخاطب أن أصوم شهورا ، وأن أخلق رأسي ، وأن أعر بدنا أي جملا عظيما .



الضخام ، جعلناها لكم أيها الناس من شعائر الله : يقول : من أعلام أمر الله الذي أمركم به في مناسك حجكم إذا قلدتموها وجللتموها وأشعرتموها علم بذلك ، وشعر أنكم فعلتم ذلك من الإبل والبقر .  
كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن ابن جرير ، قال : قال عطاء ( والبُدنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ) قال : البقرة والبعير .  
وقوله ( لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ) يقول : لكم في البدن خير ، وذلك الخير هو الأجر في الآخرة بنحرها والصدقة بها ، وفي الدنيا : الركوب إذا احتاج إلى ركوبها .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى - وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ) قال : أجر ، ومنافع في البدن .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ( لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ) قال : اللبن والركوب إذا احتاج .  
حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن منصور ، عن إبراهيم ( لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ) قال : إذا اضطررت إلى بدنتك ركبتها ، وشربت لبنها .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ( لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ) من احتاج إلى ظهر البدنة ركب ، ومن احتاج إلى لبنها شرب .  
وقوله ( فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً ) بقول تعالى ذكره : فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى الْبَدَنِ عِنْدَ نَحْرِكُمْ لِأَيِّهَا صَوَافً .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ( فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافً ) بمعنى مصطفة ، واحدها : صافة ، وقد صفت بين أيديها . ورؤى عن الحسن ومجاهد ، وزيد بن أسلم ، وجماعة أخر معهم ، أنهم قرءوا ذلك ( صَوَافِي ) بالياء منصوبة ، بمعنى : خالصة لله لا شريك له فيها صافية له . وقرأ بعضهم ذلك ( صَوَافٍ ) بإسقاط الياء وتنوين الحرف ، على مثال : عوار ، وعواد . ورؤى عن ابن مسعود أنه قرأه ( صَوَافِنٌ ) بمعنى : معقاة .

والصواب من القراءة في ذلك عندي ، قراءة من قرأه بتشديد الفاء ونصبها ، لإجماع الحججة من القراء عليه بالمعنى الذي ذكرناه لمن قرأه كذلك .

ذكر من تأوله بتأويل من قرأه بتشديد الفاء ونصبها

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، في قوله

(فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ) قال : الله أكبر الله أكبر ، اللهم منك ولك . صواف : قياما على ثلاث أرجل ، فقيل لابن عباس : مانصنع بجلودها ، قال : تصدقوا بها ، واستمتعوا بها .  
حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا أيوب بن سويد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، في قوله (صَوَافَّ) قال : قائمة ، قال : يقول : الله أكبر ، لا إله إلا الله اللهم منك ولك .

حدثني محمد بن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ) قال : قياما على ثلاث قوائم معقولة باسم الله ، الله أكبر ، اللهم منك ولك .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، في قوله : (صَوَافَّ) قال : معقولة لإحدى يديها ، قال : قائمة على ثلاث قوائم .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ) يقول : قياما .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ) والصواف : أن تعقل قائمة واحدة ، وتصفها على ثلاث فتنحرها كذلك .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يعلى بن عطاء ، قال : أخبرني بجير بن سالم ، قال : رأيت ابن عمر وهو ينحر بدنته ، قال : فقال (صَوَافَّ) كما قال الله ، قال : فنحرها وهي قائمة معقولة لإحدى يديها .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا ليث ، عن مجاهد ، قال : الصواف : إذا صقلت رجلها وقامت على ثلاث .

قال : ثنا ليث ، عن مجاهد ، في قوله (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ) قال : صواف بين أوظافها .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى - وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (صَوَافَّ) قال : قيام صواف على ثلاث قوائم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ) قال : بين وظائفها قياما .

حدثنا ابن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : أخبرنا يحيى بن أيوب ، عن خالد بن يزيد ، عن ابن أبي هلال ، عن نافع ، عن عبد الله أنه كان ينحر البدن وهي قائمة مستقبلة البيت تصف أيديها بالقبود ، قال : هي التي ذكر الله (فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن رجل ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ،

قال : قلت له قول الله ( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافً ) قال : إذا أردت أن تنحر البدنة فانحرها ، وقل الله أكبر ، لا إله إلا الله ، اللهم منك ولك ، ثم سمّ ، ثم انحرها ، قلت : فأقول ذلك للأضحية ، قال : وللأضحية .

ذكر من تأوله بتأويل من قرأه ( صَوَافِي ) بالياء

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، عن الحسن أنه قال ( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافِي ) قال : مخلصين .

قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : قال الحسن ( صَوَافِي ) : خالصة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال الحسن ( صَوَافِي ) : خالصة لله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن شقيق الضبي ( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافِي ) قال : خالصة .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أيمن بن نابل ، قال : سألت طاوسا عن قوله ( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافِي ) قال : خالصا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافِي ) قال : خالصة ليس فيها شريك كما كان المشركون يفعلون ، يجعون لله ولا لهم صوافي صافية لله تعالى .

ذكر من تأوله بتأويل من قرأه ( صَوَافِين )

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة في حرف ابن مسعود ( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافِين ) : أي معقولة قياما .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة في حرف ابن مسعود ( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافِين ) قال : أي معقولة قياما .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : من قرأها ( صَوَافِين ) قال : معقولة . قال : ومن قرأها ( صَوَافً ) قال : تصف بين يديها .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( فاذكروا اسم الله عَلَيْهَا صَوَافً ) يعني صوافن ، والبدنة إذا نحر عقلت يد واحدة ، فكانت على ثلاث ، وكذلك تنحر .

قال أبو جعفر : وقد تقدم بيان أولى هذه الأقوال بتأويل قوله ( صَوَافً ) وهي المصطفة بين أيديها ، المعقولة إحدى قوائمها .

وقوله ( فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ) يقول : فإذا سقطت فوقعت جنوبها إلى الأرض بعد النحر ،

( فَكُلُوا مِنْهَا ) وهو من قولهم : قد وجبت الشمس : إذا غابت فسقطت للتغيب ، ومنه قول أوس ابن حجر :

ألم تُكسِفِ الشَّمْسُ والبَدْرُ والنُّكُوءَ كَيْبُ النُّجُوبِ الوَاجِبِ

يعنى بالواجب : الواقع .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فإذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ) سقطت إلى الأرض . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، في قوله ( فإذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ) قال : إذا فرغت ونحرت .

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ( فإذَا وَجَبَتْ ) نحرت .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( فإذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ) قال : إذا نحرت .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فإذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا ) قال : فإذا ماتت .

وقوله ( فَكُلُوا مِنْهَا ) وهذا مخرجه مخرج الأمر ، ومعناه : الإباحة ، والإطلاق ؛ يقول الله : فإذا نحرت فسقطت ميتة بعد النحر ، فقد حل لكم أكلها ، وليس بأمر بإيجاب .

وكان إبراهيم النخعي يقول في ذلك ما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، قال : المشركون كانوا لا يأكلون من ذبائحهم ، فرخص للمسلمين ، فأكأوا منها ، فمن شاء أكل ، ومن شاء لم يأكل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن مجاهد ، قال : إن شاء أكل ، وإن شاء لم يأكل ، فهي بمنزلة ( فإذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ) .

(١) البيت لأوس بن حجر كما قال المؤلف . والجبل هنا : يريد به رجلا عظيما ، والواجب الذي مات . قال في ( اللسان : وجب ) ووجب الرجل وجوبا : مات ، قال فييس بن الخطيم يصف حربا وقعت بين الأوس والخزرج في يوم بعث وأن مقدم بني عوف وأميرهم ليج في الحاربة ، ونهى بني عوف عن السلم حتى كان أول قميل :

أطاعت بنو عوف أميرا نهام عن السلم حتى كان أول واجب

وبيت أوس بن حجر شاهد على أن قوله تعالى : « فإذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا » معناه : فإذا سقطت فوفعت جنوبها إلى الأرض بعد النحر ، فكلوا منها ، اه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) يقول : يأكل منها ويطعم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، وأخبرناه مغيرة ، عن إبراهيم ، وأخبرنا حجاج ، عن عطاء ، وأخبرنا حصين ، عن مجاهد ، في قوله ( فَكُلُّوا مِنْهَا ) قال : إن شاء أكل ، وإن شاء لم يأكل ، قال مجاهد : هي رخصة ، هي كقوله ( فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ) ومثل قوله ( وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ) ، وقوله ( وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) يقول : فأطعموا منها القانع .

واختلف أهل التأويل في المعنى بالقانع والمعتّر ، فقال بعضهم : القانع الذي يقنع بما أعطى أو بما عنده ولا يسأل ، والمعتّر : الذي يتعرّض لك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال : القانع : المستغنى بما أعطيته ، وهو في بيته . والمعتّر : الذي يتعرّض لك ، ويلمّ بك أن تطعمه من اللحم ولا يسأل ، وهؤلاء الذين أمر أن يطعموا من البُدن .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليّ ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال : القانع : جارك الذي يقنع بما أعطيته . والمعتّر : الذي يتعرّض لك ولا يسألك .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني أبو صخر ، عن القرظي أنه كان يقول في هذه الآية ( وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) القانع : الذي يقنع بالشيء اليسير يرضى به . والمعتّر : الذي يمرّ بجانبك لا يسأل شيئاً ، فذلك المعتّر .

وقال آخرون : القانع : الذي يقنع بما عنده ، ولا يسأل ؛ والمعتّر : الذي يعتربك فيسألك .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، قوله ( الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) يقول : القانع المتعفف ؛ والمعتّر : يقول : السائل .

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد ، قال : ثنا خصيف ، قال : سمعت مجاهداً يقول : القانع : أهل مكة ؛ والمعتّر : الذي يعتربك فيسألك .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا عطاء ، عن خصيف ، عن مجاهد مثله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا مسلم بن إبراهيم ، قال : ثني كعب بن فروخ ، قال : سمعت قتادة يحدث ، عن عكرمة ، في قوله ( الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال : القانع : الذي يقعد في بيته ، والمعتّر : الذي يسأل .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، قال : القانع : المتعفف الجالس في بيته ؛ والمعتّر : الذي يعتربك فيسألك .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : القانع : والمعتر ، قال : القانع : الطامع بما قبلك ولا يسألك ؛ والمعتر : الذي يعتربك ويسألك .  
 حدثني نصر بن عبدالرحمن ، قال : ثنا المحاربي ، عن سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد وإبراهيم قالا : القانع : الجالس في بيته ؛ والمعتر : الذي يسألك .  
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبدالأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة في القانع والمعتر ، قال : القانع : الذي يقنع بما في يديه ؛ والمعتر : الذي يعتربك ، ولكليهما عليك حق يا ابن آدم .  
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ( فَكُلُّوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال : القانع الذي يجلس في بيته . والمعتر : الذي يعتربك .  
 وقال آخرون : القانع : هو السائل ، والمعتر : هو الذي يعتربك ولا يسأل .  
 ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، قال : القانع : الذي يقنع إليك ويسألك ؛ والمعتر : الذي يتعرض لك ولا يسألك .  
 حدثنا ابن المني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور بن زاذان ، عن الحسن ، في هذه الآية ( وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال : القانع : الذي يقنع ، والمعتر : الذي يعتربك . قال : وقال الكلبي : القانع : الذي يسألك ؛ والمعتر : الذي يعتربك ، يتعرض ولا يسألك .  
 حدثني نصر بن عبد الرحمن الأودي ، قال : ثنا المحاربي ، عن سفيان ، عن يونس ، عن الحسن ، في قوله ( وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال : القانع : الذي يسألك ، والمعتر : الذي يتعرض لك .  
 حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن أبيه ، قال : قال سعيد بن جبير : القانع : السائل .  
 حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : ثنا غالب ، قال : ثنا شريك ، عن فرات القرزاز ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( الْقَانِعَ ) قال : هو السائل ، ثم قال : أما سمعت قول الشياخ .  
 لَمَالُ الْمَرْمِ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِي مَفَاقِرَهُ أَحْفُ مِنْ الْقُنُوعِ  
 قال : من السؤال .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، أنه قال في قوله ( وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ ) قال : القانع : الذي يقنع إليك يسألك ، والمعتر : الذي يربك نفسه ويتعرض لك ولا يسألك .

(١) البيت الشياخ بن ضرار ( لسان العرب : قنع ) قال : وفي التنزيل : « وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ وَالْمُعْتَرَّ » ، فالقانع الذي يسأل والمعتر : الذي يتعرض ولا يسأل . قال الشياخ : « لَمَالُ الْمَرْمِ » . البيت « يعنى من مسألة الناس . وقال ابن السكيت ومن العرب : من يجيز القنوع : بمعنى الضاعة ، وكلام العرب الجيد : هو الأول . ويروي : « من القنوع » والكقوع : التظير والصاخر . وقيل القانع : السائل ، وقيل : المشغف وكل يصلح ، والرجل : قانع وقنوع . وقال الفراء : هو الذي يسألك فأصله قنعه . وقيل : القنوع : الطمع . والفعل : قنع بالفتح يقنع قنوعا : ذل لسؤال . وقيل : سأل . ومفارقة : وجوه فقرة ، وقيل : جمع فطر على غير قياس كالمشاهة والملاصق . ويجوز أن تكون جمع مفقرة مصدر أفقره ، أو جمع مفقر ( اسم فاعل ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشام ، قال : أخبرنا منصور ويونس ، عن الحسن ، قال : القانع : السائل ، والمعتر : الذي يتعرض ولا يسأل .  
 حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الله بن عياش ، قال : قال زيد بن أسلم : القانع : الذي يسأل الناس .  
 وقال آخرون : القانع : الجار ، والمعتر : الذي يعتريك من الناس .  
 ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن مجاهد ، قال : القانع : جارك وإن كان غنيا ، والمعتر : الذي يعتريك .  
 حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ابن أبي نجيح ، قال : قال مجاهد ، في قوله ( وأطعموا القانع والمعتر ) قال : القانع : جارك الغني ، والمعتر : من اعتراك من الناس .  
 حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله ( وأطعموا القانع والمعتر ) أنه قال : أحدهما السائل ، والآخر : الجار .  
 وقال آخرون : القانع : الطواف . والمعتر : الصديق الزائر .  
 ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنى أبي وشعيب بن الليث ، عن الليث ، عن خالد بن يزيد ، عن ابن أبي هلال ، قال : قال زيد بن أسلم ، في قول الله تعالى ( القانع والمعتر ) فالقانع : المسكين الذي يطرف ، والمعتر : الصديق والضعيف الذي يزور .  
 وقال آخرون : القانع : الطامع ، والمعتر : الذي يعتر بالبدن .  
 ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( القانع ) قال : الطامع والمعتر : من يعتر بالبدن ، من غني أو فقير .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني عمر بن عطاء ، عن عكرمة ، قال : القانع : الطامع .  
 وقال آخرون : القانع : هو المسكين ، والمعتر : الذي يتعرض للحم .  
 ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وأطعموا القانع والمعتر ) قال : القانع : المسكين ، والمعتر : الذي يعتر القوم لحمهم وليس بمسكين ، ولا تكون له ذبيحة ، يجيء إلى القوم من أجل لحمهم ، والبائس الفقير : هو القانع .

وقال آخرون بما حدثنا به ابن بشار، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن فرات ، عن سعيد بن جبير ، قال : القانع : الذي يقنع ، والمعتر : الذي يعتريك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن يونس ، عن الحسن بمثله .  
قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ومجاهد ( القانع والمُعتر ) القانع : الجالس في بيته ، والمعتر : الذي يتعرض لك .

❦ وأولى هذه الأقوال بالصواب قول من قال : عني بالقانع : السائل ، لأنه لو كان المعنى بالقانع في هذا الموضع ، المكتفى بما عنده ، والمستغنى به لقييل : وأطعموا القانع والسائل ، ولم يقل : وأطعموا القانع والمعتر ، وفي إتياع ذلك قوله : والمعتر ، الدليل الواضح على أن القانع معنى به السائل من قولهم : قنع فلان إلى فلان ، بمعنى سأله وخضع إليه ، فهو يقنع قنوعاً ؛ ومنه قول لبيد :

وأعطاني المولى على حين فقره  
إذا قال أبصر خلتني وقنوعى !

وأما القانع الذي هو بمعنى المكتفى ، فإنه من قنعت بكسر النون أقنع قناعة وقنعا وقنعانا . وأما المعتر : فإنه الذي يأتيك معتراً بك لا مطيه وتطعمه .

وقوله ( كذلك سخرناها لكم ) يقول هكذا سخرنا البدن لكم أيها الناس ( لتعلمكم تشكرون ) يقول : لتشكروني على تسخيرها لكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا وَلَكِنْ يَسْأَلُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْحَسِينِ ﴿٢٤﴾

❦ يقول تعالى ذكره : لم يصل إلى الله لحوم بدنكم ولا دماؤها ، ولكن يسأله انقائكم إياه إن انقيتموه فيها فأردتم بها وجهه ، وعلمتم فيها بما ندبكم إليه ، وأمركم به في أمرها ، وعظمت بها حرمانه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن منصور ، عن إبراهيم ، في قول الله ( لَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا ، وَلَكِنْ يَسْأَلُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ) قال : ما أريد به وجه الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ لِحُومِهَا وَلَا دِمَائِهَا ، وَلَكِنْ يَسْأَلُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ ) قال : إن انقيت الله في هذه البدن ، وعمات فيها لله ،

(١) البيت البيد كما قال المؤلف ، ولم أجده في ديوانه طبعة أيان سنة ١٨٩١ ، والخلة بالفتح : الحاجة والفقر . وقال اللحياني : حلة به شدة : أي خصاصة . والفنوع : السؤال ، وقد لرحناه وبيناه في الشاهد الذي قبله .



وطلبت ما قال الله تعظيماً لشعائر الله ، ولحرمت الله ، فإنه قال ( وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ ) قال ( وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرْمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ) قال : وجعلته طيباً ، فذلك الذي يتقبل الله . فأما اللحوم والدماء ، فن أين تنال الله ؟ وقوله ( كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ ) يقول : هكذا سخر لكم البؤدن ( لِيَتَكَبَّرُوا اللَّهُ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ) يقول : كي تعظموا الله على ما هداكم ، يعني على توفيقه إياكم لدينه ، وللنك في حجكم .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( لِيَتَكَبَّرُوا اللَّهُ عَلَى مَا هَدَاكُمْ ) قال : على ذبحها في تلك الأيام ( وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ) يقول : وبشر يا محمد الذين أطاعوا الله فأحسنوا في طاعتهم إياه في الدنيا بالجنة في الآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴾

يقول تعالى ذكره : إن الله يدفع غائلة المشركين عن الذين آمنوا بالله وبرسوله ، إن الله لا يحب كل خَوَّانٍ يخون الله ، فيخالف أمره ونهيه ويعصيه ، ويطيع الشيطان ( كَفُورٍ ) يقول : جحوداً لنعمة عنده ، لا يعرف لمنعمها حقه ، فيشكره عليها . وقيل : إنه عنى بذلك : دفع الله كفار قريش عن كان بين أظهرهم من المؤمنين قبل هجرتهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴾

يقول تعالى ذكره : أذن الله للمؤمنين الذين يقاتلون المشركين في سبيله بأن المشركين ظلموهم بقاتلهم . واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة ( أذن ) بضم الألف ( يُقاتلون ) بفتح التاء بترك تسمية الفاعل ، في أذن ويقاتلون جميعاً . وقرأ ذلك بعض الكوفيين وعامة قراء البصرة ( أذن ) بترك تسمية الفاعل و ( يُقاتلون ) بكسر التاء ، بمعنى يقاتل المأذون لهم في القتال المشركين . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين وبعض المكيين ( أذن ) بفتح الألف ، بمعنى : أذن الله ، و ( يُقاتلون ) بكسر التاء ، بمعنى : إن الذين أذن الله لهم بالقتال ، يقاتلون المشركين . وهذه القراءات الثلاث متقاربات المعنى ، لأن الذين قرءوا أذن على وجه ما لم يسم فاعله يرجع معناه في التأويل إلى معنى قراءة من قرأه على وجه ما سمي فاعله - وإن من قرأ يُقاتلون ، ويقاتلون بالكسر أو الفتح ، فقريب معنى أحدهما من معنى الآخر - وذلك أن من قاتل إنساناً ، فالذي قاتله له مقاتل ، وكل واحد منهما مقاتل . فإذا كان ذلك كذلك فبأية هذه القراءات قرأ القارئ فصيب الصواب .

غير أن أحب ذلك إلى ، أن أقرأ به أذن بفتح الألف ، بمعنى : أذن الله ، لقرب ذلك من قوله ( إن الله لا يحب كل خَوَّانٍ كَفُورٍ ) أذن الله في الذين لا يحبهم للذين يقاتلونهم بقاتلهم ، فيرد أذن

على قوله ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ ) ، وكذلك أحبّ القراءات إلىّ في يُقَاتِلُونَ كسر التاء ، بمعنى : الذين يقاتلون من قد أخبر الله عنهم أنه لا يحبهم ، فيكون الكلام متصلا معنى ببعضه ببعض .  
وقد اختلف في الذين عُنُوا بالإذن لهم بهذه الآية في القتال ، فقال بعضهم : عنى به : نبيّ الله وأصحابه .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ) يعني : محمدا وأصحابه إذ أخرجوا من مكة إلى المدينة : يقول الله ( فَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ) وقد فعل .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم البطين ، عن سعيد ابن جبير ، قال : لما خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم من مكة ، قال رجل : أخرجوا نبيهم ، فنزلت : ( أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا ) . . . الآية ( الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ ) النبيّ صلى الله عليه وسلم وأصحابه .

حدثنا يحيى بن داود الواسطي ، قال : ثنا إسماعيل بن يوسف ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم من مكة قال أبو بكر : أخرجوا نبيهم ، إنا لله وإنا إليه راجعون ، ليهلكن - قال ابن عباس : فأنزل الله ( أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا ، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ) قال أبو بكر : فعرفت أنه سيكون قتال ، وهي أول آية نزلت . قال ابن داود : قال ابن إسماعيل : كانوا يقرءون ( أذِنَ ) ونحن نقرأ ( أذِنَ ) .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا إسماعيل ، عن سفيان ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما خرج النبيّ صلى الله عليه وسلم ، ثم ذكر نحوه ، إلا أنه قال : فقال أبو بكر : قد علمت أنه يكون قتال ، وإلى هذا الموضع انتهى حديثه ، ولم يزد عليه .

حدثني محمد بن خلف المسقلاني ، قال : ثنا محمد بن يوسف ، قال : ثنا قيس بن الربيع ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : لما خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة ، قال أبو بكر : إنا لله وإنا إليه راجعون ، أخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والله ليهلكن جميعا : فلما نزلت ( أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا ) . . . إلى قوله ( الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ ) عرف أبو بكر أنه سيكون قتال .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا ) قال : أذن لهم في قتالهم بعد ما عفا عنهم عشر سنين ، وقرأ ( الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ ) وقال : هؤلاء المؤمنون .

حدّث عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول .  
 فى قوله ( الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ )<sup>١</sup> .  
 وقال آخرون : بل عنى بهذه الآية ، قوم بأعيانهم ، كانوا خرجوا من دار الحرب يريدون الهجرة ،  
 فمنعوا من ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن .  
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله ( أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ  
 ظَلِمُوا ) قال : أناس مؤمنون خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة ، فكانوا يمنعون ، فأذن الله للمؤمنين  
 بقتال الكفار ، فقاتلوهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرّيج ، عن مجاهد ، فى قوله ( أذِنَ  
 لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا ) قال : ناس من المؤمنين خرجوا مهاجرين من مكة إلى المدينة .  
 وكانوا يمنعون ، فأدركهم الكفار ، فأذن للمؤمنين بقتال الكفار فقاتلوهم . قال ابن جرّيج يقول : أول  
 قتال أذن الله به للمؤمنين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة فى حرف ابن مسعود ( أذِنَ  
 لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ) قال قتادة : وهى أول آية نزلت فى القتال ، فأذن لهم أن يقاتلوا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله ( أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ  
 بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا ) قال : هى أول آية أنزلت فى القتال ، فأذن لهم أن يقاتلوا . وقد كان بعضهم يزعم أن الله  
 إنما قال : أذن للذين يقاتلون بالقتال من أجل أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كانوا استأذنوا  
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قتل الكفار إذا آذوهم ، واشتدوا عليهم بمكة قبل الهجرة غيلة سرا ،  
 فأنزل الله فى ذلك ( إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ) فلمّا هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 وأصحابه إلى المدينة ، أطلقت لهم قتلهم وقتالهم ، فقال ( أذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلِمُوا ) وهذا قول  
 ذكر عن الضحاك بن مزاحم من وجه غير ثبت .

وقوله ( وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ) يقول جل ثناؤه : وإن الله على نصر المؤمنين الذين  
 يقاتلون فى سبيل الله لقادر ، وقد نصرهم فأعزّهم ورفعهم ، وأهلك عدوهم ، وأذلم بأيديهم .

القول فى تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ

(١) لعله اختصره إن لم يكن سقط منه شيء من الناسخ ، والأصل : هم والنبي وأصحابه ، أو نحو ذلك .

بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا  
وَلْيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره : أذن للذين يقاتلون ( الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ ) فالذين الثانية ردّ على الذين الأولى ، وعنى بالمرجعين من دورهم : المؤمنين الذين أخرجهم كفار قريش من مكة ، وكان إخراجهم إياهم من دورهم وتعذيبهم بعضهم على الإيمان بالله ورسوله ، وسبهم بعضهم بالسنتهم ووعيدهم إياهم ، حتى اضطروهم إلى الخروج عنهم ، وكان فعلهم ذلك بهم بغير حقّ ، لأنهم كانوا على باطل ، والمؤمنون على الحقّ ، فلذلك قال جلّ ثناؤه ( الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ ) وقوله ( إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ) يقول تعالى ذكره : لم يخرجوا من ديارهم إلا بقولهم : ربنا الله وحده لا شريك له ، فإن في موضع خنض ردّ على الباء في قوله ( بِغَيْرِ حَقٍّ ) ، وقد يجوز أن تكون في موضع نصب على وجه الاستثناء .

وقوله ( وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) اختلف أهل التأويل في معنى ذلك ، فقال بعضهم : معنى ذلك : ولولا دفع الله المشركين بالمسلمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) دفع المشركين بالمسلمين .  
وقال آخرون : معنى ذلك : ولولا القتال والجهاد في سبيل الله .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) قال : لولا القتال والجهاد .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولولا دفع الله بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن بعدهم من التابعين ،

ذكر من قال ذلك

حدثنا إبراهيم بن سعيد ، قال : ثنا يعقوب بن إبراهيم ، عن سيف بن عمرو ، عن أبي روق ، عن ثابت بن عوسجة الحضرمي ، قال : ثنى سبعة وعشرون من أصحاب عليّ وعبد الله منهم لاحق بن الأقرع ، والعزيز بن جرول ، وعطية القرظي ، أن عليا رضي الله عنه قال : إنما أنزلت هذه الآية في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ( وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) لولا دفاع الله بأصحاب محمد عن التابعين ( لَهَدَمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ ) .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لولا أن الله يدفع بمن أوجب قبول شهادته في الحقوقي ، تكون لبعض

الناس على بعض ، عن لا يجوز قبول شهادته وغيره ، فأحيا بذلك مال هذا ، ويوقى بسبب هذا إراقة دم هذا ، وتركوا المظالم من أجله ، لتظالم الناس ، فهدمت صوامع .  
ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَوْلَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ ) يقول : دفع بعضهم بعضا في الشهادة ، وفي الحق ، وفيما يكون من قبل هذا ، يقول : لولاهم لأهلكت هذه الصوامع وما ذكر معها .

❖❖❖ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال : إن الله تعالى ذكره ، أخبر أنه لولا دفاعه الناس بعضهم ببعض ، لهدم ما ذكر ، من دفعه تعالى ذكره بعضهم ببعض ، وكفّه المشركين بالمسلمين عن ذلك ؛ ومنه كفّه بعضهم التظالم ، كالسلطان الذى كفّ به رعيته عن التظالم بينهم ؛ ومنه كفّه لمن أجاز شهادته بينهم بعضهم عن الذهاب بحقّ من له قبله حق ، ونحو ذلك ، وكلّ ذلك دفع منه الناس بعضهم عن بعض ، لولا ذلك لتظالموا ، فهدم القاهرون صوامع المقهورين وبيعتهم ، وما ستمى جلّ ثناؤه ، ولم يضع الله تعالى دلالة في عقل ، على أنه غنى من ذلك بعضا دون بعض ، ولا جاء بأن ذلك كذلك خبر يجب التسليم له ، فذلك على الظاهر والعموم على ما قد بيّنته قبل ، لعموم ظاهر ذلك جميع ما ذكرنا .

وقوله ( كَهْدَمَتْ صَوَامِعُ ) اختلف أهل التأويل في المعنى بالصوامع ، فقال بعضهم : غنى بها صوامع الرهبان .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن رُفيع في هذه الآية ( كَهْدَمَتْ صَوَامِعُ ) قال : صوامع الرهبان .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( كَهْدَمَتْ صَوَامِعُ ) قال : صوامع الرهبان . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( كَهْدَمَتْ صَوَامِعُ ) قال : صوامع الرهبان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كَهْدَمَتْ صَوَامِعُ ) قال : صوامع الرهبان . حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ ، يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول : في قوله ( كَهْدَمَتْ صَوَامِعُ ) وهى صوامع الصغار يبنونها .

وقال آخرون : بل هى صوامع ، الصابئين .

(١) لعله وهى الصوامع الصغار : أى المعابد الصغار الخ .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( صَوَّامِعُ ) قال : هي للصائين .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
واختلفت القراءة في قراءة قوله ( كَلْدَمَتٌ ) فقرأ ذلك عامة قراء المدينة ( كَلْدِمَتٌ ) خفيفة . وقرأه  
عامة قراء أهل الكوفة والبصرة ( كَلْدَمَتٌ ) بالتشديد بمعنى تكرير الهم في مرة بعد مرة ، والتشديد  
في ذلك أعجب القراءتين إلى . لأن ذلك من أفعال أهل الكفر بذلك .

وأما قوله ( وَبَيْعٌ ) فإنه يعني بها : بيع النصارى .

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : مثل الذي قلنا في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المثني ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن رُفيع ( وَبَيْعٌ ) قال : بيع  
النصارى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَبَيْعٌ ) للنصارى .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول :

الْبَيْعُ : بيع النصارى .

وقال آخرون : عنى بالبيع في هذا الموضع : كنائس اليهود .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال ( وَبَيْعٌ ) قال : وكنائس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَبَيْعٌ ) قال : البيع :

الكنائس .

قوله ( وَصَلَوَاتٌ ) اختلف أهل التأويل في معناه ، فقال بعضهم : عنى بالصلوات : الكنائس .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

في قوله ( وَصَلَوَاتٌ ) قال : يعنى بالصلوات الكنائس .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله

( وَصَلَوَاتٌ ) : كنائس اليهود ، ويسمون الكنيسة صلواتا .

حدثنا ابن عبد الأهل ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَصَلَوَاتٌ ) كنائس اليهود .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
وقال آخرون : عنى بالصلوات مساجد الصابئين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، قال : سألت أبا العالية عن الصلوات ،  
قال : هي مساجد الصابئين .

قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن رُفيع ، نحوه .

وقال آخرون : هي مساجد للمسلمين ولأهل الكتاب بالطرق .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَصَلَوَاتٌ ) قال : مساجد لأهل الكتاب ،  
ولأهل الإسلام بالطرق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَصَلَوَاتٌ ) قال : الصلوات  
صلوات أهل الإسلام ، تنقطع إذا دخل العدو عليهم ، انقطعت العبادة ، والمساجد تهدم ، كما صنع  
بختنصر .

وقوله ( وَمَسَاجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ) اختلف في المساجد التي أريدت بهذا القول ، فقال  
بعضهم : أريد بذلك مساجد المسلمين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الوهاب ، قال : ثنا داود ، عن رُفيع ، قوله ( وَمَسَاجِدٌ ) قال :  
مساجد المسلمين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، قال : ثنا معمر ، عن قتادة ( وَمَسَاجِدٌ يُذْكَرُ فِيهَا  
اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا ) قال : المساجد : مساجد المسلمين يذكر فيها اسم الله كثيرا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، نحوه .  
وقال آخرون : عنى بقوله : ( وَمَسَاجِدٌ ) : الصوامع والبيع والصلوات .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله  
( وَمَسَاجِدٌ ) يقول في كل هذا يذكر اسم الله كثيرا ، ولم يخص المساجد .

وكان بعض أهل العربية من أهل البصرة يقول : الصلوات لا تهدم ، ولكن حملة على فعل آخر ، كأنه

قال : وتركت صلوات . وقال بعضهم : إنما يعنى : مواضع الصلوات . وقال بعضهم : إنما هي صلوات ، وهي كنائس اليهود ، تُدعى بالعبرانية : صلوتا .

❖ وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : لخدمت صوامع الرهبان ، وبيع النصرى ، وصلوات اليهود ، وهي كنائسهم ، ومساجد المسلمين التي يذكر فيها اسم الله كثيرا .

وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل ذلك ، لأن ذلك هو المعروف في كلام العرب ، المستفيض فيهم ، وما خالفه من القول ، وإن كان له وجه فغير مستعمل فيما وجهه إليه من وجهه إليه .

وقوله ( وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ ) يقول تعالى ذكره : وليعيننَّ الله من يقاتل في سبيله ، لتكون كلمته العليا على عذره ؛ فنصر الله عبده : معونته إياه ، ونصر العبد ربه : جهاده في سبيله ،

لتكون كلمته العليا . وقوله ( إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ) يقول تعالى ذكره : إن الله لقوى على نصر من جاهد في سبيله

من أهل ولايته وطاعته ، عزيز في ملكه ، يقول : منيع في سلطانه ، لا يقهره قاهر ، ولا يغلبه غالب .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ﴿١١٠﴾

❖ يقول تعالى ذكره : أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، الذين إن مكناهم في الأرض ، أقاموا الصلاة : والذين هاهنا ردت على الذين يقاتلون . ويعنى بقوله ( إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ ) إن وطناهم في البلاد ، فقهروا المشركين ، وغلبوهم عليها ، وهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يقول : إن نصرناهم على أعدائهم ، وقهروا مشركى مكة ، أطاعوا الله ، فأقاموا الصلاة بحدودها ، وآتوا الزكاة : وأعطوا زكاة أموالهم من جعلها الله له ( وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ) يقول : ودعوا الناس إلى توحيد الله ، والعمل بطاعته ، وما يعرفه أهل الإيمان بالله ( وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ) يقول : ونهوا عن الشرك بالله ، والعمل بمعاصيه ، الذى ينكره أهل الحق والإيمان بالله ( وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ ) يقول : والله آخر أمور الخلق ، يعنى : أن إليه مصيرها في الثواب عليها ، والعقاب في الدار الآخرة .

وبنحو الذى قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسين الأشيب ، قال : ثنا أبو جعفر عيسى بن ماهان ، الذى يقال له الرازى ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله ( الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ ، وَآتَوُا الزَّكَاةَ ، وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ ، وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ ) قال : كان أمرهم بالمعروف



أنهم دعوا إلى الإخلاص لله وحده ، لا شريك له ، ونهيمهم عن المنكر ، أنهم نهوا عن عبادة الأوثان ، وعبادة الشيطان ؛ قال : فمن دعا إلى الله من الناس كلهم ، فقد أمر بالمعروف ، ومن نهى عن عبادة الأوثان وعبادة الشيطان ، فقد نهى عن المنكر .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودٌ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ وَكَذَّبَ مُوسَىٰ فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى ذكره مسلماً نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم عما يناله من أذى المشركين بالله ، وحاضاً له على الصبر على ما يلحقه منهم من السب والتكذيب ، وإن يكذبك يا محمد هؤلاء المشركون بالله على ما أتيتهم به من الحق والبرهان ، وما تعدهم من العذاب على كفرهم بالله ، فذلك سنة إخوانهم من الأمم الخالية المكذبة رسل الله ، المشركة بالله ، ومنهاجهم من قبلهم ، فلا يصدتك ذلك ، فإن العذاب المهين من وراءهم ، ونصرى إياك ، وأتباعك عليهم ، آتيتهم من وراء ذلك ، كما أتى عذابي على أسلافهم من الأمم الذين من قبلهم ، بعد الإمهال إلى بلوغ الآجال ، فقد كذبت قبلهم : يعنى مشركى قريش ، قوم نوح ، وقوم عاد وثمود ، وقوم إبراهيم ، وقوم لوط ، وأصحاب مدين ، وهم قوم شعيب : يقول : كذب كل هؤلاء رسلهم ، وكذب موسى ، فقيل : وكذب موسى ، ولم يقل : وقوم موسى ، لأن قوم موسى بنو إسرائيل ، وكانت قد استجابت له ولم تكذبه ، وإنما كذبه فرعون وقومه من القبط . وقد قيل : إنما قيل ذلك كذلك لأنه ولد فيهم ، كما ولد في أهل مكة .

وقوله ( فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ ) يقول : فأمهلت لأهل الكفر بالله من هذه الأمم ، فلم أعاجلهم بالنقمة والعذاب ( ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ ) يقول : ثم أحللت بهم العقاب بعد الإملاء ، فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ) يقول : فانظر يا محمد كيف كان تغييرى ما كان بهم من نعمة ، وتنكرى لهم عما كنت عليه من الإحسان إليهم ، ألم أبدلهم بالكثرة قلة ، وبالحياة موتاً وهلاكاً ، وبالعمارة خراباً ؟ يقول : فكذلك فعلى بمكذبيك من قريش ، وإن أمليت لهم إلى آجالهم ، فإنى مُنَجِّزِكَ وعدى فيهم ، كما أنجزت غيرك من رسلى وعدى فى أممهم ، فأهلكناهم ، وأنجيتهم من بين أظهرهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَكَابِبْنَ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْسَ مَعْطَلَةٌ وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ﴿٤٥﴾

يقول تعالى ذكره : وكم يا محمد من قرية أهلكت أهلها . وهم ظالمون : يقول : وهم يعبدون غير من ينبغي أن يعبد ، ويعصون من لا ينبغي لهم أن يعصوه . وقوله ( فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ) يقول : فباد أهلها وخلت ، وخوت من سكانها ، فخربت وتداعت ، وتساقطت على عروشها ، يعنى على بنائها وسقوفها .

كما حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا أبو خالد ، عن جوير ، عن الضحاك ( فهى خاوية على عروشها ) قال : خواؤها : خرابها ، وعروشها : سقوفها .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( خاوية ) قال : خربة ليس فيها أحد .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة . مثله .  
وقوله ( وَبَيْتٍ مُّعْتَلَةٍ ) يقول تعالى : فكأين من قرية أهلكناها ، ومن بئر عطلناها ، بإفناء أهلها ، وهلاك واردتها ، فاندفنت وتعطلت ، فلا وارده لها ، ولا شاربة منها ( وَمِنْ قَصْرِ مَشِيدٍ ) رفيع بالصخور والحصص ، قد خلا من سكانه ، بما أذقنا أهله من عذابنا بسوء فعلهم ، فبادوا ، وبقي قصورهم المشيدة خالية منهم . والبئر والقصر مخفوضان بالعطف على القرية . وكان بعض نحووي الكوفة يقول : هما معطوفان على العروش بالعطف عليها خفضا ، وإن لم يحسن فيهما ، على أن العروش أعلى البيوت ، والبئر في الأرض ، وكذلك القصر ، لأن القرية لم تنحو على القصر ، ولكنه أتبع بعضه بعضا ، كما قال ( وَحُورٌ عَيْنٌ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ ) فمعنى الكلام على ما قال هذا الذي ذكرنا قوله في ذلك : فكأين من قرية أهلكناها وهي ظلمة ، فهى خاوية على عروشها ، ولها بئر معطلة ، وقصر مشيد ؛ ولكن لما لم يكن مع البئر رافع ولا عامل فيها ، أتبعها في الإعراب العروش ، والمعنى : ما وصفت .

وبنحو الذى قلنا فى معنى قوله ( وَبَيْتٍ مُّعْتَلَةٍ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( وَبَيْتٍ مُّعْتَلَةٍ ) قال : التى قد تركت ، وقال غيره : لأهل لها .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَبَيْتٍ مُّعْتَلَةٍ ) قال : عطلها أهلها ، تركوها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ( وَبَيْتٍ مُّعْتَلَةٍ ) قال : لأهل لها .

واختلف أهل التأويل فى معنى قوله ( وَقَصْرِ مَشِيدٍ ) فقال بعضهم : معناه : وقصر مجصص .

ذكر من قال ذلك

حدثني مطر بن محمد الضبي ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : ثنا سفيان ، عن هلال بن خباب عن عكرمة ، فى قوله ( وَقَصْرِ مَشِيدٍ ) قال : مجصص .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يحيى بن يعان ، عن سفيان ، عن هلال بن خباب ، عن عكرمة ، مثله ؛

حدثني محمد بن إسماعيل الأحمسي ، قال : ثنا غالب بن فائد ، قال : ثنا سفيان ، عن هلال بن خباب عن عكرمة ، مثله .  
حدثني الحسين بن محمد العنقزي ، قال : ثنا أبي ، عن أسباط ، عن السدي ، عن عكرمة ، في قوله ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : مجصص .  
حدثني مطر بن محمد ، قال : ثنا كثير بن هشام ، قال : ثنا جعفر بن برقان ، قال : كنت أمشي مع عكرمة ، فرأى حائط آجرٍ مُصَهَّرَج ، فوضع يده عليه ، وقال : هذا المشيد الذي قال الله .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عباد بن العوام ، عن هلال بن خباب ، عن عكرمة ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : المجصص . قال عكرمة : والجص بالمدينة يسمى الشيد .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : بالقصة أو الفضة .  
حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : بالقصة يعني بالجص .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، عن عطاء ، في قوله ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : مجصص .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن هلال بن خباب ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : مجصص ، هكذا هو في كتابي ، عن سعيد بن جبير .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : وقصر رفيع طويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) قال : كان أهله شيدوه وحصروه ، فهلكوا وتركوه .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله ( وَقَصْرٍ مَشِيدٍ ) يقول : طويل .  
وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : عني بالمشيد : المجصص ، وذلك أن الشيد في كلام العرب هو الجص بعينه ؛ ومنه قول الراجز :

كحبة الماء بين الطي والشيد

(١) هذا عجز بيت من البسيط ، وليس من الرجز . وقال في اللسان : وحب الماء بالكسر ، وحببه وحبابه بالفتح : طرائقه والطي : الحجارة تبنى بها جدار البئر . والشيد ، بكسر الشين : كل ما طلى به الحائط من جص أو بلاط ، وبالفتح : المصدر ، تقول : شاده يشيده شيدا : جصه ، وبناء مشيد : معمول بالشيد .

فالمشيد : إنما هو مفعول من الشَّيد ؛ ومنه قول امرئ القيس :  
 وتَيْمَاءَ لَمْ يَسْتَرْكُ بِهَا جِدْعَ نَخْلَةٍ وَلَا أُطْمًا إِلَّا مَشِيدًا يَجْنَدَلِ ۱  
 يعني بذلك : إلا بالبناء بالشيء والجنادل . وقد يجوز أن يكون معنا بالمشيد : المرفوع بناؤه بالشيء ، فيكون  
 الذين قالوا : عنى بالمشيد : الطويل نحووا بذلك إلى هذا التأويل ؛ ومنه قول عدى بن زيد :  
 شَادَهُ مَرْمَرًا وَجَلَّلَهُ كِلْسًا فَلَطَّيْرٍ فِي ذُرَاهُ وَكُورُ ۲  
 وقد تأوله بعض أهل العلم بلغات العرب بمعنى المزين بالشيء من شدته أشيده : إذا زينته به ، وذلك شبيه  
 بمعنى من قال : مجصص .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى  
 الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : أفلم يسيروا هؤلاء المكذبون بآيات الله ، والجاحدون قدرته في البلاد ، فينظروا  
 إلى مصارع ضربائهم من مكذبي رسل الله الذين خلوا من قبلهم ، كعاد وشمود ، وقوم لوط وشعيب ،  
 وأوطانهم ومساكنهم ، فيتفكروا فيها ، ويعتبروا بها ، ويعلموا بتدبيرهم أمرها وأمر أهلها ، سنة الله فيمن كفر  
 وعبد غيره ، وكذب رسله ، فيذنبوا من عتوهم وكفرهم ، ويكون لهم إذا تدبروا ذلك ، واعتبروا به ، وأنابوا  
 إلى الحق ( قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا ) حجج الله على خلقه وقدرته على ما بيننا ، أو آذان يسمعون بها : يقول :  
 أو آذان تصفى لسمع الحق فتعى ذلك ، وتميز بينه وبين الباطل . وقوله ( فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ) يقول :  
 فإنها لا تعمي أبصارهم أن يبصروا بها الأشخاص وبروها ، بل يبصرون ذلك بأبصارهم ، ولكن تعمي قلوبهم

(١) البيت لامرئ القيس يصف السيل في معلقته المشهورة ( مختار الشعر الجاهل ، بشرح مصطفي السقا ، طبعة الحلبي ص ٢٢ )  
 قال شارحه : تيماء : مدينة . والأطم : البيت المسطح ، ويروي « ولا أطم » ، وهو بمعنى الأطم . يقول : لم يدع السيل بيتا مبنيا  
 بحصى وحجارة إلا هداه إلا المشيد يجندل فإنه سلم لقوته .

وفي ( اللسان : شيد ) : وبناء مشيد : معمول بالشيء . وكل ما أحكم من البناء فقد شيد ، وتشيد البناء إحكامه ورفعته ، والمشيد :  
 المبنى بالشيء ، وأنشد : « شاده مرمرا . . . البيت » . قال أبو عبيد : البناء المشيد ( بالتشديد ) : المطول . والمفهوم من نصوص  
 اللغويين من بيت امرئ القيس ومن بيت عدى بن زيد الآتي بعد هذا ، أن البناء المشيد بالتخفيف : هو المطول الذاهب في السماء ، أو هو  
 المحكم القوى . فيكون المشيد إذن معنيان : الأول هو المطلق بالحصص ونحوه لتزيينه . والثاني هو المبنى بالحصص ونحوه مع الصخور أو  
 المرمر . . . الخ .

(٢) البيت لعدى بن زيد العبادي . وقد أنشده في ( اللسان : شيد ) ولم ينسبه ، وقال المشيد : المبنى بالشيء . اه . يريد أنه أحكم  
 بناؤه وأحكم بالشيء مع المرمر ، وهو نوع من الرخام صلب . والكلس قال في ( اللسان : كلس ) : مثل الصاروخ يبنى به . وقيل  
 الكلس : ما طلى به حائط أو باطن قصر ، شبه الحصص من غير آجر ؛ قال عدى بن زيد العبادي ( وذكر أربعة أبيات منها بيت الشاهد  
 وهو آخرها ) ثم قال : والفكليس التلميس ، فإذا طلى نحينا فهو المقومد . والشاهد في بيت عدى هذا كما بيناه في بيت امرئ القيس  
 قبله أن قوله « شاده مرمرا » يفهم منه الإحكام والتفوية ورفع البناء ، ولا يفهم منه الظلاله الخارجى بالشيء . وهو ما قاله المؤلف ، والذرا  
 يضم الذال : جمع ذروة ، وهي أعلى الشيء . والكور : جمع وكر وهو عثر الطائر أي أن صاحب ذلك القصر المعروف بالظفر ، رفع  
 بناؤه بالشيء والمرمر ، ثم كلسه وعلسه بالحصص أو بالكلس ، وإن الظفر قد أخذت وكورها في أصله .

التي في صدورهم عن أنصار الحق ومعرفته . والهاء في قوله ( فَلِأَنَّهُ لَا تَعْمَى ) هاء عماد ، كقول القائل : إنه عبد الله قائم . وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ( فَلِأَنَّهُ لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ ) وقيل ( وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ) والقلوب لا تكون إلا في الصدور ، توكيدا للكلام ، كما قيل ( يَقُولُونَ بِأَفْوَهِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ) .

القول في تأويل قوله تعالى:

وَلَيْسَتَّعْجَلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ويستعجلونك يا محمد مشركو قومك ، بما تعددهم من عذاب الله على شركهم به ، وتكذيبهم إياك فيما أتيتهم به من عند الله في الدنيا ، ولن يخلف الله وعده الذي وعدك فيهم ، من إحلال عذابه ونقمتهم بهم في عاجل الدنيا ، ففعل ذلك ، ووفى لهم بما وعدهم ، فقتلهم يوم بدر . واختلف أهل التأويل في اليوم الذي قال جل ثناؤه ( وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ) أى يوم هو ؟ فقال بعضهم : هو من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسرائيل ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ( وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ) قال : من الأيام التي خلق الله فيها السموات والأرض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ ) . . . الآية ، قال : هي مثل قوله في ( الْم تَنْزِيلُ ) سواء ، هو هو الآية . وقال آخرون : بل هو من أيام الآخرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن سماك ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : مقدار الحساب يوم القيامة ألف سنة .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا سعيد الجريري ، عن أبي نضرة عن سبير بن نهار ، قال : قال أبو هريرة : « يدخل فقراء المسلمين الجنة قبل الأغنياء بمقدار نصف يوم ، قلت : وما نصف يوم ؟ قال : أو ما تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى ، قال ( وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ) . » حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ( وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ ) قال : من أيام الآخرة .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سماك ، عن عكرمة ، أنه قال في هذه الآية ( وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ) قال : هذه أيام الآخرة . وفي قوله ( ثُمَّ يَعْزُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ) قال : يوم القيامة ، وقرأ ( لَأَنَّهُمْ يَرْوَتْهُ بِعِيدًا وَنَرَاهُ قَرِيبًا ) .

وقد اختلف في وجه صرف الكلام من الخبر عن استعجال الذين استعجلوا العذاب إلى الخبر عن طول اليوم عند الله ، فقال بعضهم : إن القوم استعجلوا العذاب في الدنيا ، فأنزل الله ( وَلَئِن يُخَلِّفَ اللَّهُ وَعْدَهُ ) في أن ينزل ما وعدهم من العذاب في الدنيا ، وإن يوما عند ربك من عذابهم في الدنيا والآخرة ، كألف سنة مما تعدون في الدنيا .

وقال آخرون : قيل ذلك كذلك إعلاما من الله مستعجليه العذاب ، أنه لا يعجل ، ولكنه يُمنهل إلى أجل أجله ، وأن البطيء عندهم قريب عنده ، فقال لهم : مقدار اليوم عندي ألف سنة مما تعدون أنه أيها القوم من أيامكم ، وهو عندكم بطيء ، وهو عندي قريب .

وقال آخرون : معنى ذلك : وإن يوما من الثقل وما يخاف كألف سنة .

والقول الثاني عندي أشبه بالحق في ذلك ، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن استعجال المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم بالعذاب ، ثم أخبر عن مبلغ قدر اليوم عنده ، ثم أتبع ذلك قوله ( وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ) فأخبر عن إملائه أهل القرية الظالمة ، وتركه معاجلتهم بالعذاب ، فبين بذلك أنه عني بقوله ( وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ) نبي العجلة عن نفسه ، ووصفها بالأناة والانتظار . وإذ كان ذلك كذلك ، كان تأويل الكلام : وإن يوما من الأيام التي عند الله يوم القيامة ، يوم واحد كألف سنة من عددكم ، وليس ذلك عنده ببعيد ، وهو عندكم بعيد ، فلذلك لا يعجل بعقوبة من أراد عقوبته ، حتى يبلغ غاية مدته .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره ( وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَمَلَيْتُ لَهَا ) يقول : أمهلتهم ، وأخرت عذابهم ، وهم بالله مشركون ، ولأمره مخالفون ، وذلك كان ظلمهم الذي وصفهم الله به جل ثناؤه ، فلم أعجل عذابهم ، ( ثُمَّ أَخَذْتُهَا ) يقول : ثم أخذتها بالعذاب ، فعذبتها في الدنيا باحلال عقوبتنا بهم ، ( وَإِلَى الْمَصِيرِ ) يقول : وإلى مصيرهم أيضا بعد هلاكهم ، فيلقون من العذاب حينئذ ما لا انقطاع له ، يقول تعالى ذكره : فكذلك حال مستعجلك بالعذاب من مشركي قومك ، وإن أمليت لهم إلى آجالهم التي أجلتها لهم ، فإن أخذهم بالعذاب ، فقاتلهم بالسيف ، ثم إلى مصيرهم بعد ذلك ، فوجعهم إذن عقوبة على ما قدموا من آثامهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١٠١﴾ فَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ  
وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١٠٢﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي ءَايَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠٣﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد لمشركي قومك الذين يجادلونك في الله بغير علم ، اتبعا منهم لكل شيطان مرید : ( يا أيها الناس إنما أنا لكم نذير مبين ) أنذركم عقاب الله أن ينزل بكم في الدنيا ، وعذابه في الآخرة أن تصلوه . م بين : يقول : أبين لكم إنذارى ذلك وأظهره ، لتنبؤوا من شرككم ، وتحذروا ما أنذركم من ذلك ، لأملك لكم غير ذلك ، فأما تعجيل العقاب وتأخيرها ، الذى تستعجلوننى به فإلى الله ، ليس ذلك إلى ، ولا أقدر عليه ، ثم وصف نذارته وبشارته ، ولم يجر للبشارة ذكر ، ولما ذكرت النذارة على عمل ، علم أن البشارة على خلافه ، فقال : والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات منكم أيها الناس ومن غيركم . ( لهم مغفرة ) يقول : لهم من الله ستر ذنوبهم التى سلفت منهم في الدنيا عليهم في الآخرة . ( ورزق كريم ) يقول : ورزق حسن في الجنة .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، قال : قال ابن جرير ، قوله ( فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم ) قال : الجنة .  
وقوله ( والذين سعوا في آياتنا معاجزين ) يقول : والذين عملوا في حججنا فصدوا عن اتباع رسولنا ، والإقرار بكتابنا الذى أنزلناه . وقال في آياتنا ، فأدخلت فيه في ، كما يقال : سعى فلان في أمر فلان . واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( معاجزين ) فقال بعضهم : معناه : مُشَاقِّين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن عثمان بن عطاء ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، أنه قرأها ( معاجزين ) في كل القرآن ، يعنى بألف ، وقال : مشاقين .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : أنهم ظنوا أنهم يعجزون الله فلا يقدر عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( في آياتنا معاجزين ) قال : كذبوا بآيات الله ، فظنوا أنهم يعجزون الله ، ولن يعجزوه .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

وهذان الوجهان من التأويل في ذلك على قراءة من قرأه ( في آياتنا معاجزين ) بالألف ، وهى قراءة عامة قرأها المدينة والكوفة . وأما بعض قرأه أهل مكة والبصرة ، فإنه قرأه ( معاجزين ) بتشديد الجيم ، بغير ألف ، بمعنى أنهم عجزوا الناس ، وثبَطوهم عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والإيمان بالقرآن .

ذكر من قال ذلك كذلك من قراءته

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (مُعْجِزِينَ) قال : مُبْطِئِينَ ، يبطئون للناس عن اتباع النبي صلى الله عليه وسلم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

✽ والصواب من القول في ذلك : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، متقاربتا المعنى ، وذلك أن من عجز عن آيات الله ، فقد عاجز الله ، ومن معاجزة الله التعجيز عن آيات الله ، والعمل بمعاصيه وخلاف أمره ، وكان من صفة القوم الذين أنزل الله هذه الآيات فيهم ، أنهم كانوا يبطئون الناس عن الإيمان بالله ، واتباع رسوله ، ويغالبون رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يحسبون أنهم يُعْجِزونه ويغلبونه ، وقد ضمن الله له نصره عليهم ، فكان ذلك معاجزتهم الله . فإذا كان ذلك كذلك ، فبأي القراءتين قرأ القارئ ، فصيب الصواب في ذلك .

وأما المعاجزة فإنها المفاعلة من العجز ، ومعناه : مغالبة اثنين أحدهما صاحبه ، أيهما يعجزه ، فيغلبه الآخر ويقهره .

وأما التعجيز : فإنه التضعيف وهو التفعيل من العجز . وقوله (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَجِيمِ) يقول : هؤلاء الذين هذه صفتهم هم سكان جهنم يوم القيامة ، وأهلها الذين هم أهلها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنسَخُ  
اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ أَيْدِيَهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٧﴾

قيل : إن السبب الذي من أجله أنزلت هذه الآية على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن الشيطان كان ألقى على لسانه في بعض ما يتلوه ، مما أنزل الله عليه من القرآن ، ما لم ينزله الله عليه ، فاشتد ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، واغتم به ، فسلاه الله مما به من ذلك بهذه الآيات .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظي ومحمد ابن قيس قالا : « جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم في ناد من أندية قريش كثير أهله ، فتمنى يومئذ أن لا يأتيه من الله شيء ، فينفروا عنه ، فأنزل الله عليه : (وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ، مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ) ، فقرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، حتى إذا بلغ (أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ) ألقى عليه الشيطان كلمتين : تلك الغرائقة العائى ، وإن شفاعتهن لترجى ، فنكلم بها ، ثم مضى فقرأ السورة ،



كلها ، فسجد في آخر السورة ، وسجد القوم جميعا معه ، ورفع الوليد بن المغيرة ترابا إلى جبهته ، فسجد عليه ، وكان شيخا كبيرا لا يقدر على السجود ، فرضوا بما تكلم به وقالوا : قد عرفنا أن الله يحيي ويميت ، وهو الذي يخلق ويرزق ، ولكن آهتنا هذه تشفع لنا عنده ، إذ جعلت لها نصيبا ، فنحن معك ؛ قالا : فلما أمسى أتاه جبرائيل عليهما السلام ، فعرض عليه السورة ؛ فلما بلغ الكلمتين اللتين ألقى الشيطان عليه قال : ما جئتكم بهاتين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : افستريت على الله ، وقلت على الله ما لم يقل ، فأوحى الله إليه ( وَإِنْ كَادُوا لَيَسْفِتُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ، لِيَسْفِتِي عَلَيْنَا غَيْرَهُ ) . . . إلى قوله ( ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ) ، فما زال مغموما مهموما حتى نزلت عليه ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ، فَيَنسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ، ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) قال : فسمع من كان من المهاجرين بأرض الحبشة أن أهل مكة قد أسلموا كلهم ، فرجعوا إلى عشائريهم وقالوا : هم أحب إلينا ، فوجدوا القوم قد ارتكسوا حين نسخ الله ما ألقى الشيطان .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن يزيد بن زياد المدني ، عن محمد بن كعب القرظي قال : « لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم تولّى قومه عنه ، وشقّ عليه ما يرى من مباعدهم ماجاءهم به من عند الله ، تمنى في نفسه أن يأتيه من الله ما يقارب به بينه وبين قومه ، وكان يسره ، مع حبه وحرصه عليهم ، أن يلين له بعض ما غلظ عليه من أمرهم ، حين حدث بذلك نفسه ، وتمنى وأحبه ، فأنزل الله : ( وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ) فلما انتهى إلى قول الله ( أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ، وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ) ألقى الشيطان على لسانه ، لما كان يحدث به نفسه ، ويتمنى أن يأتي به قومه ، تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن تترتضى ؛ فلما سمعت قريش ذلك فرحوا وسرّهم ، وأعجبهم ما ذكر به آلهتهم ، فأصاخوا له ، والمؤمنون مصدقون نبينهم فيما جاءهم به عن ربهم ، ولا يهتمونه على خط ولا وهم ولا زلل ؛ فلما انتهى إلى السجدة منها وختم السورة ، سجد فيها ، فسجد المسلمون بسجود نبينهم ، تصديقا لما جاء به ، واتباعا لأمره ، وسجد من في المسجد من المشركين ، من قريش وغيرهم ، لما سمعوا من ذكر آلهتهم ، فلم يبق في المسجد مؤمن ولا كافر إلا سجد ، إلا الوليد بن المغيرة ، فإنه كان شيخا كبيرا فلم يستطع ، فأخذ بيده حفنة من البطحاء ، فسجد عليها ، ثم تفرّق الناس من المسجد ، وخرجت قريش وقد سرّهم ما سمعوا من ذكر آلهتهم ، يقولون : قد ذكر محمد آهتنا بأحسن الذكر ، وقد زعم فيما يتلو أنها الغرائق العلى ، وأن شفاعتهن تترتضى ، وبلغت السجدة من بأرض الحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل : أسلمت قريش ، فهضت منهم رجال ، وتخلّف آخرون ، وأتى جبرائيل النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ماذا صنعت؟ لقد تلوت على الناس ما لم آتك به عن الله ، وقلت ما لم يقل لك ، فحزن رسول الله صلى الله عليه وسلم عند ذلك ، وخاف من الله خوفا كبيرا ، فأنزل الله تبارك وتعالى عليه ( وَكَانَ بِهِ رَحِيمًا ) يعزيه ويخفف عليه الأمر ، ويخبره أنه لم يكن قبله رسول ولا نبيّ تمنى كما تمنى ، ولا أحبّ كما أحبّ ، إلا

والشيطان قد ألقى في أمنيته ، كما ألقى على لسانه صلى الله عليه وسلم ، فنسخ الله ما ألقى الشيطان ، وأحكم آياته ، أى فأنت كبعض الأنبياء والرسل ، فأنزل الله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَسَّى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ) . . . الآية ، فأذهب الله عن نبيه الحزن ، وأمنه من الذى كان يخاف ، ونسخ ما ألقى الشيطان على لسانه من ذكر آلهم ، أنها الغرائيق العلى ، وأن شفاعتهم ترتضى ، يقول الله حين ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى ، إلى قوله ( وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى ) ، أى فكيف تنفع شفاعته آلهتكم عنده ؛ فلما جاءه من الله مانسخ ما كان الشيطان ألقى على لسان نبيه ، قالت قريش : ندم محمد على ما كان من منزلة آلهتكم عند الله ، فغير ذلك وجاء بغيره ، وكان ذلك الحرفان اللذان ألقى الشيطان على لسان رسوله قد وقعا في فم كل مشرك ، فازدادوا شراً إلى ما كانوا عليه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت داود ، عن أبي العالية ، قال : قالت قريش لرسول الله صلى الله عليه وسلم : إنما جلساؤك عبد بنى فلان ومولى بنى فلان ، فلو ذكرت آلهتنا بشيء جالسناك ، فإنه يأتيك أشرف العرب ، فإذا رأوا جلساءك أشرف قومك ، كان أرغب لهم فيك ، قال : فألقى الشيطان في أمنيته ، فنزلت هذه الآية ( أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ) قال : فأجرى الشيطان على لسانه : تلك الغرائيق العلى ، وشفاعتهن ترجى ، مثلهن لا ينسى ؛ قال : فسجد النبي صلى الله عليه وسلم حين قرأها ، وسجد معه المسلمون والمشركون ؛ فلما علم الذى أُجرى على لسانه ، كبر ذلك عليه ، فأنزل الله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَسَّى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ) . . . إلى قوله ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) .

حدثنا ابن المنى ، قال : ثنا أبو الوليد ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن داود بن أبي هند ، عن أبي العالية قال : « قالت قريش : يا محمد إنما يجالسك الفقراء والمساكين وضعفاء الناس ، فلو ذكرت آلهتنا بخير لجالسناك فإن الناس يأتونك من الآفاق ، فقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة النجم ؛ فلما انتهى على هذه الآية : ( أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ) فألقى الشيطان على لسانه : وهى الفرانقة العلى ، وشفاعتهن ترجى ؛ فلما فرغ منها سجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون والمشركون ، إلا أبا أحيحة سعيد بن العاص ، أخذ كفا من تراب وسجد عليه ؛ وقال ؛ قد آن لابن أبي كبشة أن يذكر آلهتنا بخير ، حتى بلغ الذين بالحبشة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين ، أن قريشا قد أسلمت ، فاشتد على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ألقى الشيطان على لسانه ، فأنزل الله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ) . . . إلى آخر الآية .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : لما نزلت هذه الآية ( أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ) قرأها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال : تلك الغرائيق العلى ، وإن شفاعتهن لترجى ، فسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال المشركون : إنه لم يذكر

أهتكم قبل اليوم بخير ، فسجد المشركون معه ، فأنزل الله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ) . . . إلى قوله ( عَذَابَ يَوْمٍ عَقِيمٍ ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير

قال : لما نزلت ( أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ ) ، ثم ذكر نحوه .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ،

قوله ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ) إلى قوله ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) وذلك أن نبي الله صلى الله عليه وسلم بينما هو يصلي ، إذ نزلت عليه قصة آلهة العرب ، فجعل يتلوها فسمعه المشركون ، فقالوا : إنا نسمعه يذكر آلهتنا بخير ، فدنوا منه ، فبينما هو يتلوها ، وهو يقول ( أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ) ألقى الشيطان : إن تلك الغرائق العلى ، منها الشفاعة ترتجى ، فجعل يتلوها ، فنزل جبرائيل عليه السلام ، فنسخها ، ثم قال له ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ) . . . إلى قوله ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله

( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ) . . . الآية ، أن نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وهو بمكة ، أنزل الله عليه في آلهة العرب ، فجعل يتلو اللات والعزى ، ويكثر ترديدها ، فسمع أهل مكة نبي الله يذكر آلهتهم ، ففرحوا بذلك ، ودنوا يستمعون ، فألقى الشيطان في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم : تلك الغرائق العلى ، منها الشفاعة ترتجى ، فقرأها النبي صلى الله عليه وسلم كذلك ، فأنزل الله عليه : ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ ) . . . إلى ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، أنه سئل عن قوله

( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ) . . . الآية ، قال ابن شهاب : ثنا أبو بكر بن عبد الرحمن بن الحارث « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة قرأ عليهم ( وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ) ، فلما بلغ ( أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّىٰ وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ) قال : إن شفاعتهم ترتجى ، وسها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقية المشركون الذين في قلوبهم مرض ، فسلموا عليه ، وفرحوا بذلك ، فقال لهم : : لَأَتَمَّا ذَلِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ( وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ ) . . . حتى بلغ ( فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ) .

فتأويل الكلام : ولم يرسل يا محمد من قبلك من رسول إلى أمة من الأمم ، ولا نبي محدث ليس

بمرسل ، إلا إذا تمنى .

واختلف أهل التأويل في معنى قوله تمنى في هذا الموضع ، وقد ذكرت قول جماعة ممن قال ذلك التمني

من النبي صلى الله عليه وسلم ، ما حدثته نفسه من محبته مقارنة قومه ، في ذكر آلهتهم ببعض ما يحبون ، ومن قال ذلك محبة منه في بعض الأحوال أن لا تذكر بسوء .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : إذا قرأ وتلا أو حدث .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( إِذَا تَمَتَّى )  
أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ ) يقول : إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( إِذَا تَمَتَّى ) قال : إذا قال .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك  
يقول في قوله ( إِذَا تَمَتَّى ) يعني باتمى : التلاوة والقراءة .

وهذا القول أشبه بتأويل الكلام ، بدلالة قوله ( فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ، ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ  
آيَاتِهِ ) على ذلك ، لأن الآيات التي أخبر الله جل ثناؤه أنه يحكمها ، لاشك أنها آيات تنزيلة ، فعلوم أن  
الذي ألقى فيه الشيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنه نسخ ذلك منه وأبطله ، ثم أحكمه بنسخه ذلك منه .  
فتأويل الكلام إذن : وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تلا كتاب الله ، وقرأ ، أو حدث  
وتكلم ، ألقى الشيطان في كتاب الله الذي تلاه وقرأه ، أو في حديثه الذي حدث وتكلم ( فَيَنْسَخُ اللَّهُ  
مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ) يقول : تعالى فيذهب الله ما يلقي الشيطان من ذلك على لسان نبيه ويبطله .  
كما حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( فَيَنْسَخُ  
اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ) فيبطل الله ما ألقى الشيطان .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله  
( فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ) نسخ جبريل بأمر الله ما ألقى الشيطان على لسان النبي صلى الله عليه  
وسلم ، وأحكم الله آياته .

وقوله ( ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ ) يقول : ثم بخلص الله آيات كتابه من الباطل الذي ألقى الشيطان على  
لسان نبيه ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ ) بما يحدث في خلقه من حدث ، لا يخفى عليه منه شيء ( حَكِيمٌ ) في تدبيره لإياهم ،  
وصرفه لهم فيها شاء وأحب .

القول في تأويل قوله تعالى :

لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ  
لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ

❦ يقول تعالى ذكره : فينسخ الله ما يلقي الشيطان ، ثم يحكم الله آياته ، كى يجعل ما يلقي الشيطان فى أمانة نبيه من الباطل ، كقول النبي صلى الله عليه وسلم : تلك الغرانيق العاى ، وإن شفاعتمن لُترتجى فتنة ، يقول اختبارا يختبر به الذين فى قلوبهم مرض من النفاق ، وذلك الشك فى صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وحقيقة ما يخبرهم به .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، أن النبي صلى الله عليه وسلم ، كان يتمنى أن لا يعيب الله آلهة المشركين ، فألقى الشيطان فى أمنيته ، فقال : إن الآلهة التى تدعى أن شفاعتها لترتجى وإنما لك الغرانيق العاى ، فنسخ الله ذلك ، وأحكم الله آياته ، أفرايم اللات والعزى ، حتى بلغ ( من سلطان ) قال قتادة : لما ألقى الشيطان ما ألقى ، قال المشركون : قد ذكر الله آلهتهم بخير ، ففرحوا بذلك ، فذكر قوله ( لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، بنحوه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، فى قوله ( لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ) يقول : وللذين قست قلوبهم عن الإيمان بالله ، فلا تلين ولا ترعوى ، وهم المشركون بالله .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( والقاسية قلوبهم ) قال : المشركون .

وقوله ( وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَسِنَى شِقَاقٍ بَعِيدٍ ) يقول تعالى ذكره : وإن مشركى قومك يا محمد لى خلاف الله فى أمره ، بعيد من الحق .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٤﴾

❦ يقول تعالى ذكره : وكى يعلم أهل العلم بالله أن الذى أنزله الله من آياته التى أحكمها لرسوله ، ونسخ ما ألقى الشيطان فيه ، أنه الحق من عند ربك يا محمد ، فيؤمنوا به ، يقول : فيصدقوا به ، فتخبت له

(١) قوله : « وللذين قست » : عطف على مفهوم من السياق ، أى للذين فى قلوبهم مرض ، وللذين قست قلوبهم .

قلوبهم : يقول : فتخضع للقرآن قلوبهم ، وتدعن بالتصديق به ، والإقرار بما فيه ( وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِي الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) وإن الله لمرشد الذين آمنوا بالله ورسوله إلى الحق القاصد، والحق الواضح ، ينسخ ما ألقى الشيطان في أمنية رسوله ، فلا يضرهم كيد الشيطان ، وإلقاؤه الباطل على لسان نبيهم .  
وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ) قال : يعنى القرآن .  
القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَقِيمٍ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى ذكره : ولا يزال الذين كفروا بالله في شك .

ثم اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله « منه » من ذكر ما هي ؟ فقال بعضهم : هي من ذكر قول النبي صلى الله عليه وسلم : تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن لترجى .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ) من قوله : تلك الغرائق العلى ، وإن شفاعتهن لترجى .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ) قال : مما جاء به إبليس لا يخرج من قلوبهم زادهم ضلالة .  
وقال آخرون : بل هي من ذكر سجود النبي صلى الله عليه وسلم في النجم .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ) قال : في مِرْيَةٍ مِنْهُ من سجودك .  
وقال آخرون : بل هي من ذكر القرآن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ) قال : من القرآن .  
وأولى هذه الأقوال في ذلك بالصواب ، قول من قال : هي كناية من ذكر القرآن الذي أحكم الله آياته وذلك أن ذلك من ذكر قوله ( وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ) أقرب منه من

ذكر قوله ( فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ) والهاء من قوله « أنه » من ذكر القرآن ، فإلحاق الهاء في قوله ( فِي مِرْيَةٍ مِنْهُ ) بالهاء من قوله ( أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ ) أولى من إلحاقها بما التي في قوله ( مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ) مع بُعد ما بينهما .

وقوله ( حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ ) يقول : لا يزال هؤلاء الكفار في شك من أمر هذا القرآن إلى أن تأتيتهم الساعة ( بَغْتَةً ) وهي ساعة حشر الناس لموقف الحساب بغتة ، يقول : فجأة ( أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ) .

واختلف أهل التأويل في هذا اليوم أى يوم هو ؟ فقال بعضهم : هو يوم القيامة :

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا شيخ من أهل خراسان من الأزدي يكنى أبا ساسان ، قال : سألت الضحاك ، عن قوله ( عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ) قال : عذاب يوم لا ليلة بعده .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، عن عكرمة ، أن يوم القيامة لا ليلة له .

وقال آخرون : بل عني به يوم بدر ، وقالوا : إنما قيل له يوم عقيم ، أنهم لم ينظروا إلى الليل ، فكان لهم عقيماً :

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن ليث ، عن مجاهد ، قال ( عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ) يوم بدر . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ) قال ابن جريج : يوم ليس فيه ليلة ، لم ينظروا إلى الليل ، قال مجاهد : عذاب يوم عظيم .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن أبي حمزة ، عن جابر ، قال : قال مجاهد : يوم بدر .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو إدريس ، قال : أخبرنا الأعمش ، عن رجل ، عن سعيد بن جبير ، في قوله ( عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ) قال : يوم بدر .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قوله ( عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ) قال : هو يوم بدر ، ذكره عن أبي بن كعب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ) قال : هو يوم بدر ، عن أبي بن كعب .

وهذا القول الثاني أولى بتأويل الآية ، لأنه لا وجه لأن يقال : لا يزالون في مرية منه حتى تأتيتهم الساعة بغتة ، أو تأتيتهم الساعة ؛ وذلك أن الساعة هي يوم القيامة ، فإن كان اليوم العقيم أيضاً هو يوم القيامة ، فإنما معناه ما قلنا من تكرير ذكر الساعة مرتين ، باختلاف الألفاظ ، وذلك ما لا معنى له . فإذا كان ذلك كذلك ، فأولى التأويلين به أصحهما معنى ، وأشبههما بالمعروف في الخطاب . وهو ما ذكرناه في معناه .

فتأويل الكلام إذن : ولا يزال الذين كفروا في مرية منه ، حتى تأتيهم الساعة بغتة ، فيصيروا إلى العذاب الدائم ، أو يأتيهم عذاب يوم عقيم لهم ، فلا ينظروا فيه إلى الليل ، ولا يؤخروا فيه إلى المساء ، لكنهم يقتلون قبل المساء .

القول في تأويل قوله تعالى :

الْمَلِكُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ  
﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره : السلطان والملك إذا جاءت الساعة لله وحده لا شريك له ولا ينازعه يومئذ منازع وقد كان في الدنيا ملوك يُدعون بهذا الاسم ولا أحد يومئذ يدعى ملكا سواه ( يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ ) يقول : يفصل بين خلقه المشركين به والمؤمنين ، فالذين آمنوا بهذا القرآن ، وبمن أنزله ، ومن جاء به ، وعملوا بما فيه من حلاله وحرامه ، وحدوده وفرائضه في جنات النعيم يومئذ ، والذين كفروا بالله ورسوله ، وكذبوا بآيات كتابه وتنزيله ، وقالوا : ليس ذلك من عند الله ، إنما هو إفك افتراه محمد ، وأعاناه عليه قوم آخرون ، ( فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ) يقول : فالذين هذه صفتهم لهم عند الله يوم القيامة عذاب مهين ، يعني عذاب مذل في جهنم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لَيَرْزُقَنَّهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ  
اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٥٨﴾

يقول تعالى ذكره : والذين هاجروا أو ماتوا في سبيل الله ، فتركوا ذلك في رضا الله وطاعته وجهاد أعدائه ثم قتلوا أو ماتوا وهم كذلك ، ليرزقهم الله يوم القيامة في جناته رزقا حسنا . يعني بالحسن : الكريم وإنما يعني بالرزق الحسن : الثواب الجزيل ( وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ) يقول : وإن الله هو خير من بسط فضله على أهل طاعته وأكرمهم ، وذكر أن هذه الآية نزلت في قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اختلفوا في حكم من مات في سبيل الله ، فقال بعضهم : سواء المقتول منهم والميت :

وقال آخرون : المقتول أفضل ، فأنزل الله هذه الآية على نبيه صلى الله عليه وسلم ، يعالجهم استواء أمر الميت في سبيله ، والمقتول فيها في الثواب عنده .

وقد حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الرحمن بن شريح ، عن سلامان بن عامر قال : كان فضالة يرودس أميرا على الأرباع ، فخرج بجنازتي رجائين ، أحدهما قبيل ، والآخر منوفى ، فرأى قبل الناس مع جنازة القبيل إلى حفرة ، فقال : أراكم أيها الناس تحبسون مع القبيل ، وتفضلونه



على أخيه المتوفى ، فوالذي نفسى بيده ، ما أبالي من أى حفرتيهما بُعثت ، اقرءوا قول الله تعالى ( وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا ) . . . إلى قوله ( وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ) ،  
القول في تأويل قوله تعالى :

لِيَدْخِلْنَهُمْ مُدْخَلَ الْجَنَّةِ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٩٥﴾

يقول تعالى ذكره: ليدخلن الله المقتول في سبيله من المهاجرين والميت منهم (مُدْخَلَ الْجَنَّةِ) وذلك المدخل هو الجنة (وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ) بمن يهاجر في سبيله ممن يخرج من داره طلب الغنيمة ، أو عرض من عروض الدنيا (حَلِيمٌ) عن عصاة خلقه ، بتركه معاجلتهم بالعقوبة والعذاب .

القول في تأويل قوله تعالى :

\* ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ﴿١٩٦﴾

يقول تعالى ذكره بقوله ( ذَلِكَ ) لهذا هؤلاء الذين هاجروا في سبيل الله ، ثم قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا ، ولهم مع ذلك أيضا ، أن الله يعدهم النصر على المشركين الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ) قال : هم المشركون بغوا على النبي صلى الله عليه وسلم ، فوعده الله أن ينصره ، وقال في القصاص أيضا . وكان بعضهم يزعم أن هذه الآية نزلت في قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين لليلتين بقيتا من المحرم ، وكان المسلمون يكرهون القتال يومئذ في الأشهر الحرم ، فسأل المسلمون المشركين أن يكفوا عن قتالهم من أجل حرمة الشهر ، فأبى المشركون ذلك ، وقاتلوهم فبغوا عليهم ، وثبت المسلمون لهم ، فنصروا عليهم ، فأنزل الله هذه الآية ( ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ ثُمَّ بُغِيَ عَلَيْهِ ) بأن بدى بالقتال ، وهو له كاره ( لِيَنْصُرَنَّهُ اللَّهُ ) ، وقوله ( إِنَّ اللَّهَ لَعَفُوفٌ غَفُورٌ ) يقول تعالى ذكره : إن الله لذو عفو وصفح لمن انتصر ممن ظلمه من بعد ما ظلمه الظالم بحق ، غفور لما فعل ببادئه بالظلم ، مثل الذي فعل به غير معاقبه عليه .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١٩٧﴾

يقول تعالى ذكره بقوله : ( ذَلِكَ ) هذا النصر الذي أنصره على من بغى عليه على الباغي ، لأنى القادر على ما أشاء ، فن قدرته أن الله يولج الليل في النهار ، يقول : يدخل ما ينقص من ساعات الليل في ساعات النهار ، فما نقص من هذا زاد في هذا ( وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ ) ويدخل ما انتقص من ساعات النهار في ساعات الليل ، فما نقص من طول هذا ، زاد في طول هذا ، وبالقُدرة التي تفعل ذلك ينصر محمدا

صلى الله عليه وسلم وأصحابه على الذين بغوا عليهم فأخرجوهم من ديارهم وأموالهم ( وأن الله سميعٌ بصيرٌ ) يقول : وفعل ذلك أيضا بأنه ذو سمع لما يقولون من قول : لا يخفى عليه منه شيء ، بصير بما يعملون ، لا يغيب عنه منه شيء ، كل ذلك منه بمرأى ومسمع ، وهو الحافظ لكل ذلك ، حتى يجازى جميعهم على ما قالوا وعملوا من قول وعمل جزاءه .

القول في تأويل قوله تعالى :

ذَلِكَ يَأْنِ لِلَّهِ هُوَ الْحَقُّ وَأَنْ مَّا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٧﴾

\* يعنى تعالى ذكره بقوله ( ذلك ) هذا الفعل الذى فعلت من إيلاجى الليل فى النهار ، وإيلاجى النهار فى الليل ، لأنى أنا الحق الذى لا مثل لى ولا شريك ولا ندى ، وأن الذى يدعوه هؤلاء المشركون إلهام من دونه ، هو الباطل الذى لا يقدر على صنعة شيء ، بل هو المصنوع ، يقول لهم تعالى ذكره : أفتركون أيتها الجاهل عبادة من منه النفع وببده الضر ، وهو القادر على كل شيء ، وكل شيء دونه ، وتعبدون الباطل الذى لا تنفعكم عبادة . وقوله ( وأن الله هو العلى الكبير ) يعنى بقوله : ( العلى ) ذوالعلو على كل شيء ، هو فوق كل شيء ، وكل شيء دونه ( الكبير ) يعنى العظيم ، الذى كل شيء دونه ، ولا شيء أعظم منه .

وكان ابن جرير يقول فى قوله ( وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ) ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حماد ، قال : قال ابن جرير ، فى قوله ( وأن ما يدعون من دونه هو الباطل ) قال : الشيطان .

واختلفت القراء فى قراءة قوله ( وأن ما يدعون من دونه ) فقرأته عامة قراء العراق والحجاز ( تدعون ) بالناء على وجه الخطاب ؛ وقرأته عامة قراء العراق غير عاصم بالياء على وجه الخبر ، والياء أعجب القراءتين إلى ، لأن ابتداء الخبر على وجه الخطاب .

القول فى تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٨﴾

\* يقول تعالى ذكره ( ألم تر ) يا محمد ( أن الله أنزل من السماء ماء ) يعنى مطرا ( فتصبح الأرض مخضرة ) بما ينبت فيها من النبات ( إن الله لطيفٌ ) باستخراج النبات من الأرض بملك الماء وغير ذلك من ابتداء ما شاء أن يبتدعه ( خبيرٌ ) بما يحدث عن ذلك النبات من الحب ، وبه قال ( فتصبح الأرض ) فرفع ، وقد تقدمه قوله ( ألم تر ) وإنما قيل ذلك كذلك ، لأن معنى الكلام الخبر ، كأنه قيل : أعلم يا محمد ، أن الله ينزل من السماء ماء فتصبح الأرض ، ونظير ذلك قول الشاعر :

أَلَمْ تَسْأَلِ الرَّبَّعَ الْقَدِيمَ فَيَسْئَلُكَ وَهَلْ تُخْبِرُكَ الْيَوْمَ بِبَيْدَاءِ سَمَلَقُ ۱  
لأن معناه : قد سألته فنطق .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٦﴾

يقول تعالى ذكره : له ملك ما في السموات وما في الأرض من شيء هم عباده ومماليكه وخلقه ، لا شريك له في ذلك ، ولا في شيء منه ، وإن الله هو الغني عن كل ما في السموات وما في الأرض من خلقه وهم المحتاجون إليه ، الحميد عند عباده في إفضاله عليهم وأياديه عندهم :

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ وَالْفُلْكَ تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٧﴾

يقول تعالى ذكره : ألم تر أن الله سخر لكم أيها الناس ما في الأرض من الدواب والبهائم ، فذلك كله لكم ، تصرفونه فيما أردتم من حوائجكم ( والفلك تجرى في البحر بأمره ) يقول : وسخر لكم السفن تجرى في البحر بأمره ، يعني بقدرته ، وتذليله إياها لكم كذلك .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( والفلك تجرى ) فقراءته عامة قراء الأمصار ( والفلك ) نصبا بمعنى سخر لكم ما في الأرض ، والفلك عطف على « ما » ، وعلى تكرير « أن » وأن الفلك تجرى . وروى عن الأعرج أنه قرأ ذلك رفعا على الابتداء ، والنصب هو القراءة عندنا في ذلك لإجماع الحجة من القراء عليه ( ويمسك السماء أن تقع على الأرض ) يقول : ويمسك السماء بقدرته ، كي لا تقع على الأرض إلا بإذنه . ومعنى قوله ( أن تقع ) : أن لا تقع ( إن الله بالناس لرءوف رحيم ) بمعنى : إنه بهم لدورافة ورحمة ، فمن رأفته بهم ورحمته لهم أمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، وسخر لكم ما وصف في هذه الآية تفضلا منه عليكم بذلك :

القول في تأويل قوله تعالى :

وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ﴿٦٨﴾ لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا

(١) البيت مطلع قصيدة لجميل بن معمر العذري ( خزنة الأدب الكبرى للبغدادى ٣ : ٦٠٢ ) وهو شاهد عند النحاة ، على أن ما بعد الفاء قد يبق على رفعه قليلا ، وهو مستأنف . قال : وأنشد سيبويه هذا البيت وقال : لم يجعل الأول سبب الآخر ، ولكنه جعله ينطق على كل حال ، كأنه قال : وهو ما ينطق . وقال أبو جعفر النحاس : عن أبي إسحاق ، قال : إنه تقرير ، معناه إنك سألته ، فيقبح النصب . قلت : أى لأن الاستفهام قبله ليس محضا ، وإنما هو للتقرير ، فيشبه الخبر ، وهو نحو ما قال المؤلف : معناه : قد سألته فنطق . ورواية البيت في الخزانة : « القواء » في موضع القديم ، وهو الذى خلا من يسكنه . ورفع الفعل ينطق نظير الفعل تصبح في قوله تعالى : « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة » .

هُم نَاسِكُوهُ فَلَا يُنْزِعُ عَنْكَ فِي الْأَمْرِ وَاذْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هَدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره : والله الذي أنعم عليكم هذه النعم ، هو الذي جعل لكم أجساما أحياء بحياة أحدها فيكم ، ولم تكونوا شيئا ، ثم هو يميتكم من بعد حياتكم ، فيفنيكم عند مجيء آجالكم ، ثم يحييكم بعد مماتكم عند بعثكم لقيام الساعة ( إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ ) يقول : إن ابن آدم لبحود لنعم الله التي أنعم بها عليه من حُسن خلقه إياه ، وتسخير له ما سخر مما في الأرض والبر والبحر ، وتركه إهلاكه بامساكه السماء أن تقع على الأرض بعبادته غيره من الآلهة والأنداد ، وتركه لإفراده بالعبادة ، وإخلاص التوحيد له .

وقوله ( لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا ) يقول : لكل جماعة قوم هي خلت من قبلك ، جعلنا مألفا يألفونه ، ومكانا يعتادونه ، لعبادتي فيه ، وقضاء فرائضي ، وعملا يلزمونه ، وأصل المنسك في كلام العرب الموضع المعتاد الذي يعتاده الرجل ويألفه ، لخبر أو شر ، يقال : إن لفلان منسكا يعتاده : يراد مكانا يغشاه ويألفه لخبر أو شر . وإنما سميت مناسك الحج بذلك ، لتردد الناس إلى الأماكن التي تعمل فيها أعمال الحج والعمرة ، وفيه لغتان ( مَنْسِكٌ ) بكسر السين وفتح الميم ، وذلك من لغة أهل الحجاز ، و ( مَنْسَكٌ ) بفتح الميم والسين جميعا ، وذلك من لغة أسد ، وقد قرئ باللغتين جميعا :

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا ) : أي المناسك عنى به ؟ فقال بعضهم : عنى به : عيدهم الذي يعتادونه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ) يقول : عيدا .

وقال آخرون : عنى به : ذبح يذبحونه ، ودم يهريقونه .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، قال : ثنا ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا هُمْ نَاسِكُوهُ ) قال : إراقة الدم بمكة .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( هُمْ نَاسِكُوهُ ) قال : إهراق دماء الهدى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مَنْسَكًا ) قال : ذبحا وحجا .

والصواب من القول في ذلك أن يقال : عنى بذلك إراقة الدم أيام النحر بحمى ، لأن المناسك التي كان المشركون يجادلوا فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت إراقة الدم في هذه الأيام ، على أنهم قد كانوا يجادلوه في إراقة الدماء التي هي دماء ذبائح الأنعام بما قد أخبر الله عنهم في سورة الأنعام ، غير أن ذلك لم

تكن مناسك . فأما التي هي مناسك ، فإنما هي هدايا أو ضحايا . ولذلك قلنا : عني بالمنسك في هذا الموضع الذبح الذي هو بالصفة التي وصفنا .

وقوله ( فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ) يقول تعالى ذكره : فلا ينازعنك هؤلاء المشركون بالله يا محمد في ذبحك ومنسكك بقولهم : أتأكلون ما قتلتم ، ولاتأكلون الميتة التي قتلها الله ؟ فانك أولى بالحق منهم ، لأنك محق وهم مبطلون .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ) قال : الذبح .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَلَا يُنَازِعُنَّكَ فِي الْأَمْرِ ) فلا تتحام لحملك .

وقوله ( وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ ) يقول تعالى ذكره : وادع يا محمد منازعيك من المشركين بالله في نسكك وذبحك ، إلى اتباع أمر ربك في ذلك بأن لا يأكلوا إلا ما ذبحوه بعد اتباعك ، وبعد التصديق بما جئتهم به من عند الله ، وتجنبوا الذبح للآلهة والأوثان ، وتبرءوا منها ، إنك لعلي طريق مستقيم غير زائل عن محجة الحق والصواب في نسكك الذي جعله لك ولأمتك ربك ، وهم الضلال على قصد السبيل ، لمخالفتهم أمر الله في ذبائحهم ومطاعمهم وعبادتهم الآلهة .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ جَادَلُوكَ فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وإن جادلوك يا محمد هؤلاء المشركون بالله في نسكك ، فقل : الله أعلم بما تعملون ونعمل .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَإِنْ جَادَلُوكَ ) قال : قول أهل الشرك : أما ما ذبح الله بيمينه ( فَقُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ) لنا أعمالنا ولكم أعمالكم .

وقوله ( اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ) يقول تعالى ذكره : والله يقضى بينكم يوم القيامة فيما كنتم فيه من أمر دينكم تختلفون ، فتعلمون حينئذ أيها المشركون المحق من المبطل .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٥٠﴾

يقول تعالى ذكره : ألم تعلم يا محمد أن الله يعلم كل ما في السموات السبع ، والأرضين السبع : لا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو حاكم بين خلقه يوم القيامة ، على علم منه بجميع ما عملوه في الدنيا ، فمجازى المحسن منهم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، إن ذلك في كتاب : يقول تعالى ذكره : إن عامه بذلك في كتاب ، وهو أم الكتاب الذي كتب فيه ربنا جل ثناؤه ، قبل أن يخلق خلقه ، ما هو كائن إلى يوم القيامة (إن ذلك على الله يسير) .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ميسر بن إسماعيل الحلبي ، عن الأوزاعي ، عن عبدة ابن أبي لبابة ، قال : علم الله ما هو خالق ، وما الخلق عاملون ، ثم كتبه ثم قال لنبيه ( أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا ميسر ، عن أرطاة بن المنذر ، قال : سمعت ضمرة بن حبيب يقول : « إن الله كان على عرشه على الماء ، وخلق السموات والأرض بالحق ، وخلق القلم ، فكتب به ما هو كائن من خلقه ، ثم إن ذلك الكتاب سبح الله ومجده ألف عام . قبل أن يبدأ شيئاً من الخلق » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن أبيه ، عن سيار ، عن ابن عباس ، أنه سأل كعب الأحبار ، عن أم الكتاب فقال : علم الله ما هو خالق وما خلقه عاملون ، فقال لعلمه كن كتاباً .

وكان ابن جريج يقول ، في قوله ( إن ذلك في كتاب ) ما حدثنا به القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( إن ذلك في كتاب ) قال قوله ( الله يحكمكم بيئسكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ) .

وإنما اخترنا القول الذي قلنا في ذلك ، لأن قوله ( إن ذلك ) إلى قوله ( أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ) أقرب منه إلى قوله ( الله يحكمكم بيئسكم يوم القيامة فيما كنتم فيه تختلفون ) ، فكان إلحاق ذلك بما هو أقرب إليه ، أولى منه بما بعده .

وقوله ( إن ذلك على الله يسير ) اختلف في ذلك ، فقال بعضهم : معناه : إن الحكم بين المختلفين في الدنيا يوم القيامة على الله يسير .

ذكر من قول ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( إن ذلك على الله يسير )

قال : حكمه يوم القيامة ثم قال بين ذلك ( أَلَمْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ، إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ) .  
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : أن كتاب القلم الذي أمره الله أن يكتب في اللوح المحفوظ ما هو كائن على الله يسير يعني حين . وهذا القول الثاني أولى بتأويل ذلك . وذلك أن قوله ( إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ) ... إلى قوله ( إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ ) أقرب وهو له مجاور ، ومن قوله ( اللَّهُ يُحْكُمُ بَيْنَكُمْ بِإِذْنِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ) متباعد مع دخول قوله ( أَلَمْ تَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ) بينهما . فإلحاقه بما هو أقرب أولى ما وجد للكلام ، وهو كذلك مخرج في التأويل صحيح .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنَ

نَصِيرٍ ﴿٧١﴾

يقول تعالى ذكره : ويعبد هؤلاء المشركون بالله من دونه ، ما لم ينزل به جل ثناؤه لهم حجة من السماء في كتاب من كتبه التي أنزلها إلى رسله ، بأنها آلهة تصالح عبادتها فيعبدها ، بأن الله أذن لهم في عبادتها . وما ليس لهم به علم أنها آلهة ( وما للظالمين من نصير ) يقول : وما للكافرين بالله الذين يعبدون هذه الأوثان من ناصر ينصرهم يوم القيامة ، فينقذهم من عذاب الله ، ويدفع عنهم عقابه إذا أراد عقابهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ  
 بِالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قُلْ أَفَأَنْبِيئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّنْ ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ  
 كَفَرُوا وَأَوْبَسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا تلى على مشركي قريش العابدين من دون الله ما لم ينزل به سلطانا ( آياتنا ) يعني : آيات القرآن ( بَيِّنَاتٍ ) يقول : واضحات حججها وأدلتها فيما أنزلت فيه ( تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ ) يقول : تتبين في وجوههم ما ينكره أهل الإيمان بالله من غيرها ، لسماعهم بالقرآن . وقوله ( يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ) يقول : يكادون يبطشون بالذين يتلون عليهم آيات كتاب الله من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ، لشدة تكرههم أن يسمعوا القرآن ، ويتلى عليهم .  
 وبنحو ما قلنا في تأويل قوله ( يَسْطُونَ ) قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( يَكَادُونَ بِسَطُونَ ) يقول : يبطشون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( يَكَادُونَ بِسَطُونَ ) يقول : يقعون بمن ذكروهم .

حدثنا محمد بن عمار ، قال : ثنا عبد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ( يَكَادُونَ بِسَطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ) قال : يكادون يقعون بهم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( يَكَادُونَ بِسَطُونَ ) قال : يبطشون كفار قريش .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( يَكَادُونَ بِسَطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا ) يقول : يكادون يأخذونهم بأيديهم أخذًا .

وقوله ( قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُمْ بِبَشَرٍ مِّنْ ذَلِكُمْ ) يقول : أفأنبئكم أيها المشركون بأكره إليكم من هؤلاء الذين تتكبرون قراءتهم القرآن عليكم ، هي (النَّارُ) وعدّها الله الذين كفروا ، وقد ذُكر عن بعضهم أنه كان يقول : إن المشركين قالوا : والله إن محمدا وأصحابه لشر خلق الله ، فقال الله لهم : قل أفأنبئكم أيها القائلون

هذا القول بشر ، من محمد صلى الله عليه وسلم ، أنتم أيها المشركون الذين وعدهم الله النار ، ورفعت النار على الابتداء ، ولأنها معرفة لانصلح أن ينعت بها الشر وهو نكرة ، كما يقال : مررت برجلين : أخوك وأبوك ، ولو كانت مخفوضة كان جائزا ، وكذلك لو كان نصبا للعائد من ذكرها في وعدّها ، وأنت تنوى بها الانصال بما قبلها ، يقول تعالى ذكره : فهؤلاء هم أشرار الخلق لا محمد وأصحابه .

وقوله ( وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ) يقول : وبئس المكان الذي يصير إليه هؤلاء المشركون بالله يوم القيامة .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٍ فَاسْتَمْعُوا لَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ  
اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ  
﴿٥٦﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٥٧﴾

يقول تعالى ذكره : يا أيها الناس جعل الله مثل وذكور ، ومعنى ضرب في هذا الموضع : جعل من هو لم ضرب السلطان على الناس البعث ، بمعنى : جعل عليهم ، وضرب الجزية على النصارى ، بمعنى : جعل ذلك



عليهم؛ والمثَل: الشَّبَه، يقول جل ثناؤه: جعل لي شبه أيها الناس، يعني بالشَّبَه والمثَل: الآلهة، يقول: جعل لي المشركون والأصنام شبيهاً، فعبدوها معي، وأشركوها في عبادتي، فاستمعوا له: يقول: فاستمعوا حال ما مثلوه، وجعلوه لي في عبادتهم إياه شبيهاً، وصفته (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا) يقول: إن جميع ما تعبدون من دون الله من الآلهة والأصنام، لو جمعت لم يخلقوا ذباباً في صغره وقلته، لأنها لا تقدر على ذلك ولا تطيقه، ولو اجتمع لخلقها جميعها. والذباب واحد، وجمعه في القلة أذبة، وفي الكثير ذبَّان نظير غُرَاب، يجمع في القلة أَعْرَبَة، وفي الكثرة غِرْبَان. وقوله (وَإِنْ يَسْأَلِبُهُمْ الدُّبَابُ شَيْئًا) يقول: وإن يسلب الآلهة والأوثان الذباب شيئاً مما عليها من طيب وما أشبهه من شيء لا يستنقذوه منه: يقول: لا تقدر الآلهة أن تستنقذ ذلك منه. واختلف في معنى قوله (ضَعْفَ الطَّالِبِ وَالْمَطْلُوبِ) فقال بعضهم: عنى بالطالب: الآلهة، وبالْمَطْلُوبِ: الذباب.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، قال: قال ابن جريج، قال ابن عباس، في قوله (ضَعْفَ الطَّالِبِ) قال: آهتهم (وَالْمَطْلُوبِ): الذباب. وكان بعضهم يقول: معنى ذلك: (ضَعْفَ الطَّالِبِ) من بنى آدم إلى الصنم حاجته (وَالْمَطْلُوبِ) إليه الصنم أن يعطى سائله من بنى آدم ما سأله يقول: ضعف عن ذلك وعجز. والصواب من القول في ذلك عندنا ما ذكرته عن ابن عباس من أن معناه: وعجز الطالب وهو الآلهة أن تستنقذ من الذباب ما سلبها إياه، وهو الطيب وما أشبهه؛ والمطلوب: الذباب. وإنما قلت هذا القول أولى بتأويل ذلك، لأن ذلك في سياق الخبر عن الآلهة والذباب، فإن يكون ذلك خبراً عما هو به متصل أشبهه من أن يكون خبراً، عما هو عنه منقطع، وإنما أخبر جل ثناؤه عن الآلهة بما أخبر به عنها في هذه الآية من ضعفها ومهانتها، تقرّياً منه بذلك عبديتها من مشركي قريش، يقول تعالى ذكره: كيف يجعل مثل في العبادة، ويشرك فيها معي ما لا قدرة له على خلق ذباب، وإن أخذ له الذباب فسلبه شيئاً عليه لم يقدر أن يمتنع منه، ولا ينتصر، وأنا الخالق ما في السموات والأرض، ومالك جميع ذلك والمحبي من أردت، والمميت ما أردت ومن أردت، إن فاعل ذلك، لاشك أنه في غاية الجهل. وقوله (مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) يقول: ما عظم هؤلاء الذين جعلوا الآلهة لله شريكاً في العبادة حقّ عظمتهم حين أشركوا به غيره، فلم يخلصوا له العبادة ولا عرفوه حق معرفته من قولهم: ما عرفت لفلان قدره إذا خاطبوا بذلك من قصّر بحقه، وهم يريدون تعظيمه. وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله (وَإِنْ يَسْأَلِبُهُمْ الدُّبَابُ

شَيْئًا) . . . إلى آخر الآية ، قال : هذا مثل ضربه الله لآلهمهم ، وقرأ ( ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ ) حين يعبدون مع الله ما لا يفتصف من الذباب ولا يمتنع منه .  
وقوله ( إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ ) يقول : إن الله لقوى على خلق ما يشاء ، من صغير ما يشاء من خلقه وكبيره عزيز : يقول : منيع في ملكه لا يقدر شيء دونه أن يسلبه من ملكه شيئا ، وليس كآلهتكم أيها المشركون الذين تدعون من دونه الذين لا يقدرون على خلق ذباب ، ولا على الامتناع من الذباب ، إذا استلبها شيئا ضعفا ومهانة .

القول في تاويل قوله تعالى :

اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٦﴾

يقول تعالى ذكره : الله يختار من الملائكة رسلا كجبريل وميكائيل اللذين كانا يرسلهما إلى أنبيائه ، ومن شاء من عباده ومن الناس ، كأنبيائه اللذين أرسلهم إلى عباده من بنى آدم . ومعنى الكلام : الله يصطفى من الملائكة رسلا ، ومن الناس أيضا رسلا : وقد قيل : إنما أنزلت هذه الآية لما قال المشركون : أنزل عليه الذكر من بيننا ، فقال الله لهم : ذلك إلى وبيدي دون خلقي ، أختار من شئت منهم للرسالة .  
وقوله ( إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ) يقول : إن الله سميع لما يقول المشركون في محمد صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من عند ربه ، بصير بمن يختاره لرسالته من خلقه .

القول في تاويل قوله تعالى :

يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : الله يعلم ما كان بين أيدي ملائكته ورسله ، من قبل أن يخلفهم وما خلفهم ، يقول : ويعلم ما هو كائن بعد فناءهم ( وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ) يقول : إلى الله في الآخرة تصير إليه أمور الدنيا ، وإليه تعود كما كان منه البدء :

القول في تاويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٨﴾

يقول تعالى ذكره : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ( اِرْكَعُوا ) الله في صلواتكم ( وَاَسْجُدُوا ) له فيها ( وَاَعْبُدُوا رَبَّكُمْ ) يقول : وذلوا لربكم ، واخضعوا له بالطاعة ( وَاَفْعَلُوا الْخَيْرَ ) الذي أمركم ربكم بفعله ( لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ) يقول : لتفلحوا بذلك ، فتدركوا به طلبياتكم عند ربكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّمَّةً أَبِيكُمْ  
إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ  
عَلَى النَّاسِ ﴾

❖❖❖ واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ) فقال بعضهم : معناه :  
وجاهدوا المشركين في سبيل الله حق جهاده .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني سليمان بن بلال ، عن ثور بن زيد ، عن  
عبد الله بن عباس ، في قوله ( وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ) كما جاهدتم أول مرة ، فقال عمر من أمر  
بالجهاد ؟ قال : قبيلتان من قريش مخزوم وعبد شمس ، فقال عمر : صدقت .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : لا تخافوا في الله لومة لائم ، قالوا : وذلك هو حق الجهاد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ،  
في قوله ( وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ) لا تخافوا في الله لومة لائم .  
وقال آخرون : معنى ذلك : اعملوا بالحق ، حق عمله ، وهذا قول ذكره عن الضحاك بعض من  
في روايته نظر .

❖❖❖ والصواب من القول في ذلك : قول من قال : عني به الجهاد في سبيل الله ، لأن المعروف من الجهاد  
ذلك ، وهو الأغلب على قول القائل : جاهدت في الله ، وحق الجهاد : هو استفراغ الطاقة فيه .

وقوله ( هُوَ اجْتَبَاكُمْ ) يقول : هو اختاركم لدينه ، واصطفاكم لحرب أعدائه ، والجهاد في سبيله .  
وقال ابن زيد في ذلك ، ما حدثني به يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله  
( هُوَ اجْتَبَاكُمْ ) قال : هو هداكم .

وقوله ( وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) يقول تعالى ذكره : وما جعل عليكم ربكم  
في الدين الذي تعبدكم به من ضيق ، لا مخرج لكم مما ابتليتم به فيه ، بل وسع عليكم ، فجعل التوبة من  
بعض مخرجا ، والكفارة من بعض ، والقصاص من بعض ، فلا ذنب يذنب المؤمن إلا وله منه في دين  
الإسلام مخرج .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني ابن زيد ، عن ابن شهاب ،

قال: سألت عبد الملك بن مروان بن علي بن عبد الله بن عباس، عن هذه الآية (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) فقال علي بن عبد الله: الحرج: الضيق، فجعل الله الكفارات مخرجا من ذلك، سمعت ابن عباس يقول ذلك.

قال: أخبرنا ابن وهب، قال: ثنى سفيان بن عيينة، عن عبيد الله بن أبي يزيد، قال: سمعت ابن عباس يسأل عن (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ)، قال: ما هاهنا من هذيل أحد، فقال رجل: نعم، قال: ما تعدون الحرجة فيكم؟ قال: الشيء الضيق، قال ابن عباس: فهو كذلك. حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، عن ابن عيينة، عن عبيد الله بن أبي يزيد، قال: سمعت ابن عباس، وذكر نحوه، إلا أنه قال: فقال ابن عباس: أما هاهنا أحد من هذيل، فقال رجل: أنا، فقال أيضا ما تعدون الحرج، وسائر الحديث مثله.

حدثني عمران بن بكار الكلاعي، قال: ثنا يحيى بن صالح، قال: ثنا يحيى بن حمزة، عن الحكم بن عبد الله، قال: سمعت القاسم بن محمد يحدث، عن عائشة، قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن هذه الآية (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) قال هو الضيق.

حدثنا حميد بن مسعدة، قال: ثنا يزيد بن زريع، قال: ثنا أبو خلدة، قال: قال لي أبو العالية: أتدرى ما الحرج؟ قلت: لأدرى، قال: الضيق، وقرأ هذه الآية (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ).

حدثنا محمد بن بشار، قال: ثنا حماد بن مسعدة، عن عوف، عن الحسن، في قوله (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) قال: من ضيق.

حدثنا عمرو بن بندق، قال: ثنا مروان بن معاوية، عن أبي خلدة، قال: قال لي أبو العالية: هل تدرى ما الحرج؟ قلت: لا، قال: الضيق، إن الله لم يضيق عليكم، لم يجعل عليكم في الدين من حرج.

حدثني يعقوب، قال: ثنا ابن عليه، عن ابن عون، عن القاسم أنه تلا هذه الآية (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) قال: تدرؤن ما الحرج؟ قال: الضيق.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن يونس بن أبي إسحاق، عن أبيه، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، قال: إذا تعاجم شيء من القرآن، فانظروا في الشعر، فإن الشعر عربي، ثم دعا ابن عباس أعرابيا، فقال: ما الحرج؟ قال: الضيق، قال: صدقت.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة (فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) قال: من ضيق.

حدثنا الحسن، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، مثله.

وقال آخرون: معنى ذلك (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) من ضيق في أوقات فروضكم إذا نهيت عليكم، ولكنه قد وسع عليكم حتى تبتغوا محلها.

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن عثمان بن بشار ، عن ابن عباس ، فى قوله ( وما جعل عليكم فى الدين من حرج ) قال : هذا فى هلال شهر رمضان إذا شك فيه الناس ، وفى الحج إذا شكوا فى الهلال ، وفى الفطر والأضحى إذا التبس عليهم ، وأشباهه .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : ما جعل فى الإسلام من ضيق ، بل وسعه .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس ، قوله ( وما جعل عليكم فى الدين من حرج ) يقول : ما جعل عليكم فى الإسلام من ضيق ، هو واسع ، وهو مثل قوله فى الأنعام ( فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره للإسلام ، ومن يرد أن يضله يجعل صدره ضيقاً حرجاً ) يقول : من أراد أن يضله يضيق عليه صدره ، حتى يجعل عليه الإسلام ضيقاً ، والإسلام واسع .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ( وما جعل عليكم فى الدين من حرج ) يقول : من ضيق ، يقول : جعل الدين واسعاً ، ولم يجعله ضيقاً . وقوله ( ملةً أبيكم إبراهيم ) نصب ملة بمعنى : وما جعل عليكم فى الدين من حرج ، بل وسعه ، كملة أبيكم ، فلما لم يجعل فيها الكاف اتصلت بالفعل الذى قبلها فنصبت ، وقد يحتمل نصبها أن تكون على وجه الأمر بها ، لأن الكلام قبله أمر ، فكأنه قيل : اركعوا واسجدوا ، والزموا ملة أبيكم إبراهيم . وقوله ( هو سماءكم المسلمين من قبل ) وفى هذا يقول تعالى ذكره : سماكم يا معشر من آمن بمحمد صلى الله عليه وسلم المسلمين من قبل .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( هو سماءكم المسلمين ) يقول : الله سماكم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى عطاء بن ابن أبى رباح ، أنه سمع ابن عباس يقول : الله سماكم المسلمين من قبل .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ؛ وحدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق جميعاً ، عن معمر ، عن قتادة ( هو سماءكم المسلمين ) قال : الله سماكم المسلمين من قبل .  
حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( هو سماءكم المسلمين ) قال : الله سماكم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حُدِّثَ عَنِ الْحُسَيْنِ ، قَالَ : سَمِعْتُ أَبَا مَعَاذٍ يَقُولُ : أَخْبَرَنَا عُبَيْدٌ ، قَالَ : سَمِعْتُ الضَّحَّاكَ يَقُولُ ، فِي قَوْلِهِ ( هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ ) يَقُولُ : اللَّهُ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ .  
وَقَالَ آخَرُونَ : بَلْ مَعْنَاهُ : إِبْرَاهِيمَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ ؛ وَقَالُوا : هُوَ كُنْيَاةٌ مِنْ ذِكْرِ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :  
ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي يُونُسُ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ زَيْدٍ ( هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ ) قَالَ :  
أَلَا تَرَى قَوْلَ إِبْرَاهِيمَ ( وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ ) قَالَ : هَذَا قَوْلُ  
إِبْرَاهِيمَ ( هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ ) وَلَمْ يَذْكُرِ اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ وَالْإِيمَانَ غَيْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ ، ذُكِرَتْ بِالْإِيمَانِ  
وَالْإِسْلَامِ جَمِيعًا ، وَلَمْ نَسْمَعْ بِأُمَّةٍ ذُكِرَتْ إِلَّا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا وَجْهَ لِمَا قَالَ ابْنُ زَيْدٍ مِنْ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ  
إِبْرَاهِيمَ لَمْ يَسْمَعْ أُمَّةَ مُحَمَّدٍ مُسْلِمِينَ فِي الْقُرْآنِ ، لِأَنَّ الْقُرْآنَ أَنْزَلَ مِنْ بَعْدِهِ بَدْرٌ طَوِيلٌ ، وَقَدْ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى ذَكَرَهُ  
( هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا ) وَلَكِنَّ الَّذِي سَمَّاَنَا مُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ نَزُولِ الْقُرْآنِ ، وَفِي  
الْقُرْآنِ ، اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَزَلْ وَلَا يَزَالُ . وَأَمَّا قَوْلُهُ ( مِنْ قَبْلُ ) فَانْ مَعْنَاهُ : مِنْ قَبْلِ نَزُولِ هَذَا الْقُرْآنِ  
فِي الْكُتُبِ الَّتِي نَزَلَتْ قَبْلَهُ ، وَفِي هَذَا يَقُولُ ( وَفِي هَذَا الْكِتَابِ ) .  
وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرٍو ، قَالَ : ثَنَا أَبُو عَاصِمٍ ، قَالَ : ثَنَا عَيْسَى ؛ وَحَدَّثَنِي الْحَارِثُ ، قَالَ : ثَنَا الْحَسَنُ ،  
قَالَ : ثَنَا وَرْقَاءُ جَمِيعًا ، عَنْ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ ، عَنْ مَجَاهِدٍ ، قَوْلُهُ ( هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ )  
وَفِي هَذَا الْقُرْآنِ .  
حَدَّثَنَا الْقَاسِمُ ، قَالَ : ثَنَا الْحُسَيْنُ ، قَالَ : ثَنَا حُجَّاجٌ ، قَالَ : قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ ، قَالَ مَجَاهِدٌ ( مِنْ  
قَبْلُ ) قَالَ : فِي الْكُتُبِ كُلِّهَا وَالذِّكْرُ ( وَفِي هَذَا ) يَعْنِي الْقُرْآنَ ، وَقَوْلُهُ ( لِيَبْكَوْنَ الرَّسُولُ شَهِيدًا  
عَلَيْكُمْ ، وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) يَقُولُ تَعَالَى ذَكَرَهُ اجْتَبَاكُمْ اللَّهُ وَسَمَّاكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
وَأَيَّانَهُ ، مِنْ أُمَّةٍ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُسْلِمِينَ ، لِيَكُونَ مُحَمَّدٌ رَسُولَ اللَّهِ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، بِأَنَّهُ قَدْ  
بَلَّغَكُمْ مَا أُرْسِلَ بِهِ إِلَيْكُمْ ، وَتَكُونُوا أَنْتُمْ شُهَدَاءَ حِينَئِذٍ عَلَى الرِّسْلِ أَجْمَعِينَ ، أَنَّهُمْ قَدْ بَلَّغُوا أَمْرَهُمْ مَا أُرْسِلُوا  
بِهِ إِلَيْهِمْ .

وَبَنَحُو الَّذِي قُلْنَا فِي ذَلِكَ قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ .

ذَكَرَ مِنْ قَالَ ذَلِكَ

حَدَّثَنَا ابْنُ عَبْدِ الْأَعْلَى ، قَالَ : ثَنَا ابْنُ ثَوْرٍ ، عَنْ مَعْمَرٍ ، عَنْ قَتَادَةَ ( هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ  
قَبْلُ ) قَالَ : اللَّهُ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ ( وَفِي هَذَا لِيَبْكَوْنَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ ) بِأَنَّهُ بَلَّغَكُمْ  
( وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) أَنَّ رُسُلَهُمْ قَدْ بَلَّغَهُمْ وَبِهِ عَنْ قَتَادَةَ . قَالَ : أُعْطِيَتْ هَذِهِ الْأُمَّةُ مَا لَمْ يُعْطَ  
إِلَّا لِنَبِيِّ ، كَانَ يُقَالُ لِلنَّبِيِّ : اذْهَبْ فَلَيسَ عَلَيْكَ حَرْجٌ ، وَقَالَ اللَّهُ ( وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي اللَّهِ بَأْسًا )

مِنْ حَرَجٍ ) ، وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم : أنت شهيد على قومك ، وقال الله ( لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم : سل تعطه ، وقال الله ( ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ) :

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : أعطيت هذه الأمة ثلاثا لم يعطها إلا نبي ، كان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم : اذهب فليس عليك حرج ، فقال الله ( وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ) قال : وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم : أنت شهيد على قومك ، وقال الله ( لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ ) وكان يقال للنبي صلى الله عليه وسلم : سل تعطه ، وقال الله ( ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ) :

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿١٧﴾

❖ يعني تعالى ذكره بقوله ( فَأَقِمْوَا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ) يقول : فأدوا الصلاة المفروضة لله عليكم بحدودها ، وآتوا الزكاة الواجبة عليكم في أموالكم ( وَأَعْتَصِمُوا بِاللَّهِ ) يقول : وثقوا بالله ، وتوكلوا عليه في أموركم ( فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ ) يقول : فنعم الولي الله لمن فعل ذلك منكم ، فأقام الصلاة ، وآتى الزكاة ، وجاهد في سبيل الله حق جهاده ، واعتصم به . ( وَنِعْمَ النَّصِيرُ ) يقول : ونعم الناصر هو له على من بغاه بسوء .





جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عَنْ

تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ عَرِيْبِ الطَّنَبَرِيِّ

الْمَشْهُورِ سَنَةَ ٥٦١ هـ

الجزء الثامن عشر

دار الفکر

تم الجزء السابع عشر من تفسير الإمام محمد بن حبيب الطبري

والمجلد الثاني عشر عشر

رقم الكتاب ١٠٠٠٠

رقم الصفحة ١٠٠٠

رقم المجلد ١٠٠٠

رقم العدد ١٠٠٠

رقم النسخة ١٠٠٠

رقم الطبعة ١٠٠٠

رقم الإصدار ١٠٠٠

رقم التوزيع ١٠٠٠

رقم البيع ١٠٠٠

رقم الشراء ١٠٠٠

رقم الهدية ١٠٠٠

رقم التبرع ١٠٠٠

رقم الإعارة ١٠٠٠

رقم الاستعارة ١٠٠٠

رقم الإهداء ١٠٠٠

رقم التبرع ١٠٠٠

# جَامِعُ الْبَيِّنَاتِ

عَنْ

تَأْوِيلِ آيَاتِ الْقُرْآنِ

تَأَلَّفَ

أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ

الْمُتَوَفَّى سَنَةَ ٣١٠ هـ

الجزء الثامن عشر

دار الفكر

# نُزَيْبَاتُ عَمَلِكُ

حقوق الطبع محفوظة

نُزَيْبَاتُ عَمَلِكُ  
١٤٠٥ هـ - ١٩٨٤ م

تصايف

نُزَيْبَاتُ عَمَلِكُ  
١٢٨٠ قسماً

شؤون

حفظ

المكتبات ، البناية المركزية - هاتف ، ٢٤٤٧٣٩ - ص.ب. ، ١١ / ٧٠٦١  
المطابع والمعمل ، حارة حريك - شارع عبد النور - هاتف ، ٢٧٣٦٥٠ - ٢٧٣٤٨٧  
برقياً ، فكسفي - تليكس ١١٣٩٢ فكر FIKR 41392 LE

بيروت  
لبنان



١٠١	الآيات المفسرة	١٠١	الآيات المفسرة
١٠٢	الآيات المفسرة	١٠٢	الآيات المفسرة
١٠٣	الآيات المفسرة	١٠٣	الآيات المفسرة
١٠٤	الآيات المفسرة	١٠٤	الآيات المفسرة
١٠٥	الآيات المفسرة	١٠٥	الآيات المفسرة
١٠٦	الآيات المفسرة	١٠٦	الآيات المفسرة
١٠٧	الآيات المفسرة	١٠٧	الآيات المفسرة
١٠٨	الآيات المفسرة	١٠٨	الآيات المفسرة
١٠٩	الآيات المفسرة	١٠٩	الآيات المفسرة
١١٠	الآيات المفسرة	١١٠	الآيات المفسرة

فهارس الجزء الثامن عشر

من

جامع البيان عن تأويل آي القرآن  
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري

١١١	الآيات المفسرة	١١١	الآيات المفسرة
١١٢	الآيات المفسرة	١١٢	الآيات المفسرة
١١٣	الآيات المفسرة	١١٣	الآيات المفسرة
١١٤	الآيات المفسرة	١١٤	الآيات المفسرة
١١٥	الآيات المفسرة	١١٥	الآيات المفسرة
١١٦	الآيات المفسرة	١١٦	الآيات المفسرة
١١٧	الآيات المفسرة	١١٧	الآيات المفسرة
١١٨	الآيات المفسرة	١١٨	الآيات المفسرة
١١٩	الآيات المفسرة	١١٩	الآيات المفسرة
١٢٠	الآيات المفسرة	١٢٠	الآيات المفسرة

الفهرس الأول : للآيات المفسرة

الفهرس الثاني : مواضيع الآيات المفسرة

الفهرس الثالث : للقوافي

الفهرس الرابع : للأحاديث النبوية.

١٢١	الآيات المفسرة	١٢١	الآيات المفسرة
١٢٢	الآيات المفسرة	١٢٢	الآيات المفسرة
١٢٣	الآيات المفسرة	١٢٣	الآيات المفسرة
١٢٤	الآيات المفسرة	١٢٤	الآيات المفسرة
١٢٥	الآيات المفسرة	١٢٥	الآيات المفسرة
١٢٦	الآيات المفسرة	١٢٦	الآيات المفسرة
١٢٧	الآيات المفسرة	١٢٧	الآيات المفسرة
١٢٨	الآيات المفسرة	١٢٨	الآيات المفسرة
١٢٩	الآيات المفسرة	١٢٩	الآيات المفسرة
١٣٠	الآيات المفسرة	١٣٠	الآيات المفسرة

## ١ - فهرس الآيات

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
	سورة المؤمنين				
١	قد أفلح المؤمنون	١	٢٣	ولقد أرسلنا نوحا إلى قومه . . .	١٦
٢	الذين هم في صلاتهم خاشعون . . .	١	٢٤	فقال الملأ الذين كفروا من قومه . . .	١٦
٣	والذين هم عن اللغو معرضون . . .	١	٢٥	إن هو إلاّ رجل به جنة . . .	١٦
٤	والذين هم للزكاة فاعلون . . .	٤	٢٦	قال ربّ انصرني بما كذبون . . .	١٦
٥	والذين هم لفروجهم حافظون . . .	٤	٢٧	فأوحينا إليه أن اصنع الفلّك بأعيننا . . .	١٦
٦	إلا على أزواجهم . . .	٤	٢٨	فإذا استويت أنت ومن معك . . .	١٨
٧	فمن ابتغى وراء ذلك . . .	٤	٢٩	وقل ربّ أنزلي مُنزلا مباركا . . .	١٨
٨	والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . . .	٥	٣٠	إن في ذلك لآيات . . .	١٨
٩	والذين هم على صلواتهم يحافظون . . .	٥	٣١	ثم أنشأنا من بعدهم قرنا آخرين . . .	١٨
١٠	أولئك هم الوارثون . . .	٥	٣٢	فأرسلنا فيهم رسولا منهم . . .	١٨
١١	الذين يرثون الفردوس . . .	٦	٣٣	وقال الملأ من قومه الذين كفروا . . .	١٩
١٢	ولقد خلقنا الإنسان من سلالة . . .	٧	٣٤	ولئن أطعتم بشرا مثلكم . . .	١٩
١٣	ثم جعلناه نطفة في قرار مكين . . .	٩	٣٥	أبَعِدُكُمْ أنكم إذا متم وكنتم ترابا . . .	١٩
١٤	ثم خلقنا النطفة علقة . . .	٩	٣٦	هيات هيات لما توعدون . . .	٢٠
١٥	ثم إنكم بعد ذلك لميتون . . .	١١	٣٧	إن هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا . . .	٢٠
١٦	ثم إنكم يوم القيامة تبعثون . . .	١١	٣٨	إن هو إلا رجل افترى على الله كذبا . . .	٢٢
١٧	ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق . . .	١٢	٣٩	قال ربّ انصرني بما كذبون . . .	٢٢
١٨	وأنزلنا من السماء ماء بقدر . . .	١٢	٤٠	قال عما قليل ليصبحن نادمين . . .	٢٢
١٩	فأنشأنا لكم به جنات من نخيل . . .	١٢	٤١	فأخذتهم الصيحة بالحق . . .	٢٢
٢٠	وشجرة تخرج من طور سيناء . . .	١٣	٤٢	ثم أنشأنا من بعدهم قرونا آخرين . . .	٢٣
٢١	وإن لكم في الأنعام لعبرة . . .	١٥	٤٣	ما تسبق من أمة أجلها . . .	٢٣
٢٢	وعليها وعلى الفلّك تحملون . . .	١٥	٤٤	ثم أرسلنا رسولا نرى . . .	٢٣
			٤٥	ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون . . .	٢٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٤٦	إلى فرعون وملئه فاستكبروا . . .	٢٤	٧٤	وإن الذين لا يؤمنون بالآخرة . . .	٤٤
٤٧	فقالوا أتؤمن لبشرين مثلنا . . .	٢٥	٧٥	ولو رحمتناهم وكشفنا ما بهم من ضرر . . .	٤٤
٤٨	فكذبوهما فكانوا من المهلكين . . .	٢٥	٧٦	ولقد أخذناهم بالعذاب فما استكانوا . . .	٤٤
٤٩	ولقد آتينا موسى الكتاب . . .	٢٥	٧٧	حتى إذا فتحنا عليهم بابا . . .	٤٥
٥٠	وجعلنا ابن مريم وأمه آية . . .	٢٥	٧٨	وهو الذى أنشأ لكم السمع . . .	٤٦
٥١	يا أيها الرسل كلوا من الطيبات . . .	٢٨	٧٩	وهو الذى ذرأكم فى الأرض . . .	٤٦
٥٢	وإن هذه أمتكم أمة واحدة . . .	٢٨	٨٠	وهو الذى يحيى ويميت . . .	٤٦
٥٣	فتقطعوا أمرهم بينهم زُبُرًا . . .	٢٩	٨١	بل قالوا مثل ما قال الأولون . . .	٤٦
٥٤	فذرهم فى غمرتهم حتى حين . . .	٣٠	٨٢	قالوا أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما . . .	٤٦
٥٥	أيحسبون أننا نمدهم به من مال وبنين . . .	٣٠	٨٣	لقد وعدنا نحن وآباؤنا هذا . . .	٤٧
٥٦	نسارع لهم فى الخيرات . . .	٣٠	٨٤	قل لمن الأرض ومن فيها . . .	٤٧
٥٧	إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون . . .	٣١	٨٥	سيقولون لله ، قل أفلا تذكرون . . .	٤٧
٥٨	والذين هم بآيات ربهم يؤمنون . . .	٣١	٨٦	قل من رب السموات السبع . . .	٤٧
٥٩	والذين هم بربهم لا يشركون . . .	٣١	٨٧	سيقولون لله ، قل أفلا تتقون . . .	٤٧
٦٠	والذين يؤتون ما آتوا . . .	٣٢	٨٨	قل من بيده ملكوت كل شئ . . .	٤٨
٦١	أولئك يسارعون فى الخيرات . . .	٣٢	٨٩	سيقولون لله ، قل فأنى تُسخررون . . .	٤٨
٦٢	ولا تكلف نفسا إلا وسعها . . .	٣٥	٩٠	بل أتيناهم بالحق وإنهم لكاذبون . . .	٤٩
٦٣	بل قلوبهم فى غمرة من هذا . . .	٣٥	٩١	ما اتخذ الله من ولد . . .	٤٩
٦٤	حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب . . .	٣٦	٩٢	عالم الغيب والشهادة . . .	٤٩
٦٥	لا تجأروا اليوم . . .	٣٦	٩٣	قل رب إما تريئى ما يوعدون . . .	٥٠
٦٦	قد كانت آياتى تتلى عليكم . . .	٣٨	٩٤	رب فلا تجعلى فى القوم الظالمين . . .	٥٠
٦٧	مستكبرين به سامرا تهجرون . . .	٣٨	٩٥	وإنا على أن نريك ما نعدهم . . .	٥٠
٦٨	أفلم يدبّروا القول أم جاءهم . . .	٤١	٩٦	ادفع بالتى هى أحسن . . .	٥١
٦٩	أم لم يعرفوا رسولهم . . .	٤١	٩٧	وقل رب أعوذ بك . . .	٥١
٧٠	أم يقولون به جنة بل جاءهم . . .	٤١	٩٨	وأعوذ بك رب أن يحضرون . . .	٥١
٧١	ولو اتبع الحق أهواءهم . . .	٤٢	٩٩	حتى إذا جاء أحدهم الموت . . .	٥٢
٧٢	أم تسألهم خرّجا فخرّاج ربك خير . . .	٤٣	١٠٠	لعلى أعمل صالحا فيما تركت . . .	٥٢
٧٣	وإنك لتدعوهم إلى صراط مستقيم . . .	٤٣	١٠١	فإذا نُفخ فى الصور . . .	٥٤

الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
١٠٢	فمن ثقلت موازينه . . .	٥٥	١٠	ولولا فضل الله عليكم ورحمته . . .	٨٦
١٠٣	ومن خفت موازينه . . .	٥٥	١١	إن الذين جاءوا بالإفك . . .	٨٦
١٠٤	تلفح وجوههم النار . . .	٥٥	١٢	لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون . . .	٩٦
١٠٥	ألم تكن تتلى عليكم . . .	٥٦	١٣	لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء . . .	٩٧
١٠٦	قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا . . .	٥٦	١٤	ولولا فضل الله عليكم ورحمته . . .	٩٧
١٠٧	ربنا أخرجنا منها فإن عدنا . . .	٥٨	١٥	إذ تلقونهم بالسنتكم . . .	٩٧
١٠٨	قال اخشوا فيها ولا تكلمون . . .	٥٨	١٦	ولولا إذ سمعتموه قلم ما يكون لنا . . .	٩٩
١٠٩	إنه كان فريق من عبادي يقولون . . .	٦٠	١٧	يعظكم الله أن تعودوا لمثله أبدا . . .	٩٩
١١٠	فانخذتموهم مخربا . . .	٦٠	١٨	ويبين الله لكم الآيات . . .	٩٩
١١١	إني جزيتهم اليوم بما صبروا . . .	٦٠	١٩	إن الذين يحبون أن تشيع الفاحشة . . .	١٠٠
١١٢	قال كم لبثتم في الأرض . . .	٦٢	٢٠	ولولا فضل الله عليكم ورحمته . . .	١٠٠
١١٣	قالوا لبثنا يوما أو بعض يوم . . .	٦٢	٢١	يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات . . .	١٠٠
١١٤	قال إن لبثتم إلا قليلا . . .	٦٣	٢٢	ولا يأتل أولوا الفضل منكم . . .	١٠١
١١٥	أفحسبتم أنما خلقناكم عبثا . . .	٦٣	٢٣	إن الذين يرمون المحصنات . . .	١٠٣
١١٦	فتعالى الله الملك الحق . . .	٦٤	٢٤	يوم تشهد عليهم ألسنتهم . . .	١٠٥
١١٧	ومن يدع مع الله إلها آخر . . .	٦٤	٢٥	يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق . . .	١٠٦
١١٨	وقل رب اغفر وارحم . . .	٦٥	٢٦	الحبيثات للحبيثين والحبيثون للحبيثات . . .	١٠٦
<u>سورة النور</u>					
١	سورة أنزلناها وفرضناها . . .	٦٥	٢٧	يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا . . .	١٠٩
٢	الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد . . .	٦٦	٢٨	فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها . . .	١١٢
٣	الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة . . .	٧٠	٢٩	ليس عليكم جناح أن تدخلوا . . .	١١٣
٤	والذين يرمون المحصنات . . .	٧٥	٣٠	قل للمؤمنين بغضوا . . .	١١٦
٥	إلا الذين تابوا من بعد ذلك . . .	٧٦	٣١	وقل للمؤمنات بغضن . . .	١١٧
٦	والذين يرمون أزواجهم . . .	٨١	٣٢	وأنكحوا الأباي منكم . . .	١٢٥
٧	والحامسة أن لعنة الله عليه . . .	٨١	٣٣	وليستعفف الذين لا يجدون نكاحا . . .	١٢٦
٨	ويدرأ عنها العذاب أن تشهد . . .	٨٥	٣٤	ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات . . .	١٣٤
٩	والحامسة أن غضب الله عليها . . .	٨٥	٣٥	الله نور السموات والأرض . . .	١٣٤
			٣٦	في بيوت أذن الله أن ترفع . . .	١٤٣
			٣٧	رجال لانلهمم تجارة ولا بيع . . .	١٤٣



الآية	الآية المفسرة	الصفحة	الآية	الآية المفسرة	الصفحة
٣٨	ليجزِيهم الله أحسن ما عملوا . . .	١٤٤	٦٢	إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله . . .	١٧٥
٣٩	والذين كفروا أعمالهم كسراب . . .	١٤٨	٦٣	لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم . . .	١٧٧
٤٠	أو كظلمات في بحرٍ جُحِّيٍّ . . .	١٥٠	٦٤	ألا إن لله ما في السموات والأرض . . .	١٧٩
٤١	ألم تر أن الله يسبح له . . .	١٥١	<u>سورة الفرقان</u>		
٤٢	ولله مُلك السموات والأرض . . .	١٥١	١	تبارك الذي نزل الفرقان على عبده . . .	١٧٩
٤٣	ألم تر أن الله يُزجِي سحابا . . .	١٥٣	٢	الذي له ملك السموات والأرض . . .	١٨٠
٤٤	يقلب الله الليل والنهار . . .	١٥٣	٣	واتخذوا من دونه آلهة . . .	١٨١
٤٥	والله خلق كل دابة من ماء . . .	١٥٥	٤	وقال الذين كفروا إن هذا . . .	١٨١
٤٦	لقد أنزلنا آيات مبينات . . .	١٥٥	٥	وقالوا أساطير الأولين اكتتبها . . .	١٨٢
٤٧	ويقولون آمنا بالله وبالرسول . . .	١٥٥	٦	قل أنزله الذي يعلم السر . . .	١٨٢
٤٨	وإذا دُعُوا إلى الله ورسوله . . .	١٥٦	٧	وقالوا مال هذا الرسول . . .	١٨٣
٤٩	وإن يكن لهم الحق يأتوا . . .	١٥٦	٨	أويُلْتقى إليه كنز، أو تكُون له جنة . . .	١٨٣
٥٠	أفئ قلوبهم مرض أم ارتابوا . . .	١٥٦	٩	انظر كيف ضربوا لك الأمثال . . .	١٨٤
٥١	إنما كان قول المؤمنين إذا دُعُوا . . .	١٥٧	١٠	تبارك الذي إن شاء جعل لك . . .	١٨٤
٥٢	ومن يُطع الله ورسوله . . .	١٥٧	١١	بل كذبوا بالساعة . . .	١٨٦
٥٣	وأقسموا بالله جهنم أيمانهم . . .	١٥٧	١٢	إذا رأتهم من مكان بعيد . . .	١٨٦
٥٤	قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول . . .	١٥٨	١٣	وإذا أُلْتَقُوا منها مكانا ضيقا . . .	١٨٧
٥٥	وعد الله الذين آمنوا منكم . . .	١٥٨	١٤	لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا . . .	١٨٧
٥٦	وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة . . .	١٦٠	١٥	قل أذلك خير أم جنة الخلد . . .	١٨٨
٥٧	لا تحسبن الذين كفروا معجزين . . .	١٦٠	١٦	لهم فيها ما يشاءون خالدين . . .	١٨٨
٥٨	يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم . . .	١٦١	١٧	ويوم يحشرهم وما يعبدون . . .	١٨٩
٥٩	وإذا بلغ الأطفال منكم الحُلُم . . .	١٦٤	١٨	قالوا سبحانك ما كان ينبغي لنا . . .	١٩٠
٦٠	والتواعد من النساء اللاتي لا يرجون . . .	١٦٥	١٩	فقد كذبوكم بما تقولون . . .	١٩٢
٦١	ليس على الأعمى حرج . . .	١٦٧	٢٠	ومن يظلم منكم نذقه . . .	١٩٣
			٢١	وما أرسلنا قبلك من المرسلين . . .	١٩٣

## ٢ - فهرس الموضوعات

الصفحة	
٧٠	تأويل قوله تعالى « الزاني لا ينكح إلا زانية » ... الآية .
٧١	الخلافة فيمن نزلت فيه ، وفي المراد منه .
٧٥	حدّ القاذف ، وما تُسقطه توبته عنه .
٨١	اللّعان ، وفيمن يكون ، وأسباب نزول آيته .
٨٦	حديث الإفك .
٩٦	تأويل قوله تعالى « لولا إذ سمعتموه ظنّ المؤمنون » ... وما فيه من العتاب .
١٠٢	ما كان من أبي بكر رضى الله عنه من إعادة الإنفاق على مسطح ، عملاً بقوله « ولا يأتل » ... الآية .
١٠٣	تأويل قوله « إن الذين يرمون المحصنات » ... الآية .
١١٠	لا يدخل الإنسان أن يدخل بيت غيره إلا بعد استئذانه .
١١٣	إذا استأذن المرء على غيره ولم يؤذن له ، فرجوعه يكون أظهر له .
١١٥	للإنسان أن يدخل حوانيت التُّجار إذا علم أنهم آذنون لمن يدخل .
١١٦	ما يجب على الرجال والنساء من غضّ أبصارهم ، وحفظ فروجهم .
١٢٠	من يجوز للمرأة إظهار زينتها لديه .
١٢٥	تأويل قوله تعالى « وأنكحوا الأيامي » ... الآية .

الصفحة	
	<u>تفسير سورة قد أفلح المؤمنون</u>
٥	المحافظة على الصلاة بفعلها في أوقاتها .
٩	بيان أن الجحيم ينفخ الروح يكون إنسانا ، وقبل ذلك كان صورة .
١٦	قصة نوح عليه السلام .
٢٦	المكان الذي أوت إليه مريم وابنها .
٢٩	كل فريق من أهل الكتاب أحدث كتابا من نفسه يحتاج به لمقاله .
٣٢	تأويل قوله تعالى « والذين يؤثون ما أتوا » ، وبيان أن وجلهم ليس من الذنوب ، بل من عدم قبول العمل .
٣٧	التوبة عند الأخذ بالعذاب لانقياد .
٤٢	تأويل قوله تعالى « بل أتيناكم بالحق » ... الآيات ، وما اشتملت عليه من بليغ الحجّة .
٥١	ما أمر به صلى الله عليه وسلم من الصبر على ما يلقي قبل الأمر بالحرب .
٥٣	بيان معنى البرزخ .
٥٤	تأويل قوله تعالى « فإذا نُفخَ في الصور » ... وبيان آية النّفختين أريدت ، وذكر المحاسبة يوم القيامة .
٥٧	ما يحصل لأهل النار من البأس .
٦٥	<u>تفسير سورة النور</u>
٦٧	المراد بالرافة المهيّ عنها في إقامة الحدود .

الصفحة	الصفحة
١٦٦	١٢٦ هل تجب كتابة العَبْد إذا طلب أم لا؟
١٦٥	١٣٢ ما كان يفعله أهل الجاهلية من إعداد الإمام للزنا، وإكراههنّ عليه، ونهى المسلمين عنه .
١٦٨	١٣٥ تأويل قوله تعالى « الله نور السموات والأرض » .
١٧٦	١٤٥ ما يُنْدَب فيه ذكر الله من البيوت .
	١٤٨ العمل في الكفر يكون هباء لا غناء فيه ، مع ضرب الأمثال له .
١٧٩	١٥٢ تأويل قوله « ألم تر أن الله يسبِّح له ما في السموات » . . . الآية ، وبيان المراد من الصلاة والتسبيح .
	١٥٨ ما وعد الله المؤمنين من استخلافهم في الأرض ، وإنجاز وعده .
١٦١	
الساعات التي نُدِب إلى الاستئذان فيهنّ .	
١٦٥	
ما يجوز من وضع الجلباب للمرأة المهرمة .	
١٦٨	
تأويل قوله تعالى « ليس على الأعمى حرج » . . . الآية ، وبيان الخلاف فيها .	
١٧٦	
ما كان عليه المؤمنون من استئذان رسول الله إذا أرادوا الانصراف .	
١٧٩	
تفسير سورة الفرقان	
١٨١	
تأويل قوله « وقال الذين كفروا » . . . الآية .	
١٨١	
الشُّبُهَة التي كانت كفار قريش تتمسك بها .	
١٨٦	
معنى تغيُّظ النار وزفيرها .	
١٩٠	
تأويل قوله تعالى « قالوا سبحانك » . . . الآية ، ومعنى البُور ، والشاهد عليه .	

٣ - فهرس القوافي

الصفحة	القافية	الصفحة	القافية	الصفحة	القافية
	ل		ر		ب
٨	بَغْلُ	١٩١	بُورُ	٨٨	الجزء
١٤	البَقْلُ	٣٩	غَمْرُ	٨٨	وقاء
٨	سَلَائِلُهُ	١٨٨	مَثْبُورُ	٨٨	الفداء
٢٠	نُؤَاصِلُهُ	٤٨	لَا يَسِيرُ	٨٨	الدلاء
١٥٩	المُبْدَلُ	٤٨	وَزِيرُ		
٨	بِالسَّلَائِلِ	١١	لَا يَفْرِي	٢٨	لُحُوبُ
٨٨	الغَوَافِلِ	٣٧	جَوَّارًا	١٧	عَصِيبُ
١٥٣	إِبْقَالَهَا				
	م		ف		ج
١٢٥	أَتَايِمُ	١٩	مُتَرَفًا	١٤	الفلج
٢١	بِالمِيئِمِ			١٤	بالفرج
	ن		ق		ح
٨	حَصِينِ	٩٨	وَزُمَلِقُ	٥٦	كَلَحُ
	ي		تَلِقُ		
١٢٥	الغَوَانِيَا	٩٨	المُخَلِّقُ		د
			البِلَامِقِ	١٤٧	وَعَدُوا
			آلِقِ	١٧	الشُّرْدَا

## ٤ - فهرس الأحاديث

الصفحة	مطلع الحديث	الصفحة	مطلع الحديث
٨٤	كنا ليلة الجمعة في المسجد، فدخل رجل فقال: ...	٥٥	إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار ...
٧٩	لا تجوز شهادة محدود في الإسلام.	٥٢	إذا عاين المؤمن الملائكة قالوا: ...
١٦٠	لا تغبرون إلا يسيراً ...	١٠٥	إذا كان يوم القيامة عرف الكافر بعمله ...
	لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر		أما بعد: أشيروا علي في أناس أبنوا
١١٩	أن تخرج يدها إلى هاهنا ...	٩٣	أهلي ( حديث الإفك ) .
١٦٣	لا يغلبنكم الأعراب على اسم صلاتكم ...	٩٤	أما بعد: يا عائشة إن كنت قارفت سوءاً.
	لما نزلت ﴿والذين يرمون المحصنات ...﴾	١١٠	أن رجلاً استأذن على النبي ﷺ فقال: ألج؟ ...
٨٢	الآية قال سعد بن عبادة ...	١١١	أن رجلاً قال للنبي ﷺ: أستأذن على أمي؟ ...
	ما منكم من أحد إلا وله منزلان: منزل	٨٥	أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي ﷺ فقال: ...
٦	في الجنة، ومنزل في النار ...	١٨٨	أول من يكسى حلة من النار إبليس ...
١٨٧	من يقول عليّ ما لم أقل فليتبوأ ...		دخلت عليّ ابنة أخي لأمي عبد الله بن
٦	يا أم حارثة إنها جنتان في جنة ...	١١٩	الطفيل مزينة ...
٣٤	يا بنة أبي بكر هم الذين يصلون ...		قلت يا رسول الله ﴿الذين يأتون ما أتوا
	يا رسول الله ﴿الذين يأتون ما أتوا	٣٤، ٣٣	وقلوبهم وجلة﴾ أهم الذين يذنبون ...
٣٤	وقلوبهم وجلة ﴿أهو الرجل يزني ...	١٢٣	كان رجل يدخل على أزواج النبي ﷺ مخنث ...
٥٩	يلقى على أهل النار الجوع.	٩٣	كان رسول الله ﷺ إذا أراد سفراً أفرغ
			بين نسائه ... ( حديث الإفك ) .



(۳۳) سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ مَكِّيَّةٌ  
وَأَيُّهَا ثَمَانِي عَشْرَةٌ وَمَاتُهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾

❦ قال أبو جعفر : يعني جل ثناؤه بقوله ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ) : قد أدرك الذين صدقوا الله ورسوله محمدا صلى الله عليه وسلم ، وأقروا بما جاءهم به من عند الله ، وعملوا بما دعاهم إليه مما سمى في هذه الآيات الخلود في جنات ربهم ، وفازوا بطابعتهم لديه .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ) قال : قال كعب : لم يخلق الله بيده إلا ثلاثة : خلق آدم بيده ، وكتب التوراة بيده ، وغرس جنة عدن بيده ، ثم قال لها تكلمي ، فقالت ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ) لما علمت فيها من الكرامة . حدثنا سهل بن موسى الرازي ، قال : ثنا يحيى بن الضريس ، عن عمرو بن أبي قيس ، عن عبد العزيز ابن رفيع ، عن مجاهد ، قال : لما غرس الله تبارك وتعالى الجنة ، نظر إليها فقال ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ) قال : ثنا حفص بن عمر ، عن أبي خلدة ، عن أبي العالية ، قال : لما خلق الله الجنة قال ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ) فأنزل الله به قرآنا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جبير ، عن عطاء ، عن ميسرة ، قال : « لم يخلق الله شيئا بيده غير أربعة أشياء : خلق آدم بيده ، وكتب الألواح بيده ، والتوراة بيده ، وغرس عدن بيده ، ثم قال ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ) . » وقوله ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) يقول تعالى ذكره : الذين هم في صلاتهم إذا قاموا فيها خاشعون ، وخشوعهم فيها تدللهم لله فيها بطاعته ، وقيامهم فيها بما أمرهم بالقيام به فيها . وقيل : لأنها نزلت من أجل أن القوم كانوا يرفعون أبصارهم فيها إلى السماء قبل نزولها ، فنهوا بهذه الآية عن ذلك .

## ذكر الرواية بذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر بن سليمان ، قال : سمعت خالدًا ، عن محمد بن سيرين ، قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى نظر إلى السماء ، فأنزلت هذه الآية ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : فجعل بعد ذلك وجهه حيث يسجد .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن أبي جعفر ، عن الحجاج الصواف ، عن ابن سيرين ، قال : « كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يرفعون أبصارهم في الصلاة إلى السماء ، حتى نزلت ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) فقالوا بعد ذلك براء وسهم هكذا » . حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : أخبرنا أيوب ، عن محمد ، قال : « نبئت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان إذا صلى رفع بصره إلى السماء ، فنزلت آية ، إن لم تكن ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) فلا أدري أية آية هي ، قال : فطأطأ » . قال : وقال محمد : وكانوا يقولون : لا يجاوز بصره مصلاه ، فإن كان قد استعاد النظر فليغمض .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن ابن عون ، عن محمد نحوه . واختلف أهل التأويل في الذي عني به في هذا الموضع من الخشوع ، فقال بعضهم : عني به : سكون الأطراف في الصلاة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : السكون فيها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الزهري ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : سكون المرء في صلاته .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن أبي سفيان الشيباني ، عن رجل ، عن علي ، قال : مثل عن قوله ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : لانتفت في صلاتك .

حدثنا عبد الجبار بن يحيى الرملي ، قال : قال ضمرة بن ربيعة ، عن أبي شاذب ، عن الحسن ، في قوله ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : كان خشوعهم في قلوبهم ، فغضوا بذلك البصر ، وخفضوا به الجناح .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله ( خَاشِعُونَ ) قال : الخشوع في القلب ، وقال : ساكون .

قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن المسعودي ، عن أبي سنان ، عن رجل من قومه ، عن علي رضي الله عنه ، قال : الخشوع في القلب ، وأن تلبس للمؤمن المسلم كنفك ، ولا تلتفت .



قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عطاء بن أبي رباح ، في قوله ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : التخشع في الصلاة . وقال لي غير عطاء : كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة نظر عن يمينه ويساره ووُجَّاهه ، حتى نزلت ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) فما رُؤى بعد ذلك ينظر إلا إلى الأرض . وقال آخرون : عني به الخوف في هذا الموضع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال : خائفون .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، في قوله ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) قال الحسن : خائفون . وقال قتادة : الخشوع في القلب .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله : ( الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ) يقول : خائفون ساكنون .

❖ وقد بينا فيما مضى قبل من كتابنا ، أن الخشوع : التذلل والخضوع بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع . وإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن الله تعالى ذكره دلّ على أن مراده من ذلك معنى دون معنى في عقل ولا خبر ، كان معلوماً أن معنى مراده من ذلك العموم . وإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام ما وصفت من قبل ، من أنه : والذين هم في صلاتهم متذللون لله بإدامة ما ألزمهم من فرضه وعبادته ، وإذا تدلل لله فيها العبد رؤيت ذلة خضوعه في سكون أطرافه ، وشغله بفرضه ، وتركه ما أمر بتركه فيها .

وقوله ( وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ) يقول تعالى ذكره : والذين هم عن الباطل ، وما يكرهه الله من خلقه معرضون .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ) يقول : الباطل .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ( عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ) قال : عن المعاصي .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الحسن ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ) قال النبي صلى الله عليه وسلم ومن معه من صحابته ، ممن آمن به واتبعه وصدقته ، كانوا عن اللغو معرضين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿١١﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿١٢﴾ فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره : والذين هم لزكاة أموالهم التي فرضها الله عليهم فيها مؤدون ، وفعلهم الذي وصفوا به هو أداؤها . وقوله ( وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ ) يقول : والذين هم لفروج أنفسهم ، وعنى بالفروج في هذا الموضع : فروج الرجال ، وذلك أقبالهم ، حافظون : يحفظونها من أعمالها في شيء من الفروج ( إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ ) يقول : إلا من أزواجهم اللاتي أحلهن الله للرجال بالنكاح ( أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ) يعنى بذلك : إماءهم . و « ما » التي في قوله ( أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ ) في محل خفض ، عطفا على الأزواج ( فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ) يقول : فإن من لم يحفظ فرجه عن زوجته وملك يمينه ، وحفظه عن غيره من الخلق ، فإنه غير موبَّخ على ذلك ، ولا مذموم ، ولا هو بفعله ذلك راكب ذنبا يلام عليه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ هُمْ لِأُزْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ . إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ) يقول : رضى الله لهم إتيانهم أزواجهم وما ملكت أيماهم . وقوله ( فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ ) يقول : فمن التمس لفرجه من كحا سوى زوجته وملك يمينه ، ( فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ) يقول : فهم العادون حدود الله ، المجاوزون ما أحل الله لهم ، إلى ما حرم عليهم . وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : نهاهم الله نهيا شديدا ، فقال ( فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ) فسمى الزاني من العادين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ) قال : الذين يتعدون الحلال إلى الحرام .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن أبي عبد الرحمن ، في قوله ( فَمَنْ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ) قال : من زنى فهو عاد .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ ﴿١٠﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿١١﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره ( وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ ) التي ائتمنوا عليها وعهدهم ، وهو عقودهم التي عاقدوا الناس ( رَاعُونَ ) يقول : حافظون لا يضيعون ، ولكنهم يوفون بذلك كله .  
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار إلا ابن كثير ( وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمْتِنِهِمْ ) على الجمع ، وقرأ ذلك ابن كثير ( لِأَمْتِنِهِمْ ) على الواحدة .  
والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ( لِأَمْتِنِهِمْ ) لإجماع الحجة من القراء عليها .  
وقوله ( وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ) يقول : والذين هم على أوقات صلاتهم يحافظون ، فلا يضيعونها ، ولا يشتغلون عنها حتى تفوتهم ، ولكنهم يراعونها حتى يؤدوها فيها .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ( وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ) قال : على وقتها .  
حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن مسلم ، عن مسروق ( وَالَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ) على ميقاتها .  
حدثنا ابن عبد الرحمن البرقي ، قال : ثنا ابن أبي مريم ، قال : أخبرنا يحيى بن أيوب ، قال : أخبرنا ابن زحر ، عن الأعمش ، عن مسلم بن صبيح ، قال ( الَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ) قال : أقام الصلاة لوقتها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : على صلواتهم دائمون .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن إبراهيم ( عَلَىٰ صَلَوَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ) قال : دائمون ، قال : يعني بها المكتوبة .  
وقوله ( أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه صفتهم في الدنيا ، هم الوارثون يوم القيامة منازل أهل النار من الجنة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، روى الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتأوله أهل التأويل .

ذكر الرواية بذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما منكم من أحد إلا وله منزلان : منزل في الجنة ، ومنزل في النار ، وإن مات ودخل النار ورث أهل الجنة منزله » فذلك قوله ( أولئك هم الوارثون ) .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الأعمش ، عن أبي صالح ، عن أبي هريرة ، في قوله ( أولئك هم الوارثون ) قال : يرثون مساكنهم ، ومساكن إخوانهم ، التي أعدت لهم لو أطاعوا الله .

حدثني ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الأعمش ، عن أبي هريرة ( أولئك هم الوارثون ) قال : يرثون مساكنهم ، ومساكن إخوانهم الذين أعدت لهم لو أطاعوا الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : الوارثون الجنة أورثموها ، والجنة التي نورث من عبادنا ، هن سواء ؛ قال ابن جريج : قال مجاهد : يرث الذي من أهل الجنة أهله وأهل غيره ، ومنزل الذين من أهل النار ، هم يرثون أهل النار ، فلهم منزلان في الجنة وأهلان ، وذلك أنه منزل في الجنة ، ومنزل في النار . فأما المؤمن فيسبى منزله الذي في الجنة ، ويهدم منزله الذي في النار . وأما الكافر فيهدم منزله الذي في الجنة ، ويبنى منزله الذي في النار . قال ابن جريج عن ليث بن أبي سليم ، عن مجاهد ، أنه قال مثل ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠﴾

يقول تعالى ذكره ( الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ ) البستان ذا الكرم ، وهو ( الْفِرْدَوْسُ ) عند العرب . وكان مجاهد يقول : هو بالرومية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ ) قال : الفردوس : بستان بالرومية .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : عدن : حديقة في الجنة قصرها فيها عدننها خلفها بيده ، تفتح كل فجر فينظر فيها ، ثم يقول ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ) قال : هي الفردوس أيضا تلك الحديقة ، قال مجاهد : غرسها الله بيده ؛ فلما بلغت قال ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ) ثم أمر بها تغلق ، فلا ينظر فيها خلق ولا ملك مقرب ، ثم تفتح كل سحر فينظر فيها فيقول ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ) ثم تغلق إلى مثلها .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : « قتل حارثة بن سراقة يوم بدر ، فقالت أمه : يا رسول الله ، إن كان ابني من أهل الجنة لم أبك عليه ، وإن كان من أهل النار بالغت في البكاء ، قال : يا أم حارثة ، إنها جنتان في الجنة ، وإن أبنتك قد أصاب الفردوس الأعلى من الجنة » .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى أبو سفيان ، عن معمر ، عن قتادة ، عن كعب ، قال :  
 خلق الله بيده جنة الفردوس ، غرسها بيده ، ثم قال : تكلمى ، قالت ( قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ) .  
 قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن حسام بن ميصك ، عن قتادة أيضا ، مثله ، غير أنه قال :  
 تكلمى ، قالت : طوبى للمتقين .  
 قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن يزيد ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي داود نفيح ، قال :  
 لما خلقها الله ، قال لها تزيني ، فتزينت ؛ ثم قال لها : تكلمى ، فقالت : طوبى لمن رضيت عنه .  
 وقوله ( هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ) يعنى ما كثون فيها ، يقول : هؤلاء الذين يرثون الفردوس خالدون ،  
 يعنى ما كثون فيها أبدا ، لا يتحولون عنها .

القول في تأويل قوله تعالى :

### وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ) أسلناه منه ، فالسلاة هي  
 المستلة من كل تربة ، ولذلك كان آدم خلق من تربة أخذت من أديم الأرض .  
 وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل على اختلاف منهم فى المعنى بالإنسان فى هذا الموضع ، فقال  
 بعضهم : عنى به آدم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مِّنْ طِينٍ ) قال : استل آدم  
 من الطين .  
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، فى قوله ( مِّنْ سُلَالَةٍ مِّنْ  
 طِينٍ ) قال : استل آدم من طين ، وخلقت ذريته من ماء مهين .  
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : ولقد خلقنا ولد آدم ، وهو الإنسان الذى ذكر فى هذا الموضع ، من  
 سلاة ، وهى النطفة التى استلّت من ظهر الفحل من طين ، وهو آدم الذى خلق من طين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا أبو معاوية ، عن الأعمش ، عن المنهال بن عمرو ، عن  
 أبي يحيى ، عن ابن عباس ( مِّنْ سُلَالَةٍ مِّنْ طِينٍ ) قال : صفوة الماء .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد فى قول الله ( مِّنْ سُلَالَةٍ ) من منى آدم .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ، مثله .

وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال : معناه : ولقد خلقنا ابن آدم من سُلالة آدم ، وهي صفة مائه وآدم هو الطين ، لأنه خُلِقَ منه .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالآية ، لدلالة قوله ( ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ) على أن ذلك كذلك ، لأنه معلوم أنه لم يصر في قرار مكين ، إلا بعد خلقه في صلب الفحل ، ومن بعد تحوُّله من صلبه صار في قرار مكين ؛ والعرب تسمى ولد الرجل ونطفته : سليله وسلالته ، لأنهما منسولان منه ؛ ومن السُلالة قول بعضهم :

حَمَلْتُ بِهِ عَضْبَ الْأَدِيمِ غَضَنْفَرًا  
سُلَالَةَ فَرَجٍ كَانَ غَيْرَ حَصِينٍ<sup>١</sup>  
وقول الآخر :

وَهَلْ كُنْتُ إِلَّا مُهْرَةً عَرَبِيَّةً  
سُلَالَةَ أَفْرَاسٍ تَحَمَّلَهَا بَغْلٌ<sup>٢</sup>

فن قال : سلالة جمعها سلالات ، وربما جمعوها سلائل ، وليس بالكثير ، لأن السلائل جمع للسليل ؛ ومنه قول بعضهم :

إِذَا أُنتِجَتْ مِنْهَا الْمَهَارَى تَشَابَهَتْ  
عَلَى الْقَوْدِ إِلَّا بِالْأُنُوفِ سَلَالُهُ<sup>٣</sup>  
وقول الراجز :

يَقْدِفْنَ فِي أَسْلَابِهَا سَلَالِيلُ<sup>٤</sup>

(١) البيت لحسان بن ثابت (اللسان : سلال) وفيه : فجاءت في موضع حملت . وهو شاهد على أن السلالة بمعنى نطفة الإنسان ، وسلالة الشيء : ما استل منه . واستشهد به المؤلف على أن العرب تسمى ولد الرجل ونطفته : سلالة . وفي اللسان : وقال الفراء : السلالة الذي سل من كل تربة . وقال أبو الهيثم : السلالة : ما سل من صلب الرجل ورتائب المرأة ، كما يسل الشيء سلا . والسليل : الولد حين يخرج من بطن أمه ، لأنه خلق من السلالة . وعن عكرمة أنه قال في السلالة : إنه الماء يسل من الظهر سلا . وعضب الأديم : غليظ الجلد ، ولعله يريد وصفه بالشدّة والقسوة . ولم أجد هذا التعبير في معاجم اللغة ، ووجدته في حاشية جانبية على نسخة مصورة من مجاز القرآن محفوظة بمكتبة جامعة القاهرة ، رقمها ٢٦٠٥٩ عند تفسير قوله تعالى : « ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين » .

(٢) البيت لهند بنت النعمان (اللسان : سلال) . وروايته : « وما هند إلا مهرة » . وهو شاهد على أن السليل الولد ، والأنتى سلية ، قال أبو عمرو : السلية بنت الرجل من صلبه . وتجللها : علاها . والمراد بالبغل هنا : الرجل الشبيه بالبغل ، والبغل مذموم عند العرب . وفي اللسان : سلال : قال ابن بري : وذكر بعضهم أنها تصحيف ، وأن صوابه « نغل » بالنون ، وهو الخسيس من الناس والدواب ، لأن البغل لا ينسل . وقال ابن شميل : يقال للإنسان أول ما تضعه أمه : سليل . والسليل والسليّة : المهر والمهرة .

(٣) لم أجد هذا البيت في معاني القرآن للفراء ، ولا في مجاز القرآن لأبي عبيدة ، ولا في شواهد معاجم اللغة . وهو شاهد على أن السلائل جمع سلالة ، وقد شرحنا معناها في الشاهدين السابقين ، بما أغنى عن تكراره هنا .

(٤) كذا ورد هذا الشطر في الأصول محرفا . وحسبه المؤلف من الرجز ، ويلوح لي أن هذا جزء من بيت للنايفة الذبياني ، مسخه بعض النساخ في بعض الكتب ، ولم يفتن له المؤلف . وبيت النايفة من البحر الطويل ، وهو من قصيدة له يصف الخيل في وقعة عمرو بن الحارث الأصغر الفسافي ببني مرة بن عوف بن سعد بن ذبيان ، قال فيها :

وَقَدْ خِفْتُ حَتَّى مَا تَزِيدُ تَخَافَتِي  
عَلَى وَعِيلٍ فِي ذِي الْمَطَارَةِ عَاقِلِ  
تَخَافَةَ عَمْرٍو أَنْ تَكُونَ جِيَادُهُ  
يُقَدِّنَ إِلَيْنَا بَيْنَ حَافٍ وَكَاعِلِ  
إِذَا اسْتَمَجَّجُوا عَنْ سَجِيَّةٍ مَشِيهَا  
تَنْلَعُ فِي أَعْنَاقِهَا بِالْحَافِلِ  
وَيَقْدِفْنَ بِالْأَوْلَادِ فِي كُلِّ مَسْرَلِ  
تَشْحَطُ فِي أَسْلَابِهَا كَالْوَصَائِلِ

وهذا البيت الأخير هو محل الشاهد في بحثنا ، وليس فيه شاهد للمؤلف على السلائل جمع السلالة ، لأنها لم تذكر في البيت ولا في القصيدة كلها . وأصل تشحط : تشحط ، أي اضطرب ، يريد أولاد الخيل . والسلي : الجلدة التي يكون فيها الولد من الإنسان أو الحيوان إذا ولد .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٧﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً  
فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ  
أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٨﴾

يعنى تعالى ذكره بقوله ( ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ) ثم جعلنا الإنسان الذي جعلناه من سلالة من طين ، نطفة في قرار مكين ، وهو حيث استقرت فيه نطفة الرجل من رحم المرأة ، ووصفه بأنه مكين ، لأنه مكن لذلك ، وهي له ليستقر فيه إلى بلوغ أمره الذي جعله له قرارا . وقوله ( ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً ) يقول : ثم صيرنا النطفة التي جعلناها في قرار مكين علقة ، وهي القطعة من الدم ، ( فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً ) يقول : فجعلنا ذلك الدم مضغة ، وهي القطعة من اللحم . وقوله ( فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا ) يقول : فجعلنا تلك المضغة اللحم عظاما .

وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء الحجاز والعراق سوى عاصم ( فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا ) على الجماع ، وكان عاصم وعبد الله يقرآن ذلك ( عِظْمًا ) في الحرفين على التوحيد جميعا . والقراءة التي نختار في ذلك الجماع ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

وقوله ( فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ) يقول : فألبسنا العظام لحما . وقد ذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ( ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عِظْمًا ) وعصبا ، فكسونا لحما . وقوله ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) يقول : ثم أنشأنا هذا الإنسان خلقا آخر ، وهذه الهاء التي في ( أَنْشَأْنَاهُ ) عائدة على الإنسان في قواه . ( وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ ) قد يجوز أن تكون من ذكر العظم والنطفة والمضغة ، جعل ذلك كله كالشيء الواحد ، فقيل : ثم أنشأنا ذلك خلقا آخر .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) فقال بعضهم : إنشأوه إياه خلقا آخر : نفخه الروح فيه ، فيصير حينئذ إنسانا ، وكان قبل ذلك صورة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن عطاء ، عن ابن عباس في قواه ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال : نفخ الروح فيه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن قال : ثنا هشيم عن الحجاج بن أرطاة عن عطاء ، عن ابن عباس ، بمثله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ ) قال : الروح .

= والوصائل : الثياب الحمر المخططة . والمراد أن الأسلاب كانت موشحة بالدم ، وانظر البيت في ( اللسان : شحط ) وفي المخصص لابن سيده ( ١ : ١٧ ) ومختار الشعر الجاهلي بشرح مصطفي السقا ( طبعة مصطفى الحلبي وأولاده بالقاهرة ص ٢١١ ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الرحمن بن الأصبهاني عن عكرمة ، في قوله ( **ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ** ) قال : نفخ الروح فيه .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سلمة ، عن داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، ( **ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ** ) قال : نفخ فيه الروح .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن مجاهد ، بمثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالية ، في قوله ( **ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ** ) قال : نفخ فيه الروح ، فهو الخلق الآخر الذي ذكر .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله ( **ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا** ) يعني الروح تنفخ فيه بعد الخلق .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( **ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ** ) قال : الروح الذي جعله فيه .

وقال آخرون : إنشأؤه خلقا آخر ، تصرفه إياه في الأحوال بعد الولادة : في الطفولة ، والكهولة ، والاعتداء ، ونبات الشعر ، والسن ، ونحو ذلك من أحوال الأحياء في الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( **ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ** ، فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) يقول : خرج من بطن أمه بعدما خلق ، فكان من بدء خلقه الآخر أن استهل ، ثم كان من خلقه أن دل على ثدي أمه ، ثم كان من خلقه أن علم كيف يبسط رجله ، إلى أن قعد ، إلى أن حبا ، إلى أن قام على رجله ، إلى أن مشى إلى أن فطيم ، فعلم كيف يشرب ويأكل من الطعام ، إلى أن بلغ الحلم ، إلى أن بلغ أن يتلقب في البلاد .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( **ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ** ) قال : يقول بعضهم : هو نفخ الروح .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن قتادة ، مثله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک ( **ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ** ) قال : يقال الخلق الآخر بعد خروجه من بطن أمه بسنه وشعره .

وقال آخرون : بل عنى بإنشائه خلقا آخر : سوى شبابه .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( **ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ** ) قال : حزن استوى شبابه .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، قال : قال مجاهد : حين استوى به الشباب .  
 وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : عني بذلك نفخ الروح فيه ، وذلك أنه بنفخ الروح فيه ، يتحوّل خلقا آخر إنسانا ، وكان قبل ذلك بالأحوال التي وصفه الله أنه كان بها ، من نطفة وعلقة ومضغة وعظم ، وبنفخ الروح فيه ، يتحوّل عن تلك المعاني كلها إلى معنى الإنسانية ، كما تحوّل أبوه آدم بنفخ الروح في الطينة التي خلق منها إنسانا ، وخلقاً آخر غير الطين الذي خلق منه .  
 وقوله ( فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه فتبارك الله أحسن الصانعين .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن مجاهد ( فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) قال : يصنعون ويصنع الله ، والله خير الصانعين .  
 وقال آخرون : إنما قيل ( فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) لأن عيسى بن مريم كان يخلق ، فأخبر جل ثناؤه عن نفسه أنه يخلق أحسن مما كان يخلق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جرير ، في قوله ( فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ) قال : عيسى بن مريم يخلق .  
 وأولى القولين في ذلك بالصواب قول مجاهد ، لأن العرب تسمى كل صانع خالقا ؛ ومنه قول زهير :  
 وَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي  
 ويروى :

وَأَنْتَ تَخْلُقُ مَا فَرَيْتَ وَبَعْدَ ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَعِينُونَ ﴿١١﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بِوَمِ الْقِيَامَةِ لُبُعْتُونَ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : ثم إنكم أيها الناس من بعد إنشائكم خلقا آخر وتصيرناكم إنسانا سويا ميتون وعائدون ترابا كما كنتم ، ثم إنكم بعد موتكم وعودكم رفاتا باليا مبعوثون من التراب خلقا جديدا ، كما بدأناكم أول مرة . وإنما قيل ( ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَعِينُونَ ) لأنه خبر عن حال لهم يحدث لم يكن . وكذلك تقول

(١) البيت لزهير بن أبي سلمى يمدح رجلا ( اللسان : خلق ) يقول : أنت إذا قدرت أمرا قطعته وأمضيته ، وغيرك يقدر مالا يقطعه ، لأنه ليس بماض العزم وأنت مضاء على ما عزمت عليه . والخلق : التقدير ، يقال : خلق الأديم يخلقه خلقا : قدره لما يريد قبل القطع ، وقاسه ليقطع منه مزادة أو قرابة أو خفا . ولذلك نمت العرب كل صانع كالنجار والحياط ونحوهما خالقا ، لأنه يقيس الخشب ويقدره على ما يريد له . والفري القطع بعد التقدير ، وقد يكون قبله ، بأن يقطع قطعة من جلد أو ثوب قطعا مقاربا ، ثم يصلحها ويسويها بالحساب والتقدير على ما يريد . ولذلك جاءت رواية أخرى في البيت : ولأنت تخلق ما فريت . . الخ البيت .

العرب، لمن لم يمت: هو مائت وميت عن قليل، ولا يقولون لمن قد مات مائت، وكذلك هو طمّيع فيما عندك، إذا وصف بالطمع، فإذا أخبر عنه أنه سيفعل ولم يفعل قيل هو طامع فيما عندك غدا، وكذلك ذلك في كل ما كان نظيرا لما ذكرناه.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره: ولقد خلقنا فوقكم أيها الناس سبع سموات، بعضهم فوق بعض، والعرب تسمى كل شيء فوق شيء طريقة. وإنما قيل للسموات السبع سبع طرائق، لأن بعضهم فوق بعض، فكل سماء منهن طريقة.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله (وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ) قال: الطرائق: السموات.

وقوله (وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ) يقول: وما كنا في خلقنا السموات السبع فوقكم عن خلقنا الذي تحتها غافلين، بل كنا لهم حافظين من أن تسقط عليهم فهلكهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره: وأنزلنا من السماء ما في الأرض من ماء، فأسكناه فيها.

كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جريج (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ) ماء هو من السماء.

وقوله (وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ) يقول جل ثناؤه: وإنا على الماء الذي أسكناه في الأرض لقادرون أن نذهب به، فهلكوا أيها الناس عطشا، ونحرب أرضوكم، فلا تنبت زراعا ولا غرسا، وتهلك مواشيكم، يقول: فمن نعمتي عليكم تركي ذلك لكم في الأرض جاريا.

القول في تأويل قوله تعالى:

فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَاكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره: فأحدثنا لكم بالماء الذي أنزلناه من السماء، بساتين من نخيل وأعناب، لكم فيها يقول: لكم في الجنات فواكه كثيرة (ومِنْهَا تَأْكُلُونَ) يقول: ومن الفواكه تأكلون. ولقد يجوز أن تكون الهاء والألف من ذكر الجنات، ويحتمل أن تكون من ذكر النخيل والأعناب، ويخصّ جل ثناؤه

الجنات التي ذكرها في هذا الموضع ، فوصفها بأنها من نخيل وأعناب ، دون وصفها بسائر ثمار الأرض ، لأن هذين النوعين من الثمار كانا هما أعظم ثمار الحجاز وما قرب منها ، فكانت النخيل لأهل المدينة ، والأعناب لأهل الطائف ، فذكر القوم بما يعرفون من نعمة الله عليهم ، بما أنعم به عليهم من ثمارها .

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ وَصَيْغٍ لِلآكِلِينَ ﴾

يقول تعالى ذكره : وأنشأنا لكم أيضا شجرة تخرج من طور سيناء ، وشجرة منصوبة عطفًا على الجنات ، ويعنى بها : شجرة الزيتون .

وقوله ( تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ) يقول : تخرج من جبل يُنسبُ الأشجار .

وقد بينت معنى الطور فيما مضى بشواهد ، واختلاف المختلفين ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع .

وأما قوله ( سَيْنَاءَ ) فإن القراء اختلفت في قراءته ، فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة ( سَيْنَاءَ ) بكسر

السين . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( سَيْنَاءَ ) بفتح السين ، وهما جميعا مجتمعون على مدّها .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان معروفتان في قرآنة الأمصار ، بمعنى واحد ، فبأيتهما قرأ

القارئ فصيب .

واختلف أهل التأويل في تأويله ، فقال بعضهم : معناه : المبارك ، كأن معنى الكلام عنده : وشجرة

تخرج من جبل مبارك .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( طُورِ سَيْنَاءَ ) قال : المبارك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،

قوله ( وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ) قال : هو جبل بالشام مبارك .

وقال آخرون : معناه : حسن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( طُورِ سَيْنَاءَ ) قال :

هو جبل حسن .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله

( مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ ) الطور : الجبل بالنبطية ، وسيناء : حسنة بالنبطية .

وقال آخرون : هو اسم جبل معروف .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، في قوله ( مِّنْ طُورِ سَيْنَاءَ ) قال : الجبل الذي نودي منه موسى صلى الله عليه وسلم .  
حدثني يونس قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( طُورِ سَيْنَاءَ ) قال : هو جبل الطور الذي بالشام ، جبل بيت المقدس ، قال : ممدود هو بين مصر وبين أَيْلَةَ .  
وقال آخرون : معناه : أنه جبل ذو شجر .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قاله .  
والصواب من القول في ذلك أن يقال : إن سينا اسم أضيف إليه الطور ، يعرف به ، كما قيل جبلا طي ، فأضيفا إلى طي ، ولو كان القول في ذلك كما قال من قال : معناه : جبل مبارك ، أو كما قال : من قال معناه حسن ، لكان اللور منونا ، وكان قوله سينا ، من نعت ، على أن سينا بمعنى : مبارك وحسن ، غير معروف في كلام العرب ، فيجعل ذلك من نعت الجبل ، ولكن القول في ذلك - إن شاء الله - كما قال ابن عباس ، من أنه جبل عرف بذلك ، وأنه الجبل الذي نودي منه موسى صلى الله عليه وسلم ، وهو مع ذلك مبارك ، لا أن معنى سينا معنى مبارك .

وقوله ( تَنبُتُ بِالدُّهْنِ ) اختلفت القراء في قراءة قوله ( تَنبُتُ ) فقرأته عامة قراء الأمصار ( تَنبُتُ ) بفتح التاء ، بمعنى : تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن ، وقراه بعض قراء البصرة ( تَنبُتُ ) بضم التاء ، بمعنى : تنبت الدهن : تخرجه . وذكر أنها في قراءة عبد الله ( تُخْرِجُ الدُّهْنَ ) وقالوا : الباء في هذا الموضع زائدة ، كما قيل : أخذت ثوبه ، وأخذت بثوبه وكما قال الراجز :

تَخْنُ بَنُو جَعْدَةَ أَرْبَابُ الفَلَجِ نَضْرِبُ بالبَيْضِ وَنَرْجُو بالفَرَجِ<sup>١</sup>

بمعنى : ونرجو الفرج والقول عندي في ذلك أنهما لغتان : نبت ، وأنبت ؛ ومن أنبت قول زهير :

رَأَيْتَ ذَوِي الحَاجَاتِ حَوْلَ بَيْوتِهِمْ قَطِينًا لَهُمْ حَتَّى إِذَا أَنْبَتَ البَقْلُ<sup>٢</sup>

(١) البيت لنايفة بنى جعدة (خزانة الأدب للبغدادى ٤ : ١٦٠) والفلاج في الأصل : النهر الصغير ، والماء الجاري ، والمراد به في البيت : موضع في أعلى بلاد قيس ، ويروي : « يضرب بالسيف » . والبيض : جمع أبيض ، وهو السيف ، والبيت شاهد على زيادة الباء في قوله بالفراج ، أي ونرجو الفرج ، وهي زائدة في المفعول به سماعا . قال ابن عصفور في الضرائر : زيادة الباء هنا : ضرورة ، وقال ابن السيد في شرح أدب الكاتب لابن قتيبة : إنما عنى الرجاء بالباء ، لأنه بمعنى الطمع ، والطمع يتعدى بالباء ، كقولك : طمعت بكذا ، قال الشاعر :

طَمِعْتُ بِبَيْتِي أَنْ تَجُودَ وَإِنَّمَا نَقَطَعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ المَطَامِعُ

ويروي جعدة يروي بالرفع على أنه نجر نحن ، وبالنصب على الاختصاص ، والخبر : أرباب . اهـ .

(٢) البيت في (اللسان : نبت) : قال : ونبت البقل وأنبت بمعنى ، وأنبت زهير بن أبي سلمى :

إِذَا السَّنَةُ الشَّهْبَاءُ بِالنَّاسِ أَجْحَفَتْ وَنَالَ كِرَامَ النَّاسِ فِي الحُجْرَةِ الأَكْلُ =

ويروى : نبت ، وهو كقوله ( فَأَسْرٍ بِأَهْلِكَ ) وفاسر ، غير أن ذلك وإن كان كذلك ، فإن القراءة التي لاأختار غيرها في ذلك ، قراءة من قرأ ( تَنْبُتُ ) بفتح التاء ، لإجماع الحجة من القراء عليها . ومعنى ذلك : تنبت هذه الشجرة بثمر الدهن .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ ) قال : بثمره . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . والدهن الذى هو من ثمره الزيت ، كما حدثني على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( تَنْبُتُ بِالذُّهْنِ ) يقول : هو الزيت يؤكل ويُدَّهَنُ به . وقوله ( وَصَبِغٍ لِّلآكِيلِينَ ) يقول : تنبت بالدهن وبصبغ للآكلين ، يُصْطَبِغُ بالزيت الذين يأكلونه . كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله ( وَصَبِغٍ لِّلآكِيلِينَ ) قال : هذا الزيتون صبغ للآكلين ، يأتدمون به ويصطبغون به . قال أبو جعفر : فالصبغ عطف على الدهن .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٦﴾ وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿١٧﴾

﴿١٦﴾ يقول تعالى ذكره : ( وَإِنَّ لَكُمْ ) أيها الناس ( فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً ) تعتبرون بها ، فتعرفون بها أيادى الله عندكم ، وقدرته على ما يشاء ، وأنه الذى لا يمتنع عليه شىء أرادته ، ولا يُعْجِزُهُ شىء شاءه . ( نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا ) من اللبن الخارج من بين الفرث والدم . ( وَلَكُمْ فِيهَا ) مع ذلك ( فِيهَا ) يعنى فى الأنعام مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ ) وذلك كالإبل التى يُحْمَلُ عليها ، ويُرْكَبُ ظهرها ، ويُشْرَبُ دَرَّهَا . ( وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ) يعنى من لحومها تأكلون . وقوله ( وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ) يقول : وعلى الأنعام وعلى السفن تحمّلون على هذه فى البر ، وعلى هذه فى البحر .

ثم قال : يعنى بالشبهاء البيضاء من الجذب ، لأنها تبيض بالثلج أو عدم النبات . والحجرة السنة الشديدة التى تحجر الناس فى بيوتهم ، فينحروا كراهم إبلهم ليأكلوها . والقطين : الحشم ، وسكان الدار . وأجحفت أضرت بهم ، وأهلكت أموالهم . قال : ونبت وأنبت : مثل قولهم مطرت السماء وأمطرت . وقال فى قوله تعالى : « تنبت بالدهن » قرأ ابن كثير وأبو عمرو الحزرمي : « تنبت » بالضم فى التاء ، وكسر الباء . وقرأ نافع وعاصم وحزمة والكسائى وابن عامر : بفتح التاء . وقال الفراء : هما لغتان : نبتت الأرض وأنبتت ، قال ابن سيده : أما تنبت ( بضم التاء ) فذهب كثير من الناس إلى أن معناه : تنبت الدهن ، أى شجر الدهن ، أو حب الدهن ، وأن الباء فيه زائدة ، وكذلك قول عنتره « شربت بماء الدحرضين . . . البيت » ، قالوا : أراد شربت ماء الدحرضين . قال : وهذا عند حذاق أصحابنا على غير وجه الزيادة ، وإنما تأويله والله أعلم - تنبت ما تنبته والدهن فيها ، كما تقول : خرج زيد بشيابه ، أى بشيابه عليه ؛ وركب الأمير بسيفه ، أى وسيفه معه . اهـ .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦١﴾

✽ يقول تعالى ذكره ( وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ ) داعيهم إلى طاعتنا وتوحيدنا ، والبراءة من كل معبود سوانا . ( فَقَالَ ) لهم نوح : ( يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ ) يقول : قال لهم : ذلوا يا قوم لله بالطاعة ( مَا لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرُهُ ) يقول : ما لكم من معبود يجوز لكم أن تعبدوه غيره ( أَفَلَا تَتَّقُونَ ) يقول : أفلا تخشون بعبادتكم غيره عقابه أن يحل بكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَقَالَ الْمَلَأُوا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً مَّا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولَىٰ ﴿٦٢﴾

✽ يقول تعالى ذكره : فقالت جماعة أشرف قوم نوح ، الذين جحدوا توحيد الله ، وكذبوه لقومهم : مانوح أيها القوم إلا بشر مثلكم ، إنما هو إنسان مثلكم ، وكبعضكم ( يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ عَلَيْكُمْ ) يقول : يريد أن يصير له الفضل عليكم ، فيكون متبوعا وأنتم له تبع ( وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ مَلَائِكَةً ) : يقول : ولو شاء الله أن لانهب شينا سواه لأنزل ملائكة ، يقول : لأرسل بالدعاء إلى ما يدعركم إليه نوح ملائكة ، تؤدى إليكم رسالته . وقوله ( مَا سَمِعْنَا بِهَذَا ) الذي يدعوننا إليه نوح ، من أنه لا إله لنا غير الله في القرون الماضية ، وهي آباؤهم الأولون .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ فترَبُّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٦٣﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٦٤﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَ بِأَعْيُنِنَا وَّوَحَيْنَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ مِّنْ أُنثَىٰ وَاهْلَاكَ إِلا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّخْرَقُونَ ﴿٦٥﴾

✽ معنى تعالى ذكره مخبرا عن قبل الملائكة الذين كفروا من قوم نوح ( إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ بِهِ جِنَّةٌ ) : مانوح إلا رجل به جنون . وقد يقال أيضا للجن جنة ، فيتنق الاسم والمصدر ، وهو من قوله ( إِنْ هُوَ ) كناية اسم نوح . وقوله ( فترَبُّصُوا بِهِ حَتَّىٰ حِينٍ ) يقول : فتلذثوا به ، ونظروا به حتى حين : يقول :

إلى وقت ما، ولم يتعنوا بذلك وقتا معلوما، إنما هو كقول القائل: دعه إلى يوم ما، أو إلى وقت ما. وقوله (قال رَبَّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ) يقول: قال نوح داعيا ربه، مستنصرا به على قومه، لما طال أمره وأمرهم، وتمادوا في غيهم: (رَبَّ انصُرْنِي) على قَوْمِي (بِمَا كَذَّبُونِ) يعنى بتكذيبهم إياي، فيما بلّغتهم من رسالتك، ودعوتهم إليه من توحيدك. وقوله (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحَيْنَا) يقول: فقلنا له حين استنصرنا على كفره قومه: اصنع الفلّك، وهى السفينة. بأعيننا: يقول: بمراى منا ومنظر، ووحينا: يقول: وبتعليمنا إياك صنعها. (فإذا جاء أمرنا) يقول: فإذا جاء قضاؤنا فى قومك، بعدابهم وهلاكهم (وفار التنور).

وقد ذكرنا فيما مضى اختلاف المختلفين فى صفة فور التنور، والصواب عندنا من القول فيه بشواهد، بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع.

(فاسألْكُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) يقول: فأدخل فى الفلك واحمل، والهاء والألف فى قوله (ففيها) من ذكر الفلك (من كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) يقال سلكته فى كذا وأسلكته فيه؛ ومن سلكته قول الشاعر:

وَكُنْتُ لِرِزَازِ خَصْمِكَ لَمْ أُعْرَدْ  
وَقَدْ سَلَكَوكَ فِي يَوْمٍ عَصِيبٍ ١

وبعضهم يقول: أسلكت بالألف؛ ومنه قولى الهذلى:

حَتَّى إِذَا أَسْلَكُوهُمْ فِي قَتَائِدَةٍ  
شَلًّا كَمَا تَطْرُدِ الْجَمَالَ الشُّرْدَا ٢

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل.

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد، قال: ثنى أبى، قال: ثنى عمى، قال: ثنى أبى، عن أبيه، عن ابن عباس، قوله (فاسألْكُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ) يقول لنوح: اجعل فى السفينة من كل زوجين اثنين (وأهلك) وهم ولده ونساؤهم (إلا من سبق عليه القول) من الله بأنه هالك فيمن يهلك من قومك فلا تحمله معك، وهو يام الذى غرق. ويعنى بقوله (منهم) من أهلك، والهاء والميم فى قوله منهم من ذكر الأهل. وقوله (ولا تخاطبني) . . . الآية، يقول: ولا تسألنى فى الذين كفروا بالله أن أنجيهم (إنهم مغرّقون) يقول: فانى قد حتمت عليهم أن أغرق جميعهم.

(١) البيت لعدى بن زيد العبادى (انظر شرحنا له فى ص ٨٢ من الجزء الثانى عشر من هذا التفسير، وقد استشهد به المؤلف هناك عند قوله تعالى «وقال هذا يوم عاصيب» أى شديد. واستشهد به هنا على أنه يقال سلكته فى كذا: بمعنى أدخلته فيه، وأسلكته فيه، والبيت شاهد على الأول. قال فى (اللسان: سلك): والسلك، بالفتح: مصدر سلكت الشيء فى الشيء، فانسلك، أى أدخلته فيه فدخل. قال عدى بن زيد: «وكننت لزاز . . . البيت». كما استشهد به المؤلف مرة أخرى فى (١٤: ٩) من هذه الطبعة عند قوله تعالى: «كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين»، فراجعه ثمة.

(٢) البيت لعبد مناف بن ربيع الهذلى (اللسان: سلك). قال: وسلك المكان يسلكه سلكا وسلوكا، وسلكه غيره (بنصب غير) وفيه، وأسلكه إياه، وفيه، وعليه (بمعنى أدخله فيه) قال عبد مناف بن ربيع الهذلى: «حتى إذا أسلكوهم . . . البيت». وقد سبق استشهد المؤلف بالبيت فى (ص ٩ من الجزء الرابع عشر من هذه الطبعة) عند قوله تعالى: «كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين». فراجعه ثمة.

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾

❦ يعني تعالى ذكره بقوله ( فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِّ ) : فإذا اعتدلت في السفينة أنت ومن معك ، ممن حملته معك من أهلك ، راكبا فيها ، عاليا فوقها ( فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) يعني من المشركين .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴿٢٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَبَشِيرِينَ ﴿٢٧﴾

❦ يقول تعالى ذكره لنبيه نوح عليه السلام : وقل إذا سلمك الله وأخرجك من الفلك ، فنزلت عنها ( رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا ) من الأرض ( مُبَارَكًا ، وَأَنْتَ خَيْرٌ ) من أنزل عباده المنازل . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( مُنْزَلًا مُبَارَكًا ) قال : لنوح حين نزل من السفينة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء الأمصار ( رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنْزَلًا مُبَارَكًا ) بضم الميم ، وفتح الزاي ، بمعنى : أنزلى إنزالا مباركا . وقرأه عاصم ( مُنْزِلًا ) بفتح الميم ، وكسر الزاي ، بمعنى : أنزلى مكانا مباركا وموضعا .

وقوله ( إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ ) يقول تعالى ذكره : إن فيما فعلنا بقوم نوح يا محمد من إهلاكناهم إذ كذبوا رسلنا ، وجحدوا وحدانيتنا ، وعبدوا الآلهة والأصنام ، لعبرا لقومك من مشركي قريش ، وعظمت وحججنا لنا ، يستدلون بها على سنتنا في أمثالهم ، فيزجروا عن كفرهم ، ويرتدعوا عن تكذيبك ، حنرا أن يصيبهم مثل الذي أصابهم من العذاب . وقوله ( وَإِنْ كُنَّا لَبَشِيرِينَ ) يقول تعالى ذكره : وكنا نخبئهم بثنا كبيرا إياهم بآياتنا ، لننظر ما هم عاملون قبل نزول عقوبتنا بهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا ﴿٢٩﴾ مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴿٣٠﴾ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾



يقول تعالى ذكره : ثم أحدثنا من بعد مهالك قوم نوح ، قرنا آخرين ، فأوجدناهم ( فأرسلنا فيهم رسولا منهم ) داعيا لهم ( أن اعبدوا الله ) يا قوم ، وأطيعوه دون الآلهة والأصنام ، فإن العبادة لا تنبغى إلا له ( مالككم من إله غيرهُ ) يقول : مالكم من معبود يصلح أن تعبدوا سواه ( أفلا تتقون ) : أفلا تخافون عقاب الله ، بعبادتكم شيئا دونه ، وهو الإله الذى لا إله لكم سواه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره : وقالت الأشراف من قوم الرسول الذى أرسلنا بعد نوح ، وعنى بالرسول فى هذا الموضع : صالحا ، وبقومه : ثمود ( الذين كفروا وكذبوا بلىقاء الآخرة ) يقول : الذين جحدوا توحيد الله ؛ وكذبوا بلىقاء الآخرة : يعنى كذبوا بلىقاء الله فى الآخرة . وقوله ( وأترفناهم فى الحياة الدنيا ) يقول : ونعمناهم فى حياتهم الدنيا ، بما وسعنا عليهم من المعاش ، وبسطنا لهم من الرزق ، حتى بطروا وعتوا على ربهم ، وكفروا ؛ ومنه قول الراجز :

\* وَقَدْ أُرَانِي بِالْدِيَارِ مُتْرَفًا \*

وقوله ( ما هذا إلا بشرٌ مثلكم ) يقول : قالوا : بعث الله صالحا إلينا رسولا من بيننا ، وخصه بالرسالة دوننا ، وهو إنسان مثلنا يأكل مما نأكل منه من الطعام ، ويشرب مما نشرب ، وكيف لم يرسل ملكا من عنده يبلغنا رسالته ؟ قال ( ويشرب مما تشربون ) معناه : مما تشربون منه ، فحذف « من » الكلام « منه » ، لأن معنى الكلام : ويشرب من شرابكم ، وذلك أن العرب تقول : شربت من شرابك .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَيْنَ أَطْعَمَكُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿٢٠﴾ أَيْعِدْكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ مَخْرُجُونَ ﴿٢١﴾

يقول تعالى ذكره مخبرا عن قيل الملأ من قوم صالح لقومهم ( ولئن أطعتم بشرا مثلكم ) فاتبعتموه ، وقبلتم ما يقول وصدقتموه ، ( إنكم ) أيها القوم ( إذا لخسرون ) يقول : قالوا : إنكم إذن لمغبونون حظوظكم من الشرف والرفعة فى الدنيا ، باتباعكم إياه .

(١) البيت للعجاج ( أراجيز العرب للسيد محمد توفيق البكرى ص ١٩ ) قال فى شرحه له : وقد أُرَانِي : أى قد كنت أُرَانِي . والمترف من الترف ، وهو النعيم والرفه . وفى ( اللسان : ترف ) : والمترف : المتنعم المتوسع فى ملاذ الدنيا وشهواتها . ورجل مترف ، ومترف كعظم : موسع عليه . وترف الرجل وأترفه : دله وملكه . وقوله تعالى : « إلا قال مترفوها » : أى أولئو الترفه ، وأراد رؤساءها وقادة الشر منها .

قوله ( أَيْعِدُكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَافاً ) . . . الآية ، يقول تعالى ذكره : قالوا لهم : أيعدكم صالح أنكم إذا متم وكنتم تراباً في قبوركم ، وعظاماً قد ذهبت لحوم أجسادكم ، وبقيت عظامها ، أنكم مخرجون من قبوركم أحياء ، كما كنتم قبل مماتكم؟ وأعيدت « أنكم » مرتين . والمعنى : أيعدكم أنكم إذا متم وكنتم تراباً وعظاماً ، مخرجون مرة واحدة ، لما فرق بين « أنكم » الأولى ، وبين خبرها بإذا ، وكذلك تفعل العرب بكل اسم أوقعت عليه الظن وأخواته ، ثم اعترضت بالجزاء دون خبره ، فتكرّر اسمه مرة ، وتحذفه أخرى ، فتقول : أظنّ أنك إن جالستنا أنك محسن ، فإن حذفت أنك الأولى أو الثانية صلح ، وإن أثبتهما صلح ، وإن لم تعترض بينهما بشيء لم يجز ، خطأ أن يقال : أظنّ أنك أنك جالس ، وذكر أن ذلك في قراءة عبد الله ( أَيْعِدُكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَاباً وَعِظَافاً أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ﴿١٧٩﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿١٨٠﴾

وهذا خبر من الله جلّ ثناؤه عن قول الملائكة من ثمود ، أنهم قالوا : هيات هيات : أى بعيد ما توعدون أيها القوم ، من أنكم بعد موتكم ومصيركم تراباً وعظاماً ، مخرجون أحياء من قبوركم ، يقولون ذلك غير كائن . وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ ) يقول : بعيد بعيد .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : ( هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ ) قال : يعنى البعث . والعرب تدخل اللام مع هيات في الاسم الذى بصحبها ، وتنزعها منه ، تقول : هيات لك هيات ، وهيات ما تبغى هيات ؛ وإذا أسقطت اللام رفعت الاسم بمعنى هيات ، كأنه قال : بعيد ما يبغى لك ؛ كما قال جرير :

فَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ  
وَهَيْهَاتَ خَيْلٌ بِالْعَقِيقِ نُوَاصِلُهُ<sup>١</sup>

(١) البيت لجرير بن عطية الخطمي (لسان العرب : هيه) . والرواية فيه : « العقيق وأهله » . وفي الديوان ( طبعة الصاوي ص ١٧٩ )

فَأَيْهَاتَ أَيْهَاتَ الْعَقِيقُ وَمَنْ بِهِ  
وَأَيْهَاتَ وَصَلٌ بِالْعَقِيقِ نُوَاصِلُهُ

وهو من فصيدة يعجب بها الفرزدق ، والعقيق : واد لبني كلاب ، نقله الجكري في معجم ما استعجم ، عن عمارة بن عقيل ، وهيات وأيهات : كلمة معناها البعد ، وقيل : هيات كلمة تبعيد قال جرير : « فهيات . . . البيت » . والناء مفتوحة مثل كيف ، وأصلها هاء ، وناس يكسرونها على كل حال ، قال حميد الأرقط يصف إبلا قطعت بلاداً حتى صارت في الفغار :

هَيْهَاتَ مَنْ مَضْبَحُهَا  
هَيْهَاتَ حَجْرٌ مَيْنَ صُنْبُهَا

وقال الفراء : نصب هيات بمنزلة نصب ربه ونه ، وأنشد :

مَاوِيَّ يَا رَبَّنَا غَارَةٌ  
شَمَوَاءَ كَاللَّذْهَةِ بِالْمَيْمِ

كأنه قال : العقيق وأهله ، وإنما أدخلت اللام مع هيات في الاسم ، لأنهم قالوا : هيات أداة غير مأخوذة من فعل ، فأدخلوا معها في الاسم اللام ، كما أدخلوها مع هلم لك ، إذ لم تكن مأخوذة من فعل ، فإذا قالوا أقبل ، لم يقولوا لك ، لاحتمال الفعل ضمير الاسم .

واختلف أهل العربية في كيفية الوقف على هيات ، فكان الكسائى يختار الوقف فيها بالهاء ، لأنها منصوبة ؛ وكان الفراء يختار الوقف عليها بالتاء ، ويقول : من العرب من يخفض التاء ، فدل على أنها ليست بهاء التأنيث ، فصارت بمنزلة دَرَاكِ ونَظَارٍ ؛ وأما نصب التاء فيهما ، فلأنهما أداتان ، فصارتا بمنزلة خمسة عشر ؛ وكان الفراء يقول : إن قيل : إن كل واحدة مستغنية بنفسها ، يجوز الوقف عليها ، وإن نصبها كنصب قوله : **ثُمَّتَ جَلَسْتُ** ؛ وبمنزلة قول الشاعر :

ماوِيَّ يَأْرُبْتَمَا غَارِيَّ شَعَوَاءَ كَاللَّذَعَةِ بِالْمَيْسَمِ

قال : فنصب هيات بمنزلة هذه الهاء التي في « ربت » ، لأنها دخلت على حرف ، على رب ، وعلى ثم ، وكانا أداتين ، فلم تغيرهما عن أداتهما فنصبا .

واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقرأته قراء الأمصار غير أبي جعفر ( هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ ) بفتح التاء فيهما . وقرأ ذلك أبو جعفر ( هِيَهَاتَ هِيَهَاتَ ) بكسر التاء فيهما . والفتح فيهما هو القراءة عندنا ، لإجماع الحجة من القراء عليه .

وقوله ( **إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا** ) يقول : ما حياة إلا حياتنا الدنيا التي نحن فيها نموت ونحيا ، يقول : **تَمُوتُ الأَحْيَاءُ مِنَّا فَلا نَحْيَا** ، ويحدث آخرون منا ، فيولدون أحياء ( **وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ** ) : يقول : قالوا : **وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ** بعد الممات .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( **إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا** ، **تَمُوتُ وَنَحْيَا** ، **وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ** ) قال : يقول ليس آخرة ولا بعث ، يكفرون بالبعث ، يقولون : إنما هي حياتنا هذه ، ثم نموت ولا نحيا ، يموت هؤلاء ، ويحيا هؤلاء ، يقولون : إنما الناس كالزراع يحصد هذا ، وينبت هذا : يقولون : يموت هؤلاء ، ويأتي آخرون ، وقرأ ( **وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُوكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنْبِئُكُمْ إِذَا مُزِقْتُمْ كُلٌّ مَزِقٍ** ، **إِنَّكُمْ لِنِى خَلْقٍ جَدِيدٍ** ) وقرأ ( **لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ** ، **قُلْ بَلَى وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ** ) .

(١) البيت في (اللسان: هيه، رب) قال في الثانی: الفرق بين ربما ورب أن رب لا يليه غير الاسم ، وأما ربما فإنه زيدت (ما) مع (رب) ليليها الفعل ، تقول : رب رجل جاهل ، وربما جاهل زيد ، وكذلك ربما ، وأنشد ابن الأعرابي « ماوى . . . الخ » . وقال الكسائى : أظنهم امتنعوا من جزم الباء (أى تسكين باء رب) لكثرة دخول التاء فيها في قولهم : ربت رجل . يريد أن تاء التأنيث لا يكون ما قبلها إلا مفتوحا ، أو في نية الفتح ، فلما كانت تاء التأنيث تدخلها كثيرا امتنعوا من إسكان ما قبل هذا التأنيث ، وآثروا النصب (يعنى بالنصب الفتح) اه . وقال في شعا : أشعى القوم الغارة إشعاء : أشعلوها ، وغارة شعواء . فاشية متفرقة ، وأنشد ابن الأعرابي : « ماوى . . . البيت » . والميسم : المكواة ، أو الشيء الذى يوسم به الدواب ، والجمع : مواسم ومياسم .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ رَبِّ انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ﴿٢٩﴾ قَالَ

﴿٢٨﴾ يقول تعالى ذكره : قالوا ما صالح إلا رجل اختلق على الله كذبا في قوله ما لكم من إله غير الله وفي وعده إياكم أنكم إذا متم وكنتم ترابا وعظاما أنكم مخرجون . . . وقوله ( هو ) من ذكر الرسول ، وهو صالح ( وما نحن له بمؤمنين ) يقول : وما نحن له بمصدقين فيما يقول : إنه لا إله لنا غير الله ، وفيما يعدنا من البعث بعد الممات . وقوله ( قال رب انصُرْنِي بِمَا كَذَّبُونِ ) يقول : قال صالح لما أيس من إيمان قومه بالله ، ومن تصديقهم إياه بقولهم ( وما نحن له بمؤمنين ) رب انصُرْنِي عَلَى هَؤُلَاءِ بِمَا كَذَّبُونِ ، يقول : بتكذيبهم إياي فيما دعوتهم إليه من الحق ، فاستغاث صلوات الله عليه بربه من أذاهم إياه ، وتكذيبهم له ، فقال الله له مجيبا ، في مسئلته إياه ما سأل : عن قليل يا صالح ليصبحن مكذَّبوك من قومك على تكذيبهم إياك نادمين ، وذلك حين تنزل بهم نقمتنا فلا ينفعهم الندم .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ بِالْحَقِّ فَجَعَلْنَاهُمُ غُثَاءً فَبَعْدَ اللَّقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾

﴿٢٩﴾ يقول تعالى ذكره : فانتقمنا منهم ، فأرسلنا عليهم الصيحة ، فأخذتهم بالحق ، وذلك أن الله عاقبهم باستحقاقهم العقاب منه ، بكفرهم به ، وتكذيبهم رسوله ، ( فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ) يقول : فصيرناهم بمنزلة الغثاء ، وهو ما ارتفع على السيل ونحوه ، كما لا ينفع به في شيء ، وإنما هذا مثل . والمعنى : فأهلكناهم ، فجعلناهم كالشيء الذي لا منفعة فيه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : ( فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ، فَبَعْدَ اللَّقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) يقول : جعلوا كالشيء الميت البالي من الشجر .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( غُثَاءً ) كالرميم الهامد ، الذي يحتمل السيل .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ) قال :

كالرميم الهامد ، الذي يحتمل السيل .  
حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ) قال : هو الشيء البالي .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً ) قال :  
هذا مثل ضرب به الله .  
وقوله ( فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) يقول : فأبعد الله القوم الكافرين بهلاكهم ، إذ كفروا بربهم ،  
وعصوا رسله ، وظلموا أنفسهم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قال : أولئك  
ثمود ، يعنى قوله ( فَجَعَلْنَاهُمْ غُثَاءً فَبَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ أَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا آخَرِينَ ﴿٥٤﴾ مَا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٥٥﴾

يقول تعالى ذكره : ثم أحدثنا من بعد هلاك ثمود قوما آخرين . وقوله ( ما تسبق من أمة أجلها ) :  
يقول : ما يتقدم هلاك أمة من تلك الأمم التي أنشأناها بعد ثمود ، قبل الأجل الذي أجلنا لهلاكها ، ولا  
يستأخِر هلاكها عن الأجل الذي أجلنا لهلاكها ، والوقت الذي وقتنا لفنائها ، ولكنها تهلك لحبيته . وهذا  
وعيد من الله لمشركى قوم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وإعلام منه لهم ، أن تأخيره في آجالهم مع كفرهم به  
وتكذيبهم رسوله ، ليلبغوا الأجل الذي أجل لهم ، فيحل بهم نقمته ، كسنته فيمن قبلهم من الأمم السالفة .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا كُلًّا مَّا جَاءَ أُمَّةً رَّسُولًا كَذَّبُوهُ فَأَنْبَعْنَا بِعَصْمِ بَعْضًا وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ  
فَبَعْدَ الْقَوْمِ لَيُؤْمِنُونَ ﴿٥٦﴾

يقول تعالى ذكره ( ثُمَّ أَرْسَلْنَا ) إلى الأمم التي أنشأنا بعد ثمود ( رُسُلَنَا تَتْرًا ) يعنى : يتبع بعضها  
بعضا ، وبعضها في أثر بعض ، وهى من المواتره ، وهى اسم لجمع مثل شيء ، لا يقال : جاءنى فلان تترى ،  
كما لا يقال : جاءنى فلان مواتره ، وهى تنون ولا تنون ، وفيها الياء ، فمن لم ينوتها فعلى من وترت ، ومن  
قال « تترًا » يوهم أن الياء أصلية كما قيل : معزى بالياء ، ومعزاً وبهمى بهما ونحو ذلك ، فأجريت أحيانا ،  
وترك إجراؤها أحيانا ، فمن جعلها « فعلى » وقف عليها ، أشار إلى الكسر ، ومن جعلها ألف إعراب لم يشر ،  
لأن ألف الإعراب لا تكسر ، لا يقال : رأيت زيدا ، فيشار فيه إلى الكسر .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( ثُمَّ  
أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا ) يقول : يتتبع بعضها بعضا .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَى ) يقول : بعضها على أثر بعض .  
 حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى . وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( تَتْرَى ) قال : اتباع بعضها بعضا .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَى ) قال : يتبع بعضها بعضا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا تَتْرَى ) قال : بعضهم على أثر بعض ، يتبع بعضهم بعضا .  
 واختلفت قرآء الأمصار في قراءة ذلك ، فقرأ ذلك بعض قرآء أهل مكة ، وبعض أهل المدينة ، وبعض أهل البصرة ( تَتْرَى ) بالتنوين . وكان بعض أهل مكة وبعض أهل المدينة وعامة قرآء الكوفة يقرءونه : ( تَتْرَى ) بإرسال الياء على مثال « فَعَلَى » ، والقول في ذلك أنهما قرآءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان في كلام العرب ، بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب ، غير أني مع ذلك أختار القراءة بغير تنوين ، لأنها أفصح اللغتين وأشهرهما .

وقوله ( كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةٌ رَّسُولَهَا كَذَّبُوهُ ) يقول : كلما جاء أمة من تلك الأمم التي أنشأناها بعد نوح رسولها الذي نرسله إليهم ، كذبوه فيما جاءهم به من الحق من عندنا . وقوله ( فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا ) : يقول : فأتبعنا بعض تلك الأمم بعضا بالهلاك ، فأهلكنا بعضهم في إثر بعض . وقوله ( وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ) للناس ، ومثلا يتحدث بهم في الناس ، والأحاديث في هذا الموضع جمع أحداثثة ، لأن المعنى ما وصفت ، من أنهم جعلوا للناس مثلا يتحدث بهم ، وقد يجوز أن يكون جمع حديث ، وإنما قيل : ( وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ ) لأنهم جعلوا حديثا ، ومثلا يتمثل بهم في الشر ، ولا يقال في الخير : جعلته حديثا ولا أحداثثة . وقوله ( فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ) يقول : فأبعد الله قوما لا يؤمنون بالله ، ولا يصدقون برسوله .

القول في تأويل قوله تعالى :

ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : ثم أرسلنا بعد الرسل الذين وصف صفتهم قبل هذه الآية ، موسى وأخاه هارون ، إلى فرعون وأشراف قومه من القبط بآياتنا ، يقول : بحجبتنا ( فاستكبروا ) عن اتباعها ، والإيمان بما جاءهم به من عند الله ( وكانوا قوما عالين ) يقول : وكانوا قوما عالين على أهل ناصيتهم ، ومن في بلادهم من بني إسرائيل وغيرهم بالظلم ، فاهربن لهم .

وكان ابن زيد يقول في ذلك ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، وقوله ( وكانوا قوماً عالين ) قال : علّوا على رسلهم ، وعصّوا ربهم ، ذلك علّوهم ، وقرأ ( تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى :

**فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِبِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾**

يقول تعالى ذكره : فقال فرعون وملؤه ( أنؤمن لبشرين مثلنا ) فتبعهما ( وقومهما ) من بنى إسرائيل ( لنا عابدون ) يعنون أنهم لهم مطيعون متذللون ، يأترون لأمرهم ، ويدينون لهم ، والعرب تسمى كل من دان لملك عابدا له . ومن ذلك قيل لأهل الحيرة : العباد ، لأنهم كانوا أهل طاعة لملوك العجم . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، قال فرعون ( أنؤمن لبشرين مثلنا ) . . . الآية ، نذهب نرفعهم فوقنا ، ونكون تحتهم ، ونحن اليوم فوقهم وهم تحتنا ، كيف نصنع ذلك ؟ وذلك حين أتوهم بالرسالة ، وقرأ ( وَتَكُونَنَّ لَكُمْ أَلْبَابُ فِي الْأَرْضِ ) قال : العلو في الأرض . وقوله ( فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ ) يقول : فكذب فرعون وملؤه موسى وهارون ، فكانوا ممن أهلكهم الله ، كما أهلك من قبلهم من الأمم بتكذيبها رسلها .

القول في تأويل قوله تعالى :

**وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾**

يقول تعالى ذكره : ولقد آتينا موسى التوراة ، ليهتدي بها قومه من بنى إسرائيل ، ويعملوا بما فيها ، ( وجعلنا ابن مريم وأمه ) يقول : وجعلنا ابن مريم وأمه حجة لنا على من كان بينهم ، وعلى قدرتنا على إنشاء الأجسام من غير أصل ، كما أنشأنا خلق عيسى من غير أب .

كما حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله : ( وجعلنا ابن مريم وأمه ) قال : ولدته من غير أب هو له ، ولذلك وُحِدَت الآية ، وقد ذكر مريم وابنها .

وقوله ( وآويناها إلى ربوة ) يقول : وضممناها وصيرناها إلى ربوة ، يقال : أوى فلان إلى موضع كذا ، فهو يأوى إليه ؛ وإذا صار إليه ؛ وعلى مثال « أفعلته » فهو يؤويه . وقوله ( إلى ربوة ) يعنى : إلى مكان مرتفع من الأرض على ماحوله ، ولذلك قيل للرجل يكون في رفعة من قومه ، وعزّ وشرف وعدد :

هو في ربوة من قومه ، وفيها لغتان : ضمّ الراء وكسرها ، إذا أريد بها الاسم ، وإذا أريد بها الفعلة من المصدر ، قيل رَبًّا رَبْوَةً .  
واختلف أهل التأويل في المكان الذي وصفه الله بهذه الصفة ، وآوى إليه مريم وابنها ، فقال بعضهم : هو الرملة من فلسطين .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن المنثي ، قال : ثنا صفوان بن عيسى ، قال : ثنا بشر بن رافع ، قال : ثنا ابن عمّ لأبي هريرة ، يقال له أبو عبد الله ، قال : قال لنا أبو هريرة : الزموا هذه الرملة من فلسطين ، فإنها الربوة التي قال الله ( وَأَوْيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ) .  
حدثني عصام بن رواد بن الجراح ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عباد أبو عتبة الخوَّاص ، قال : ثنا يحيى ابن أبي عمرو السيباني ، عن ابن وعلّة ، عن كريب ، قال : ما أدري ما حدثنا مرّة النَّهْزِيّ ، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر أن الربوة : هي الرملة .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن بشر بن رافع ، عن أبي عبد الله بن عمّ أبي هريرة ، قال : سمعت أبا هريرة يقول في قول الله ( إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ) قال : هي الرملة من فلسطين .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا صفوان ، قال : ثنا بشر بن رافع ، قال : ثنا أبو عبد الله بن عمّ ،  
أبي هريرة ، قال : قال لنا أبو هريرة : الزموا هذه الرملة التي بفلسطين ، فإنها الربوة التي قال الله :  
( وَأَوْيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ )  
وقال آخرون : هي دمشق .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن الوليد القرشي ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب أنه قال في هذه الآية ( وَأَوْيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ) قال : زعموا أنها دمشق .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : بلغني ، عن ابن المسيب أنه قال دمشق .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ،  
المسيب ، مثله .  
حدثني يحيى بن عثمان بن صالح السهمي ، قال : ثنا ابن بكير ، قال : ثنا الليث بن سعد ، قال : ثنا عبد الله بن لهيعة ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، في قوله ( وَأَوْيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ) قال : إلى ربوة من رُبا مصر قال : وليس الرُّبَا إلا في مصر ، والماء حين يُرْسَلُ تكون الرُّبَا عليها القرى ، لولا الرُّبَا لعرفت تلك القرى .  
وقال آخرون : هي بيت المقدس .



## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : هو بيت المقدس .  
قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة قال : كان كعب يقول : بيت المقدس أقرب إلى  
السماء بمائة عَشْرَ ميلا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن كعب ، مثله .  
❖ وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك : أنها مكان مرتفع ذو استواء وماء ظاهر ، وليس كذلك صفة  
الرملة ، لأن الرملة لاماء بها مَعِين ، والله تعالى ذكره وصف هذه الربوة بأنها ذات قرار ومَعِين .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال جماعة من أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَأَوْيْنَاهُمُ إِلَى رَبْوَةٍ ) قال : الربوة : المستوية .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( إِلَى رَبْوَةٍ ) قال : مستوية .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقوله ( ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ) يقول تعالى ذكره : من صفة الربوة التى آوينا إليها مريم وابنها عيسى ،  
أنها أرض منبسطة ، وساحة ، وذات ماء ظاهر لغير الباطن ، جار .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس  
( وَمَعِينٍ ) قال : المَعِين : الماء الجارى ، وهو النهر الذى قال الله ( قَدْ جَعَلْنَا لَكَ رَبًّا ) .  
حدثني محمد بن عمار الأسدي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ،  
عن مجاهد ، فى قوله ( ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ) قال : المَعِين : الماء .  
حدثني محمد بن عمار الأسدي ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا  
الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مَعِين ، قال : ماء .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصَّلْت ، قال : ثنا شريك ، عن سالم ، عن سعيد ،  
فى قوله ( ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ) قال : المكان المستوى ، والمَعِين : الماء الظاهر .  
حدثت عن الحسين بن الفرج ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال سمعت الضحاک  
يقول فى قوله ( وَمَعِينٍ ) : هو الماء الظاهر .

وقال آخرون : عنى بالقرار : الثمار .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ) هي ذات ثمار ، وهي بيت المقدس .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

❦ قال أبو جعفر : وهذا القول الذي قاله قتادة في معنى ( ذَاتِ قَرَارٍ ) وإن لم يكن أراد بقوله : إنها إنما وصفت بأنها ذات قرار ، لما فيها من الثمار ، ومن أجل ذلك ، يستقرّ فيها ساكنوها ، فلا وجه له نعرفه . وأما ( مَعِينٍ ) فإنه مفعول من عِينته فأنا أعينه ، وهو معين ؛ وقد يجوز أن يكون فعلا من مَعَنَ بمعن ، فهو معين من الماعون ؛ ومنه قول عبيد بن الأبرص :

وَأَهِيَّةٌ أَوْ مَعِينٌ مُمَعِنٌ أَوْ هَضْبَةٌ دُونَهَا لُحُوبٌ

القول في تأويل قوله تعالى :

يَأْتِيهَا الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝

❦ يقول تعالى ذكره : وقلنا لعيسى : يا أيها الرسل كلوا من الحلال الذي طيبه الله لكم ، دون الحرام ، ( وَأَعْمَلُوا صَالِحًا ) تقول في الكلام للرجل الواحد : أيها القوم كفوا عنا أذاكم ، وكما قال الذين قال لهم الناس : « ، وهو رجل واحد .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني ابن عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عبيد بن إسحاق الضبيّ العطار ، عن حفص بن عمر الفزاري ، عن أبي إسحاق السبيعي ، عن عمرو بن شرحبيل ( يا أيها الرُّسُلُ كُلُّوْا مِنَ الطَّيِّبَاتِ ، وَأَعْمَلُوا صَالِحًا ) قال : كان عيسى بن مريم يأكل من غزل أمه .

وقوله ( إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ) يقول : إني بأعمالكم ذوعلم ، لا يخفى علىّ منها شيء ، وأنا مجازيكم بجميعها ، وموفّيكم أجوركم وثوابكم عليها ، فخذوا في صالحات الأعمال واجتهدوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ۝

(١) البيت لعبيد بن الأبرص من تصديده البائية المطولة ( اللسان : ممن ) واستشهد به المؤلف ، عند قوله تعالى : وآتيناهم إله ربوة ذات قرار ومعين . وقال في اللسان : قال الفراء : ذات قرار : أرض منبسطة . ومعين : الماء الظاهر الجاري . قال ذلك أن يجعل المعين مفعولا من العيون ، ( واختاره المؤلف ) ، وذلك أن يجعله فعلا من الماعون ، يكون أصله المعن . والمعن والمعن : الماء السائل ، وقيل الجاري على وجه الأرض ، وقيل العذب الغزير ؛ وكل ذلك من السهولة ، والمعن : الماء الظاهر . والهوب : جمع لب ( بكسر اللام ) : الفرجة والهواء بين الجباين . وفي المحكم : مهارة ما بين كل جباين . وقيل : هو الصدع في الجبل ، عن الحياض . وقيل : هو الشعب الصغير في الجبل . وقيل : هو وجه من الجبل كالحائط ، لا يستطيع ارتقاؤه . اهـ

اختلفت القراء في قراءة قوله ( وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ) ، فقرأ ذلك عامة قراء أهل المدينة والبصرة ( وأن ) بالفتح ، بمعنى : إني بما تعملون عليم ، وأن هذه أمتكم أمة واحدة ، فعلى هذا التأويل « أن » في موضع خفض ، عطف بها على « ما » من قوله ( بِمَا تَعْمَلُونَ ) ، وقد يحتمل أن تكون في موضع نصب إذا قرئ ذلك كذلك . ويكون معنى الكلام حينئذ : واعلموا أن هذه ، ويكون نصبها بفعل مضمرة . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين بالكسر ( وَإِنَّ ) هذه على الاستئناف ، والكسر في ذلك عندي على الابتداء : هو الصواب ، لأن الخبر من الله عن قبيله لعيسى ( يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ ) مبتدأ ، فقوله ( وَإِنَّ هَذِهِ ) مردود عليه عطفًا به عليه ، فكان معنى الكلام : وقلنا لعيسى : يا أيها الرسل كلوا من الطيبات ، وقلنا : وإن هذه أمتكم أمة واحدة . وقيل : إن الأمة الذي في هذا الموضع : الدين والملة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ) قال : الملة والدين .  
وقوله ( وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ) يقول : وأنا مولاكم فاتقون ، بطاعتي تأمنوا عقابي ، ونصبت أمة واحدة على الحال . وذكر عن بعضهم أنه قرأ ذلك رفعًا . وكان بعض نحويي البصرة يقول : رفع ذلك إذا رفع على الخبر ، ويجعل أمتكم نصبًا على البدل من هذه . وأما نحويو الكوفة فيأبئون ذلك إلا في ضرورة شعر ، وقالوا : لا يقال : مررت بهذا غلامكم ، لأن هذا لا يتبعه إلا الألف واللام والأجناس ، لأن هذا إشارة إلى عدد ، فالحاجة في ذلك إلى تبيين المراد من المشار إليه أي الأجناس هو ؟ وقالوا : وإذا قيل : هذه أمتكم أمة واحدة ، والأمة غائبة ، وهذه حاضرة ، قالوا : فغير جائز أن يبين عن الحاضر بالغائب ، قالوا : فلذلك لم يجز : إن هذا زيد قائم ، من أجل أن هذا محتاج إلى الجنس لا إلى المعرفة .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٥٧﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله ( زُبُرًا ) فقراءته عامة قراء المدينة والعراق ( زُبُرًا ) بمعنى جمع الزبور . فتأويل الكلام على قراءة هؤلاء : فتفرق القوم الذين أمرهم الله من أمة الرسول عيسى بالاجتماع على الدين الواحد ، والملة الواحدة ، دينهم الذي أمرهم الله بلزومه ( زُبُرًا ) كُتُبًا ، فدان كل فريق منهم بكتاب غير الكتاب الذي دان به الفريق الآخر ، كاليهود الذين زعموا أنهم دانوا بحكم التوراة ، وكذبوا بحكم الإنجيل والقرآن ، وكالنصارى الذين دانوا بالإنجيل بزعمهم ، وكذبوا بحكم الفرقان .

ذكر من تأول ذلك كذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( زُبُرًا ) قال : كُتُبًا .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( بَيْنَهُمْ زُبُرًا ) قال : كُتِبَ اللَّهُ فَرَقَوهَا قطعاً ؛ حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ) قال مجاهد : كُتِبَ فَرَقَوهَا قطعاً .  
وقال آخرون من أهل هذه القراءة : إنما معنى الكلام : فتفرقوا دينهم بينهم كُتِبَ أحدثوها ، يحتجون فيها لمذاهبهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ) قال : هذا ما اختلفوا فيه من الأديان والكتب ، كل معجبون برأيهم ، ليس أهل هواء إلا وهم معجبون برأيهم وهواهم ، وصاحبهم الذي اخترق ذلك لهم . وقرأ ذلك عامة قرآء الشام ( فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا ) بضم الزاي ، وفتح الباء ، بمعنى : فتفرقوا أمرهم بينهم قطعاً كزُبُر الحديد ، وذلك القطع منها ، واحدها زُبُرَة ، من قول الله ( آتُونِي زُبُرَ الْحَدِيدِ ) فصار بعضهم يهودا ، وبعضهم نصارى .  
والقراءة التي نختار في ذلك : قراءة من قرأه بضم الزاي والباء ، لإجماع أهل التأويل في تأويل ذلك ، على أنه مراد به الكتب ، فذلك يبين عن صحة ما اخترنا في ذلك ، لأن الزُبُر هي الكتب ، يقال منه : زَبَرْتُ الكتاب : إذا كتبه .

فتأويل الكلام : فتفرق الدين أمرهم الله بلزوم دينه من الأمم ، دينهم بينهم كتباً ، كما بيننا قبل .  
وقوله ( كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ) يقول : كل فريق من تلك الأمم بما اختاروه لأنفسهم من الدين والكتب فرحون ، معجبون به ، لا يرون أن الحق سواه .  
كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ) قطعة ، وهؤلاء هم أهل الكتاب .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( كُلُّ حِزْبٍ ) قطعة أهل الكتاب .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَذَرَهُمْ فِي غُتْرِهِمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٠٠﴾ أَيَحْسَبُونَ أَنَّنَا نُمِدُّهُمْ بِهِمْ مِّن قَالٍ وَبَيْنٍ ﴿١٠١﴾ نَسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٢﴾

قال أبو جعفر : يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم ، فدع يا محمد هؤلاء الذين تقطعوا أمرهم بينهم زبرا ، في غمرتهم : في ضلالتهم وغيهم . حتى حين : يعني إلى أجل سيأتهم عند مجيئه عذابي . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فذَرَهُمْ ) في غَمَرَتِهِمْ حتى حين ) قال : في ضلالتهم .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فذَرَهُمْ ) في غَمَرَتِهِمْ حتى حين ) قال : الغمرة : الغمير .

وقوله ( أَيْحَسِبُونَ أَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ) يقول تعالى ذكره : أَيْحَسِبُ هَؤُلاءِ الأحزاب الذين فرقوا دينهم زُبْرًا ، أن الذي نعطيهم في عاجل الدنيا من مال وبنين ( نُسَارِعُ لَهُمْ ) يقول : سابق لهم في خيرات الآخرة ، ونبادرهم فيها ؟ و« ما » من قوله ( أَلَنَّمَا نُنَادُهُمْ بِهِ ) نصب ، لأنها بمعنى الذي ( بَلْ لَا يَشْعُرُونَ ) يقول تعالى ذكره تكذبا لهم : ما ذلك كذلك ، بل لا يعلمون أن إمدادي إياهم بما أمدتهم به من ذلك ، إنما هو إمداء واستدراج لهم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَلَنَّمَا نُنَادُهُمْ ) قال : نعطيهم ، نُسَارِعُ لَهُمْ ، قال : نزيدهم في الخير ، نُمَلِّي لَهُمْ ، قال : هذا لقريش .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني محمد بن عمر بن علي ، قال : ثنى أشعث بن عبد الله ، قال : ثنا شعبة ، عن خالد الحذاء ، قال : قلت لعبد الرحمن بن أبي بكرة ، قول الله ( نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ ) قال : يسارع لهم في الخيرات ، وكان عبد الرحمن بن أبي بكرة وجه بقراءته ذلك كذلك ، إلى أن تأويله : يسارع لهم إمدادنا إياهم بالمال والبنين في الخيرات .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

يعني تعالى ذكره ( إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ) إن الذين هم من خشيتهم وخوفهم من عذاب الله مشفقون ، فهم من خشيتهم من ذلك دائبون في طاعته ، جادون في طلب مرضاته .

( وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ) يقول : والذين هم بآيات كتابه وحججه مصدقون ، والذين هُمْ بِرَبِّهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ) يقول : والذين يُخلصون لربهم عبادتهم ، فلا يجعلون له فيها لغيره شركا لوثن ، ولا لضم ، ولا يُراءون بها أحدا من خلقه ، ولكنهم يجعلون أعمالهم لوجهه خالصا ، وإياه يقصدون بالطاعة والعبادة ، دون كل شيء سواه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءًا تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿١١﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿١٢﴾

❦ يعني تعالى ذكره بقوله ( وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءًا تَوْأَمًا ) والذين يعطون أهل سُهْمَانِ الصَّدَقَةَ مَا فَرَضَ اللَّهُ لَهُمْ فِي أَمْوَالِهِمْ ( مَا آتَوْا ) يعني : ما أعطوهم إياه من صدقة ، ويؤدون حقوق الله عليهم في أموالهم إلى أهلها . ( وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ) يقول : خائفة من أنهم إلى ربهم راجعون ، فلا ينجيهم ما فعلوا من ذلك من عذاب الله ، فهم خائفون من المرجع إلى الله لذلك ، كما قال الحسن : إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي عمير ، عن رجل ، عن ابن عمر ( يُؤْتُونَ مَاءًا تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ) قال : الزكاة .

حدثني محمد بن عمارة ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ( وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ) قال : المؤمن ينفق ماله وقلبه وجيل :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن أبي الأشهب ، عن الحسن ، قال ( يُؤْتُونَ مَاءًا تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ) قال : يعملون ما عملوا من أعمال البر ، وهم يخافون ألا ينجيهم ذلك من عذاب ربهم .

حدثنا القاسم ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( يُؤْتُونَ مَاءًا تَوْأَمًا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ) قال : المؤمن ينفق ماله ويتصدق وقلبه وجيل أنه إلى ربه راجع .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علكبة ، عن يونس ، عن الحسن أنه كان يقول : إن المؤمن جمع إحسانا وشفقة ، وإن المنافق جمع إساءة وأمنا ، ثم تلا الحسن ( إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ) إلى ( وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ) أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ) وقال المنافق : إنما أوتيته على علم عندي .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين بن واقد ، عن يزيد ، عن عكرمة ( يُؤْتُونَ مَاءًا تَوْأَمًا ) قال : يُحْطُونَ مَا أُعْطُوا ( وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ ) يقول : خائفة .

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : ثنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا إسرائيل ، قال : أخبرنا سالم الأفظس ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله ( وَالَّذِينَ يُوْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) قال : يفعلون ما يفعلون وهم يعلمون أنهم صائرون إلى الموت ، وهى من المبشرات .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( يُوْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) قال : يُعْطُونَ مَا أُعْطُوا ، ويعملون ما عملوا من خير ، وقلوبهم وجلة خائفة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا على ، قال : ثنا معاوية ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) يقول : يعملون خائفين .

قال : حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ يُوْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) قال : يعطون ما أعطوا فرقا من الله ، ووجلا من الله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ( يُوْتُونَ مَا آتَوْا ) ينفقون ما أنفقوا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( يُوْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) قال : يعطون ما أعطوا ، وينفقون ما أنفقوا ، ويتصدقون بما تصدقوا وقلوبهم وجلة ، اتقاء لسخط الله والنار . وعلى هذه القراءة ، أعنى على ( وَالَّذِينَ يُوْتُونَ مَا آتَوْا ) قراءة الأمصار ، وبه رسوم مصاحفهم وبه نقرا ، لإجماع الحجة من القراء عليه ، ووفاقه خط مصاحف المسلمين .

وروى عن عائشة رضى الله عنها فى ذلك ، ما حدثناه أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا على ابن ثابت ، عن طلحة بن عمر ، عن أبى خلف ، قال : دخلت مع عبيد بن عمير على عائشة ، فسألها عبيد ، كيف نقرا هذا الحرف ( وَالَّذِينَ يُوْتُونَ مَا آتَوْا ) فقالت : ( يَأْتُونَ مَا آتَوْا ) ، وكأنها تأولت فى ذلك والذين يفعلون ما يفعلون من الخيرات وهم وجلون من الله .

وكانها تأولت فى ذلك : والذين يفعلون ما يفعلون من الخيرات وهم وجلون من الله ، كالذى حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمر بن قيس ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب الهمداني ، عن أبى حازم . عن أبى هريرة ، قال : قالت عائشة : « يا رسول الله ( وَالَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) هو الذى يذنب الذنب وهو وجل منه ؟ فقال : لا ، وَلَكِنْ مَنْ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ وَهُوَ وَجِيلٌ » .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن مالك بن مِغُول ، عن عبد الرحمن بن سعيد بن وهب ، أن عائشة قالت : قلت : « يا رسول الله ( الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) أهم الذين يُذنبون وهم مشفقون ١ وَيَصُومُونَ وَهُمْ مُشْفِقُونَ » ؟

(١) لعل فيه سقطا ، والأصل : قال لا ولكن الذين يصلون وهم مشفقون ، ويصومون الخ ، كما يتضح من حديث عائشة الآتى بعد .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : ثنا ليث ، عن مغيث ، عن رجل من أهل مكة ، عن عائشة ، قالت : قلت : يا رسول الله ( الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) قال : فذكر مثل هذا :

حدثنا سفيان بن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن مالك بن مغول ، عن عبد الرحمن بن سعيد ، عن عائشة أنها قالت : « يا رسول الله ( الَّذِينَ يَأْتُونَ مَا آتَوْا وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) أهو الرجل يزني ويسرق ويشرب الخمر؟ قال : لا يا بنة أبي بكر ، أو يا بنة الصديق ، وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيُصَلِّي وَيَتَصَدَّقُ ، وَيَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ » .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا جرير ، عن ليث بن أبي سليم ، وهشيم عن العوام بن حوشب جميعا ، عن عائشة ، أنها قالت : سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : « يا بنة أبي بكر ، أو يا بنة الصديق ، هم الذين يُصَلُّونَ وَيَتَصَدَّقُونَ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُمْ » . وأن من قوله ( أُنْتَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ) : في موضع نصب ، لأن معنى الكلام ( وَقَلُّوا بِهِمْ وَجِلَّةٌ ) من أنهم ، فلما حذف « مِنْ » اتصل الكلام قبلها ، فنصبت . وكان بعضهم يقول : هو في موضع خفض ، وإن لم يكن الحافظ ظاهرا .

وقوله ( أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ) يقول تعالى ذكره : هؤلاء الذين هذه الصفات صفاتهم ، يبادرون في الأعمال الصالحة ، ويطلبون الزلفة عند الله بطاعته . كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ ) قال : والخيرات : المخافة والوجل والإيمان ، والكف عن الشرك بالله ، فذلك المسابقة إلى هذه الخيرات ، وقوله ( وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ) كان بعضهم يقول : معناه : سبقت لهم من الله السعادة ، فذلك سبقهم الخيرات التي يعملونها .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ) يقول : سبقت لهم السعادة . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ) ، فذلك الخيرات .

وكان بعضهم يتأول ذلك بمعنى : وهم إليها سابقون . وتأوله آخرون : وهم من أجلها سابقون . وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب : القول الذي قاله ابن عباس ، من أنه سبقت لهم من الله السعادة ، قبل مسارعهم في الخيرات ، ولما سبق لهم من ذلك مسارعوا فيها . وإنما قلت ذلك أولى التأويلين بالكلام ، لأن ذلك أظهر معنيته ، وأنه لا حاجة بنا إذا وجهنا تأويل الكلام إلى ذلك ، إلى تحويل معنى اللام التي في قوله ( وَهُمْ لَهَا ) إلى غير معناها الأغلب عليها .



القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ولا نكلف نفسا إلا ما يسعها ، ويصلح لها من العبادة ، ولذلك كلفناها ما كلفناها من معرفة وحدانية الله ، وشرعنا لها ما شرعنا من الشرائع ( وَلَدَيْنَا كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ ) يقول : وعندنا كتاب أعمال الخلق ، بما عملوا من خير وشر ( يَنْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ) يقول : يبين بالصدق عما عملوا من عمل في الدنيا ، لازيادة عليه ولا نقصان ، ونحن موفو جميعهم أجورهم ، المحسن منهم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ( وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ) يقول : وهم لا يظلمون ، بأن يزداد على سيئات المسيء منهم ما لم يعمله ، فيعاقب على غير جرّمه ، وينقص المحسن عما عمل من إحسانه ، فينقص عما له من الثواب .

القول في تأويل قوله تعالى :

بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿١٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ما الأمر كما يحسب هؤلاء المشركون ، من أن إمدادناهم بما نمدّهم به من مال وبنين ، بخير نسوقه بذلك إليهم ، والرضا منا عنهم ، ولكن قلوبهم في غمرة عمى عن هذا القرآن . وعنى بالغمرة : ما غمر قلوبهم ، فغطاها عن فهم ما أودع الله كتابه من المواعظ والعبر والحجج . وعنى بقوله ( مِّنْ هَذَا ) من القرآن . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا ) قال : في عمى من هذا القرآن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا ) قال : من القرآن .

وقوله ( وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ) يقول تعالى ذكره : ول هؤلاء الكفار أعمال لا يرضها الله من المعاصي . من دون ذلك : يقول : من دون أعمال أهل الإيمان بالله ، وأهل التقوى والخشية له .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ( وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ) قال : الخطايا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَكَلِمَاتٍ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ ) قال : الحق . حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( وَكَلِمَاتٍ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ ) قال : خطايا من دون ذلك الحق .

قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، في قوله ( وَكَلِمَاتٍ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ ) . . . الآية ، قال : أعمال دُونِ الحق .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : ذكر الله الذين هم من خشية ربهم مشفقون ، والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجله ، ثم قال للكفار ( بَلْ قَلُّوا بِهِمْ فِي غَمْرَةٍ مِّنْ هَذَا ، وَكَلِمَاتٍ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ كَلِمَاتٍ عَامِلُونَ ) قال : من دون الأعمال التي منها قوله ( مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ) والذين ، والذين .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن مجاهد ، قال : أعمال لا بد لهم من أن يعملوها .

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا زيد بن أبي الزرقاء ، عن حماد بن سلمة ، عن حميد ، قال : سألت الحسن عن قول الله ( وَكَلِمَاتٍ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ كَلِمَاتٍ عَامِلُونَ ) قال : أعمال لم يعملوها سيعملونها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَكَلِمَاتٍ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ كَلِمَاتٍ عَامِلُونَ ) قال : لم يكن له بد من أن يستوفي بقية عمله ، ويصلي به .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن مجاهد ، في قوله ( وَكَلِمَاتٍ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ ، هُمْ كَلِمَاتٍ عَامِلُونَ ) قال : أعمال لا بد لهم من أن يعملوها .

حدثنا عمرو ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن العلاء بن عبد الكريم ، عن مجاهد ، في قول الله تبارك وتعالى ( وَكَلِمَاتٍ أَعْمَالٌ مِّنْ دُونِ ذَلِكَ ) قال : أعمال لا بد لهم من أن يعملوها .

القول في تأويل قوله تعالى :

حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذْ هُمْ يُجْعَرُونَ ﴿٦٠﴾ لَا تَجْعَرُوهَا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنَّا لَلنَّصْرُونَ ﴿٦١﴾

﴿٦٠﴾ يقول تعالى ذكره : ولؤلؤ الكفار من قريش أعمال من دون ذلك هم لها عاملون ، إلى أن يؤخذ أهل النعمة والبطر منهم بالعذاب .

كما حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ )

قال: المُتَرَفُونَ: العظماء (إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ) يقول: فإذا أخذناهم به جأروا، يقول: ضجوا واستغاثوا مما حلّ بهم من عذابنا، ولعلّ الجوار: رفع الصوت، كما يجأر الثور؛ ومنه قول الأعشى:  
 يَرَاوِحُ مِنْ صَلَوَاتِ الْمَلِيكِ طَوْرًا مُسْجُودًا وَطَوْرًا جُوَارًا  
 وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ، قال: ثنا عبد الله، قال: ثنا معاوية، عن عليّ، عن ابن عباس (إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ) يقول: يستغيثون .

حدثنا ابن بشار، قال: ثنا يحيى وعبد الرحمن، قالوا: ثنا سفيان، عن علقمة بن قردد، عن مجاهد، فى قوله (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ) قال: بالسيوف يوم بدر .

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس، فى قوله (إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ) قال: يجزعون .

قال: ثنا حجاج، عن ابن جرير (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) قال: عذاب يوم بدر (إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ) قال: الذين بمكة .

حدثت عن الحسين، قال: سمعت أبا معاذ يقول: أخبرنا عبيد، قال: سمعت الضحاك يقول فى قوله (حتى إذا أخذنا مترفيهم بالعذاب) يعنى أهل بدر، أخذهم الله بالعذاب يوم بدر .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: سمعت ابن زيد يقول فى قوله (إِذَا هُمْ يَجْتَرُونَ) قال: يجزعون .

وقوله (لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ) يقول: لا تضجوا وتستغيثوا اليوم وقد نزل بكم العذاب الذى لا يدفع عن الذين ظلموا أنفسهم، فإن ضجيجكم غير نافعكم، ولا دافع عنكم شيئاً مما قد نزل بكم من سخط الله، (إِنَّكُمْ مِنْكُمْ مِمَّنْ لَا تَنْصَرُونَ) يقول: إنكم من عذابنا الذى قد حلّ بكم لا تستنقذون، ولا يخلصكم منه شيء .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن أبي جعفر، عن الربيع بن أنس (لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ): لا تجزعوا اليوم .

(١) البيت للأعشى (ديوانه طبع القاهرة بشرح الدكتور محمد حسين ص ٥٣) وهو من قصيدة يمدح بها الأعشى قيس بن معديكرب . ويرواح بين العملين: يتداول هذا مرة، وهذا مرة . والجوار: مصدر جأر إلى الله إذا تضرع ورفع صوته . يقول إن ممدوحه مع ما وصف به من كرم وقوة ووفاء، تقى يراقب ربه، ويتضرع إليه ويجأر فى صلواته . واستشهد به المؤلف على أن الجوار: رفع الصوت كما يجأر الثور .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا الربيع بن أنس ( لا تَجْزَأُوا الْيَوْمَ ) لا تجزعوا الآن حين نزل بكم العذاب ، إنه لا ينفعكم ، فلو كان هذا الجزع قبل نفعكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰٰ أَعْقَابِكُمْ تَنْكِيصُونَ ﴿١٧﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِدِينِ سَمِيرٍ أَتَّجِرُونَ ﴿١٨﴾

\* يقول تعالى ذكره لهؤلاء المشركين من قريش : لا تضجوا اليوم وقد نزل بكم سخط الله وعذابه ، بما كسبت أيديكم ، واستوجبتموه بكفركم بآيات ربكم ( قد كانت آياتي تُتلى عليكُم ) يعني : آيات كتاب الله ، يقول : كانت آيات كتابي تقرأ عليكم ، فنكذبون بها ، وترجعون مولين عنها إذا سمعتموها ، كراهية منكم لسماعها . وكذلك يقال لكل من رجع من حيث جاء : نكص فلان على عقبه .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فكنتم على أعقابكم تنكصون ) قال : تستأخرون .  
حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فكنتم على أعقابكم تنكصون ) يقول : تدبرون .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( قد كانت آياتي تُتلى عليكُم ، فكنتم على أعقابكم تنكصون ) يعني أهل مكة .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( تنكصون ) قال : تستأخرون .  
وقوله ( مستكبرين به ) يقول : مستكبرين بحرم الله ، يقولون : لا يظهر علينا فيه أحد ، لأننا أهل الحرم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، في قوله ( مستكبرين به ) يقول : مستكبرين بحرم البيت أنه لا يظهر علينا فيه أحد .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( مستكبرين به ) قال : بمكة بالبلد .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحوه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هُوَذَةُ ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) قال : مستكبرين بحرمى .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن حصين ، عن سعيد بن جبير ، فى قوله : ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) بالحرم .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) قال : مستكبرين بالحرم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، مثله .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول فى قوله ( مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ ) قال : بالحرم .

وقوله ( ساميراً ) يقول : تَسْمُرُونَ بالليل ، ووحد قوله ( ساميراً ) وهو بمعنى السَّمَار ، لأنه وضع موضع الوقت . ومعنى الكلام : وتهجرون ليلاً ، فوضع السامر موضع الليل ، فوحد لذلك . وقد كان بعض البصريين يقول : وَحَدَّ ومعناه الجمع ، كما قيل : طفل فى موضع أطفال . ومما بين عن صحة ما قلنا فى أنه وضع موضع الوقت ، فوحد لذلك ، قول الشاعر :

مِنْ دُونِهِمْ إِنْ جِئْتَهُمْ سَمْرًا عَزَفُ الْقِيَانِ وَمَجْلِسٌ غَمْرًا

فقال : سمرا لأن معناه : إن جئتهم ليلاً وهم يسمرون ، وكذلك قوله ( ساميراً ) .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( ساميراً ) يقول : يَسْمُرُونَ حول البيت .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ( ساميراً ) قال : مجلساً بالليل .

حدثنى القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( ساميراً ) قال : مجالس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن سعيد بن جبير ( ساميراً ) قال : تَسْمُرُونَ بالليل .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( ساميراً ) قال : كانوا

(١) البيت لابن أحر الباهلى : ( اللسان : سمر ) قال : قال ابن أحر ، وجعل السمر ليلاً : « من دونهم . . . البيت »  
أراد : إن جئتهم ليلاً ، وبهذا المعنى أورده المؤلف . والشطر الثانى من البيت فى رواية اللسان مختلف عنه فى رواية المؤلف ، فى اللسان « حتى حلال للمم عكر » . والحى الحلال : يريد الجماعة النازلين على الماء أو نحوه . ولملم : كثير مجتمع . وكذلك العكر . والمجلس الغمر : الجماعة الكثيرة ، يجتمعون للحديث والسمر .

يسمرون ليلتهم ويلعبون : يتكلمون بالشعر والكهانة وبما لا يدرون .  
 حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله  
 ( ساميراً ) قال : يعني سمّر الليل .

وقال بعضهم في ذلك ما حدثنا به ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( ساميراً )  
 يقول : سامرا من أهل الحرم ، آمننا لا يخاف ، كانوا يقولون : نحن أهل الحرم ، لا يخافون .  
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ( ساميراً ) يقول : سامرا من أهل  
 مكة آمننا لا يخاف ، قال : كانوا يقولون : نحن أهل الحرم لا يخاف .

وقوله ( تَهْجُرُونَ ) اختلفت القراء في قراءته ، فقراءته عامة قراء الأمصار ( تَهْجُرُونَ ) بفتح التاء  
 وضم الجيم . ولقراءة من قرأ ذلك كذلك وجهان من المعنى : أحدهما أن يكون عنى أنه وصفهم بالإعراض عن  
 القرآن أو البيت ، أو رسول الله صلى الله عليه وسلم ورفضه . والآخر : أن يكون عنى أنهم يقولون شيئاً من  
 القول كما يهجر الرجل في منامه ، وذلك إذا هذى ، فكأنه وصفهم بأنهم يقولون في القرآن ، ما لا معنى له من  
 القول ، وذلك أن يقولوا فيه باطلاً من القول الذي لا يضره ، وقد جاء بكلا القولين التأويل من أهل التأويل .

ذكر من قال : كانوا يُعْرِضُونَ عن ذكر الله والحقّ ويهجرُونه

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال ثني عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ،  
 قوله ( تَهْجُرُونَ ) قال : يهجرُونَ ذكر الله والحقّ .  
 حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، عن السدي ، عن أبي صالح ، في قوله  
 ( ساميراً تَهْجُرُونَ ) قال : السب .

ذكر من قال : كانوا يقولون الباطل والسيئ من القول في القرآن

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى ، قال : ثنا سفيان ، عن حصين ، عن سعيد بن جبیر ( تَهْجُرُونَ )  
 قال : يهجرُونَ في الباطل .  
 قال : ثنا يحيى ، عن سفيان ، عن حصين ، عن سعيد بن جبیر ( ساميراً تَهْجُرُونَ ) قال : يسمرون  
 بالليل يخوضون في الباطل .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
 قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( تَهْجُرُونَ ) قال : بالقول السيئ في القرآن .  
 حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( تَهْجُرُونَ ) قال : الهذيان  
 الذي يتكلم بما لا يريد ولا يعقل ، كالمرضى الذي يتكلم بما لا يدري ، قال : كان أبي يفرؤها ( ساميراً تَهْجُرُونَ ) .  
 وقرأ ذلك آخرون ( ساميراً تَهْجُرُونَ ) بضم التاء وكسر الجيم ، ومن قرأ ذلك من قراء

الأمصار : نافع بن أبي نعيم ، بمعنى : يُفحشون في المنطق ، ويقولون الحنأ ، من قولهم : أهجر الرجل : إذا أفحش في القول ، وذكر أنهم كانوا يسبّون رسول الله صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( تَهْجِرُونَ ) قال : تقولون هُجْرًا .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، عن أبي تَهْيِكَ ، عن عكرمة ، أنه قرأ ( سامِرًا تَهْجِرُونَ ) : أى تسبون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هُوذَة ، قال : ثنا عون ، عن الحسن ، في قوله ( سامِرًا تَهْجِرُونَ ) رسولى .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، قال : قال الحسن ( تَهْجِرُونَ ) رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ( تَهْجِرُونَ ) يقول : يقولون سوءا .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، قال : قال الحسن ( تَهْجِرُونَ ) كتاب الله ورسوله .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( تَهْجِرُونَ ) يقول : يقولون المنكر والحنأ من القول ، كذلك هَجْرُ القول .  
وأولى القراءتين بالصواب في ذلك عندنا : القراءة التى عليها قراء الأمصار ، وهى فتح التاء ، وضم الجيم ، لإجماع الحجة من القراء .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٨﴾ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿١٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ وَكَثُرُوا لِلْحَقِّ كَرَهُونَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : أفلم يتدبر هؤلاء المشركون تنزيل الله وكلامه ، فيعلموا ما فيه من العبر ، ويعرفوا حجج الله التى احتج بها عليهم فيه ؟ ( أم جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ) ؟ يقول : أم جاءهم أمر ما لم يأت من قبلهم من أسلافهم ، فاستكبروا ذلك وأعرضوا ، فقد جاءت الرسل من قبلهم ، وأنزلت معهم الكتب ، وقد يحتمل أن تكون « أم » فى هذا الموضع بمعنى : بل ، فيكون تأويل الكلام : أفلم يدبّروا القول ؟ بل جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ، فتركوا لذلك التدبر ، وأعرضوا عنه ، إذ لم يكن فيمن سلف من آبائهم ذلك . وقد ذكر عن ابن عباس فى نحو هذا القول .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قوله ( أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ) قال : لعمرى لقد جاءهم ما لم يأت آباءهم الأولين ، ولكن أولم يأتهم ما لم يأت آباءهم الأولين .  
وقوله ( أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ ) يقول تعالى ذكره : أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا هؤلاء المكذَّبون محمدا ، وأنه من أهل الصدق والأمانة ، فهم له منكرون ، يقول : فينكروا قوله ، أو لم يعرفوه بالصدق ، ويحتجوا بأنهم لا يعرفونه ، يقول جل ثناؤه : فكيف يكذبونه وهم يعرفونه فيهم بالصدق والأمانة ! ( أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ ) يقول : أيقولون بمحمد جنون ، فهو يتكلم بما لا معنى له ولا يفهم ، ولا يدري ما يقول ( بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ ) يقول تعالى ذكره : فإن يقولوا ذلك فكذبُهم في قلوبهم ذلك واضح بَيِّن ، وذلك أن المجنون يهذي ، فيأتى من الكلام بما لا معنى له ، ولا يعقل ، ولا يفهم ، والذي جاءهم به محمد هو الحكمة التي لا أحكم منها ، والحق الذي لا تخفى صحته على ذى فطرة صحيحة ، فكيف يجوز أن يقال : هو كلام مجنون . وقوله ( وَأَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ) يقول تعالى ذكره : ما بهؤلاء الكفرة أنهم لم يعرفوا محمدا بالصدق ، ولا أن محمدا عندهم مجنون ، بل قد علموه صادقا محقا فيما يقول ، وفيما يدعوهم إليه ، ولكن أكثرهم للإذعان للحق كارهون ، ولأنباع محمد ساخطون ، حسدا منهم له ، وبغيا عليه ، واستكبارا في الأرض .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ بَلْ أَتَيْنَهُمْ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾

يقول تعالى ذكره : ولو عمل الرب تعالى ذكره بما يهوى هؤلاء المشركون ، وأجرى التدبير على مشيئتهم وإرادتهم ، وترك الحق الذي هم له كارهون ، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن ، وذلك أنهم لا يعرفون عواقب الأمور ، والصحيح من التدبير والفساد ؛ فلو كانت الأمور جارية على مشيئتهم وأهوائهم ، مع إيثار أكثرهم الباطل على الحق ، لم تقر السموات والأرض ومن فيهن من خلق الله ، لأن ذلك قام بالحق .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المنبى ، قال : ثنا عبد الصمد ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا السدى ، عن أبي صالح ( وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ) قال : الله .

قال : ثنا أبو معاوية ، عن إسماعيل بن أبي خالده ، عن أبي صالح ( وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ ) قال : الحق ؛ هو الله .



حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَلَوْ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَ هُمُ ) قال : الحق : الله .  
 وقوله ( بَلْ أَتَيْنَاهُمُ بِذِكْرِهِمْ فَهُمْ عِنْدَ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ) اختلف أهل التأويل في تأويل الذكر في هذا الموضع ، فقال بعضهم : هو بيان الحق لهم بما أنزل على رجل منهم من هذا القرآن .  
 ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( بَلْ أَتَيْنَاهُمُ بِذِكْرِهِمْ ) يقول : بينا لهم .  
 وقال آخرون : بل معنى ذلك : بل أتيناهم بشرفهم ، وذلك أن هذا القرآن كان شرفاً لهم ، لأنه نزل على رجل منهم ، فأعرضوا عنه ، وكفروا به ، وقالوا ذلك نظير قوله ( وَإِنَّهُ لَدِكُّكَ لَكِ وَلِقَوْمِكَ ) وهذان القولان متقاربان بالمعنى . وذلك أن الله جل ثناؤه ، أنزل هذا القرآن بيانا بين فيه ما حلقة إليه الحاجة من أمر دينهم ، وهو مع ذلك ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم وقومه ، وشرف لهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرٌ الرَّازِقِينَ ﴿٧٦﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٧﴾

❖ يقول تعالى ذكره : أم يسأل هؤلاء المشركين يا محمد من قومك خراجاً ، يعني أجراً على ما جئتهم به من عند الله من النصيحة والحق ( فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ ) : فأجر ربك على نفاذك لأمره ، وابتغاء مرضاته خير لك من ذلك ، ولم يسألهم صلى الله عليه وسلم على ما أتاهم به من عند الله أجراً ، قال لهم كما قال الله له ، وأمره بقبيله لهم ( قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ) وإنما معنى الكلام : أم تسألهم على ما جئتهم به أجراً ، فنكصوا على أعقابهم إذا تلوته عليهم ، مستكبرين بالحرم ، فمخراج ربك خير .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ( أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا فَخَرَجَ رَبُّكَ خَيْرٌ ) قال : أجراً .  
 حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن الحسن ، مثله ، وأصل الخراج والخروج : مصدران لا يُجمعان .  
 وقوله ( وَهُوَ خَيْرٌ الرَّازِقِينَ ) يقول : والله خير من أعطى عوضاً على عمل ، ورزق رزقا .

وقوله ( وَإِنَّكَ لَتَتَدْعُوهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) يقول تعالى ذكره : وإنك يا محمد لتدعو هؤلاء المشركين من قومك إلى دين الإسلام ، وهو الطريق القاصد ، والصراط المستقيم ، الذي لا اعوجاج فيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم  
مِّنْ ضُرٍّ لَلْجُؤَافِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٧﴾

يقول تعالى ذكره : والذين لا يصدقون بالبعث بعد الممات ، وقيام الساعة ، ومجازاة الله عباده في الدار الآخرة ( عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ ) يقول : عن مَحَجَّةِ الْحَقِّ ، وقصد السبيل ، وذلك دين الله الذي ارتضاه لعباده ، لعادلون ، يقال منه : قد نكب فلان عن كذا : إذا عدل عنه ، ونكَّب عنه : أى عدل عنه .  
وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، في قوله ( عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ ) قال : لعادلون .  
حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَإِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصِّرَاطِ لَنُكَيِّبُونَ ) يقول : عن الحق عادلون .  
وقوله ( وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّنْ ضُرٍّ ) يقول تعالى : ولو رحمتنا هؤلاء الذين لا يؤمنون بالآخرة ، ورفعنا عنهم ما بهم من القحط والجذب ، وضر الجوع والمزال . ( كَلَّجُوا فِي طُغْيَانِهِمْ ) يعنى في عنوتهم ، وجرأتهم على ربهم . ( يَعْمَهُونَ ) يعنى : يترددون .  
كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( وَلَوْ رَحِمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّنْ ضُرٍّ ) قال : الجوع .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَكَانُوا لِلرَّبِّهِمْ ﴿٧٨﴾ وَمَا يَنْصُرُهُمْ

يقول تعالى ذكره : ولقد أخذنا هؤلاء المشركين بعذابنا ، وأنزلنا بهم بأسنا ، وسخطنا وضيقتنا عليهم معايشهم ، وأجدبنا بلادهم ، وقتلنا مراتهم بالسيف . ( فَمَا اسْتَكَانُوا لِلرَّبِّهِمْ ) يقول : فما خضعوا لربهم ، فبقادرا لأمره ونهيه ، ويُسَبِّحُوا إِلَى طَاعَتِهِ ( وَمَا يَنْصُرُهُمْ ) يقول : وما يندلون له .

وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أخذه الله فربشا بسنى الجذب ، إذ دعا عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

## ذكر الخبر بذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا أبو تميلة ، عن الحسن ، عن يزيد ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : جاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : يا محمد ، أنشدك الله والرحم ، فقد أكلنا العلهيز ، يعنى الوبر والدم ، فأنزل الله : ( وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ ، فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ، وَمَا يَنْتَصِرُونَ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا عبد المؤمن ، عن علباء بن أحر ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، أن ابن أثال الحنفى «لما أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو أسير ، فخلى سبيله ، فلاحق بمكة ، فحال بين أهل مكة وبين الميرة من اليمامة ، حتى أكلت قريش العلهيز ، فجاء أبو سفيان إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أليس تزعم بأنك بعثت رحمة للعالمين ؟ فقال : بلى ، فقال : قد قتلت الآباء بالسيف ، والأبناء بالجوع ، فأنزل الله ( وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ ) ... الآية » .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : أخبرنا عمرو ، قال : قال الحسن : إذا أصاب الناس من قبل الشيطان بلاء ، فإنما هي نعمة ، فلا تستقبلوا نعمة الله بالحمية ، ولكن استقبلوها بالاستغفار ، وتضرعوا إلى الله ، وقرأ هذه الآية ( وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ ، فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ، وَمَا يَنْتَصِرُونَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قوله ( وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ ) قال : الجوع والجدب ( فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ ) فصبروا ( وَمَا يَنْتَصِرُونَ ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

**حَتَّىٰ إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا ذَا عَذَابٍ شَدِيدٍ إِذْ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿١٧﴾**

اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك ، فقال بعضهم : معناه : حتى إذا فتحنا عليهم باب القتال ، فقتلوا يوم بدر .

ذكر من قال ذلك

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله ، عن داود بن أبي هند ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس ، في قوله ( حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذآ عذاب شديدا ) قد مضى ، كان يوم بدر .

حدثنا ابن المنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذآ عذاب شديدا ) قال : يوم بدر .

وقال آخرون : معناه : حتى إذا فتحنا عليهم باب المجاعة والضر ، وهو الباب ذو العذاب الشديد .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( حتى إذا فتحنا عليهم بابا ذأ عذاب شديد ) قال : لكفار قريش الجوع ، وما قبلها من القصة لهم أيضا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : وما قبلها أيضا . وهذا القول الذي قاله مجاهد : أولى بتأويل الآية ، لصحة الخبر الذي ذكرناه قبل عن ابن عباس ، أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، في قصة المجاعة التي أصابت قريشا ، بدعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهم ، وأمر ثمامة بن أثال ، وذلك لاشك أنه كان بعد وقعة بدر . وقوله ( إذا هم فيه مبلسون ) يقول : إذا هؤلاء المشركون فيما فتحنا عليهم من العذاب حزنوا ، نادمون على ما سلف منهم في تكذيبهم بآيات الله ، في حين لا ينفعهم الندم والحزن .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٦٦﴾

يقول تعالى ذكره : والله الذي أحدث لكم أيها المكذبون بالبعث بعد الممات ، السمع الذي تسمعون به ، والأبصار التي تبصرون بها ، والأفئدة التي تفقهون بها ، فكيف يتعذر على من أنشأ ذلك ابتداء عادته بعد عدمه وفقده ، وهو الذي يوجد ذلك كله إذا شاء ، ويفنيه إذا أراد قليلا ما تشكرون ، يقول : تشكرون أيها المكذبون خبر الله من عطائكم السمع والأبصار والأفئدة قليلا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٦٧﴾

يقول تعالى ذكره : والله الذي خلقكم في الأرض ، وإليه تُحشرون من بعد مماتكم ، ثم تُبعثون من قبوركم إلى موقف الحساب .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا نَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾

يقول تعالى ذكره : والله الذي يحيي خلقه : يقول : يجعلهم أحياء بعد أن كانوا نطفا أمواتا ، بنفخ الروح فيها بعد التارات التي تأتي عليها ، ويميت : يقول : ويميتهم بعد أن أحياهم ( وله اختلاف الليل والنهار ) يقول : وهو الذي جعل الليل والنهار مختلفين ، كما يقال في الكلام : لك المن والفضل ، بمعنى : إنك تمن وتفضل . وقوله ( أفلا تعقلون ) يقول : أفلا تعقلون أيها الناس أن الذي فعل هذه الأفعال ابتداء من غير أصل ، لا يمنع عليه إحياء الأموات بعد فنائهم ، وإنشاء ما شاء إعدامه بعد إنشائه .

القول في تأويل قوله تعالى :

بَلْ قَالُوا يَسْئَلُ مَا قَالِ الْأَوْلُونَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَهْ ذَا مِثْنًا وَكَثْرَتِ رَبِّا وَعِظَمَاءُ ثَالِمَبْعُوثُونَ ﴿٧٠﴾

يقول تعالى ذكره : ما اعتبر هؤلاء المشركون بآيات الله ، ولا تدبّروا ما احتجّ عليهم من الحجج والدلالة على قدرته ، على فعل كل ما يشاء ، ولكن قالوا مثل ما قال أسلافهم ، من الأمم المكذّبة رسلها قبلهم ، ( قالوا أئذا امتنا وكُنّا تراباً وَعِظَاماً ) يقول : أئذا متنا ، وعدنا تراباً ، قد بليت أجسامنا ، وبرأت عظامنا من لحومنا ( أئنا لمبعوثون ) يقول : إنا لمبعوثون من قبورنا أحياء ، كهيتتنا قبل الممات ؟ إن هذا لشيء غير كائن .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَءَابَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٦﴾

يقول تعالى ذكره : قالوا : لقد وعدنا هذا الوعد الذى تعدنا يا محمد ، ووعد آباءنا من قبلنا قوم ذكروا أنهم لله رسل من قبلك ، فلم نره حقيقة أن هذا يقول : ما هذا الذى تعدنا من البعث بعد الممات ( إلا أساطير الأولين ) يقول : ماسطره الأولون فى كتبهم ، من الأحاديث والأخبار التى لاصحة لها ولا حقيقة .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ لِيِنَّ الْأَرْضِ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٧﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد هؤلاء المكذّبين بالآخرة من قومك : لمن ملك الأرض ومن فيها من الخلق ، إن كنتم تعلمون من مالكتها ، ثم أعلمه أنهم سيقرون بأنها لله ملكا ، دون سائر الأشياء غيره ( قل أفلا تذكرون ) يقول : فقل لهم إذا أجابوك بذلك كذلك أفلا تذكرون ، فتعلمون أن من قدر على خلق ذلك ابتداء ، فهو قادر على إحيائهم بعد مماتهم ، وإعادة خلقهم سويا بعد فناءهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٩﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٩٠﴾

يقول تعالى ذكره لنبىه محمد صلى الله عليه وسلم : قل لهم يا محمد ، من ربّ السموات السبع ، وربّ العرش المحيط بذلك ؟ سيقولون ذلك كله لله ، وهو ربه ، فقل لهم : أفلا تتقون عقابه على كفركم به ، وتكذيبكم خبره وخبر رسوله ؟

وقد اختلفت القراء فى قراءة قوله ( سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ) فقرأ ذلك عامة قراء الحجاز والعراق والشام : ( سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ) سوى أبى عمرو ، فإنه خالفهم فقرأه ( سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ) فى هذا الموضع ، وفى الآخر الذى بعده ، اتباعا لخط المصحف ، فإن ذلك كذلك فى مصاحف الأمصار ، إلا فى مصحف أهل البصرة ،

فإنه في الموضعين بالألف ، فقرأوا بالألف كلها اتباعا لخط مصحفهم ، فأما الذين قرءوه بالألف فلا مؤنة في قراءتهم ذلك كذلك ، لأنهم أجروا الجواب على الابتداء ، وردّوا مرفوعا على مرفوع . وذلك أن معنى الكلام على قراءتهم : قل من ربّ السموات السبع ، وربّ العرش العظيم ، سيقولون ربّ ذلك الله ، فلا مؤنة في قراءة ذلك كذلك . وأما الذين قرءوا ذلك في هذا والذي يليه بغير ألف ، فإنهم قالوا : معنى قوله قل من ربّ السموات : لمن السموات ، لمن ملك ذلك ؟ فجعل الجواب على المعنى ، فقيل : الله ، لأن المسألة عن ملك ذلك لمن هو ؟ قالوا : وذلك نظير قول قائل لرجل : من مولاك ؟ فيجيب المجيب عن معنى ما سئل ، فيقول : أنا لفلان ، لأنه مفهوم بذلك من الجواب ، ما هو مفهوم بقوله : مولاي فلان . وكان بعضهم يذكر أن بعض بني عامر أنشده :

وَأَعْلَمْتُ أَنِّي سَأَكُونُ رَمْسًا إِذَا سَارَ النَّوَاجِعُ لَابَسِيرٍ  
فَقَالَ السَّائِلُونَ لِمَنْ حَفَرْتُمْ فَقَالَ الْمُخْبِرُونَ لَهُمْ : وَزِيرًا

فأجاب المخفوض بمرفوع ، لأن معنى الكلام : فقال السائلون : من الميت ؟ فقال المخبرون : الميت وزير . فأجابوا عن المعنى دون اللفظ .

والصواب من القراءة في ذلك أنهما قراءتان قد قرأ بهما علماء من القراء ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ القارئ فمصيب ، غير أني مع ذلك أختار قراءة جميع ذلك بغير ألف ، لإجماع خطوط مصاحف الأمصار على ذلك ، سوى خط مصحف أهل البصرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ  
قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٢٢﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد من بيده خزائن كل شيء .  
كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ) قال : خزائن كل شيء .

(١) البيتان ما أنشده الفراء عن بعض بني عامر ، في كتابه معاني القرآن ( الورقة ٢١٦ من مصورة الجامعة رقم ٢٤٠٥٩ ) قال الفراء :  
وقوله « قل لمن الأرض ومن فيها إن كنتم تعلمون ؟ سيقولون لله » هذه مسألة فيها ؛ لأنه قد استفهم بلام ، فرجعت في بحر المستفهم .  
وأما الآخران ، فإن أهل المدينة وعامة أهل الكوفة يقرؤنها كقراءة أبي كذلك : لله ، لله ، لله ، ثلاثين . وأهل البصرة يقرؤون  
الآخرين الله ، الله ، وهو في العربية أبين ، لأنه مردود مرفوع ، ألا ترى أن قوله « قل من رب السموات » مرفوع ، لا يخفض فيه ،  
فجرت جوابه على مبتدأ به ، وكذلك هي في قراءة عبد الله . والعلة في إدخال اللام في الآخرتين في قول أبي وأصحابه : أنك لو قلت لرجل :  
من مولاك ؟ فقال : أنا لفلان ، كفاك من أن يقول : مولاي فلان ، فلما كان المعنيان واحدا ، جرى ذلك في كلامهم ؛ أنشدهني بعض  
بني عامر « وأعلم أنني سأكون رمسا . . . البيتين . مرفوع . أراد : الميت وزير . والنواجع : جمع ناجعة ، وهي الجماعة تترك  
منارها في طلب الكلاب .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن مجاهد ، في قول الله ( قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ ) قال : خزائن كل شيء .  
 وقوله ( وَهُوَ يُجِيرُ ) من أراد ممن قصده بسوء ( وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ ) يقول : ولا أحد يمتنع ممن أراده هو بسوء ، فيدفع عنه عذابه وعقابه ( إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ) من ذلك صفته ، فإنهم يقولون : إن ملكوت كل شيء ، والقدرة على الأشياء كلها لله ، فقل لهم يا محمد ( فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ) يقولون : فن أى وجه تُصْرَفُونَ عن التصديق بآيات الله ، والإقرار بأخباره وأخبار رسوله ، والإيمان بأن الله القادر على كل ما يشاء ، وعلى بعثكم أحياء بعد مماتكم ، مع علمكم بما تقولون من عظيم سلطانه وقدرته .  
 وكان ابن عباس فيما ذكر عنه يقول في معنى قوله ( تُسْحَرُونَ ) ما حدثني به على ، قال : ثنا عبد الله قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ) يقول : تكذبون .  
 وقد بينت فيما مضى السحر : أنه تخييل الشيء إلى الناظر ، أنه على خلاف ما هو به من هيئته ، فذلك معنى قوله ( فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ) إنما معناه : فن أى وجه يُخَيَّلُ إليكم الكذب حقا ، والفاصد صحيحا ، فتصرفون عن الإقرار بالحق ، الذى يدعوكم إليه رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم .  
 القول في تأويل قوله تعالى :

بَلْ أُنثِنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذْ أَذْهَبَ كُلَّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿١١﴾ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٢﴾

يقول : ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون بالله ، من أن الملائكة بنات الله ، وأن الآلهة والأصنام آلهة دون الله ( بَلْ أُنثِنَاهُمْ بِالْحَقِّ ) اليقين ، وهو الدين الذى ابتعث الله به نبيه صلى الله عليه وسلم ، وذلك الإسلام ، ولا يُعْبَدُ شَيْءٌ سِوَى اللَّهِ ، لأنه لا إله غيره ( وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ) يقول : وإن المشركين لكاذبون فيما يضيفون إلى الله ، ويتنحلون من الولد والشريك . وقوله ( مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ ) يقول تعالى ذكره : ما لله من ولد ، ولا كان معه فى القديم ، ولا حين ابتدع الأشياء ، مَنْ تَصْلَحُ عِبَادَتُهُ ، ولو كان معه فى القديم ، أو عند خلقه الأشياء ، مَنْ تَصْلَحُ عِبَادَتُهُ ( مِنْ إِلَهٍ إِذْ أَذْهَبَ ) يقول : إذن لا عزل كل إله منهم ( بِمَا خَلَقَ ) من شيء ، فانفرد به ، ولتغالبا ، فلعل بعضهم على بعض ، وغلب القوى منهم الضعيف ، لأن القوى لا يرضى أن يعدوه ضعيف ، والضعيف لا يصلح أن يكون إله ، فسبحان الله ما أبلغها من حجة ، وأوجزها لمن عقل وتدبر ! وقوله ( إِذْ أَذْهَبَ ) جواب لمحذوف ، وهو : لو كان معه إله إذن لذهب كل إله بما خلق ، اجترأ بدلالة ما ذكر عليه عنه . وقوله ( سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ) يقول تعالى ذكره تنزيها لله عما يصفه به هؤلاء المشركون ، من أن له ولدا ، وعما قالوه ، من أن له شريكا ، أو أن معه فى القدم إله يعبد ، تبارك وتعالى .

وقوله (عالم الغيب والشهادة) يقول تعالى ذكره : هو عالم ما غاب عن خلقه من الأشياء ، فلم يَرَوْه ولم يشاهدوه ، وما رأوه وشاهدوه ، إنما هذا من الله خبر عن هؤلاء الذين قالوا من المشركين : اتخذ الله ولداً ، وعبدوا من دونه آلهة ، إنهم فيما يقولون ويفعلون مُبْطِلُونَ مَخْطُونَ ، فإنهم يقولون ما يقولون من قول في ذلك عن غير علم ، بل عن جهل منهم به ، وإن العالم بقديم الأمور وبخديتها ، وشاهدها وغائبها عنهم ، الله الذي لا يخفى عليه شيء ، فخبره هو الحق دون خبرهم ، وقال : (عالم الغيب) فرفع على الابتداء ، بمعنى : هو عالم الغيب ، ولذلك دخلت الفاء في قوله (فتعالى) كما يقال : مررت بأخيك المحسن ، فأحسنت إليه ، فترفع المحسن إذا جعلت فأحسنت إليه بالفاء ، لأن معنى الكلام إذا كان كذلك : مررت بأخيك هو المحسن ، فأحسنت إليه . ولو جعل الكلام بالواو فقليل : وأحسنت إليه لم يكن وجه الكلام في المحسن إلا الخفض على النعت للأخ ، ولذلك لوجاء فتعالى بالواو ، كان وجه الكلام في عالم الغيب الخفض على الاتباع لإعراب اسم الله ، وكان يكون معنى الكلام : سبحان الله عالم الغيب والشهادة وتعالى ! فيكون قوله « وتعالى » حينئذ معطوفاً على سبحان الله ، وقد يجوز الخفض مع الفاء ، لأن العرب قد تبدى الكلام بالفاء ، كابتدائها بالواو ، وبالخفض كان يقرأ (عالم الغيب) في هذا الموضع أبو عمرو ، وعلى خلافه في ذلك قرآءة الأمصار .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : الرفع ، لمعنيين : أحدهما : إجماع الحجة من القراء عليه ، والثاني : صحته في العربية .

وقوله (فتعالى عمماً يُشْرِكُونَ) يقول تعالى ذكره : فارتفع الله وعلا عن شرك هؤلاء المشركين ، ووصفهم إياه بما يصفون :

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيبِي ۖ مَا يُوعَدُونَ ﴿١٤﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَنْ تُرِيكَ مَا نَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد : رب إن تُرِيبِي في هؤلاء المشركين مانعهم من عذابك ، فلا تهلكني بما تهلكهم به ، ونجني من عذابك ومخطئك ، فلا تجعلني في القوم المشركين ولكن اجعلني ممن رضيت عنه من أوليائك . وقوله (فلا تجعلني) جواب لقوله : إِمَّا تُرِيبِي ، اعترض بينهما بالنداء ، ولو لم يكن قبله جزاء لم يجر ذلك في الكلام ، لا يقال : يا زيد فقم ، ولا يارب فاغفر ، لأن النداء مستأنف ، وكذلك الأمر بعده مستأنف ، لا تدخله الفاء والواو ، إلا أن يكون جواباً لكلام قبله . وقوله (وإننا على أن تُرِيكَ ما نَعِدُهُمْ لِقَادِرُونَ) يقول تعالى ذكره : وإنا يا محمد على أن تُرِيكَ في هؤلاء المشركين مانعهم من تعجيل العذاب لهم ، لقادرون ، فلا يَحْزُنُكَ تَكْذِبُهُمْ إِيَّاكَ بما نَعِدُهُمْ به ، وإنما نُزْخِرُ ذلك ، ليبلغ الكتاب أجله .



القول في تأويل قوله تعالى :

ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿١١﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ  
﴿١٢﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه : ادفع يا محمد بالحلّة التي هي أحسن ، وذلك الإغضاء والصفح عن جهلة  
المشركين ، والصبر على أذاهم ، وذلك أمره إياه قبل أمره بجرهم ، وعنى بالسيئة : أذى المشركين إياه  
وتكذيبهم له فيما أتاهم به من عند الله ، يقول له تعالى ذكره : اصبر على ماتلقى منهم في ذات الله .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( ادْفَعْ  
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ) قال : أعرض عن أذاهم إياك .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن عبد الكريم الجزري ، عن مجاهد ( ادْفَعْ  
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ) قال : هو السلام ، تُسَلِّمُ عليه إذا لقيته .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن عبد الكريم ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هوذة ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قوله ( ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ  
أَحْسَنُ السَّيِّئَةِ ) قال : والله لا يصيبها صاحبها حتى يكظم غيظا ، ويصفح عما يكره .  
وقوله ( نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ) يقول تعالى ذكره : نحن أعلم بما يصفون الله به ، وينحدون منه من  
الأكاذيب والفرية عليه ، وبما يقولون فيك من سوء ، ونحن مجازوهم على جميع ذلك ، فلا يحزنك ما تسمع منهم  
من قبيح القول .

وقوله ( وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ) يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله  
عليه وسلم : وقل يا محمد ربّ أستجير بك من خنق الشياطين وهمزاتها ، والهَمْزُ : هو الغَمْزُ ، ومن ذلك قيل  
للهمز في الكلام : همزة ، والهَمْزَاتُ جمع همزة .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرني ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ  
مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ) قال : همزات الشياطين : خنقهم الناس ، فذلك همزاتهم .  
وقوله ( وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ) يقول : وقل أستجير بك ربّ أن يحضرون في أموري .  
كالذي حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ  
أَنْ يَحْضُرُونِ ) في شيء من أمري .

(١) في غريب القرآن للراغب الأصفهاني : ( همز ) : « الهمز كالعصر » وهو مناسب لقول المؤلف : خنق الشياطين . لأن الخنق :

هو عصر الرقبة وضغطها ، لينقطع النفس .

القول في تأويل قوله تعالى :

حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا  
كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾

يقول تعالى ذكره : حتى إذا جاء أحد هؤلاء المشركين الموت ، وعاین نزول أمر الله به ، قال لعظيم ما يعاین مما يتقدم عليه من عذاب ، الله تندما على ما فات ، وتلهفنا على ما فرط فيه قبل ذلك من طاعة الله ، ومسلته للإقالة ( رَبِّ ارْجِعُونِ ) إلى الدنيا ، فردوني إليها ( لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا ) يقول : كى أعمل صالحا فيما تركت قبل اليوم من العمل ، فضيعته ، وفرطت فيه .  
وبنحو الذى قلنا فيه قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن أبي معشر ، قال : كان محمد بن كعب القرظى يقرأ علينا ( حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ) قال محمد : إلى أى شىء يريد ؟ إلى أى شىء يرغب ؟ أجمع المال ، أو غرس الغراس ، أو بسنى بئيان ، أو شق أنهار ؟ ثم يقول ( لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ) يقول الجبار : كلاً .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد فى قوله ( رَبِّ ارْجِعُونِ ) قال : هذه فى الحياة الدنيا ، ألا تراه يقول ( حتى إذا جاء أحدهم الموت ) قال : حين تنقطع الدنيا ، ويعاین الآخرة ، قبل أن يدوق الموت .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال النبى صلى الله عليه وسلم لعائشة : « إذا عاین المؤمن الملائكة قالوا : نرجعك إلى الدنيا ؟ فيقول : إلى دار المموم والأحزان ، فيقول بل قد ماني إلى الله ، وأما الكافر فيقال : نرجعك ؟ فيقول : لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ » . . . الآية .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول فى قوله ( حتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون ) : يعنى أهل الشرك ، وقيل : رب ارجعون ، فابتدأ الكلام بخطاب الله تعالى ، ثم قيل : ارجعون ، فصار إلى خطاب الجماعة ، والله تعالى ذكره واحد ، وإنما فعل ذلك كذلك ، لأن مسألة القوم الرد إلى الدنيا ، إنما كانت منهم للملائكة الذين يقبضون روحهم ، كما ذكر ابن جريج أن النبى صلى الله عليه وسلم قاله . وإنما ابتدئ الكلام بخطاب الله جل ثناؤه ، لأنهم استغاثوا به ، ثم رجعوا إلى مسألة الملائكة الرجوع ، والرد إلى الدنيا .

وكان بعض نحوي الكوفة يقول : قبل ذلك كذلك ، لأنه مما جرى على وصف الله نفسه من قوله ( وقد خلقناك من قبل ولم نك شيئاً ) فى غير مكان من القرآن ، فجرى هذا على ذلك .

وقوله (كَلَاً) يقول تعالى ذكره : ليس الأمر على ما قال هذا المشرك ، ان يُرْجَع إلى الدنيا ، ولن يُعاد إليها (لِأَنَّهُمَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا) يقول : هذه الكلمة ، وهو قوله (رَبِّ ارْجِعُونِ) كلمة هو قائلها : يقول : هذا المشرك هو قائلها .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (كَلَاً لِأَنَّهُمَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا) لا بد له أن يقولها (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ) يقول : ومن أمامهم حاجز يحجز بينهم وبين الرجوع ، يعنى إلى يوم يبعثون من قبورهم ، وذلك يوم القيامة ؛ والبرزخ والحاجز والمُهَلَّة متقاربات فى المعنى . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

### ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن أبيه ، عن ابن عباس : (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ) يقول : أجل إلى حين .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد ، فى قوله (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ) قال : ما بعد الموت .

حدثني أبو حميد الحمصى أحمد بن المغيرة ، قال : ثنا أبو حيو شريح بن يزيد ، قال : ثنا أرطاة ، عن أبى يوسف ، قال : خرجت مع أبى أمامة فى جنازة ، فلما وُضِعَتْ فى لحدها ، قال أبو أمامة : هذا برزخ إلى يوم يُبعثون .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا مطر ، عن مجاهد ، قوله (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ) قال : ما بين الموت إلى البعث .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله (بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ) قال : حجاب بين الميت والرجوع إلى الدنيا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ) قال : برزخ بقية الدنيا .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله (وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ) قال : البرزخ ما بين الموت إلى البعث .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : البرزخ : ما بين الدنيا والآخرة .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَإِذَا نَفَخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿١٥﴾

اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( فإذا نفخ في الصور ) من النفختين أيتهما عني بها ، فقال بعضهم : عني بها النفخة الأولى .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، قال : ثنا عمرو بن مطرف ، عن المهال بن عمرو ، عن سعيد بن جبير ، أن رجلا أتى ابن عباس فقال : سمعت الله يقول ( فلا أنساب بينهم يومئذ ) . . . الآية . وقال في آية أخرى ( وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ) فقال : أما قوله ( فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ) فذلك في النفخة الأولى ، فلا يبقى على الأرض شيء ( فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ) وأما قوله ( وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ) فإني لما دخلوا الجنة أقبل بعضهم على بعض يتساءلون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو أحمد ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، في قوله ( فإذا نفخ في الصور ) فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ) قال : في النفخة الأولى .

حدثنا علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ) فذلك حين ينفخ في الصور ، فلا حتى يبقى إلا الله ( وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ) فذلك إذا بعثوا في النفخة الثانية .

قال أبو جعفر : فمعنى ذلك على هذا التأويل : فإذا نفخ في الصور ، فصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله ، فلا أنساب بينهم يومئذ يتواصلون بها ، ولا يتساءلون ، ولا يتزاورون ، فيتساءلون عن أحوالهم وأنسابهم .

وقال آخرون : بل عني بذلك النفخة الثانية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن فضيل ، عن هارون بن أبي وكيع ، قال : سمعت زاذان يقول : أتيت ابن مسعود ، وقد اجتمع الناس إليه في داره ، فلم أقدر على مجلس ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، من أجل أني رجل من العجم تحقيرني ؟ قال : أدن ، قال : فدنوت ، فلم يكن بيني وبينه جليس ، فقال : يؤخذ بيد العبد أو الأمة يوم القيامة ، على رهوس الأولين والآخريين ، قال : وينادي مناد : ألا إن هذا فلان بن فلان ، فمن كان له حق قبله فليأت إلى حقه ، قال : فتفرح المرأة يومئذ أن يكون لها حق على ابنها ، أو على أبيها ، أو على أخيها ، أو على زوجها ( فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن هارون بن عثرة ، عن زاذان ،

قال : سمعت ابن مسعود يقول : « يؤخذ العبد أو الأمة يوم القيامة ، فينصب على رءوس الأولين والآخرين ، ثم ينادى مناد ، ثم ذكر نحوه ، وزاد فيه : فيقول الربّ تبارك وتعالى للعبد : أعطِ هؤلاء حقوقهم ، فيقول : أى ربّ ، فنيت الدنيا ، فمن أين أعطيهم ؟ فيقول للملائكة : خذوا من أعماله الصالحة ، وأعطوا لكل إنسان بقدر طلبته ، فإن كان له فضلٌ مثقال حبة من خردل ، ضاعفها الله له ، حتى يدخله بها الجنة ، ثم تلا ابن مسعود ( إنَّ اللهَ لا يَظَلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ، وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضَاعِفْهَا ، وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ) وإن كان عبدا شقيا قالت الملائكة : ربنا ، فنيت حسناته ، وبقي طالبون كثير ، فيقول : خذوا من أعمالهم السيئة ، فأضيفوها إلى سيئاته ، وصكُّوا له صكًّا إلى النار . »

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج « ( فإذا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ ) قال : لا يسأل أحد يومئذ بنسب شيئا ، ولا يتساءلون ، ولا يمت إليه برحم . »

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا محمد بن كثير ، عن حفص بن المغيرة ، عن قتادة ، قال : « ليس شيء أبغض إلى الإنسان يوم القيامة من أن يرى من يعافه ، مخافة أن يذوب له عليه شيء ، ثم قرأ ( يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنَ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ) . »

قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا الحكم بن سنان ، عن سَدُوسٍ صاحب السائرى ، عن أنس بن مالك ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ ، وَأَهْلُ النَّارِ النَّارَ ، نَادَى مُنَادٍ مِنْ أَهْلِ الْعَرْشِ : يَا أَهْلَ التَّظَاوُمِ تَدَارَكُوا مَظَالِمَكُمْ ، وَادْخُلُوا الْجَنَّةَ . »

القول في تأويل قوله تعالى :

فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٢٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿١٢٣﴾ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٢٤﴾

❖ يقول تعالى ذكره ( فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ) : موازين حسناته وخفت موازين سيئاته ( فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) يعنى الخالدون فى جنات النعيم ( وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ) يقول : ومن خفت موازين حسناته ، فرجحت بها موازين سيئاته ( فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ ) يقول : غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله ( فى جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ) يقول : هم فى نار جهنم .

وقوله ( تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ) يقول : تسفح وجوههم النار .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ) قال : تنفح ( وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ) والكُلُوح : أن تتقلص الشفتان عن الأسنان ، حتى تبدو الأسنان ، كما قال الأعشى :

وَلَهُ الْمُقَدَّمُ لِأَمِثَلِ لَهٗ سَاعَةَ الشَّدَقِ عَنِ النَّابِ كَلَحًا

فتأويل الكلام : يَسْفَعُ وجوههم لهب النار ، فتَحْرَقُهَا ، وهم فيها متقلصو الشفاه عن الأسنان ، من إحراق النار وجوههم .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَهُمْ فِيهَا كَالْحِجُونَ ) يقول : عابسون .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالوا : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص عن عبد الله ، في قوله ( وَهُمْ فِيهَا كَالْحِجُونَ ) قال : ألم تر إلى الرأس المشيط قد بدت أسنانه ، وقلصت شفاه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص عن عبد الله ، قرأ هذه الآية ( تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ ) . . . الآية ، قال : ألم تر إلى الرأس المشيط بالنار وقد قلصت شفاه ، وبدت أسنانه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَهُمْ فِيهَا كَالْحِجُونَ ) قال : ألم تر إلى الغنم إذا مست النار وجوهها كيف هي ؟ .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَكُنْ أَيْتِي تُسَلِّيٰ عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٦﴾

١٥ بقول تعالى ذكره : يقال لهم ( أَلَمْ تَكُنْ أَيْتِي تُسَلِّيٰ عَلَيْكُمْ ) يعني آيات القرآن تنلى عليكم في الدنيا ( فَكُنْتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ) وترك ذكر يقال ، لدلالة الكلام عليه . ( قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة ، وبعض أهل الكوفة ( غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ) بكسر الشين ، وبغير ألف . وقراءته عامة قراء أهل الكوفة ( شِقَاوَتُنَا ) بفتح الشين والألف . والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان ، وقرأ بكل واحده منهما علماء من القراء بمعنى واحد ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب . وتأويل الكلام : قالوا : ربنا غلبت علينا ما سبق لنا في سابق علمك وخط لنا في أم الكتاب .

(١) البيت لأحمد بن محمد بن ثعلبة (ديوانه من ٢١١ بشرح الدكتور محمد حسين ، طبع القاهرة) . والرماية فيه في الحرب إذا في موضع « لا مثل له » . والمقدم بضم الميم : مصدر بمعنى الإقدام . وكلمة الشدق : كثر عن الأنبياء في عبوس .  
يشرح ابن عباس الطائي ، بأن من صفاته الإقدام في الحرب حين تكثر الأبطال النزاع ، وتفكر أشداهم عن أنيابهم ، كرها للحرب ، واستلذه به المراتب هنا على أن معنى الكلام نفاص الشغنين عن الأسنان حتى تيبو الأسنان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، قوله ( غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ) قال : التى كتبت علينا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا ) التى كتبت علينا . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

وقال : قال ابن جريج : « بلغنا أن أهل النار نادوا خزنة جهنم : أن ( ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ) فلم يجيبوهم ما شاء الله ؛ فلما أجابوهم بعد حين ، قالوا : ( ادعوا وما دعاء الكافرين إلا فى ضلال ) . قال : ثم نادوا مالكا : يا مالكا ليقض علينا ربك ، فسكت عنهم مالك خازن جهنم أربعين سنة ، ثم أجابهم فقال : ( إِنَّكُمْ مَا كَثُورٌ ) . ثم نادى الأشقياء ربهم ، فقالوا ( رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ، رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ، فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ) فسكت عنهم مثل مقدار الدنيا ، ثم أجابهم بعد ذلك تبارك وتعالى ( اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ) .

قال : ثنى حجاج ، عن أبي بكر بن عبد الله ، قال : « ينادى أهل النار أهل الجنة فلا يجيبونهم ما شاء الله ، ثم يقال : أجيبوهم ، وقد قطع الرحيم والرحمة ، فيقول أهل الجنة : يا أهل النار ، عليكم غضب الله ، يا أهل النار ، عليكم لعنة الله ، يا أهل النار ، لا لبئسكم ولا سعد بكم ، ماذا تقولون ؟ فيقولون : ألم نك فى الدنيا آباءكم وأبناءكم وإخوانكم وعشيرتكم ؟ فيقولون : بلى ، فيقولون ( أفيضوا علينا من الماء ، أو مما رزقكم الله ، قالوا إن الله حرّمهما على الكافرين ) .

قال : ثنى حجاج ، عن أبي معشر ، عن محمد بن كعب القرظى ؛ قال : وثنى عبدة المروزي ، عن عبد الله ابن المبارك ، عن عمرو بن أبي ليلى ، قال : سمعت محمد بن كعب ، زاد أحدهما على صاحبه : قال محمد ابن كعب : بلغنى ، أو ذكر لى ، أن أهل النار استغاثوا بالخزنة ، ادعوا ربكم يخفف عنا يوما من العذاب ، فردوا عليهم ما قال الله : فلما أيسوا نادوا : يا مالكا ، وهو عليهم ، وله مجلس فى وسطها ، وجسور تمر عليها ملائكة العذاب ، فهو يرى أقصاها كما يرى أذناها ، فقالوا : يا مالكا ، ليقض علينا ربك ، سألو الموت ، فكث لا يجيبهم ثمانين ألف سنة من سنى الآخرة ، أو كما قال : ثم انحط إليهم ، فقال ( إِنَّكُمْ مَا كَثُورٌ ) فلما سمعوا ذلك قالوا : فاصبروا ، فلعل الصبر ينفعنا كما صبر أهل الدنيا على طاعة الله ، قال : فصبروا ، فطال صبرهم ، فنادوا ( سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِنْ مَّحِيصٍ ) : أي منجى ، فقام إبليس عند ذلك فخطبهم ، فقال ( إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعَدَ الْحَقُّ ، وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ، وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ ) ؛ فلما سمعوا مقالتهم ، مقتتوا أنفسهم ، قال : فنودوا ( لَمَقْتُ

(١) لعل القائل هنا أيضا : هو القاسم ، راوى الحديث بالإسناد السابق على هذا .

الله أكبر من مقتكم أنفسكم، إذ تدعون إلى الإيمان فتكفرون. قالوا ربنا أمتنا... الآية، قال: فيجيبهم الله فيها (ذلكم بأنه إذا دعى الله وحده كفرتم، وإن يشرك به تؤمنوا فالحكم لله العلى الكبير) قال: فيقولون: ما أيسنا بعد. قال: ثم دعوا مرة أخرى، فيقولون: (ربنا أبصرنا وسمعنا، فارجعنا نعمل صالحا، إننا موقنون) قال: فيقول الرب تبارك وتعالى (ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها) يقول الرب: لو شئت لهديت الناس جميعا، فلم يختلف منهم أحد (ولكن حق القول مني لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين، فذوقوا بما نسيتم لقاء يومكم هذا) يقول: بما تركتم أن تعملوا ليومكم هذا (إننا نسيناكم): أى تركناكم (وذوقوا عذاب الخلد بما كنتم تعملون) قال: فيقولون: ما أيسنا بعد. قال: فيدعون مرة أخرى (ربنا أخرنا إلى أجل قريب، نجب دعوتك وتتبع الرسل) قال: فيقال لهم (أو لم تكونوا أقمتم من قبل ما لكم من زوال، وسكنتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم)... الآية، قال: فيقولون: ما أيسنا بعد. ثم قالوا مرة أخرى (ربنا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمل)، قال: فيقول (أو لم نعلمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير)... إلى (نصير). ثم مكث عنهم ما شاء الله، ثم ناداهم (ألم تكن آياتي تتلى عليكم فكنتم بها تكذبون) فلما سمعوا ذلك قالوا: الآن يرحمنا، فقالوا عند ذلك (ربنا غلبت علينا شقوتنا): أى الكتاب الذى كتب علينا (وكنا قوما ضالين، ربنا أخرجنا منها)... الآية، فقال عند ذلك (احسبوا فيها ولا تكلمون) قال: فلا يتكلمون فيها أبدا، فانقطع عند ذلك الدعاء والرجاء منهم. وأقبل بعضهم ينبج في وجه بعض، فأطبقت عليهم. قال عبد الله بن المبارك في حديثه: فحدثني الأزهر بن أبي الأزهر أنه قال: فذلك قوله (هذا يوم لا ينطقون، ولا يؤذن لهم فيعتذرون).

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن أبي بكر بن عبد الله، أنه قال: فوالذى أنزل القرآن على محمد، والتوراة على موسى، والإنجيل على عيسى، ما تكلم أهل النار كلمة بعدها إلا الشهيق والزعيق في الخلد أبدا، ليس له نفاذ.

قال: ثنى حجاج، عن أبي معشر، قال: كنا في جنازة ومعنا أبو جعفر القارئ، فجلسنا، فتنحى أبو جعفر، فبكى، فقيل له: ما يبكيك يا أبا جعفر؟ قال: أخبرني زيد بن أسلم، أن أهل النار لا يتنفسون. وقوله (وكنا قوما ضالين) يقول: كنا قوما ضللتنا عن سبيل الرشاد، وقصد الحق.

القول في تاويل قوله تعالى:

رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٧﴾ قَالَ اخْسَوْا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونَ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره نوحا عن قبيلى الذين خفت موازين صالح أعمالهم يوم القيامة في جهنم: ربنا أخرجنا من النار، فإن عدنا لما نكره منا من عمل، فلنا ظالمون.



وقوله ( قَالَ اخْسِئُوا فِيهَا ) يقول تعالى ذكره : قال الربّ لهم جلّ ثناؤه مجيباً : ( اخْسِئُوا فِيهَا ) : أى اقعّدوا فى النار ، يقال منه : خَسَّاتُ فُلَانًا اخْسِئُوهُ خَسّاً وَخُسُوعًا ، وَخَسَىُّهُ هُوَ يَخْسَىُّهُ وَمَا كَانَ خَاسِئًا ، وَلَقَدْ خَسَىُّ . ( وَلَا تُكَلِّمُونِ ) فعند ذلك أيس المساكين من الفرج ، ولقد كانوا طامعين فيه . كما حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن بن مهديّ ، قال : ثنا سفيان ، عن سلمة بن كهيل ، قال : ثنا أبو الزعراء ، عن عبد الله ، فى قصة ذكرها فى الشفاعة ، قال : فإذا أراد الله ألا يُخرج منها ، يعنى من النار أحداً ، غير وجوههم وألوانها ، فيجىء الرجل من المؤمنين ، فيشفع فيهم ، فيقول : يا ربّ ، فيقول من عرف أحداً فليخرجه ؛ قال : فيجىء الرجل فينظر ، فلا يعرف أحداً ، فيقول : يا فلان يا فلان ، فيقول : ما أعرفك ، فعند ذلك يقولون ( رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ، فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ) فيقول ( اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ) فإذا قالوا ذلك ، انطبقت عليهم جهنم ، فلا يخرج منها بشر .

حدثنا تميم بن المنتصر ، قال : أخبرنا إسحاق ، عن شريك ، عن الأعمش ، عن عمرو بن مرة ، عن شهر ابن حوشب ، عن معدي كرب ، عن أبي الدرداء ، قال : يُرْسَلُ ، أَوْ يَصَبُّ عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ ، فَيَعْدَلُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ ، فَيَسْتَغِيثُونَ فَيُغَاثُونَ بِالضَّرِيعِ الَّذِي لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنَ جُوعٍ ، فَلَا يَغْنَى ذَلِكَ عَنْهُمْ شَيْئًا ، فَيَسْتَغِيثُونَ ، فَيُغَاثُونَ بِطَعَامِ ذِي غُصَّةٍ ، فَإِذَا أَكَلُوهُ نَشِبَ فِي حَلْوَقِهِمْ ، فَيَذْكُرُونَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا يَحْدُرُونَ الْغُصَّةَ بِالْمَاءِ ، فَيَسْتَغِيثُونَ ، فَيُرْفَعُ إِلَيْهِمُ الْحَمِيمُ فِي كَلَابِيبِ الْحَدِيدِ ، فَإِذَا انْتَهَى إِلَى وَجُوهِهِمْ شَوَى وَجُوهِهِمْ ، فَإِذَا شَرِبُوهُ قَطَعَ أَمْعَاءَهُمْ ، قَالَ : فَيَنَادُونَ مَالِكًا لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبِّكَ ، قَالَ : فَيَتْرَكُهُمْ أَلْفَ سَنَةٍ ، ثُمَّ يَجِيبُهُمْ : إِنَّكُمْ مَا كَثُرْتُمْ ، قَالَ : فَيَنَادُونَ خَزَنَةَ جَهَنَّمَ : ادْعُوا رَبِّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ، قَالُوا : أَوْ لَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ؟ قَالُوا : بَلَى ، قَالُوا : فَادْعُوا ، وَمَا دَعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ، قَالَ : فَيَقُولُونَ مَا نَجِدُ أَحَدًا خَيْرًا لَنَا مِنْ رَبِّنَا ، فَيَنَادُونَ رَبَّهُمْ : ( رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ، فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ) ، قَالَ : فَيَقُولُ اللَّهُ ( اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ) قَالَ : فعند ذلك يئسوا من كل خير ، فَيَدْعُونَ بِالْوَيْلِ وَالشَّهْقِ وَالشُّبُورِ .

حدثني محمد بن عمار الأسديّ ، قال : ثنا عاصم بن يوسف اليربوعيّ ، قال : ثنا قُطَيْبَةُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْأَسَدِيِّ ، عَنِ الْأَعْمَشِ ، عَنِ شَمْرِ بْنِ عَطِيَّةٍ ، عَنِ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ ، عَنِ أُمِّ الدَّرْدَاءِ ، عَنِ أَبِي الدَّرْدَاءِ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يُلْقَى عَلَى أَهْلِ النَّارِ الْجُوعُ » . . . ثم ذكر نحوه منه . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القميّ ، عن هارون بن عنتر ، عن عمرو بن مرة ، قال : يرى أهل النار فى كل سبعين عاماً ساق مالك خازن النار ، فيقولون ( يَا مَالِكُ ، لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ) ! فيجيبهم بكلمة ، ثم لا يرونها سبعين عاماً ، فيستغيثون بالخزنة ، فيقولون لهم : ادعوا ربكم يخفف عنا يوماً من العذاب ! فيجيبونهم : ( أَوْ لَمْ تَكُنْ تَأْتِيكُمْ رَسُولُكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ ) . . . الآية ، فيقولون : ادعوا ربكم ، فليس أحد أرحم من ربكم ، فيقولون ( رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا ، فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ) . قال : فيجيبهم ( اخْسِئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ) فعند ذلك يئسوا من كل خير ، ويأخذون فى الشهيق والويل والشُّبُورِ .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( اخسثوا فيها ولا تكيامون ) : قال : بلغني أنهم ينادون مالكا فيقولون : ليقض علينا ربك ، فيسكت عنهم قدر أربعين سنة ، ثم يقول ( إنكم ما كيثون ) قال : ثم ينادون ربهم ، فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين ، ثم يقول ( اخسثوا فيها ولا تكلمون ) قال : فيبأس القوم ، فلا يتكلمون بعدها كلمة ، وكان إنما هو الزفير والشهيق . قال قتادة : صوت الكافر في النار مثل صوت الحمار : أوله زفير ، وآخره شهيق .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .  
حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الله بن عيسى ، قال : أخبرني زياد الخراساني ، قال : أسنده إلى بعض أهل العلم ، فنسبته في قوله ( اخسثوا فيها ولا تكلمون ) قال : فيسكتون ، قال : فلا يسمع فيها حس إلا كطين الطست .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( اخسثوا فيها ولا تكلمون ) هذا قول الرحمن عز وجل ، حين انقطع كلامهم منه .  
القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٠١﴾

يقول تعالى ذكره ( إنه ) وهذه الاء في قوله « إنه » هي الاء التي يسميها أهل العربية المجهولة . وقد بينت معناها فيما مضى قبل ، ومعنى دخولها في الكلام ، بما أغنى عن إعادته في هذا الموضع ( كان فريق من عبادي ) يقول : كانت جماعة من عبادي ، وهم أهل الإيمان بالله ، يقولون في الدنيا : ( ربنا آمنا ) بك وبرسلك ، وما جاءوا به من عندك ، ( فاغفر لنا ذنوبنا وارحمنا ) وأنت خير من رحم أهل البلاء ، فلا تعدبنا بعدابك .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَاتَّخَذُوا لَهُمْ سَخِرِيًّا حَتَّىٰ أَنْسَوْكُم ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ﴿١٠٢﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا وَأَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿١٠٣﴾

يقول تعالى ذكره : فاتخذتم أيها الفائلون لربهم ( ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين ) في الدنيا ، الفائلين فيها ( ربنا آمنا فاغفر لنا وارحمنا وأنت خير الراحمين ) سخريا . والهاء والميم في قوله ( فاتخذتموهم ) من ذكر الفريق .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( سخريريا ) فقرأه بعض قراء الحجاز وبعض أهل البصرة والكوفة ( فاتخذتموهم سخريريا ) بكسر السين ، وبتأولون في كسرهما أن معنى ذلك الهز ، ويقولون : إنها إذا ضمت ، فعنى الكلمة : السخرة والاستعباد . فعنى الكلام على مذهب هؤلاء : فاتخذتم أهل الإيمان بي

في الدنيا هُزُواً ولعباً، تهزؤون بهم، حتى أنسوكم ذكرى . وقرأ ذلك عامة قرآء المدينة والكوفة ( فَاتَّخَذُوا تَمَوْهْمَ سَخْرِيًّا ) بضم السين ، وقالوا : معنى الكلمة في الضم والكسر واحد . وحكى بعضهم عن العرب سماعاً بِلِحْيٍ وَبِلِحْيٍ ، وِدْرِيٍّ ، وِدْرِيٍّ ، منسوب إلى الدرِّ ، وكذلك كِيرَسِيٍّ وَكُرْسِيٍّ ؛ وقالوا ذلك من قبلهم كذلك : نظير قولهم في جمع العصا : العِصِيَّ بكسر العين ، والعُصَى بضمها ؛ قالوا : وإنما اخترنا الضم في السَخْرِيٍّ ، لأنه أفصح اللغتين .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان ، ولغتان معروفتان ، بمعنى واحد ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القرآء ، فبأيتهما قرأ القارئ ذلك فصيب ، وليس يُعرَف من فرق بين معنى ذلك إذا كسرت السين وإذا ضمت ، لما ذكرت من الرواية عن سماع من العرب ما حكيت عنه ؛ ذكر الرواية به عن بعض من فرَّق في ذلك بين معناه مكسورة سنيته ومضمومة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( فَاتَّخَذُوا تَمَوْهْمَ سَخْرِيًّا ) قال : هما مختلفتان : سَخْرِيًّا ، وسُخْرِيًّا ، يقول الله ( وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سَخْرِيًّا ) قال : هذا سَخْرِيًّا : يُسَخِّرُونَهُمْ ، والآخرون : الذين يستهزئون بهم هم سُخْرِيًّا ، فتلك سَخْرِيًّا يُسَخِّرُونَهُمْ عندك ، فسَخَّرَكَ : رفعك فوقه ؛ والآخرون : استهزءوا بأهل الإسلام هي سُخْرِيًّا يُسَخِّرُونَ مِنْهُمْ ، فهما مختلفتان . وقرأ قول الله ( كُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ ) ، قال : إنَّ تَسَخَّرُ مِنَّْا وَفَاتَّا نَسَخَّرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسَخَّرُونَ ) وقال : يسخرون منهم كما سخر قوم نوح بنوح ، اتخذهم سُخْرِيًّا : اتخذهم هُزُواً ، لم يزلوا يستهزئون بهم .

وقوله ( حتى أنسوكم ذِكْرِي ) يقول : لم يزل استهزؤكم بهم ، أنساكم ذلك من فعلكم بهم ذكري ، فألهاكم عنه ( وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ ) .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( حتى أنسوكم ذِكْرِي ) قال : أنسى هؤلاء الله استهزؤهم بهم ، وضحكهم بهم ، وقرأ ( إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ) حتى بلغ ( إِنَّ هَؤُلَاءِ لَضَالُّونَ ) ، وقوله ( إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا ) يقول تعالى ذكره : إني أيتها المشركون بالله المخلدون في النار ، جزيت الذين اتخذهم في الدنيا سخرياً من أهل الإيمان بي ، وكنتم منهم تضحكون . اليوم بما صبروا على ما كانوا يلقون بينكم من أذى سخريتكم وضحككم منهم في الدنيا ، لأنهم هم الفائزون .

اختلفت القرآء في قراءة ( لَانَّهُمْ ) فقرآته عامة قرآء أهل المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة ( أَانَّهُمْ ) ، بفتح الألف من « آأنهم » بمعنى : جزيتهم هذا ، فأن في قراءة هؤلاء : في موضع نصب بوقوع قوله جزيتهم عليها ، لأن معنى الكلام عندهم : إني جزيتهم اليوم الفوز بالجنة ؛ وقد يحتمل النصب من وجه آخر ، وهو أن يكون موجهاً معناه إلى : إني جزيتهم اليوم بما صبروا ، لأنهم هم الفائزون بما صبروا في الدنيا ، على ما لَقُوا

في ذات الله . وقرأ ذلك عامة قرآء الكوفة ( لآتى ) بكسر الألف منها ، بمعنى الابتداء ، وقالوا : ذلك ابتداء من الله مدحهم .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأ بكسر الألف ، لأن قوله : جزيتهم ، قد عمل في الهاء والميم ، والجزاء إنما يعمل في منصوبين ، وإذا عمل في الهاء والميم ، لم يكن له العمل في « أن » فيصير عاملاً في ثلاثة إلا أن يُنَوَّى به التكرير ، فيكون نصب « أن » حينئذ بفعل مضمر ، لا بقوله : جزيتهم ، وإن هي نصبت بإضمار لام ، لم يكن له أيضاً كبير معنى ، لأن جزاء الله عباده المؤمنين بالجنة ، إنما هو على ما سَلَفَ من صالح أعمالهم في الدنيا ، وجزاؤه إياهم ، وذلك في الآخرة هو الفوز ، فلا معنى لأن يَشْرُطَ لهم الفوز بالأعمال ، ثم يخبر أنهم إنما فازوا لأنهم هم الفائزون .

فتأويل الكلام إذ كان الصواب من القراءة ما ذكرنا : إني جزيتهم اليوم الجنة بما صبروا في الدنيا على أذاكم بها ، في أنهم اليوم هم الفائزون بالنعيم الدائم ، والكرامة الباقية أبداً ، بما عملوا من صالحات الأعمال في الدنيا ، ولقوا في طلب رضاى من المكاره فيها .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَسَلِّ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾

١١٢ اختلقت القراء في قراءة قوله ( كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ) ، وفي قوله ( لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ) فقرأ ذلك عامة قرآء المدينة والبصرة وبعض أهل الكوفة على وجه الخبر ( قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ ) ، وكذلك قوله ( قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ ) . ووجه هؤلاء تأويل الكلام إلى أن الله قال لهؤلاء الأشقياء من أهل النار ، وهم في النار ( كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ؟ ) وأنهم أجابوا الله فقالوا ( لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ) ، فنسي الأشقياء ، لعظيم ما هم فيه من البلاء والعذاب ، مدة مكثهم التي كانت في الدنيا ، وقصُر عندهم أمد مكثهم الذي كان فيها ، لما حلَّ بهم من نعمة الله ، حتى حسبوا أنهم لم يكونوا مكثوا فيها إلا يوماً أو بعض يوم . ولعل بعضهم كان قد مكث فيها الزمان الطويل ، والسنين الكثيرة .

وقرأ ذلك عامة قرآء أهل الكوفة ، على وجه الأمر لهم بالقول ، كأنه قال لهم : قولوا كم لبثتم في الأرض ؟ وأخرج الكلام مُخْرَجَ الأمر للواحد ، والمعنى به الجماعة ، إذ كان مفهوماً معناه ، وإنما اختار هذه القراءة من اختارها من أهل الكوفة ، لأن ذلك في مصاحفهم ، قُلْ بِغَيْرِ أَلْفٍ ، وفي غير مصاحفهم بالألف . وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : قراءة من قرأ ذلك ( قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ ) على وجه الخبر ، لأن وجه الكلام لو كان ذلك أمراً ، أن يكون « قولوا » على وجه الخطاب للجمع ، لأن الخطاب فيها قبل ذلك وبعده جرى لجماعة أهل النار ، فالذى هو أولى أن يكون كذلك قوله « قولوا » : لو كان الكلام جاء على وجه الأمر ، وإن كان الآخر جائزاً ، أعنى التوحيد ، لما بيئت من العلة القارئة ذلك كذلك ، وجاء الكلام بالتوحيد

في قراءة جميع القراء ، كان معلوما أن قراءة ذلك على وجه الخبر عن الواحد أشبه ، إذا كان ذلك هو الفصيح المعروف من كلام العرب ، فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : قال الله كم لبثتم في الدنيا من عدد سنين ؟ قالوا مجيبين له : لبثنا فيها يوما أو بعض يوم ، فاسأل العاديين ، لأننا لاندري ، قد نسينا ذلك .  
واختلف أهل التأويل في المعنى بالعاديين ، فقال بعضهم : هم الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم ، ويحصون عليهم ساعاتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فاسأل العاديين ) قال : الملائكة .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقال آخرون : بل هم الحساب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ( فاسأل العاديين ) قال : فاسأل الحساب .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( فاسأل العاديين ) قال : فاسأل أهل الحساب .

❖ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال كما قال الله جل ثناؤه ( فاسأل العاديين ) وهم الذين يعدون عدد الشهور والسنين وغير ذلك ، وجائز أن يكونوا الملائكة ، وجائز أن يكونوا بني آدم وغيرهم ، ولا حجة بأى ذلك من أى ثبتت صحتها ، فغير جائز توجيه معنى ذلك إلى بعض العاديين دون بعض .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾

❖ اختلفت القراء في قراءة قوله ( قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ) اختلفت في قراءة قوله ( قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ ) والقول عندنا في ذلك في هذا الموضع ، نحو القول الذي بيناه قبل ، في قوله ( كَمْ لَبِثْتُمْ ) وتأويل الكلام على قراءتنا : قال الله لهم : ما لبثتم في الأرض إلا قليلا يسيرا ، لو أنكم كنتم تعلمون قدر لبثكم فيها .  
وقوله ( أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ؟ ) يقول تعالى ذكره : أفحسبتم أيها الأشقياء أنا إنما خلقناكم إذ خلقناكم لعبا وباطلا ، وأنكم إلى ربكم بعد مماتكم لاتصيرون أحياء ، فتجزون بما كنتم في الدنيا تعملون ؟ وقد اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه بعض قراء المدينة والبصرة والكوفة ( لَا تُرْجَعُونَ ) بضم التاء : لَا تُرْجَعُونَ ، وقالوا : إنما هو من مَرَجِعِ الآخرة ، لا من الرجوع إلى الدنيا ، وقرأ ذلك عامة قراء

الكوفة ( لا تَرْجِعُونَ ) وقالوا : سواء في ذلك مرجع الآخرة ، والرجوع إلى الدنيا .  
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، لأن من رده الله إلى الآخرة  
من الدنيا بعد فوائده ، فقد رجع إليها ، وأن من رجع إليها ، فبرده الله إياه إليها رجع . وهما مع ذلك قراءتان  
مشهورتان ، قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيهما قرأ القارئ فصيب .  
وبنحو الذي قلنا في معنى قوله ( أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا ) قال أهل التأويل .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ  
عَبَثًا ) قال : باطلا .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : فتعالى الله الملك الحق عما يصفه به هؤلاء المشركون ، من أن له شريكا ، وعما يضيفون  
إليه من اتخاذ البنات ( لا إلهَ إلا هو ) يقول : لا معبود تنبغي له العبادة إلا الله الملك الحق ، رب العرش  
الكريم ، والرب : مرفوع بالرد على الحق ، ومعنى الكلام : فتعالى الله الملك الحق ، رب العرش الكريم ،  
لا إله إلا هو .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١٧﴾

يقول تعالى ذكره : ومن يدع مع المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له معبودا آخر ، لاحجة له بما يقول  
ويعمل من ذلك ، ولا بينة .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ) قال : بينة .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( لا بُرْهَانَ لَهُ  
بِهِ ) قال : حجة .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ،  
عن مجاهد ، في قوله ( لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ ) قال : لاحجة .  
وقوله ( فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ ) يقول : وإنما حساب عمله السَّئِيءِ عند ربه ، وهو مؤفَّيه جزاءه إذا

قدم عليه ( إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ) يقول : إنه لا ينجح أهل الكفر بالله عنده ، ولا يدركون الخلود والبقاء في النعيم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴿١١٨﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : وقل يا محمد ، رب استر عليّ ذنوبي بعفوك عنها ، وارحمني بقبول توبتك ، وتركك عقابي على ما اجترمت ( وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ) يقول : وقل أنت يارب خير من رحم ذا ذنب ، فقبل توبته ، ولم يعاقبه على ذنبه .

آخر تفسير سورة المؤمنين

(٢٤) سُورَةُ النَّازِعَاتِ  
وَأَنبَأْنَاهَا أَنْ نَجَّوْنَهَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾

قال أبو جعفر : يعني بقوله تعالى ذكره ( سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا ) وهذه السورة أنزلناها ، وإنما قلنا معنى ذلك كذلك ، لأن العرب لا تكاد تبتدئ بالنعرات قبل أخبارها إذا لم تكن جوابا ، لأنها توصل كما يوصل «الذي» ، ثم يخبر عنها بخبر سوى الصلة ، فيستقبح الابتداء بها قبل الخبر إذا لم تكن موصولة ، إذ كان بصير خبرها إذا ابتدئ بها كالصلة لها ، وبصير السامع خبرها كالمتوقع خبرها ، بعد إذ كان الخبر عنها بعدها ، كالصلة لها ، وإذا ابتدئ بالخبر عنها قبلها ، لم يدخل الشك على سامع الكلام في مراد المتكلم . وقد بينا فيما مضى قبل أن السورة وصف لما ارتفع بشواهد ، فأغنى ذلك عن إعادته في هذا الموضع .

وأما قوله ( وَفَرَضْنَاهَا ) فإن القراء اختلفت في قراءته ، فقرأه بعض قراء الحجاز والبصرة ( وَفَرَضْنَاهَا ) ويتأولونه : وفصلناها ونزلنا فيها فرائض مختلفة . وكذلك كان مجاهد يقرأه ويتأوله .

حدثني أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا ابن مهدي ، عن عبد الوارث بن سعيد ، عن حميد ، عن مجاهد ، أنه كان يقرأها ( وَفَرَضْنَاهَا ) يعني بالتشديد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَفَرَضْنَاهَا ) قال : الأمر بالحلال ، والنهي عن الحرام .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله : وقد يحتمل

ذلك إذا قرئ بالتشديد وجها غير الذي ذكرنا عن مجاهد ، وهو أن يوجه إلى أن معناه : وفرضناها عليكم وعلى من بعدكم من الناس إلى قيام الساعة . وقرأ ذلك عامة قرآء المدينة والكوفة والشام ( وَفَرَضْنَاهَا ) بتخفيف الراء ، بمعنى : أوجبنا ما فيها من الأحكام عليكم ، وألزمناكموه وبيننا ذلك لكم .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان مشهورتان قد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب . وذلك أن الله قد فصلها ، وأنزل فيها ضروبا من الأحكام ، وأمر فيها ونهى ، وفرض على عباده فيها فرائض ، ففيها المعنيان كلاهما : التفريض ، والفرض ، فلذلك قلنا بأية القراءتين قرأ القارئ فمصيب الصواب .

ذكر من تأول ذلك بمعنى الفرض والبيان من أهل التأويل

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله : ( وَفَرَضْنَاهَا ) يقول : بينها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا ) قال : فرضناها لهذا الذي يتلوها مما فرض فيها ، وقرأ فيها ( آياتٍ بَيِّنَاتٍ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ) . وقوله ( وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) يقول تعالى ذكره : وأنزلنا في هذه السورة علامات ودلالات على الحق بينات ، يعنى واضحات لمن تأملها وفكر فيها بعقل ، أنها من عند الله ، فإنها الحق المبين ، وإنها تهدي إلى الصراط المستقيم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ ) قال : الحلال والحرام والحدود ( لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ) يقول : لتذكروا بهذه الآيات البينات التي أنزلناها

القول في تأويل قوله تعالى :

الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ  
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَيْسَ لَهُمَا طَافِيَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره : من زنى من الرجال ، أو زنت من النساء ، وهو حرٌّ بكر غير مُحْصَنٍ بزوجه ، فاجلدوه ضربا مئة جلدة ، عقوبة لما صنع ، وأتى من معصية الله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) يقول تعالى ذكره : لا تأخذكم بالزاني والزانية أيها المؤمنون رافة ، وهي رقة الرحمة في دين الله ، يعنى في طاعة الله فيها أمركم به من إقامة الحد عليهما ، على ما ألزمكم به .

واختلف أهل التأويل في المنهى عنه المؤمنون من أخذ الرافة بهما ، فقال بعضهم : هو ترك إقامة حد الله عليهما ، فأما إذا أقيم عليهما الحد ، فلم تأخذهم بهما رافة في دين الله .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا يحيى بن أبي زائدة ، عن نافع بن عمر ، عن ابن أبي مليكة ، عن عبيد الله



ابن عبد الله بن عمر ، قال : جالّد ابن عمر جارية له أحدثت ، فجلّد رجلها ، قال نافع : وحسيت أنه قال : وظهرها ، فقلت ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) فقال : وأخذتني بها رافة ، إن الله لم يأمرني أن أقتلها .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، عن ابن جرّيج ، قال : سمعت عبد الله بن أبي مليكة يقول : ثنا عبيد الله بن عبد الله بن عمر ، أن عبد الله بن عمر حدّ جارية له ، فقال للجالّد : وأشار إلى رجلها ، وإلى أسفلها ، قلت : فأين قول الله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : أفأقتلها ؟ حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : أن تقيم الحدّ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، ابن جرّيج ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : لاتضيعوا حدود الله .

قال ابن جرّيج : وقال مجاهد : ( لَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ ) : لاتضيعوا الحدود في أن تقيموها ، وقالها عطاء بن أبي رباح .

حدثنا أبو هشام ، قال : ثنا عبد الملك وحجاج ، عن عطاء ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : يقام حدّ الله ولا يعطل ، وليس بالقتل .

حدثنا ابن المنّني ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن داود ، عن سعيد بن جبير ، قال : الجلد . حدثني عبيد بن إسماعيل الهبّاري ، قال : ثنا محمد بن فضيل ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، في قوله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : الضرب .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت عمران ، قال : قلت لأبي مجلز ( الزّانية والزّاني فاجلدوا كلّ واحدٍ منهما ) . . . إلى قوله ( واليوم الآخر ) إنا لرحمهم أن يجلّد الرجل حدّا ، أو تقطع يده ، قال : إنما ذلك أنه ليس للسلطان إذا رفعوا إليه أن يدعهم رحمة لهم حتى يقيم الحدّ .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثوري ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : لاتقام الحدود .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ ) فتدعوها من حدود الله التي أمر بها ، وافترضها عليهما . قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا ابن هبيرة ، عن خالد بن أبي عمران ، أنه سأل سليمان بن يسار ، عن قول الله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) أي في الحدود ، أو في العقوبة ؟ قال : ذلك فيهما جميعا .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأمّلي ، قال : ثنا يحيى بن زكريا ، عن عبد الملك بن أبي سفيان ، عن عطاء في قوله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : أن يقام حدّ الله ، ولا يعطل ، وليس بالقتل .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عامر في قوله ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : الضرب الشديد .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ ) فَتُخَفَّفُوا الضَّرْبَ عَنْهُمَا ، وَلَكِنْ أَوْجَعُوهُمَا ضَرْبًا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا يحيى بن أبي بكر ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن قتادة ، عن الحسن وسعيد ابن المسيب ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) قال : الجلد الشديد .  
قال : ثنا محمد بن جعفر ، عن شعبة ، عن حماد ، قال : يُحَدِّدُ الْقَازِفَ وَالشَّارِبَ وَعَلَيْهِمَا ثِيَابُهُمَا .  
وأما الزاني فتخلع ثيابه ، وتلا هذه الآية ( وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ ) فقلت لحماد : أهذا في الحكم ؟ قال : في الحكم والجلد .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، قال : يجتهد في حدّ الزاني والفرية ، ويخفف في حدّ الشرب . وقال قتادة : يخفف في الشراب ، ويجتهد في الزاني .  
❖ وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : معنى ذلك : ولا تأخذكم بهما رأفة في إقامة حدّ الله عليهما ، الذي افترض عليكم إقامته عليهما .

وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب ، لدلالة قول الله بعده « في دين الله » ، يعني في طاعة الله التي أمركم بها ، ومعلوم أن دين الله الذي أمر به في الزانيين : إقامة الحدّ عليهما ، على ما أمر من جلد كل واحد منهما مئة جلدة ، مع أن الشدة في الضرب لاحدّ لها يوقف عليه ، وكلّ ضرب أوجع فهو شديد ، وليس للذي يوجع في الشدة حدّ لازيادة فيه ، فيؤمر به . وغير جائز وصفه جلّ ثناؤه بأنه أمر بما لا سبيل للمأمور به إلى معرفته . وإذا كان ذلك كذلك ، فالذي للمأمورين إلى معرفته السبيل هو عدد الجلد على ما أمر به ، وذلك هو إقامة الحدّ على ما قلنا . وللعرب في الرأفة لغتان : الرأفة بتسكين الهمزة ، والرأفة بمدّها ، كالسامة والسامة ، والكأبة والكأبة . وكأنّ الرأفة المرّة الواحدة ، والرأفة المصدر ، كما قيل : ضَوَّلَ ضَالَّةً ، مثل فَعَلُ فَعَالَةً ، وَقَبَّحُ قَبَاحَةً .

وقوله ( إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ) يقول : إِنْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ بِاللَّهِ رَبِّكُمْ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ ، وَأَنْتُمْ فِيهِ مَبْعُوثُونَ لِحُشْرِ الْقِيَامَةِ ، وَلِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ ، فَإِنْ مِنْكُمْ مَنْ كَانَ بِذَلِكَ مُصَدِّقًا ، فَلِإِنَّهُ لَا يَخَالِفُ اللَّهَ فِي أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ ، خَوْفَ عِقَابِهِ عَلَى مَعْاصِيهِ . وقوله ( وَلَيْسَ شَهَادَةُ أَحَدٍ عَلَيْهِمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول تعالى ذكره : وليحضر جلد الزانيين اليكربين وحدّهما إذا أقيم عليهما طائفة من المؤمنين . والعرب تسمى الواحد فما زاد : طائفة . وقوله ( مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ) يقول : من أهل الإيمان بالله ورسوله .

وقد اختلف أهل التأويل في مبلغ عدد الطائفة الذي أمر الله بشهود عذاب الزانيين اليكربين ، فقال بعضهم : أقله واحد .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الطائفة : رجل :

حدثنا علي بن سهل بن موسى بن إسحاق الكنانى وابن القوأس ، قالا : ثنا يحيى بن عيسى ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله ( وَلَيَشْهَدُ عَدَاؤُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : الطائفة رجل ، قال علي : فما فوق ذلك ؛ وقال ابن القوأس : فأكثر من ذلك .

حدثنا علي ، قال : ثنا زيد ، عن سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : الطائفة : رجل . حدثنا يعقوب ، قال : ثنا ابن عسّية ، قال : قال ابن أبي نجيح ( وَلَيَشْهَدُ عَدَاؤُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال مجاهد : أقله رجل .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن مجاهد ، فى قوله ( وَلَيَشْهَدُ عَدَاؤُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : الطائفة : الواحد إلى الألف .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد فى هذه الآية ( وَلَيَشْهَدُ عَدَاؤُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : الطائفة واحد إلى الألف ( وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن مجاهد ، قال : الطائفة : الرجل الواحد إلى الألف ، قال ( وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ) : إنما كانا رجلين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : سمعت عيسى بن يونس ، يقول : ثنا النعمان بن ثابت ، عن حماد وإبراهيم قالا : الطائفة : رجل .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا الثورى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قوله ( وَلَيَشْهَدُ عَدَاؤُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : الطائفة : رجل واحد فما فوقه . وقال آخرون : أقله فى هذا الموضع رجلان .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم . قال : ثنا ابن عسّية ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، فى قوله ( وَلَيَشْهَدُ عَدَاؤُهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : قال عطاء : أقله رجلان .

حدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج . عن ابن جرير ، قال : أخبرني عمر بن عطاء عن عكرمة قال : ليحضر رجلان فصاعدا .

وقال آخرون : أقل ذلك ثلاثة فصاعدا .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا عيسى بن يونس ، عن ابن أبي ذئب ، عن الزهري ، قال : الطائفة : الثلاثة فصاعدا .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( وَلَيْشَهَدْ عَدَا بَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : نفر من المسلمين .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، مثله .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص بن غياث ، قال : ثنا أشعث ، عن أبيه ، قال : أتيت أبا بركة الأسلمي في حاجة ، وقد أخرج جارية إلى باب الدار ، وقد زنت ، فدعا رجلا فقال : اضربها خمسين ، فدعا جماعة ، ثم قرأ ( وَلَيْشَهَدْ عَدَا بَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) .

حدثنا أبو هشام الرفاعي ، قال : ثنا يحيى ، عن أشعث ، عن أبيه ، أن أبا بركة أمر ابنه أن يضرب جارية له ولدت من الزنا ، ضربا غير مبرح ، قال : فأتى عليها ثوبا وعنده قوم ، وقرأ ( وَلَيْشَهَدْ عَدَا بَهُمَا ) الآية . وقال آخرون : بل أقل ذلك أربعة .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَيْشَهَدْ عَدَا بَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) قال : فقال : الطائفة التي يجب بها الحد أربعة .

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : أقل ما ينبغي حضور ذلك من عدد المسلمين : الواحد فصاعدا ، وذلك أن الله عم بقوله ( وَلَيْشَهَدْ عَدَا بَهُمَا طَائِفَةٌ ) والطائفة : قد تقع عند العرب على الواحد فصاعدا . فإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن الله تعالى ذكره وضع دلالة على أن مراده من ذلك خاص من العدد ، كان معلوما أن حضور ما وقع عليه أدنى اسم الطائفة ذلك المحضر مخرج مقيم الحد ، مما أمره الله به بقوله ( وَلَيْشَهَدْ عَدَا بَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ) ، غير أني وإن كان الأمر على ما وصفت ، أستحب أن لا يقصر بعدد من يحضر ذلك الموضع عن أربعة أنفس ، عدد من تقبل شهادته على الزنا ، لأن ذلك إذا كان كذلك ، فلا خلاف بين الجميع أنه قد أدى المقيم الحد ما عليه في ذلك ، وهم فيما دون ذلك مختلفون .

القول في تاويل قوله تعالى :

الرَّائِي لَإِيْنِكُمُ الْإِزَانِيَةُ أَوْ مُشْرِكَةٌ وَالزَّانِيَةُ لَإِيْنِكُمْ إِذَا زَانَتْ أَوْ مُشْرِكَةٌ وَحُرْمَةُ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤١﴾

اختلف أهل التأويل في تاويل ذلك ، فقال بعضهم : نزلت هذه الآية في بعض من استأذن رسول الله صلى الله عليه وسلم في نكاح نسوة كن معروفات بالزنا ، من أهل الشرك ، وكن أصحاب ربايات ، يكثرن الفسق ، فأنزل الله تحريمهن على المؤمنين ، فقال الراي من المؤمنين لا يتزوج إلا زانية أو مشركمة ، لأنهن

كذلك ؛ والزانية من أولئك البغايا لا ينكحها إلا زان من المؤمنين أو المشركين ، أو مشرك مثلها ، لأنهن كنّ مشركات ( وَحُرِّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) فحرم الله نكاحهنّ في قول أهل هذه المقالة بهذه الآية .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : ثنى الحضرمي ، عن القاسم بن محمد ، عن عبد الله بن عمرو : أن رجلا من المسلمين استأذن نبيّ الله في امرأة يقال لها أمّ مهزول ، كانت تسافح الرجل ، وتشترط له أن تنفق عليه ، وأنه استأذن فيها نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر له أمرها ، قال : فقرا نبيّ الله صلى الله عليه وسلم ( الزَّانِيَةُ لَإِيْنِكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) أو قال : فأنزلت « الزانية » . حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنى هشيم ، عن التيمي ، عن القاسم بن محمد ، عن عبد الله بن عمرو في قوله ( الزَّانِي لَإِيْنِكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَإِيْنِكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : كنّ نساء معلومات ، قال : فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة منهنّ لتنفق عليه ، فهامهم الله عن ذلك . قال : أخبرنا سليمان التيمي ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كنّ نساء موارد بالمدينة .

حدثنا أحمد بن المقدم ، قال : ثنا المعتمر ، قال : سمعت أبي ، قال : ثنا قتادة ، عن سعيد بن المسيب في هذه الآية ( وَالزَّانِيَةُ لَإِيْنِكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : نزلت في نساء موارد كنّ بالمدينة . حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا عمرو بن عاصم الكلابي ، قال : ثنا معتمر ، عن أبيه ، عن قتادة ، عن سعيد ، بنحوه .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا داود ، عن رجل ، عن عمرو بن شعيب ، قال كان لمرثد صديقة في الجاهلية يقال لها عناق ، وكان رجلا شديدا ، وكان يقال له دُدُدُل ، وكان يأتي مكة فيحمل ضعفة المسلمين إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلقى صديقتة ، فدعته إلى نفسها ، فقال : إن الله قد حرم الزنا ، فقالت : أأني تـبـرُز ، فخشى أن تشيع عليه ، فرجع إلى المدينة ، فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله كانت لي صديقة في الجاهلية ، فهل ترى لي نكاحها ؟ قال : فأنزل الله ( الزَّانِي لَإِيْنِكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَإِيْنِكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : كنّ نساء معلومات يُدْعَوْنَ القليقيات ١ .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن إبراهيم بن مهاجر ، قال : سمعت مجاهدا يقول في هذه الآية ( الزَّانِي لَإِيْنِكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قال : كنّ بغايا في الجاهلية . حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن عبد الملك ، عن أخبره ، عن مجاهد ، نحو من حديث ابن المثنى ، إلا أنه قال : كانت امرأة منهنّ يقال لها : أمّ مهزول ، يعنى في قوله ( الزَّانِي لَإِيْنِكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قال : فكنّ نساء معلومات ، قال : فكان الرجل من فقراء المسلمين يتزوج المرأة منهنّ لتنفق عليه ، فهامهم الله عن ذلك ، هذا في حديث التيمي .

(١) كذا جاءت هذه الكلمة في الأصول . ولعل أصلها : القليقيات ، نسبة إلى القلق ، وهو ضرب من القلائد المنظومة باللؤلؤ ، كن بلبسه يستهوين به الرجال . أو نسبة إلى القلق ، لكثرة اضطرابهن وتحر كهن . ( أنظر التاج : قلق ) .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ) قال : رجال كانوا يريدون الزنا بنساء زوان بغايا متعاملات كنّ في الجاهلية ، فقبل لهم هذا حرام ، فأرادوا نكاحهن ، فحرم الله عليهم نكاحهن .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، بنحوه ، إلا أنه قال : بغايا مُعْلِنَاتٍ كُنَّ كَذَلِكَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه وإسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبيّ وابن أبي ذئب ، عن شعبة ، عن ابن عباس ، قال : كنّ بغايا في الجاهلية ، على أبوابهنّ رايات مثل رايات البيطار ، يعرفن بها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن قيس بن سعد ، عن عطاء بن أبي رباح ، عن ابن عباس ، قال : نساء بغايا متعاملات ، حرّم الله نكاحهنّ ، لا ينكحهنّ إلا زان من المؤمنين ، أو مشرك من المشركين .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ، وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) قال : كانت بيوت تسمى الموانخير في الجاهلية ، وكانوا يؤاجرون فيها فتياتهنّ ، وكانت بيوتنا معلومة للزنا ، لا يدخل عليهنّ ولا يأتينّ ، إلا زان من أهل القبلة ، أو مشرك من أهل الأوثان ، فحرّم الله ذلك على المؤمنين .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن ابن جُرَيْج ، عن عطاء ، في قوله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : بغايا متعاملات كنّ في الجاهلية بغى آل فلان ، وبغى آل فلان ، فأنزل الله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ، وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) فحكّم الله بذلك من أمر الجاهلية على الإسلام ، فقال له سليمان بن موسى ، أبلغك ذلك عن ابن عباس ؟ فقال : نعم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، قال : سمعت عطاء بن أبي رباح يقول في ذلك : كنّ بغايا متعاملات ، بغى آل فلان ، وبغى آل فلان ، وكنّ زواني مشركات ، فقال ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ، وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) قال : أحكّم الله من أمر الجاهلية بهذا ، قبل له : أبلغك هذا عن ابن عباس ؟ قال : نعم .

قال ابن جريج : وقال عكرمة : إنه كان يسمى تسعا بعد صواحب الرايات ، وكن أكثر من ذلك ، ولكن هؤلاء أصحاب الرايات : أم مهزول جارية السائب بن أبي السائب المخزومي ، وأم عليط جارية صفوان بن أمية ، وحنة القبطية ، جارية العاصي بن وائل ، ومريّة جارية مالك بن عميلة بن السباق بن عبد الدار ، وحلالة ، جارية سهيل بن عمرو ، وأم سويد ، جارية عمرو بن عثمان المخزومي ، وسريفة ، جارية زمعة بن الأسود ، وفرسة ، جارية هشام بن ربيعة بن حبيب بن حذيفة بن جبل بن مالك بن عامر بن لؤي ، وقريبا ، جارية هلال ابن أنس بن جابر بن نمر بن غالب بن فهر .

حدثنا محمد بن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وقال الزهري وقتادة ، قالوا : كان في الجاهلية بغايا معلوم ذلك منهن ، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن ، فأنزل الله ( الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ) . . . الآية .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، وقاله الزهري وقتادة ، قالوا : كانوا في الجاهلية بغايا ، ثم ذكر نحوه .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن القاسم بن أبي بزّة : كان الرجل ينكح الزانية في الجاهلية التي قد علم ذلك منها ، يتخذها مآء كلة ، فأراد ناس من المسلمين نكاحهن على تلك الجهة ، فنهوا عن ذلك .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، قال : قال القاسم بن أبي بزّة ، فذكر نحوه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا سليمان التيمي ، عن سعيد بن المسيب ، قال : كن نساء موارد بالمدينة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبير أن نساء في الجاهلية كن يؤاجرن أنفسهن ، وكان الرجل إنما ينكح إحداهن ، يريد أن يصيب منها عرّضا ، فنهوا عن ذلك ، ونزل ( الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ) ومنهن امرأة يقال لها أم مهزول .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، عن إسماعيل ، عن الشعبي ، في قوله ( الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة ، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك ) قال : كن نساء يكرين أنفسهن في الجاهلية .

وقال آخرون : معنى ذلك : الزاني لا يزني إلا بزانية أو مشركة ، والزانية لا يزني بها إلا زان أو مشرك . قالوا : ومعنى النكاح في هذا الموضع : الجماع .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن حُصَيْن ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، في قول الله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قال : لا يزني إلا بزانية أو مشركة .  
حدثنا ابن المني قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبيرة أنه قال في هذه الآية ( وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : لا يزني الزاني إلا بزانية مثله .  
أو مشركة .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن شبرمة ، عن سعيد بن جبيرة وعكرمة في قوله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قالوا : هو الوطء .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد ، عن معمر ، قال : قال سعيد بن جبيرة ومجاهد ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قالوا : هو الوطء .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي عن سلمة بن نبيط ، عن الضحاك بن مزاحم وشعبة ، عن يعلى بن مسلم ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) ، والزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قالوا : لا يزني الزاني حين يزني إلا بزانية مثله أو مشركة ، ولا تزني مشركة إلا بمنزلها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) ، والزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : هؤلاء بغايا كن في الجاهلية ، والنكاح في كتاب الله الإصابت ، لا يصيبها إلا زان أو مشرك ، لا يحرم الزنا ، ولا تصيب هي إلا مثلها .  
قال : وكان ابن عباس يقول : بغايا كن في الجاهلية .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن قيس بن سعد ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : إذا زنى بها فهو زان .

حدثنا علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قال : الزاني من أهل القبلة لا يزني إلا بزانية مثله أو مشركة ، قال : والزانية من أهل القبلة لا تزني إلا بزنان مثلها من أهل القبلة ، أو مشرك من غير أهل القبلة ، ثم قال ( وَحُرْمٌ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) .

وقال آخرون : كان هذا حكم الله في كل زان وزانية ، حتى نسخه بقوله ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ) ، فأحل نكاح كل مسلمة ، وإنكاح كل مسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، في قوله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) ، والزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) ، وحرّم ذلك على



المؤمنين) قال: يَرَوْنَ الآيَةَ الَّتِي بَعْدَهَا نَسَخَهَا ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ) قال: فهن من أيامى المسلمين .

حدثنا القاسم ، قال ثنا الحسين قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ، وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ ) قال : نسخها التي بعدها ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ) وقال : إنهن من أيامى المسلمين .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، قال : وذكر عن يحيى ، عن ابن المسيب ، قال : نسخها ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن يحيى بن سعيد ، عن سعيد بن المسيب ، قال : نسخها قوله ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى ) .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا أنس بن عياض ، عن يحيى ، قال : ذكر عند سعيد بن المسيب ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) قال : فسمعتة يقول : إنها قد نسخها التي بعدها ، ثم قرأها سعيد ، قال يقول الله ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً ) ثم يقول الله ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ ) فهن من أيامى المسلمين .

قال أبو جعفر : وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب : قول من قال : عني بالنكاح في هذا الموضع : الوطء ، وأن الآية نزلت في البغايا المشركات ذوات الرايات ، وذلك لقيام الحججة على أن الزانية من المسلمات حرام على كل مشرك ، وأن الزانى من المسلمين حرام عليه كل مشركة من عبدة الأوثان . فمعلوم إذا كان ذلك كذلك ، أنه لم يُعَنَّ بِالآيَةِ أَنَّ الزَّانِيَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَا يَعْقِدُ عَقْدَ نِكَاحٍ عَلَى عَفِيفَةٍ مِنَ الْمُسْلِمَاتِ ، وَلَا يَنْكِحُ إِلَّا بَزَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً . وإذا كان ذلك كذلك ، فبين أن معنى الآية : الزانى لا يزنى إلا بزانية لا تستحل الزنا ، أو بمشركة تستحله .

وقوله ( وَحَرَّمَ ذَلِكَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ) يقول : وحرّم الزنا على المؤمنين بالله ورسوله ، وذلك هو النكاح الذى قال جل ثناؤه ( الزَّانِي لَا يَنْكِحُ إِلَّا زَانِيَةً ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤١﴾

يقول تعالى ذكره : والذين يشتمون العفائف من حرائر المسلمين ، فيرمونهن بالزنا ، ثم لم يأتوا على ما رموهن به من ذلك بأربعة شهداء عدول ، يشهدون عليهن أنهن رأوهن يفعلن ذلك ، فاجلدوا الذين رموهن بذلك ثمانين جلدة ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الذين خالفوا أمر الله ، وخرجوا من طاعته ، ففسقوا عنها .

وذكر أن هذه الآية إنما نزلت في الذين رموا عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم بما رموها به من الإفك .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب وإبراهيم بن سعيد ، قالا : ثنا ابن فضيل ، عن خصيف ، قال : قلت لسعيد بن جبير : الزنا أشد ، أو قذف المحصنة ؟ قال : لا ، بل الزنا ، قلت : إن الله يقول ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ) قال : إنما هذا في حديث عائشة خاصة .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ) . . . الآية في نساء المسلمين .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) قال : الكاذبون .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٠﴾

اختلف أهل التأويل في الذي استثنى منه قوله ( إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ) فقال بعضهم : استثنى من قوله ( وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) وقالوا : إذا تاب القاذف قبلت شهادته ، وزال عنه اسم الفسق ، حُدِّ فيه أو لم يحد .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أحمد بن حماد الدؤلابي ، قال : ثنا سفيان ، عن الزهري ، عن سعيد إن شاء الله ، أن عمر قال لأبي بكر : إن تبت قبلت شهادتك ، أو ردَّيت شهادتك .  
حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن سعيد بن المسيب ، أن عمر بن الخطاب ضرب أبا بكر وشبل بن معبد ونافع بن الحارث بن كلاب حدة لهم . وقال لهم : من أكذب نفسه أجزت شهادته فيما استقبل ، ومن لم يفعل لم أجز شهادته ، فأكذب شبل نفسه ونافع ، وأبى أبو بكر أن أن يفعل . قال الزهري : هو والله سنة فاحفظوه .  
حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا داود ، عن الشعبي ، قال : إذا تاب ، يعنى القاذف ، ولم يعلم منه إلا خير ، جازت شهادته .  
حدثنا عمران بن موسى ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا داود ، عن الشعبي ، قال : على الإمام أن يستنيب القاذف بعد الجلاء ، فإن تاب وأونس منه خير ، جازت شهادته ، وإن لم يتب فهو خليل ، لا تجوز شهادته .  
حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا عبد الوارث ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، أنه قال في القاذف إذا تاب وعلم منه خير ، إن شهادته جائزة ، وإن لم يتب فهو خليل لا تجوز شهادته ، وتوبته إكذابه نفسه .  
قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن الشعبي ، نحوه .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب، قالا : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي ، قال في القاذف إذا تاب وأكذب نفسه ، قُبلت شهادته ، وإلا كان خليعا لا شهادة له ، لأن الله يقول : ( لَوْ لَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ) . . . إلى آخر الآية .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا داود بن أبي هند ، عن الشعبي : أنه كان يقول في شهادة القاذف : إذا رجع عن قوله حين يُضرب ، أو أكذب نفسه ، قُبلت شهادته .

قال : ثنا هشيم ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن الشعبي أنه كان يقول : يقبل الله توبته ، وتردّون شهادته ؟ وكان يقبل شهادته إذا تاب .

قال : أخبرنا إسماعيل عن الشعبي : أنه كان يقول في القاذف : إذا شهد قبل أن يُضرب الحدّ ، قُبلت شهادته .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عبيدة ، عن إبراهيم وإسماعيل بن سالم ، عن الشعبي ، أنهما قالا في القاذف : إذا شهد قبل أن يُجلد فشهادته جائزة .

حدثني يعقوب ، قال : قال أبو بشر ، يعني ابن عسّية ، سمعت ابن أبي نجيح يقول : القاذف إذا تاب تجوز شهادته ، وقال : كنا نقوله ، فقيل له من ؟ قال : قال عطاء وطاوس ومجاهد .

حدثنا ابن بشار ، وابن المثني ، قالا : ثنا محمد بن خالد بن عسّمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن عمر بن طلحة ، عن عبد الله ، قال : إذا تاب القاذف جلد ، وجازت شهادته ، قال أبو موسى : هكذا قال ابن أبي عسّمة .

حدثنا ابن بشار وابن المثني ، قالا : ثنا ابن أبي عسّمة ، قال : ثنا سعيد بن بشير ، عن قتادة ، عن سليمان ابن يسار والشعبي قالا : إذا تاب القاذف عند الجلد جازت شهادته .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة : أن عمر بن عبد الله بن أبي طلحة جلد رجلا في قذف ، فقال : أكذب نفسك ، حتى تجوز شهادتك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي الهيثم ، قال : سمعت إبراهيم والشعبي يتذاكران شهادة القاذف ، فقال الشعبي لإبراهيم : لم لاتقبل شهادته ؟ فقال : لأني لأدرى تاب أم لا .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن مجالد ، عن الشعبي ، عن مسروق ، قال : تُقبل شهادته إذا تاب .

قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن يعقوب بن القعقاع ، عن محمد بن زيد ، عن سعيد بن جبير ، مثله .

قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن ابن جرير ، عن عمران بن موسى ، قال : شهدت عمر بن عبد العزيز أجاز شهادة القاذف ومعه رجل .

حدثنا ابن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : قال الشعبي : إذا تاب جازت شهادته ، قال ابن المثني ، قال : عندي ، يعني في القذف .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا مسعر ، عن عمرآن بن عمير ، أن عبد الله بن عتبة كان يجيز شهادة القاذف إذا تاب .  
حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، عن جوير ، عن الضحاك ، قال : إذا تاب وأصلح قبلت شهادته يعنى القاذف .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن ثور ، عن معمر ، عن قتادة ، عن ابن المسيب ، قال : تقبل شهادة القاذف إذا تاب .

حدثنا الحسن ، قال : ثنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، عن ابن المسيب ، مثله .  
حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد ، عن معمر ، قال : قال الزهري : إذا حد القاذف ، فإنه ينبغي للإمام أن يستتبه ، فان تاب قبلت شهادته ، وإلا لم تقبل ، قال : كذلك فعل عمر بن الخطاب بالذين شهدوا على المغيرة بن شعبة ، فتابوا إلا أبا بكر ، فكان لا تقبل شهادته .  
وقال آخرون : الاستثناء في ذلك من قوله (وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) .

وأما قوله (وَلَا تَتَّبِعُوا لَهُمْ شَهَادَةَ أَبَدًا) فقد وصل بالأبد ولا يجوز قبولها أبدا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا أشعث بن سوار ، قال : ثنا الشعبي ، قال : كان شريح يجيز شهادة صاحب كل عمل إذا تاب إلا القاذف ، فإن توبته فيما بينه وبين ربه ، ولا يجيز شهادته .

حدثنا حميد بن مسعدة ، قال : ثنا يزيد ، قال : ثنا أشعث بن سوار ، قال : ثنا الشعبي ، عن شريح بنحوه ، غير أنه قال : صاحب كل حد إذا كان عدلا يوم شهد .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا أبو معاوية عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن شريح ، قال : كان لا يجيز شهادة القاذف ، ويقول : توبته فيما بينه وبين ربه .

حدثنا أبو كريب وأبو السائب ، قالوا : ثنا ابن إدريس ، عن مطرف ، عن أبي عثمان ، عن شريح في القاذف : يقبل الله توبته ، ولا أقبل شهادته .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا أشعث ، عن الشعبي ، قال : أتاه خصمان ، فجاء أحدهما بشاهد أقطع ، فقال الخصم : ألا ترى ما به ؟ قال : قد أراه ، قال : فسأل القوم ، فأثنوا عليه خيرا ، فقال شريح : يجيز شهادة كل صاحب حد ، إذا كان يوم شهد عدلا ، إلا القاذف ، فإن توبته فيما بينه وبين ربه .

حدثنا أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : أخبرنا أشعث ، عن الشعبي ، قال : جاء خصمان إلى شريح ، فجاء أحدهما ببينة ، فجاء بشاهد أقطع ، فقال الخصم : ألا ترى إلى ما به ؟ فقال شريح : قد رأيتاه ، وقد سألت القوم فأثنوا خيرا ، ثم ذكر سائر الحديث ، نحو حديث أبي كريب .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الشيباني ، عن الشعبي ، عن شريح أنه كان يقول : لا تقبل له شهادة أبدا ، توبته فيما بينه وبين ربه ، يعني القاذف .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا الأشعث ، عن الشعبي ، بأن ربابا قطع رجلا في قطع الطريق ، قال : فقطع يده ورجله ، قال : ثم تاب وأصلح ، فشهد عند شريح ، فأجاز شهادته ، قال : فقال المشهود عليه : أتجزئ شهادته عليّ وهو أقطع ؟ قال : فقال شريح : كل صاحب حدّ إذا أقيم عليه ثم تاب وأصلح ، فشهادته جائزة إلا القاذف .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا أبو الوليد ، قال : ثنا شعبة ، قال المغيرة : أخبرني ، قال : سمعت إبراهيم يحدث عن شريح ، قال : قضاء من الله لا تقبل شهادته أبدا ، توبته فيما بينه وبين ربه ، قال أبو موسى : يعني القاذف .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، قال : قال شريح : لا يقبل الله شهادته أبدا .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا أبو الوليد ، قال : ثنا حماد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : لا تجوز شهادة القاذف ، توبته فيما بينه وبين الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، أنه قال : القاذف توبته فيما بينه وبين الله ، وشهادته لا تقبل .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا أبو الوليد ، قال : ثنا حماد ، عن قتادة ، عن سعيد بن المسيب ، قال : لا تجوز شهادة القاذف ، توبته فيما بينه وبين الله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الأعلى ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ، أنه قال : القاذف توبته فيما بينه وبين الله ، وشهادته لا تقبل .

حدثنا ابن المني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن إبراهيم أنه قال في الرجل يُجْلَدُ الحدّ ، قال : لا تجوز شهادته أبدا .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم أنه كان لا يقبل له شهادة أبدا ، وتوبته فيما بينه وبين الله ، يعني القاذف .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا معتمر بن سليمان ، عن حجاج ، عن عمرو بن سعيد ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لا تجوز شهادةُ محدودٍ في الإسلام » .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن الحسن ( ولا تقبلوا لهم شهادةً أبداً ) قال : كان يقول : لا تقبل شهادة القاذف أبدا ، إنما توبته فيما بينه وبين الله . وكان شريح يقول : لا تقبل شهادته .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ) ، ثم قال ( فَمَنْ تَابَ وَأَصْلَحَ ) فشهادته في كتاب الله تقبل .  
 ❖ والصواب من القول في ذلك عندنا : أن الاستثناء من المعنيين جميعا ، أعني من قوله ( وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ) ، ومن قوله ( وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) ، وذلك أنه لاخلاف بين الجميع أن ذلك كذلك ، إذا لم يحدث في القذف حتى تاب ، إما بأن يرفع إلى السلطان بعفو المقدوفة عنه ، وإما بأن ماتت قبل المطالبة بحدّها ولم يكن لها طالب يطلب بحدّها . فإذا كان ذلك كذلك ، وحدثت منه توبة ، صحّت له بها العدالة .  
 فإذا كان من الجميع إجماعا ، ولم يكن الله تعالى ذكره شرط في كتابه أن لا تقبل شهادته أبدا بعد الحدّ في رمية ، بل نهى عن قبول شهادته في الحال التي أوجب عليه فيها الحدّ ، وسماه فيها فاسقا ، كان معلوما بذلك أن إقامة الحدّ عليه في رمية ، لا تحدث في شهادته مع التوبة من ذنبه ، ما لم يكن حادثا فيها قبل إقامته عليه ، بل توبته بعد إقامة الحدّ عليه من ذنبه ، أخرى أن تكون شهادته معها أجوز منها قبل إقامته عليه ، لأن الحدّ يزيد المحدود عليه تطهيرا من جرّمه الذي استحقّ عليه الحدّ .

فإن قال قائل : فهل يجوز أن يكون الاستثناء من قوله ( فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ) فتكون التوبة مُسْقِطَةً عنه الحدّ ، كما كانت لشهادته عندك قبل الحدّ وبعده مجيزة ، ولاسم الفسق عنه مزيلة ؟ قيل : ذلك غير جائز عندنا ، وذلك أن الحدّ حقّ عندنا للمقدوفة ، كالقصاص الذي يجب لها من جنابة يجنيها عليها ، مما فيه القصاص ، ولا خلاف بين الجميع أن توبته من ذلك لا تنزع عنه الواجب لها من القصاص منه ، فكذلك توبته من القذف لا تنزع عنه الواجب لها من الحدّ ، لأن ذلك حقّ لها ، إن شاءت عففته ، وإن شاءت طالبت به ، فتوبة العبد من ذنبه ، إنما تنزع عن العبد الأسماء الذميمة ، والصفات القبيحة . فأما حقوق الآدميين التي أوجبها الله لبعضهم على بعض في كلّ الأحوال ، فلا تزول بها ولا تبطل .

واختلف أهل العلم في صفة توبة القاذف ، التي تقبل معها شهادته ، فقال بعضهم : هو إكذابه نفسه فيه . وقد ذكرنا بعض قائل ذلك فيما مضى قبل ، ونحن نذكر بعض ما حضرنا ذكره ، مما لم نذكره قبل .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن ليث ، عن طاوس ، قال : توبة القاذف أن يكذب نفسه .  
 حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، قال : رأيت رجلا ضرب حداً في قذف بالمدينة ، فلما فرغ من ضربه تناول ثوبه ، ثم قال : أستغفر الله وأتوب إليه من قذف المحصنات ، قال : فلقبت أبا الزناد ، فذكرت ذلك له ، قال : فقال : إن الأمر عندنا ها هنا أنه إذا قال حين يفرغ من ضربه ، ولم نعلم منه إلا خيرا قبلت شهادته .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله ( وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا ) ، وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا ) . الآية ، قال : من اعترف وأقرّ على نفسه علانية أنه قال البهتان ، وتاب إلى الله توبة نصوحا . والنصوح : أن لا يعودوا وإقراره واعترافه عند الحدّ حين يؤخذ بالحدّ ، فقد تاب والله غفور رحيم .

وقال آخرون: توبته من ذلك: صلاح حاله، وندمه على ما فرط منه من ذلك، والاستغفار منه، وتركه العود في مثل ذلك من الجرم. وذلك قول جماعة من التابعين وغيرهم، وقد ذكرنا بعض قائله فيما مضى، وهو قول مالك بن أنس.

وهذا القول أولى القولين في ذلك بالصواب؛ لأن الله تعالى ذكره جعل توبة كل ذنب من أهل الإيمان تركه العود منه، والندم على ما سلف منه، واستغفار ربه منه، فيما كان من ذنب بين العبد وبينه، دون ما كان من حقوق عباده ومظالمهم بينهم، والقاذف إذا أقيم عليه فيه الحد، أو عني عنه، فلم يبق عليه إلا توبته من جرمه بينه وبين ربه، فسبيل توبته منه سبيل توبته من سائر أجهامه. فإذا كان الصحيح في ذلك من القول ما وصفنا، فتأويل الكلام: وأولئك هم الفاسقون، إلا الذين تابوا من جرمهم الذي اجترموه، بقذفهم المحصنات من بعد اجترامهموه. (فإن الله غفورٌ رحيمٌ) يقول: سائر على ذنوبهم بعفوه لهم عنها، رحيم بهم بعد التوبة أن يعذبهم عليها، فاقبلوا شهادتهم، ولا تسموهم فسقة، بل سموهم بأسمائهم التي هي لهم في حال توبتهم.

القول في تأويل قوله تعالى:

وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾ وَالْخَمِيسَةَ أَنْ لَعَنَتُ لِلَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى ذكره (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ) من الرجال (أَزْوَاجَهُمْ) بالفاحشة، فيقذفونهن بالزنا، (وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ) يشهدون لهم بصحة ما رموهن به من الفاحشة (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ).

واختلفت القراء في قراءة ذلك، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة (أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ) نصبا، ولنصبتهم ذلك وجهان: أحدهما: أن تكون الشهادة في قوله (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ) مرفوعة بمضمر قبلها، وتكون الأربع منصوبا بمعنى الشهادة، فيكون تأويل الكلام حينئذ: فعلى أحدهم أن يشهد أربع شهادات بالله. والوجه الثاني: أن تكون الشهادة مرفوعة بقوله (لَمِنَ الصَّادِقِينَ) والأربع منصوبة بوقوع الشهادة عليها، كما يقال: شهادتي ألف مرة: إنك لرجل سوء. وذلك أن العرب ترفع الإيمان بأجوبتها، فتقول: حلفٌ صادق لأقومن، وشهادة عمرو ليقعدن. وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين: (أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ) برفع الأربع، ويجعلونها للشهادة مرافعة، وكأنهم وجهوا تأويل الكلام، فالذي يلزم من الشهادة، أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين.

وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب: قراءة من قرأ: (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) بنصب أربع، بوقوع الشهادة عليها، والشهادة مرفوعة حينئذ على ما وصفت من الوجهين.

قبل . وأحب وجهيهما إلى : أن تكون به مرفوعة بالجواب ، وذلك قوله ( إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ) وذلك أن معنى الكلام : والذين يرمون أزواجهم ، ولم يكن لهم شهاداء إلا أنفسهم ، فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، تقوم مقام الشهداء الأربعة ، في دفع الحد عنه . فترك ذكر تقوم مقام الشهداء الأربعة ، اكتفاء بمعرفة السامعين بما ذكر من الكلام ، فصار مرفيع الشهادة ما وصفت . ويعنى بقوله ( فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ ) : فحلف أحدهم أربع أيمان بالله ، من قول القائل : أشهد بالله إنه لمن الصادقين ، فيما رمى زوجته به من الفاحشة . ( والخامسة ) يقول : والشهادة الخامسة . ( أن لعنة الله عليه ) يقول : إن لعنة الله له واجبة ، وعليه حالة ، إن كان فيما رماها به من الفاحشة من الكاذبين .

وبنحو الذي قلنا في ذلك جاءت الآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقالت به جماعة من أهل التأويل

ذكر الرواية بذلك ، وذكر السبب الذي فيه أنزلت هذه الآية

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، قال : ثنا أيوب ، عن عكرمة ، قال : « لما نزلت ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ، فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ) قال سعد بن عباد : الله إن أنا رأيت لكعاع متفخذها رجل ، فقلت بما رأيت ، إن في ظهري ثمانين ، إلى ما أجمع أربعة قد ذهب ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « يا معشر الأنصار ، ألا تسمعون إلى ما يقول سيّدكم ؟ قالوا : يا رسول الله لا نعلمه ، وذكروا من غيرته ، فما تزوج امرأة قط إلا بكرا ، ولا طلق امرأة قط فرجع فيها أحد منا . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : فإن الله يأتي إلا ذاك ، فقال : صدق الله ورسوله . قال : فلم يلبثوا أن جاء ابن عم له ، فرمى امرأته ، فشق ذلك على المسلمين ، فقال : لا والله ، لا يجعل في ظهري ثمانين أبدا ، لقد نظرت حتى أيقنت ، ولقد استسمعت حتى استشفيت . قال : فأنزل الله القرآن باللّعان ، فقيل له : احلف ، فحلف ، قال : قفوه عند الخامسة ، فإنها موجبة . فقال : لا يبدخه الله النار بهذا أبدا ، كما درأ عنه جلد ثمانين ، لقد نظرت حتى أيقنت ، ولقد استسمعت حتى استشفيت ، فحلف ، ثم قيل : احلفي ، فحلفت ، ثم قال : قفوها عند الخامسة ، فإنها موجبة ، فقيل لها : إنها موجبة ، فتلكأت ساعة ، ثم قالت : لا أخزى قومي ، فحلفت . فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن جاءت به كذا وكذا ، فهو لزوجها ، وإن جاءت به كذا وكذا ، فهو للذي قيل فيه ما قيل . قال : فجاءت به غلاما كأنه حمل أورك ، فكان بعد أميرا بمصر ، لا يعرف نسبه ، أو لا يدري من أبوه . »

حدثنا خلاد بن أسلم ، قال : أخبرنا النضر بن شميل ، قال : أخبرنا عباد ، قال : سمعت عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : « لما نزلت هذه الآية ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ، فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ) ، ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا ، وأولئك هم الفاسقون ) قال سعد بن عباد : لهكذا أنزلت يا رسول الله ؟ لو أتيت لكعاع قد تفخذها رجل ، لم يكن لي أن أهبه ولا أحرّكه ، حتى آتى بأربعة شهداء ، فوالله ما كنت لآتي بأربعة شهداء ، حتى يفرغ من حاجته ،



فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا معشر الأنصار ، أما تسمعون إلى ما يقول سيّدكم ، قالوا : لا تلّمه فإنه رجل غيور ، ما تزوج فينا قطّ إلا عذراء ، ولا طلق امرأة له ، فاجترأ رجل منا أن يتزوجها ؛ قال سعد : يا رسول الله ، بأبي وأمي ، والله إني لأعرف أنها من الله ، وأنها حقّ ، ولكن عجبت لو وجدت لكأغ قد تفخذها رجل ، لم يكن لي أن أهيجه ولا أحرّكه ، حتى آتى بأربعة شهداء ، والله لا آتى بأربعة شهداء ، حتى يفرغ من حاجته . فوالله ما لبثوا إلا يسيرا حتى جاء هلال بن أمية من حديقة له ، فرأى بعينه ، وسمع بأذنيه ، فأمسك حتى أصبح ، فلما أصبح غدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو جالس مع أصحابه ، فقال : يا رسول الله ، إني جئت أهلي عشاء ، فوجدت رجلا مع أهلي ، رأيت بعيني ، وسمعت بأذني ، فكره رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتاه به ، وثقل عليه جدا ، حتى عرف ذلك في وجهه ، فقال هلال : والله يا رسول الله إني لأرى الكراهة في وجهك مما أتيتك به ، والله يعلم أني صادق ، وما قلت إلا حقا ، فإني لأرجو أن يجعل الله فرجا . قال : واجتمعت الأنصار ، فقالوا : ابتلينا بما قال سعد ، أيجلد هلال بن أمية ، وتبطل شهادته في المسلمين ؟ فهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربه ، فإنه لكذلك ، يريد أن يأمر بضربه ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه ، إذ نزل عليه الوحي ، فأمسك أصحابه عن كلامه ، حين عرفوا أن الوحي قد نزل ، حتى فرغ ، فأنزل الله ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ، وَكَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ) . . . إلى ( أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أبشّر يا هلال ، فإن الله قد جعل فرجا ، فقال : قد كنت أرجو ذلك من الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أرسلوا إليها ، فجاءت ، فلما اجتمعا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم قيل لها ، فكذّبت ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يعلم أن أحدكما كاذب ، فهل منكما تائب ؟ فقال هلال : يا رسول الله ، بأبي وأمي لقد صدقت ، وما قلت إلا حقا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا عينوا بينهما ، قيل لهلال : يا هلال اشهد ، فشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين ، فقيل له عند الخامسة : يا هلال اتق الله ، فإن عذاب الله أشدّ من عذاب الناس ، وإنها الموجبة ، التي توجب عليك العذاب ، فقال هلال : والله لا يعذبني الله عليها ، كما لم يجلدني عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشهد الخامسة : ( أَنْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ) ؛ ثم قيل لها : اشهدي ، فشهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، فقيل لها عند الخامسة : اتق الله ، فإن عذاب الله أشدّ من عذاب الناس ، وإن هذه الموجبة ، التي توجب عليك العذاب ، فتلكأت ساعة ، ثم قالت : والله لأفصح قومي ، فشهدت الخامسة : ( أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ) ففرق بينهما رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقضى أن الولد لها ، ولا يدعى لأب ، ولا يرّمى ولدها .

حدثني أحمد بن محمد الطوسي ، قال : ثنا أبو أحمد الحسين بن محمد ، قال : ثنا جرير بن حازم ، عن أيوب ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : لما قذف هلال بن أمية امرأته ، قيل له : والله ليجلدنك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانين جلدة ، قال : الله أعدل من ذلك ، أن يضربني ضربة وقد علم أني

قد رأيت حتى استيقنت ، وسمعت حتى استثبتت ، لا والله لا يضربني أبدا ؛ فنزلت آية الملائنة ، فدعا بهما رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نزلت الآية ، فقال : الله يعلم أن أحدكما كاذب ، فهل منكما تائب ؟ فقال هلال : والله إني لصادق ، فقال له : احلف بالله الذي لا إله إلا هو : إني لصادق ، يقول ذلك أربع مرات ، فإن كنت كاذبا فعلى لعنة الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قِفُوهُ عِنْدَ الْخَامِسَةِ ، فَإِنَّهَا مُوجِبَةٌ ، فحلف ، ثم قالت أربعاً : والله الذي لا إله إلا هو : إنه لمن الكاذبين ، فإن كان صادقا فعليها غضب الله ، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قِفُوها عِنْدَ الْخَامِسَةِ ، فَإِنَّهَا مُوجِبَةٌ ، فترددت وهمت بالاعتراف ، ثم قالت لأفضح قومي .

حدثنا أبو كريب وأبو هشام الرفاعي ، قالا : ثنا عبدة ، عن الأعمش : عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبد الله ، قال : كنا ليلة الجمعة في المسجد ، فدخل رجل فقال : لو أن رجلا وجد مع امرأته رجلا فقتله قتلتموه ، وإن تكلم جلدتموه . فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله آية اللعان ، ثم جاء الرجل بعد ، فقذف امرأته ، فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما . فقال : عسى أن تجيء به أسود جعداً ، فجاءت به أسود جعداً .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا جرير بن عبد الحميد ، عن عبد الملك بن أبي سليمان ، عن سعيد بن جبير قال : سألت ابن عمر ، فقلت : يا أبا عبد الرحمن ، أيفترق بين المتلاعنين ؟ فقال : نعم ، سبحان الله ! إن أول من سأل عن ذلك فلان ، أتى النبي صلى الله عليه وسلم فسأله ، فقال : رأيت لو أن أحدنا رأى صاحبه على فاحشة ، كيف يصنع ؟ فلم يجبه في ذلك شيئاً . قال : فأتاه بعد ذلك فقال : إن الذي سألت عنه قد ابتليت به ، فأنزل الله هذه الآية في سورة النور ، فدعا الرجل فوعظه وذكره ، وأخبره أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ؛ قال : والذي بعثك بالحق ، لقد رأيتُ وما كذبت عليها ؛ قال : ودعا المرأة فوعظها ، وأخبرها أن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة ، فقالت : والذي بعثك بالحق إنه لكاذب ، وما رأى شيئاً ؛ قال : فبدأ الرجل ، فشهد أربع شهادات بالله : إنه لمن الصادقين ، والخامسة : أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ؛ ثم إن المرأة شهدت أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين ، والخامسة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ، وفرق بينهما .

حدثنا ابن المنبي ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، عن داود ، عن عامر ، قال : لما أنزل ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً ) قال عاصم بن عدي : إن أنا رأيت فتكلمت جلدت ثمانين ، وإن أنا سكت ، سكت على الغيظ ؛ قال : فكان ذلك شقاً على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فأنزلت هذه الآية : ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنفُسُهُمْ ) قال : فما لبثوا إلا جمعة ، حتى كان بين رجل من قومه وبين امرأته ، فلاعن رسول الله صلى الله عليه وسلم بينهما .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلَّا أَنْفُسُهُمْ ) . . . الآية ، والخامسة : أن يقال له : إن عليك لعنة الله إن كنت من الكاذبين ، وإن أقرت المرأة بقوله رجيت ، وإن أنكرت شهدت أربع شهادات بالله : إنه لمن الكاذبين ، والخامسة أن يقال لها : غضب الله عليك إن كان من الصادقين ، فيُدرأ عنها العذاب ، ويُفترق بينهما ، فلا يجتمعان أبداً ، ويلحق الولد بأمه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عكرمة ، قوله ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ) قال هلال بن أمية : والذي رُميت به شريك بن سماء ، والذي استفتى عاصم ابن عدي .

قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني الزهري عن الملاعة والسنة فيها ، عن حديث سهل بن سعد ، أن رجلاً من الأنصار جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : رأيت رجلاً وجد مع امرأته رجلاً ، أيقلته فقتلونه ؟ أم كيف يفعل ؟ فأنزل الله في شأنه ما ذكر من أمر المتلاعنين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : قد قضى الله فيك وفي امرأتك ، فتلاعنا وأنا شاهد ، ثم فارقتها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فكانت السنة بعدها أن يُفترق بين المتلاعنين ، وكانت حاملاً ، فأنكره ، فكان ابنها يُدعى إلى أمه ، ثم جرت السنة أن ابنها يرثها ، وترث ما فرض الله لها .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ ) . . . إلى قوله ( إن كان من الكاذبين ) قال : إذا شهد الرجل خمس شهادات ، فقد برئ كل واحد من الآخر ، وعيدتها إن كانت حاملاً أن تضع حملها ، ولا يجلد واحد منهما ، وإن لم تحلف أقيم عليها الحد والرجم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٨٥﴾ وَالْخَيْسَةَ أَنْ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهَا  
إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٨٦﴾

❖ يعني جل ذكره بقوله ( وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ ) : ويدفع عنها الحد .  
واختلف أهل العلم في العذاب الذي عناه الله في هذا الموضع ، أنه يدرؤه عنها شهاداتها الأربع ، فقال بعضهم بنحو الذي قلنا في ذلك ، من أن الحد جلد مئة إن كانت بكراً ، أو الرجم إن كانت ثيباً قد أحصنت . وقال آخرون : بل ذلك الحبس ، وقالوا : الذي يجب عليها إن هي لم تشهد الشهادات الأربع بعد شهادات الزوج الأربع والتعانه : الحبس دون الحد .  
وإنما قلنا : الواجب عليها إذا هي امتنعت من الالتعان بعد التعان الزوج ، الحد الذي وصفنا ، قياساً على

إجماع الجميع ، على أن الحد إذا زال عن الزوج بالشهادات الأربع ، على تصديقه فيما رماها به ، أن الحد عليها واجب ، فجعل الله أيمانه الأربع ، والتعانه في الخامسة ، مخرجا له من الحد الذي يجب لها ، برميها إياها ، كما جعل الشهداء الأربعة ، مخرجا له منه في ذلك ، وزائلا به عنه الحد ، فكذاك الواجب أن يكون بزوال الحد عنه بذلك ، واجبا عليها حدها ، كما كان بزواله عنه بالشهود واجبا عليها ، لافرق بين ذلك ، وقد استقصينا العلل في ذلك في باب اللعان من كتابنا المسمى « لطيف القول في شرائع الإسلام » ، فأغنى عن إعادته في هذا الموضع . وقوله ( أن يشهد أربع شهادات بالله ) يقول : ويدفع عنها العذاب أن تحلف بالله أربع أيمان : أن زوجها الذي رماها بما رماها به من الفاحشة ، إن الكاذبين فيما رماها به من الزنا . وقوله ( والخامسة أن غضب الله عليهما ) . . . الآية ، يقول : والشهادة الخامسة : أن غضب الله عليها إن كان زوجها فيما رماها به من الزنا من الصادقين ؛ ورفع قوله ( والخامسة ) في كلتا الآيتين ، بأن التي تليها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره : ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته بكم ، وأنه عواد على خلقه بلطفه وطوله ، حكيم في تدبيره إياهم ، وسياسته لهم ، لعاجلكم بالعقوبة على معاصيكم ، وفضح أهل الذنوب منكم بذنوبهم ، ولكنه ستر عليكم ذنوبكم ، وترك فضيحتكم بها عاجلا ، رحمة منه بكم ، وتفضلا عليكم ، فاشكروا نعمه ، وانتهوا عن التقدم عما عنه نهاكم من معاصيه . وترك الجواب في ذلك ، اكتفاء بمعرفة السامع المراد منه .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ مَا أَكْسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين جاءوا بالكذب والبهتان . ( عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ ) يقول : جماعة منكم أيها الناس . ( لَا نَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ) يقول : لا نظنوا ما جاءوا به من الإفك شرا لكم عند الله ، وعند الناس ، بل ذلك خير لكم عنده وعند المؤمنين ، وذلك أن الله يجعل ذلك ، كفارة للمرء به ، ويظهر براءته مما رمى به ، ويجعل له منه مخرجا . وقيل : إن الذي عسى الله بقوله ( إن الذين جاءوا بالإفك ، عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ ) : جماعة ، منهم حسان بن ثابت ، ومسطح بن أثانة ، وحنينة بنت جحش .

كما حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن عروة ، عن عروة : أنه كتب إلى عبد الملك بن مروان : كتبت إلى تسألني في الذين جاءوا بالإفك ، وهم كما قال الله ( إن الذين جاءوا بالإفك عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ ) ، وأنه لم يسم منهم أحد إلا حسان بن ثابت ، ومسطح بن أثانة ، وحنينة بنت جحش ، وهو يقال في آخرين لا علم لي بهم ، غير أنهم عصبة ، كما قال الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جرير ، عن مجاهد ، قوله ( جاءوا بالإفك عَصْبَةَ مِنْكُمْ ) . . . الآية ، الذين افترّوا على عائشة : عبد الله بن أُبَيّ ، وهو الذي تولى كِبْرَهُ ، وحسان بن ثابت ، ومِسْطَح ، وحمّنة بنت جحش .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) الذين قالوا لعائشة الإفك والبهتان .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ، لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ) قال : الشر لكم بالإفك الذي قالوا ، الذي تكلموا به ، كان شرًّا لهم ، وكان فيهم من لم يقله ، إنما سمعه ، فعاتبهم الله ، فقال : أول شيء ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ، لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ ، بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ ) ثم قال : ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) .

وقوله ( لِكُلِّ امْرِيٍّ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ ) يقول : لكل امرئ من الذين جاءوا بالإفك جزء ما اجترم من الإثم ، بمجيئه بما جاء به ، من الأولى عبد الله . وقوله ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ) يقول : والذي تحمل معظم ذلك الإثم والإفك منهم : هو الذي بدأ بالخوض فيه .

كما حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ) يقول : الذي بدأ بذلك .

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) قال : أصحاب عائشة عبد الله بن أبيّ بن سَلُول ، ومِسْطَح ، وحسّان . قال أبو جعفر : له من الله عذاب عظيم يوم القيامة .

وقد اختلف القراء في قراءة قوله ( كِبْرَهُ ) فقرأت ذلك عامة قراء الأمصار ( كِبْرَهُ ) بكسر الكاف ، سوى حميد الأعرج ، فإنه كان يقرؤه ( كِبْرَهُ ) بمعنى : والذي تحمل أكبره .

وأولى القراءتين في ذلك بالصواب : القراءة التي عليها عوام القراء ، وهي كسر الكاف ، لإجماع الحجة من القراء عليها ، وأن الكبر : بالكسر : مصدر الكبير من الأمور ، وأن الكُبر بضم الكاف : إنما هو من الولاء والنسب ، من قولهم : هو كُبر قومه ؛ والكبر في هذا الموضع : هو ما وصفناه من معظم الإثم والإفك . فإذا كان ذلك كذلك ، فالكسر في كافته هو الكلام الفصيح ، دون ضمها ، وإن كان لضمها وجه مفهوم .

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بقوله ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ ) . . . الآية ، فقال بعضهم : هو حسان بن ثابت .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن قزعة ، قال : ثنا مسلمة بن علقمة ، قال : ثنا داود ، عن عامر ، أن عائشة قالت :  
 ما سمعت بشيء أحسن من شعر حسان ، وما تمثلت به إلا رجوت له الجنة ، قوله لأبي سفيان :

هَجَوْتُ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ وَعِنْدَ اللَّهِ فِي ذَاكَ الْجَزَاءُ  
 فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وَقَاءُ  
 أَتَشْتُمُهُ وَلَسْتُ لَهُ بِكُفٍّ فَشَرُّكُمْ لِحَسْبِكُمْمَا الْفِداءُ  
 لِسَانِي صَارِمٌ لَا عَيْبَ فِيهِ وَبِحَمْرِي لَا تُكَدِّرُهُ الدَّلَاءُ<sup>١</sup>

فقيل : يا أم المؤمنين ، أليس هذا لغوا ؟ قالت : لا ، إنما اللغو ما قيل عند النساء . قيل : أليس الله يقول :  
 ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) قالت : أليس قد أصابه عذاب عظيم ، أليس قد  
 ذهب بصره ، وكُنِعَ بالسيف<sup>٢</sup> .

قال : ثنا ابن بشار ، قال : ثنا مؤمل ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق  
 قال : كنت عند عائشة ، فدخل حسان بن ثابت ، فأمرت ، فألقى له وسادة ، فلما خرج قلت لعائشة :  
 ما تصنعين بهذا وقد قال الله ما قال ؟ فقالت : قال الله ( وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ  
 عَظِيمٌ ) وقد ذهب بصره ، ولعل الله يجعل ذلك العذاب العظيم : ذهاب بصره .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن أبي عدي ، عن شعبة ، عن سليمان ، عن أبي الضحى ، عن مسروق  
 قال : دخل حسان بن ثابت على عائشة ، فشبب بأبيات له ، فقال :

• وَتُصْبِحُ غَرَّتِي مِنْ لُحُومِ الْغَوَافِلِ<sup>٣</sup> •

فقالت عائشة : أما إنك لست كذلك ! فقلت : تدعين هذا الرجل يدخل عليك ، وقد أنزل الله فيه ( وَالَّذِي  
 تَوَلَّى كِبْرَهُ ) . . . الآية ؟ فقالت : وأي عذاب أشد من العمى ، وقالت : إنه كان يدفع عن رسول  
 الله صلى الله عليه وسلم .

حدثني محمد بن عثمان الواسطي ، قال : ثنا جعفر بن عون ، عن المُعْتَلِي بن عرفان ، عن محمد بن عبد الله  
 ابن جحش ، قال : تفاخرت عائشة وزينب ، قال : فقالت زينب : أنا التي نزل ترؤيحي من السماء ،

(١) هذه الأبيات الأربعة لحسان بن ثابت الأنصاري ، شاعر الرسول صلى الله عليه وسلم ، يهجو بها أبا سفيان ابن الخارث بن  
 عبد المطلب ، شاعر قريش قبل إسلامه . وهي من قصيدته التي مطلعها : « عفت ذات الأصابع فالجواء » . والأبيات قرب نهاية القصيدة ،  
 وقبلها « ألا أبلغ أبا سفيان عني مغلفة فقد برح الحفاء » ( وانظر القصيدة في سيرة ابن هشام طبعة الحلبي ج ٤ : ٦٤ - ٦٦ )  
 وقد استشهد بها المؤلف على أن حسان كان من خاص في حديث الألفك ، الذي رميت به أم المؤمنين عائشة المبرأة ، رضي الله عنها .

(٢) كنع بالسيف : ضرب به حتى يبس جلده ( اللسان ) .  
 (٣) هذا عجز بيت لحسان بن ثابت ، من أبيات له في مدح أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها بعد أن نزلت برأيتها في سورة  
 النور ، من الإلفك الذي نخاص فيه بعض الصحابة ، وكان حسان من أشدهم عوصا فيه ، حتى إذا حصص الحق ، وظهرت برادة  
 أم المؤمنين ، ندم حسان واعتذر ، وقال بمدحها في أبيات له . وصدر البيت : « حصان رزان ما تزن ربيبة » . والحصان : الطيفة  
 والرزان : الرزينة الثابتة التي لا يستطعها الطيئس . وتزن : ترمي وتتهم . والربيبة : التهمة والشك . وغرني : جائعة ، يريد لا تغتاب  
 النساء ، والغوافل : جمع غافلة ، وهي التي تغفل قلبها عن الشر ( وانظر سيرة ابن هشام طبعة الحلبي ج ٣ : ٣١٩ ، ٣٢٠ ) .

قال : وقالت عائشة : أنا التي نزل عذرى في كتابه ، حين حملني ابن المعطل على الراحلة ، فقالت لها زينب : يا عائشة ، ما قلت حين ركبتها ، قالت : قلت : حسبى الله ونعم الوكيل ، قالت : قلت كلمة المؤمنين . وقال آخرون : هو عبد الله بن أبي ابن سلول .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة ، قالت : كان الذين تكلموا فيه : المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول ، وكان يستوشيه ويجمعه ، وهو الذي تولى كبره ، ومسطحا ، وحسان بن ثابت .

حدثنا سفيان ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب ، عن علقمة بن وقاص وغيره أيضا ، قالوا : قالت عائشة : كان الذي تولى كبره : الذي يجمعهم في بيته ، عبد الله بن أبي ابن سلول .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ، عن ابن شهاب ، قال : ثنى عروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة ، قالت : كان الذي تولى كبره : عبد الله بن أبي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( إن الذين جاءوا ) . . . الآية ، الذين افترروا على عائشة : عبد الله بن أبي ، وهو الذي تولى كبره ، وحسان ، ومسطح ، وحمئة بنت جحش .

حدثنا عبد الوارث بن عبد الصمد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا أبان العطار ، قال : ثنا هشام بن عروة في الذين جاءوا بالإفك ، يزعمون أنه كان كبر ذلك عبد الله بن أبي ابن سلول ، أحد بني عوف بن الخزرج . وأخبرت أنه كان يحدث به عنهم ، فيقره ويسمعه ويستوشيه .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : أما الذي تولى كبره منهم ، فعبد الله بن أبي ابن سلول الحبث ، هو الذي ابتداء هذا الكلام ، وقال : امرأة نبيكم باتت مع رجل حتى أصبحت ، ثم جاء يقود بها .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، والذي تولى كبره هو عبد الله بن أبي ابن سلول ، وهو بداه .

وأولى القولين في ذلك بالصواب : قول من قال : الذي تولى كبره من عصابة الإفك ، كان عبد الله بن أبي ، وذلك أنه لا خلاف بين أهل العلم بالسير ، أن الذي بدأ بذكر الإفك ، وكان يجمع أهله ويحدثهم ، عبد الله بن أبي ابن سلول ، وفعله ذلك على ما وصفت ، كان توليه كبر ذلك الأمر .

وكان سبب مجيء أهل الإفك ، ما حدثنا به ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا محمد بن ثور ، عن معمر ،

عن محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب ، قال : ثنى عروة بن الزبير ، وسعيد بن المسيب ، وعلقمة بن وقاص ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن حديث عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، حين قال لما أهل الإفك ما قالوا ، فبرأها الله ، وكلهم حدثني طائفة من حديثها ، وبعضهم كان أوعى لحديثها من بعض ، وأثبت اقتصاصا ، وقد وعيت عن كل رجل منهم الحديث الذي حدثني عن عائشة ، وبعض حديثهم يصدق بعضها :

زعموا أن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه ، فأيتهنَّ خرج سهمها خرج بها ؛ قالت عائشة : فأقرع بيننا في غزاة غزاها ، فخرج سهمي ، فخرجت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وذلك بعد ما أنزل الحجاب ، وأنا أُحمَل في هودجى ، وأنزل فيه ، فسرنا ، حتى إذا فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوه ، وقفل إلى المدينة ، آذن ليلة بالرحيل ، فقامت حين آذنوا بالرحيل ، فمشيت حتى جاوزت الجيش ؛ فلما قضيت شأني ، أقبلت إلى الرحل ، فلمست صدرى ، فإذا عقدي من جزع ظفَارٍ قد انقطع ، فرجعت فالتمت عقدي ، فحبسني ابتغاؤه ، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي ، فاحتملوا هودجى ، فراحوه على بعيرى الذى كنت أركب ، وهم يحسبون أنى فيه ؛ قالت : وكانت النساء إذ ذاك خفافا ، لم يُهَبِّلُهُنَّ ولم يَغَشَّهِنَّ اللحم ، إنما يأكلن العُلُقَةَ من الطعام ، فلم يستنكر القوم ثقل الهودج حين رَحَلُوهُ ورفعوه ، وكنت جارية حديثة السن ، فبعثوا الحمل وساروا ، فوجدت عقدي بعد ما استمر الجيش ، فجننت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب ، فتيمنت منزلى الذى كنت فيه ، وظننت أن القوم سيفقدونى ، ويرجعون إلى ، فبينما أنا جالسة فى منزلى ، غلبتني عيني ، فتمت حتى أصبحت وكان صفوان بن المعطل السلمى ثم الذكوانى ، قد عرس من وراء الجيش ، فادبج فأصبح عند منزلى ، فرأى سواد إنسان نائم ، فأتانى ، فعرفنى حين رآنى ، وكان يرانى قبل أن يضرب الحجاب علكى ، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى ، فخمرت وجهى بجلبابى ، والله ما تكلمت بكلمة ، ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه ، حتى أناخ راحلته ، فوطئ على يديها ، فركبتها ، فانطلق يقود بي الراحلة ، حتى أتينا الجيش ، بعد ما نزلوا موغرين فى نحر الظهيرة ، فهلك من هلك فى شأني ، وكان الذى تولى كبره عبد الله بن أبي ابن سلول ، فقدمنا المدينة ، فاشتكى شهرا ، والناس يفضيئون فى قول أهل الإفك ، ولا أشعر بشيء من ذلك ، وهو يريبنى فى وجعى ، أنى لأعرف من رسول الله اللطيف الذى كنت أرى منه حين أشتكى ، إنما يدخل فيسلم ثم يقول : كيف نيكم ؟ فذلك يريبنى ، ولا أشعر بالشراء ، حتى خرجت بعد ما زعمت ، فخرجت مع أم مسطح قبيل المناسع ، وهو مشبرزنا ، ولا نخرج إلا ليلا إلى ليل ، وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا ، وأمرنا أمر العرب الأول فى التنزه<sup>١</sup> ، وكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا ، فانطلقت أنا وأم مسطح ، وهى ابنة أبى رهم بن عبد المطلب بن عبد مناف ، وأمها ابنة صخر بن عامر ، خالة أبى بكر الصديق ، وابنها مسطح بن أثانة بن عباد بن المطلب ، فأقبلت أنا وابنة أبى رهم قبل بيئى ، حين فرغنا من شأننا ، فعثرت أم مسطح فى ميرطها ، فقالت : تعس مسطح ! فقلت لها : يتس ما فات أنسبين رجلا قد شهد بدرًا ؟ فقالت : أى هئناه ، أو لم تسمعى ما قال ؟ قلت : وما قال ؟ فأخبرتنى بقول أهل

(١) كذا رواه الإمام مسلم فى صحيحه (١٧ : ١٠٦) بشرح النووي . وفى صحيح البخارى طبعة المجلس (٥ : ١٥٠) : البرية

قبل الغائط ، فى مكان التنزه .



الإفك ، فازدت مَرَضًا على مرضي ؛ فلما رجعت إلى منزلي ، ودخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم قال : كَيْفَ تَبْكُمُ ؟ فقلت : أتأذن لي أن آتي أبوي ؟ قال : نعم . قالت : وأنا حينئذ أريد أن أستثبت الخبر من قبلكما . فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فجئت أبوي ، فقلت لأمي : أي أمته ، ماذا يتحدث الناس ؟ فقالت : أي بنية ، هوّني عليك ! فوالله لقلما كانت امرأة قطّ وضيئة عند رجل يحبها ولها ضرائر ، إلا أكثرن عليها . قالت : قلت : سبحان الله ، أو قد تحدث الناس بهذا ، وبلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : نعم ، فبكيت تلك الليلة حتى أصبحت ، لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت ، فدخل علي أبو بكر وأنا أبكي ، فقال لأمي : ما يبكيها ؟ قالت : لم تكن علمت ما قيل لها ، فأكبّ يبكي ، فبكي ساعة ، ثم قال : اسكتي يابنية ، فبكيت يومئذ ذلك ، لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم بكيت ليلى المقيل لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، ثم بكيت ليلى المقيلة ، لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، حتى ظنّ أبوي أن البكاء سيفلق كبدي .

فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب ، وأسامة بن زيد ، حين استأنبت الوحي ، يستشيرهما في فراق أهله ؛ قالت : فأما أسامة ، فأشار علي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذي يعلم من براءة أهله ، وبالذي في نفسه من الود ، فقال : يا رسول الله ، هم أهلك ، ولا نعلم إلا خيرا . وأما علي ، فقال : لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير ، وإن تسأل الجارية تصدّ قك ، يعني بريرة . فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة ، فقال : هل رأيت من شيء يربيك من عائشة ؟ قالت له بريرة : والذي بعثك بالحق ، ما رأيت عليها أمرا قطّ أغمضه عليها ، أكثر من أنها حديثه السن ، تنام عن عجين أهلها ، فتأني الداجن فتأكله . فقام النبي صلى الله عليه وسلم خطيبا ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : مَنْ يَعْدِرُنِي مِمَّنْ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي ؟ يَعْنِي عَبْدَ اللَّهِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ . وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو على المنبر أيضا : يَا مَعْشَرَ الْمُسْلِمِينَ ، مَنْ يَعْدِرُنِي مِمَّنْ رَجُلٌ قَدْ بَلَغَنِي أَذَاهُ فِي أَهْلِي ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا خَيْرًا ، وَلَقَدْ ذَكَرُوا رَجُلًا مَا عَلِمْتُ عَلَيْهِ إِلَّا خَيْرًا ، وَمَا كَانَ يَدْخُلُ عَلَى أَهْلِي إِلَّا مَعِي . فقام سعد بن معاذ الأنصاري ، فقال : أنا أعذرُك منه يا رسول الله ، إن كان من الأوس ضربنا عنقه ، وإن كان من إخواننا الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ؛ فقام سعد بن عبادة ، فقال ، وهو سيد الخزرج ، وكان رجلا صالحا ، ولكن احتملته الحمية ، فقال : أَيُّ سَعْدَ بْنَ مَعَاذٍ ، لَعَمْرُ اللَّهِ لَا تَقْتُلُهُ ، وَلَا تَقْدِرُ عَلَى قَتْلِهِ . فقام أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ، وهو ابن عمه سعد بن معاذ ، فقال لسعد بن عبادة : كذبت ، لعمر الله لنقتلنه ، فإنك منافق ، تجادل عن المنافقين . فثار الحيان : الأوس والخزرج ، حتى هموا أن يقتلوا ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله صلى الله عليه وسلم يُخَفِّضُهُمْ حَتَّى سَكَتُوا ، ثُمَّ أَتَانِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَا فِي بَيْتِ أَبِي ، فَبَيْنَا جَالِسَانِ عِنْدِي وَأَنَا أَبْكِي ، اسْتَأْذَنْتُ عَلِيَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ ، فَأَذْنَتْ لَهَا ، فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي ؛ قَالَتْ : فَبَيْنَا نَحْنُ عَلَى ذَلِكَ ، دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ جَلَسَ عِنْدِي ، وَلَمْ يَجْلِسْ عِنْدِي مِنْذُ قَبْلِ مَا قِيلَ ، وَقَدْ لَبِثَ شَهْرًا لَا يُوحَى إِلَيْهِ

(١) هذه رواية مسلم . وفي صحيح البخاري ( ٥ : ١٥٠ ) : قالت : أريد أن أستيقن الخبر من قبلكما . قالت : فأذن . الخ .

في شأني بشيء ؛ قالت : فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جلس ، ثم قال : أَمَا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ فَإِنَّهُ بَلَغَنِي عَنْكَ كَذَاً وَكَذَا ، فَإِنْ كُنْتُ بِرَيْثَةً فَسَيَّبَرْتُكَ اللَّهُ ، وَإِنْ كُنْتُ الْمَمْتُ بِذَنْبٍ ، فَاسْتَغْفِرِي اللَّهَ ، وَتُوبِي إِلَيْهِ ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِذَا اعْتَرَفَ بِذَنْبِهِ ثُمَّ تَابَ ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ . فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته ، قلَّصَ دمعى ، حتى ما أحسَّ منه دمعة ؛ قلت لأبي : أجب عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال ، قال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت لأمى : أجبى عنى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قالت : والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، : فقلت وأنا جارية حديثة السن ، لأقرأ كثيراً من القرآن : إني والله لقد عرفت أن قد سمعتم بهذا ، حتى استقرت في أنفسكم ، حتى كيدتم أن تصدقوا به ، فإن قلت لكم : إني بريئة ، والله يعلم أنى بريئة ، لا تصدقونى بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر ، والله يعلم أنى منه بريئة ، لتصدقننى ، وإني والله ما أجد لى ولكم مثلاً إلا كما قال أبو يوسف : ( فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ) . ثم توليت واضطجعت على فراشى ، وأنا والله أعلم أنى بريئة ، وأن الله سيرتنى ببراءتى ، ولكنى والله ما كنت أظن أن ينزل فى شأنى وحى يتلى ، ولشأنى كان أحقر فى نفسى من أن يتكلم الله فى بأمر يتلى ، ولكن كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى المنام رؤيا يبرتنى الله بها . قالت : والله ما رام رسول الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ، ولا خرج من البيت أحد ، حتى أنزل الله على نبيه ، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء عند الوحي ، حتى إنه ليتحدَّر منه مثل الجُمان من العرق فى اليوم الشانى ، من ثقل القول الذى أنزل عليه ؛ قالت : فلما سرى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ، كان أول كلمة تكلم بها أن قال : أبشيري يا عائشة ، إن الله قد برأك . فقالت لى أمى ، قومى إليه ، فقلت : والله لأقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله ، هو الذى أنزل براءتى . فأنزل الله ( إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ ) عشر آيات ، فأنزل هذه الآيات براءة لى . قالت : فقال أبو بكر : وكان ينفق على مسطح لقربته وفقره : والله لا أنفق عليه شيء أبدا بعد الذى قال لعائشة . قالت : فأنزل الله : ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) حتى بلغ ( غَفُورٌ رَحِيمٌ ) فقال أبو بكر : إني لأحب أن يغفر الله لى ، فرجع إلى مسطح النفقة التى كان ينفق عليه ، وقال : لا أنزعها منه أبدا .

قالت عائشة : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، يسأل زينب بنت جحش عن أمرى ، وما رأيت ، وما سمعت ، فقالت : يا رسول الله ، أحمى سمى وبصرى ، والله ما رأيت إلا خيراً . قالت عائشة : وهى التى كانت تسامينى ، فعصمها الله بالورع ، وطفقت أختها حمزة تحارب ، فهلكت فيمن هلك . قال الزهرى بن شهاب : هذا الذى انتهى إلينا من أمر هؤلاء الرهط .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهرى ، وعن علقمة بن وقاص الليثى ، عن سعيد بن المسيب ، وعن عروة بن الزبير ، وعن عبيد الله بن عتبة بن مسعود . قال الزهرى : كل قد حدثنى بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان له أوعى من بعض . قال : وقد جمعت لك كل الذى قد حدثنى .

(١) لم تذكر أم المؤمنين رضى الله عنها اسم النبى يعقوب أبى يوسف عليها السلام ، لأنها كانت جارية حديثة السن ، ولم تقرأ كثيراً من القرآن بعد .

وحدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ؛ قال : وثنى محمد بن إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله ابن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ؛ قال : وثنى عبد الله بن بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصارى ، عن عميرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة قالت : وكل قد اجتمع في حديثه قصة خبر عائشة عن نفسها ، حين قال أهل الإفك فيها ما قالوا ، وكله قد دخل في حديثها عن هؤلاء جميعا ، ويحدث بعضهم ما لم يحدث بعض ، وكل كان عنها ثقة ، وكل قد حدث عنها ماسمعا .

قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا أراد سفرا أقرع بين نسائه ، فأتيهن خرج سهمها خرج بها معه ، فلما كانت غزاة بنى المصطلق ، أقرع بين نسائه ، كما كان يصنع ، فخرج سهمى عليهن ، فخرج بي رسول الله صلى الله عليه وسلم معه ، قالت : وكان النساء إذ ذاك إنما يأكلن العلق ، لم يهيجهن اللحم فيثقلن ؛ قالت : وكنت إذا رحل بعيرى جلست في هودجى ، ثم يأتى القوم الذين يرحلون بي بعيرى ويحملونى ، فيأخذون بأسفل الهودج ، يرفعونه فيضعونه على ظهر البعير ، فيطلقون به ؛ قال : فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفره ذلك ، وجه قافلا ، حتى إذا كان قريبا من المدينة ، نزل منزلا ، فبات بعض الليل ، ثم أذن في الناس بالرحيل ؛ فلما ارتحل الناس ، خرجت لبعض حاجتى ، وفى عنقى عقدلى من جزع ظفار ، فلما فرغت انسل من عنقى وما أدرى ؛ فلما رجعت إلى الرحل ، ذهبت أتمسه فى عنقى فلم أجده ، وقد أخذ الناس فى الرحيل ؛ قالت : فرجعت عودى إلى بدئى ، إلى المكان الذى ذهبت إليه ، فالتمسته حتى وجدته ؛ وجاء القوم خلا فى الذين كانوا يرحلون بي البعير . ثم ذكر نحو حديث ابن عبد الأعلى ، عن ابن ثور .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبو أسامة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، عن عائشة رضى الله عنها ، قالت : لما ذكر من شأنى الذى ذكر ، وما علمت به ، قام رسول الله صلى الله عليه وسلم خطيبا وما علمت ، فتشهد ، فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أمّا بعدُ أشيروا علىّ فى أناسٍ أبَنُوا أهلي ، والله ما علمتُ علىّ أهلي سوءَ قطُّ ، وأبَنُواهُمُ بَمنَ والله ما علمتُ علىّهُ سوءَ قطُّ ، ولا دَخَلَ بَيتي قطُّ إلا وأنا حاضرٌ ، ولا أُغيبُ فى سَفَرٍ إلا غابَ معي ، فقام سعد بن معاذ فقال : يا رسول الله ، نرى أن نضرب أعناقهم ، فقام رجل من الخزرج ، وكانت أمّ حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل ، فقال : كذبت ، أما والله لو كانوا من الأوس ، ما أحببت أن تضرب أعناقهم ، حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج فى المسجد شرٌّ ، وما علمت به ؛ فلما كان مساء ذلك اليوم ، خرجت لبعض حاجتى ومعى أمّ مسطح ، فعثرت ، فقالت : تعس مسطح ! فقلت علام تسيين ابنك ؟ فسكتت ، ثم عثرت الثانية ، فقالت : تعس مسطح ! قلت : علام تسيين ابنك ؟ فسكتت الثانية . ثم عثرت الثالثة ، فقالت : تعس مسطح ! فأنهرتها ، وقلت : علام تسيين ابنك ؟ قالت : والله ما أسبه إلا فيك ، قلت : فى أى شأنى ، فبقرت إلى الحديث ، فقلت : وقد كان هذا ؟ قالت : نعم والله ؛ قالت : فرجعت إلى بيتى فكأن الذى خرجت له لم أخرج له ، ولا أجد منه قليلا ولا كثيرا ، ووُعِكتُ ، فقلت : يا رسول الله ، أرسلنى إلى بيت أبى ، فأرسل معى الغلام ، فدخلت الدار ، فإذا أنا بأبى أمّ رومان ، قالت : ما جاء بك يا بُنية ؟

(١) بقرت لى الحديث : أخبرتنى به مفصلا .

فأخبرتها ، فقالت : خَفَضِي عليك الشأن ، فإنه والله ما كانت امرأة جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر ، إلا حسدنها وقلن فيها . قلت : وقد علم بها أبي ؟ قالت : نعم . قلت : ورسول الله ؟ قالت : نعم . فاستعبرت وبكيت ، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ ، فنزل فقال لأُمِّي : ما شأنها ؟ قالت : بلغها الذي ذكر من أمرها ، ففاضت عيناه ، فقال : أقسمت عليك إلا جَعَعْتُ إلى بيتك . فرجعت .

فأصبح أبوإي عندى ، فلم يزالا عندى حتى دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم على بعد العصر ، وقد اكتنفتي أبوإي ، عن يميني ، وعن شمالي ، فتشهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فحمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، ثم قال : أَمَّا بَعْدُ يَا عَائِشَةُ ، إِنَّ كُنْتَ قَارَفْتِ سُوءًا أَوْ أَلَمْتِ ، فَتَوَيِّي إِلَى اللَّهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ . وقد جاءت امرأة من الأنصار وهي جالسة ، فقلت : ألا تستحي من هذه المرأة أن تقول شيئا ؟ فقلت لأبي : أجبه . فقال : أقول ماذا ؟ قلت لأُمِّي : أجبنيه . فقالت : أقول ماذا ؟ فلما لم يجيباه تشهدت ، فحمدت الله ، وأثنت عليه بما هو أهله ، ثم قلت : أما بعد ، فوالله لئن قلت لكم إنى لم أفعل ، والله يعلم إنى لصادقة ، ماذا بنافعى عندكم ، لقد تكلّمتم به ، وأشربته قلوبكم ؛ وإن قلت إنى قد فعلت ، والله يعلم أنى لم أفعل ، لتقولن قد باءت به على نفسها ، وإيم الله ما أجدلى ولكم مثلا إلا كما قال أبو يوسف وما أحفظ اسمه : ( فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ) . وأنزل الله على رسوله ساعتئذ ، فرفع عنه ، وإنى لأتبين السرور في وجهه ، وهو يمسح جبينه يقول : أَبْشِيرِي يَا عَائِشَةُ ، فَقَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ بِرَأْيِكَ ، فكنيت أشد ما كنت غضبا ، فقال لي أبوإي : قومي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت : والله لأقوم إليه ، ولا أحده ، ولا أحمد كما ، لقد سمعتموه فما أنكرتموه ، ولا غيرتموه ، ولكنى أحمد الله الذى أنزل براءتى ، ولقد جاء رسول الله بينى ، فسأل الجارية عنى ، فقالت : والله ما أعلم عليها عيبا ، إلا أنها كانت تنام ، حتى كانت تدخل الشاة ، فتأكل حصيرها أو عجيينها ، فانتهرها بعض أصحابه ، وقال لها : اصدقى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال عروة : فعتب على من قاله ، فقال : لا ، والله ما أعلم عليها إلا ما يعلم الصائغ على نبر الذهب الأحمر ، وبلغ ذلك الرجل الذى قيل له ، فقال : سبحان الله ! ما كشفت كنف أنثى قط ، فقتل شهيدا في سبيل الله . قالت عائشة : فأما زينب بنت جحش ، فعصمها الله بدينها ، فلم تقل إلا خيرا ؛ وأما حمّة أختها ، فهأكت فيمن هلك . وكان الذين تكلموا فيه : المنافق عبد الله بن أبي ابن سلول ، وكان يستوشيه ويجمعه ، وهو الذى نولى كبره ، ومسطحا ، وحسان بن ثابت ، فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحا بنافعة ، فأنزل الله : ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) يعنى أبا بكر ( أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينِ ) يعنى مسطحا ( أَلَا تَحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ) ، والله غَفُورٌ رَحِيمٌ ) قال أبو بكر : بلى والله ، إنا لنحب أن يغفر الله لنا ، وعاد أبو بكر لمسطح بما كان يصنع به .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا محمد بن بشر ، قال : ثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا يحيى بن عبد الرحمن ابن حاطب ، عن علقمة بن وقاص وغيره أيضا ، قال : خرجت عائشة تريد المذاهب ، ومعها أم مسطح ، وكان مسطح بن أنانة من قال ما قال ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب الناس قبل ذلك ، فقال :

(١) الذهب : مكان التبرز في الخلاء .

كَيْفَ تَرَوْنَ فِيمَنْ يُؤْذِيَنِي فِي أَهْلِي، وَيَجْمَعُ فِي بَيْتِهِ مَنْ يُؤْذِيَنِي؟ فقال سعد بن معاذ: أي رسول الله، إن كان منا معشر الأوس جلدنا رأسه، وإن كان من إخواننا من الخزرج، أمرتنا فأطعناك. فقال سعد بن عباد: يا بن معاذ، والله ما بك نُصْرَة رسول الله، ولكنها قد كانت ضغائن في الجاهلية وإحزن لم تحلل لنا من صدوركم بعد، فقال ابن معاذ: الله أعلم ما أردت، فقام أُسَيْد بن حُضَيْر، فقال: يا بن عباد، إن سعدا ليس شديدا، ولكنك تجادل عن المنافقين، وتدفع عنهم، وكثر اللَغَط في الحيين في المسجد، ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس على المنبر، فما زال النبي صلى الله عليه وسلم يوماً بيده إلى الناس ههنا وههنا، حتى هدا الصوت.

وقالت عائشة: كان الذي تولى كِبْره، والذي يجمعهم في بيته، عبد الله بن أُبَيّ ابن سلول، قال: فخرجت إلى المذْهَب ومعى أمّ مسطح، فعثرت، فقالت: تَعَسَّ مِسْطَح! فقلت: غفر الله لك، أتقولين هذا لابنك، ولصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت ذلك مرتين، وما شعرت بالذي كان، فحدثت، فذهب عني الذي خرجت له، حتى ما أجد منه شيئا، ورجعت على أبوي: أبي بكر، وأمّ رومان، فقلت: أما اتقيما الله فيّ وما وصلتما رحمي؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم الذي قال، وتحدث الناس بالذي تحدثوا به، ولم تُعَلِّماني، فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قالت: أي بنية، والله لقلما أحبّ رجل قطّ امرأته، إلا قالوا لها نحو الذي قالوا لك، أي بنية ارجعي إلى بيتك، حتى نأتيك فيه، فرجعت وارتكبت صالِباً من حُمَيّ، فجاء أبواي فدخلا، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى جلس على سريري وجأهي، فقال: أي بنية، إن كنت صنعت ما قال الناس، فاستغفري الله، وإن لم تكوني صنعتيه، فأخبري رسول الله بعذرِك. قلت: ما أجد لي ولكم إلا كَأْبِي يوسف (فَصَبْرٌ جَمِيلٌ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ). قالت: فالتمت اسم يعقوب، فما قدرت، أو فلم أقدر عليه، فشخص بصر رسول الله إلى السقف، وكان إذا نزل عليه وجد، قال الله (إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا) فوالذي هو أكرمهم، وأنزل عليه الكتاب، ما زال يضحك، حتى إني لأنظر إلى نواجذه سرورا، ثم مسح عن وجهه، فقال: يا عائشةُ أبشيري، قد أنزل الله عذرك. قلت: بحمد الله لا بحمدك، ولا بحمد أصحابك، قال الله (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ) . . . حتى بلغ (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ) وكان أبو بكر حلف أن لا ينفع مسطحا بِنَافِعَة، وكان بينهما رَحِم، فلما أنزلت (وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ) . . . حتى بلغ (وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ) قال أبو بكر: بلي، إي ربّ، فعاد إلى الذي كان لمسطح (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ) . . . حتى بلغ (أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ، لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) قالت عائشة: والله ما كنت أرجو أن ينزل فيّ كتاب، ولا أطمع به، ولكن أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم رؤيا تُذْهَب ما في نفسه؛ قالت: وسأل الجارية الحبشية، فقالت: والله لعائشة أطيب من طيب الذهب، وما بها عيب إلا أنها ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل عجينها، ولئن كانت صنعت ما قال الناس، ليخبرنك الله، قال: فعجب الناس من فقهاها.

القول في تأويل قوله تعالى :

لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٧﴾

وهذا عتاب من الله تعالى ذكروه أهل الإيمان به ، فيما وقع في أنفسهم من إرجاف من أرجف في أمر عائشة ، بما أرجف به ، يقول لهم تعالى ذكره : هلا أيها الناس إذ سمعتم ما قال أهل الإفك في عائشة ، ظن المؤمنون منكم والمؤمنات بأنفسهم خيرا : يقول : ظنتم بمن قُرب بذلك منكم خيرا ، ولم تظنوا به أنه أتى الفاحشة ، وقال بأنفسهم ، لأن أهل الإسلام كلهم بمنزلة نفس واحدة ، لأنهم أهل ملة واحدة .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن محمد بن إسحاق ، عن أبيه ، عن بعض رجال بني النجار ، أن أبا أيوب خالد بن زيد ، قالت له امرأته أم أيوب : أما تسمع ما يقول الناس في عائشة ؟ قال : بلى ، وذلك الكذب ، أكنت فاعلة ذلك يا أم أيوب ؟ قالت : لا والله ما كنت لأفعله ، قال : فعائشة والله خير منك . قال : فلما نزل القرآن ، ذكر الله من قال في الفاحشة ما قال من أهل الإفك ( إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ) وذلك حسان وأصحابه الذين قالوا ما قالوا ، ثم قال ( لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون ) . . . الآية : أي كما قال أبو أيوب وصاحبه .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ) ما هذا الخير ظن المؤمن أن المؤمن لم يكن ليفجر بأمه ، وأن الأم لم تكن لتفجر بابنها ، إن أراد أن يفجر فجر بغير أمه ، يقول : إنما كانت عائشة أما ، والمؤمنون بنون لها ، محرما عليها ، وقرأ ( لولا جاءوا عليه بأربعة شهداء ) . . . الآية .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ) قال لهم خيرا ، ألا ترى أنه يقول : لا تقتلوا أنفسكم ، يقول بعضكم بعضا ، وسلموا على أنفسكم ، قال : يسلم بعضكم على بعض .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هروذة ، قال : ثنا عوف عن الحسن ، في قوله ( لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون والمؤمنات بأنفسهم خيرا ) يعني بذلك المؤمنين والمؤمنات .

وقوله ( وقالوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ) يقول : وقال المؤمنون والمؤمنات : هذا الذي سمعناه من القول الذي رمى به عائشة من الفاحشة : كذب وإثم ، بين لمن عقل وفكر فيه ، أنه كذب وإثم وبهتان .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا هروذة ، قال : أخبرنا عوف عن الحسن ( وقالوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ) قالوا : إن هذا لا ينبغي أن يتكلم به إلا من أقام عليه أربعة من الشهود ، وأقيم عليه حد الزنا .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَوْلَا جَاءَ وَعَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمَّا يَتُوبُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ ﴿١٣﴾

يقول تعالى ذكره : هلا جاء هؤلاء العصبة الذين جاءوا بالإفك، ورموا عائشة بالبهتان، بأربعة شهداء يشهدون على مقالتهم فيها، وما رموها به، فإذا لم يأتوا بالشهداء الأربعة على حقيقة ما رموها به ( فأولئك عند الله هم الكاذبون ) يقول : فالعصبة الذين رموها بذلك عند الله هم الكاذبون ، فيما جاءوا به من الإفك :

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره ( ولولا فضل الله عليكم ) أيها الخائضون في أمر عائشة ، المشيعون فيها الكذب والإثم، بتركه تعجيل عقوبتكم ( ورحمته ) إياكم ، لعفوه عنكم ( في الدنيا والآخرة ) بقبول توبتكم مما كان منكم في ذلك ، ( لمسكم فيما ) خضتم فيه من أمرها عاجلا في الدنيا ( عذاب عظيم ) .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( ولولا فضل الله عليكم ورحمته ) هذا للذين تكلموا ، فنشروا ذلك الكلام ( لمسكم فيما أفضتم فيه عذاب عظيم ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِالسِّنِّينِ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾

يقول تعالى ذكره : لمستم فيما أفضتم فيه من شأن عائشة عذاب عظيم ، حين تلقونه بالسنتكم ، و « إذ » من صلة قوله لمستم . ويعنى بقوله ( تَلَقَّوْنَهُ ) تتلقون الإفك الذي جاءت به العصبة من أهل الإفك، فتقبلونه ، ويرويه بعضكم عن بعض ، يقال : تلقيت هذا الكلام عن فلان ، بمعنى أخذته منه ؛ وقيل ذلك، لأن الرجل منهم فيما ذكر يلقى آخر ، فيقول : أو ما بلغك كذا وكذا عن عائشة ؟ ليسشيع عليها بذلك الفاحشة . وذكر أنها في قراءة أبي ( إذ تَلَقَّوْنَهُ ) بتاءين ، وعليها قرآءة الأمصار ، غير أنهم قرءوها ( تَلَقَّوْنَهُ ) بتاء واحدة ، لأنها كذلك في مصاحفهم .

وقد روى عن عائشة في ذلك ، ما حدثني به محمد بن عبد الله بن عبد الحكم ، قال : ثنا خالد بن نزار ، عن نافع ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم ، أنها كانت تقرأ هذه الآية ( إذ تَلَقُّونَهُ بِالْسِّنِّتِكُمْ ) تقول : إنما هو وُلِّقَ الكذب ، وتقول : إنما كانوا يَلْقُونُ الكذب . قال ابن أبي مليكة : وهي أعلم بما فيها أنزلت . قال نافع : وسمعت بعض العرب يقول : اللَّيْتُ : الكذب .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا نافع بن عمر بن عبد الله بن عبد الرحمن بن معمر الجَمَحِيُّ ، عن ابن أبي مليكة ، عن عائشة ، أنها كانت تقرأ ( إذ تَلَقُّونَهُ بِالْسِّنِّتِكُمْ ) وهي أعلم بذلك وفيها أنزلت ، قال ابن أبي مليكة : هو من وُلِّقَ الكذب . قال أبو جعفر : وكان عائشة وَجَّهَتْ معنى ذلك بقراءتها ( تَلَقُّونَهُ ) بكسر اللام وتخفيف القاف ، إلى إذ تستمرون في كذبكم عليها ، وإفكمم بالسنتكم ، كما يقال : وُلِّقَ فلان في السير فهو يَلِقُ : إذا استمر فيه ؛ وكما قال الراجز :

إِنَّ الْجَلْبِيْدَ زَلِقٌ وَزُمْلِقٌ جَاءَتْ بِهِ عَنَسٌ مِّنَ الشَّامِ تَلِقِ  
مَجْوَعُ الْبَطْنِ كِلَابِيُّ الْخُلُقِ ٢

وقد روى عن العرب في الوُلِّقِ : الكذب : الأَلِقُ ، والإِلِقُ : بفتح الألف وكسرها ، ويقال في فعلت منه : أَلَقْتُ ، فأنا أَلِقٌ ؛ وقال بعضهم :

مَنْ لِي بِالْمُرَّرِ الْيَلَمِيقِ صَاحِبِ أَدْهَانٍ وَأَلِقِ آلِقِ ٣  
والقراءة التي لا أستجيز غيرها ( إذ تَلَقُّونَهُ ) على ما ذكرت من قراءة الأمصار ، لإجماع الحجة من القراء عليها .

وبنحو الذي قلنا من التأويل في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( إذ تَلَقُّونَهُ بِالْسِّنِّتِكُمْ ) قال : تَرَوُونَهُ بعضكم عن بعض .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( إذ تَلَقُّونَهُ ) قال : تَرَوُونَهُ بعضكم عن بعض .

(١) لم ننف عليه فيما بأيدينا من كتب اللغة ، فلهذا مصحف .

(٢) هذه أبيات ثلاثة من مشطور الرجز ، للفلاخ بن حزن المنفري ، نقلها صاحب ( اللسان : زلق ) . قال : رجل زلق وزملق مثال هديد وزملاق ( بتشديد الميم ) ، وهو الذي ينزل قبل أن يجامع . قال الفلاخ بن حزن المنفري . . . الأبيات . ثم قال : والجليد : هو الجليد الكلابي ، التهذيب : والعرب تقول : زلق وزملق ، وهو الشكار ، الذي ينزل إذا حدث المرأة من غير جماع . قال ويقال للخفيف الطياني : زملاق وزملوق وزملاق وفي ( اللسان : ولق ) قال : وولق في صبره ولقا : أسرع . ونسب أبيات الشاهد للشهاج ، ولم أجدتها في ديوان الشهاج المطبوع بمصر سنة ١٣٢٧ هـ .

(٣) هذان بيتان من الرجز أنشدهما الأزهرى عن بعضهم ( اللسان : ولق ) . وألقى الكلام : متابعتة في سرعة . والألق : الاستمرار في الكذب وألقى بالقي ألفا مثال ضرب يضرب ضربا . واليلاق : جمع يلقى ، وهو القباء ( فارسي معرب ) . واستشهد المؤلف بالبيتين على أن بعضهم قرأ قوله تعالى : « إذ تَلَقُّونَهُ بِالْسِّنِّتِكُمْ » بكسر اللام ، وتخفيف القاف ، على أنه بمعنى الاستمرار في الكذب .



قوله ( وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ ) يقول تعالى ذكره : وتقولون بأفواهكم ما ليس لكم به علم من الأمر الذي تروونه ، فتقولون : سمعنا أن عائشة فعلت كذا وكذا ، ولا تعلمون حقيقة ذلك ، ولا صحته ( وَتَحْسِبُونَهُ هَيِّنًا ) وتظنون أن قولكم ذلك وروايتكموه بالسنتكم ، وتلقيكموه بعضكم عن بعض ، هين سهل ، لا إثم عليكم فيه ولا حرج ( وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ ) يقول : وتلقيكم ذلك كذلك ، وقولكموه بأفواهكم ، عند الله عظيم من الأمر ، لأنكم كنتم تؤذون به رسول الله صلى الله عليه وسلم وحليلته .  
القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴿١٦﴾

يقول تعالى ذكره : ( فلدولا ) أي الخائضون في الإفك ، الذي جاءت به عصابة منكم ( إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ) من جاء به ( قلتُم ) ما يحل لنا أن نتكلم بهذا ، وما ينبغي لنا أن نتفوه به ( سُبْحَانَكَ ، هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ) ، تنزيها لك يا رب ، وبراءة إليك مما جاء به هؤلاء . ( هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ) يقول : هذا القول بهتان عظيم .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَعِظُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٧﴾ وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٨﴾

يقول تعالى ذكره : يذكركم الله ، وينهاكم بأى كتابه ، لئلا تعودوا لمثل فعلكم الذي فعلتموه في أمر عائشة ، من تلقيكم الإفك الذي روى عليها بالسنتكم ، وقولكم بأفواهكم ما ليس لكم به علم فيها أبدا ( إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ) يقول : إن كنتم تتعظون بعظات الله ، وتأتمرون لأمره ، وتنتهون عما نهاكم عنه .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ، وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) قال : والذي هو خير لنا من هذا ، أن الله أعلمنا هذا لكيلا نقع فيه ، لولا أن الله أعلمنا هلكنا كما هلك القوم ، أن يقول الرجل : أنا سمعته ولم أخرقه ولم أتقوله ، فكان خيرا حين أعلمناه الله ، لئلا ندخل في مثله أبدا ، وهو عند الله عظيم . وقوله ( وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ ) : ويفصل الله لكم حججه عليكم ، بأمره ونهيه ، ليتبين المطيع له منكم من العاصي ، والله عليم بكم وبأفعالكم ، لا يخفى عليه شيء ، وهو مجاز المحسن منكم بإحسانه ، والمسيء بإساءته ، حكيم في تدبير خلقه ، وتكليفه ما كلفهم من الأعمال ، وفرضه ما فرض عليهم من الأفعال .

(١) اخترق الكذب : مثل اخترعه ، وافتعله ، وصنعه .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ  
وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾

يقول تعالى ذكره : إن الذين يحبون أن يذيع الزنا في الذين صدقوا بالله ورسوله ، ويظهر ذلك فيهم ، لهم عذاب أليم : يقول : لهم عذاب وجيع في الدنيا ، بالحد الذي جعله الله حداً لرامى المحصنات والمحصنين إذا رموهم بذلك ، وفي الآخرة عذاب جهنم إن مات مصراً على ذلك غير تائب .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ) قال : تظهر في شأن عائشة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا ، لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) قال : الحبيث عبد الله بن أبي ابن سكلول ، المنافق ، الذي أشاع على عائشة ما أشاع عليها من الفرية ، لهم عذاب أليم .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعاً ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ ) قال : تظهر ، يتحدث عن شأن عائشة .

وقوله ( وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ) يقول تعالى ذكره : والله يعلم كذب الذين جاءوا بالإفك من صدقهم ، وأنتم أيها الناس لا تعلمون ذلك ، لأنكم لا تعلمون الغيب ، وإنما يعلم ذلك علام الغيوب . يقول : فلا تترؤوا ما لا علم لكم به من الإفك على أهل الإيمان بالله ، ولا سيما على حلائل رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فهلكوا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : ولولا أن تفضل الله عليكم أيها الناس ورحمكم ، وأن الله ذو رأفة ، ذو رحمة بخلقه ، لهلكتم فيها أفضتم فيه ، وعاجلتكم من الله العقوبة . وترك ذكر الجواب ، لمعرفة السامع بالمراد من الكلام بعده ، وهو قوله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى :

\* يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ  
وَالْمُنْكَرِ

❦ يقول تعالى ذكره للمؤمنين به : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، لا تسلكوا سبيل الشيطان وطرقه ، ولا تفتفوا آثاره ، بإشاعتكم الفاحشة في الدين آمنوا ، وإذاعتكموها فيهم ، وروايتكم ذلك عن جاء به ، فإن الشيطان يأمر بالفحشاء ، وهى الزنا ، والمنكر من القول .  
وقد بينا معنى الخطوات والفحشاء فيما مضى بشواهد ذلك بما أغنى عن إعادته فى هذا الموضع .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنِ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١١﴾

❦ يقول تعالى ذكره : ولولا فضل الله عليكم أيها الناس ورحمته لكم ، ما تطهر منكم من أحد أبدا ، من دنس ذنوبه وشركه ، ولكن الله يطهر من يشاء من خلقه .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنى على ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ) يقول : ما اهتدى منكم من الخلائق لشيء من الخير ، ينفع به نفسه ، ولم يتق شيئا من الشر يدفعه عن نفسه .  
حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ) قال : ما زكى : ما أسلم ، وقال : كل شيء فى القرآن من زكى أو تزكى فهو الإسلام .  
وقوله ( وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ) يقول : والله سميع لما تقولون بأفواهكم ، وتلقونه بالسنتكم ، وغير ذلك من كلامكم ، عليم بذلك كله ، وبغيره من أموركم ، محيط به ، محصيه عليكم ، ليجازيكم بكل ذلك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢﴾

❦ يقول تعالى ذكره : ولا يحلف بالله ذوو الفضل منكم ، يعنى ذوى التفضل والسعة : يقول : وذووا الجدة .  
واختلف القراء فى قراءة قوله ( وَلَا يَأْتَلِ ) فقراءته عامة قراء الأمصار ( وَلَا يَأْتَلِ ) بمعنى : يفتعل من الآلية ، وهى القسم بالله ، سوى أبى جعفر وزيد بن أسلم ، فإنه ذكر عنهما أنهما قرآ ذلك ( وَلَا يَتَأَلَّ ) بمعنى : يتفعل من الآلية .

والصواب من القراءة فى ذلك عندى : قراءة من قرأ : وَلَا يَأْتَلِ بمعنى : يفتعل من الآلية ، وذلك أن

ذلك في خط المصحف كذلك ، والقراءة الأخرى مخالفة خط المصحف ، فاتباع المصحف مع قراءة جماعة القراء ، وصحة المقروء به ، أولى من خلاف ذلك كله . وإنما عني بذلك أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، في حلفه بالله لا ينفق على مسطح ، فقال جل ثناؤه : ولا يحلف من كان ذا فضل من مال وسعة منكم أيها المؤمنون ، بالله ألا يعطوا ذوى قرابتهم ، فيصلوا به أرحامهم ، كمسطح ، وهو ابن خالة أبي بكر ، ( والمساكين ) : يقول : وذوى خلة الحاجة ، وكان مسطح منهم ، لأنه كان فقيرا محتاجا ، ( والمهاجرين في سبيل الله ) ، وهم الذين هاجروا من ديارهم وأموالهم في جهاد أعداء الله ، وكان مسطح منهم ، لأنه كان ممن هاجر من مكة إلى المدينة ، وشهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بدر ( ولْيَعْفُوا ) يقول وليعفوا عما كان منهم إليهم من جرم ، وذلك كجرم مسطح إلى أبي بكر ، في إشاعته على ابنته عائشة ، ما أشاع من الإفك . ( وليصنفحوا ) يقول : وليتركوا عقوبتهم على ذلك ، بجرمانهم ما كانوا يؤتونهم قبل ذلك ، ولكن ليعودوا لهم إلى مثل الذي كانوا لهم عليه ، من الإفضال عليهم ، ( ألا تحبون أن يغفر الله لكم ) يقول : ألا تحبون أن يستر الله عليكم ذنوبكم ، بأفضالكم عليهم ، فيترك عقوبتكم عليها ( والله غفور ) لذنوب من أطاعه ، واتبع أمره ، رحيم بهم أن يعذبهم مع اتباعهم أمره ، وطاعتهم إياه على ما كان لهم من زلة وهفوة ، قد استغفروه منها ، وتابوا إليه من فعلها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن الزهري ، عن علقمة بن وقاص الليثي ، وعن سعيد بن المسيب ، وعن عروة بن الزبير ، وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، عن عائشة . قال : وثني ابن إسحاق ، قال : ثنا يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير ، عن أبيه ، عن عائشة ، قال : وثني ابن إسحاق ، قال : ثنا عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم الأنصاري ، عن عمرة بنت عبد الرحمن ، عن عائشة ، قالت : لما نزل هذا ، يعني قوله ( إن الذين جاءوا بالإفك عصبة منكم ) في عائشة ، وفيمن قال لها ما قال . قال أبو بكر ، وكان ينفق على مسطح لقرابته وحاجته : والله لا أنفق على مسطح شيئا أبدا ، ولا أنفعه بنفع أبدا ، بعد الذي قال لعائشة ما قال ، وأدخل عليها ما أدخل ، قالت : فأنزل الله في ذلك ( ولا يأتئذ أولوا الفضل منكم والسعة ) . الآية ، قالت : فقال أبو بكر : والله إنى لأحب أن يغفر الله لي ، فرجع إلى مسطح نفقته التي كان ينفق عليه ، وقال : والله لا أنزعها منه أبدا .

حدثني علي ، قال ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( ولا يأتئذ

أولوا الفضل منكم والسعة ) يقول : لا تفسموا ألا تنفعوا أحدا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عبي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( ولا يأتئذ أولوا الفضل منكم والسعة ) . . . إلى آخر الآية ، قال : كان ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رموا عائشة بالفبيح ، وأفسدوا ذلك ، وتكلموا به ، فأقسم ناس من أصحاب

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيهم أبو بكر ، ألا يتصدق على رجل تكلم بشيء من هذا ولا يصله ، فقال : لا يُقسِم أولوا الفضل منكم والسعة أن يصلوا أرحامهم ، وأن يعطوهم من أموالهم كالذى كانوا يفعلون قبل ذلك ، فأمر الله أن يُغْفَرَ لهم ، وأن يُعْتَفَى عنهم .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) : لما أنزل الله تعالى ذكره عذر عائشة من السماء ، قال أبو بكر وآخرون من المسلمين ، والله لانصل رجلا منهم تتكلمم بشيء من شأن عائشة ، ولا ننفعه . فأنزل الله ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) يقول : ولا يحلف .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) : كان مسطح ذا قرابة ( وَالْمَسَاكِينَ ) قال : كان مسكينا ( وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ) كان بدريا .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ ) قال : أبو بكر حلف أن لا ينفع يتما في حجره ، كان أشاع ذلك ، فلما نزلت هذه الآية قال : بلى أذا أحب أن يغفر الله لي ، فلا كونن ليتيمى خيرا ما كنت له قط .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ ) بالفاحشة ( الْمُحْصَنَاتِ ) يعنى العفيفات ( الْغَافِلَاتِ ) عن الفواحش ( الْمُؤْمِنَاتِ ) بالله ورسوله ، وما جاء به من عند الله ( لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) يقول : أبعِدوا من رحمة الله فى الدنيا والآخرة ( وَهُمْ ) فى الآخرة ( عَذَابٌ عَظِيمٌ ) وذلك عذاب جهنم .

واختلف أهل التأويل فى المحصنات اللاتي هذا حكمهن ، فقال بعضهم : إنما ذلك لعائشة خاصة ، وحكم من الله فيها وفيمن رماها ، دون سائر نساء أمة نبينا صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا عبد الواحد بن زياد ، قال : ثنا خَصِيف ، قال : قلت لسعيد بن جبير : الزنا أشد أم قذف المحصنة ؟ فقال : الزنا ، فقلت : أليس الله يقول ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ) . . . الآية ، قال سعيد : إنما كان هذا لعائشة خاصة .

حدثنا أحمد بن عبدة الضبي ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن عمر بن أبي سلمة ، عن أبيه ، قال : قالت عائشة : رُميت بما رُميت به وأنا غافلة ، فبلغنى بعد ذلك ، قالت : فيينا رسول الله صلى الله عليه وسلم

عندى جالس ، إذ أوحى إليه ، وكان إذا أوحى إليه أخذه كهيئة السبات ، وإنه أوحى إليه وهو جالس عندى ، ثم استوى جالسا يمسح عن وجهه ، وقال : يا عائشة أبشرى ، قالت : فقلت : بحمد الله لا بحمدك فقرأ ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) . . . حتى بلغ ( أَوْلَٰئِكَ مُّسَبَّرُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ) .

وقال آخرون : بل ذلك لأزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم خاصة ، دون سائر النساء غيرهن .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) . . . الآية ، أزواج النبي صلى الله عليه وسلم خاصة .

وقال آخرون : نزلت هذه الآية في شأن عائشة ، وعنى بها كل من كان بالصفة التي وصف الله هذه الآية ، قالوا : فذلك حكم كل من رمى محصنة ، لم تقارف سوءا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا علي بن سهل ، قال : ثنا زيد ، عن جعفر بن برقان ، قال : سألت ميمونا ، قلت : الذي ذكر الله ( الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ مِمَّ كَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ) . . . إلى قوله ( إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) فجعل في هذه توبة ؛ وقال في الأخرى : ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ ) . . . إلى قوله ( لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) قال ميمون : أما الأولى فعسى أن تكون قد قارفت ، وأما هذه ، فهي التي لم تقارف شيئا من ذلك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا العوام بن حوشب ، عن شيخ من بني أسد ، عن ابن عباس ، قال : فسر سورة النور ، فلما أتى على هذه الآية ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) . . . الآية ، قال هذا في شأن عائشة وأزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وهي مبهمة ، وليست لهم توبة ، ثم قرأ ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ مِمَّ كَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ) . . . إلى قوله ( إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ) . . . الآية ، قال : فجعل لؤلاء توبة ، ولم يجعل لمن قذف أولئك توبة ، قال : فهم بعض القوم أن يقوم إليه فيقبل رأسه من حسن ما فسر سورة النور . حدثني بونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ، وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) قال : هذا في عائشة ، ومن صنع هذا اليوم في المسلمات ، فله ما قال الله ، ولكن عائشة كانت إمام ذلك .

وقال آخرون : نزلت هذه الآية في أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، فكان ذلك كذلك ، حتى نزلت

الآية التي في أول السورة فأوجب الجلد ، وقبل التوبة .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) . . . إلى ( عَذَابٌ عَظِيمٌ ) يعنى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، وماهن أهل النفاق ، فأوجب الله لهم اللعنة والغضب ، وباعوا بسخط من الله . وكان ذلك فى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم نزل بعد ذلك ( وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ ) . . . إلى قوله ( فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) فأنزل الله الجلد والتوبة ، فالتوبة تُقبل ، والشهادة ترد .

❖ وأولى هذه الأقوال فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : نزلت هذه الآية فى شأن عائشة ، والحكم بها عام فى كل من كان بالصفة التى وصفه الله بها فيها .

وإنما قلنا ذلك أولى تأويلاته بالصواب ، لأن الله عم بقوله ( إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ ) كل محصنة غافلة مؤمنة ، وماها رام بالفاحشة ، من غير أن يخص بذلك بعضا دون بعض ، فكل رام محصنة بالصفة التى ذكر الله جل ثناؤه فى هذه الآية ، فملعون فى الدنيا والآخرة ، وله عذاب عظيم ، إلا أن يتوب من ذنبه ذلك قبل وفاته ، فإن الله دل باستثنائه بقوله ( إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا ) على أن ذلك حكم رامى كل محصنة بأى صفة كانت المحصنة المؤمنة المرمية ، وعلى أن قوله ( لُعِنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ) ، ولهم عَذَابٌ عَظِيمٌ ) معناه : لهم ذلك إن هلكوا ولم يتوبوا .

القول فى تأويل قوله تعالى :

### يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾

❖ يقول تعالى ذكره : ولهم عذاب عظيم ( يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ ) فالיום الذى فى قوله ( يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ ) من صلة قوله ( وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ) . وعنى بقوله ( يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ ) يوم القيامة ، وذلك حين يجحد أحدهم ما اكتسب فى الدنيا من الذنوب ، عند تقرير الله إياه بها ، فيختم الله على أفواههم ، وتشهد عليهم أيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون .

فإن قال قائل : وكيف تشهد عليهم ألسنتهم ، حين يختم على أفواههم ، قيل : عنى بذلك أن ألسنة بعضهم تشهد على بعض ، لأن ألسنتهم تنطق وقد ختم على الأفواه .

وقد حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا عمرو ، عن دراج ، عن أبي الهيثم ، عن أبي سعيد ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ عَرَفَ الْكَافِرُ بِعَمَلِهِ ، فَجَحَدَ وَخَاصَمَ ، فَيُقَالُ لَهُ هُوَ لَاءِ جِيرَانِكَ يَشْهَدُونَ عَلَيْكَ ، فَيَقُولُ : كَذَبُوا ، فَيَقُولُ أَهْلُكَ وَعَشِيرَتُكَ ، فَيَقُولُ كَذَبُوا ، فَيَقُولُ : أَتَحْلِفُونَ ؟ فَيَحْلِفُونَ ، ثُمَّ يَصْمِتُهُمُ اللَّهُ ، وَتَشْهَدُ أَلْسِنَتُهُمْ ، ثُمَّ يَدْخِلُهُمُ النَّارُ » .

القول في تاويل قوله تعالى :

يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره ( يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) يوفيهم الله حسابهم وجزاءهم الحق على أعمالهم .

والدين في هذا الموضع : الحساب والجزاء كما حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( يَوْمَئِذٍ يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ) يقول : حسابهم .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( الْحَقَّ ) فقراءته عامة قرآء الأمصار ( دِينَهُمُ الْحَقَّ ) نصبا على النعت للدين ، كأنه قال : يوفيهم الله ثواب أعمالهم حقا ، ثم أدخل في الحق الألف واللام ، فنصبه بما نصب به الدين . وذكر عن مجاهد أنه قرأ ذلك ( يُوفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ ) برفع الحق على أنه من نعت الله .

حدثنا بذلك أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا يزيد ، عن جرير بن حازم ، عن حميد ، عن مجاهد ، أنه قرأها الحق بالرفع . قال جرير : وقرأتها في مصحف أبي بن كعب ( يُوفِّيهِمُ اللَّهُ الْحَقَّ دِينَهُمْ ) .

والصواب من القراءة في ذلك عندنا : ما عليه قرآء الأمصار ، وهو نصب الحق على إتباعه إعراب الدين لإجماع الحجة عليه .

وقوله ( وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ) يقول : ويعلمون يومئذ أن الله هو الحق الذي بين لهم حقائق ما كان يعدهم في الدنيا من العذاب ، ويزول حينئذ الشك فيه عن أهل النفاق ، الذين كانوا فيما كان يعدهم في الدنيا يمترون .

القول في تاويل قوله تعالى :

الْحَيْثُكَ لِلْخَيْثِ وَالْخَيْثُونَ لِلْخَيْثِ وَالطَّيِّبُكَ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾

اختلف أهل التأويل في تاويل ذلك ؛ فقال بعضهم : معناه : الخبيثات من القول ، للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول ، والطيبات من القول ، للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس ، للطيبات من القول .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( الْحَيْثُكَ لِلْخَيْثِ وَالْخَيْثُونَ لِلْخَيْثِ ) يقول : الخبيثات من القول ، للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال ، للخبيثات من القول .



وقوله ( وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ) يقول : الطيبات من القول ، للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من القول ، نزلت في الذين قالوا في زوجة النبي صلى الله عليه وسلم ما قالوا من البهتان ، ويقال : الحبيثات للخبيثين : الأعمال الخبيثة تكون للخبيثين ، والطيبات من الأعمال تكون للطيبين .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عثمان بن الأسود ، عن مجاهد : الحبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ عن ابن أبي نجيح ، في قول الله ( الْحَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، وَالْحَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) قال : الطيبات : القول الطيب يخرج من الكافر والمؤمن فهو للمؤمن ؛ والخبيثات : القول الخبيث يخرج من المؤمن والكافر فهو للكافر ( أَوْلَيْكَ مَبْرَءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ) وذلك أنه برأ كليهما مما ليس بحق من الكلام .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله : ( الْحَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، وَالْحَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) يقول : الخبيثات والطيبات : القول السيئ والحسن ، للمؤمنين الحسن ، وللكافرين السيئ ( أَوْلَيْكَ مَبْرَءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ) وذلك بأنه ما قال الكافرون من كلمة طيبه فهي للمؤمنين ، وما قال المؤمنون من كلمة خبيثة فهي للكافرين ، كل برىء مما ليس بحق من الكلام .

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا ابن ثور ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( الْحَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ) قال : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من الكلام .

حدثنا الحسن قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال أخبرنا معمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ، مثله :

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول في قوله ( الْحَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ) . . . الآية ، يقول : الخبيثات من القول للخبيثين من الرجال ، والخبيثون من الرجال للخبيثات من القول ، والطيبات من القول للطيبين من الرجال ، والطيبون من الرجال للطيبات من القول ، فهذا في الكلام ، وهم الذين قالوا لعائشة ما قالوا ، هم الخبيثون . والطيبون هم المبرءون مما قال الخبيثون .

حدثنا أبو زرعة ، قال ثنا أبو نعيم ، قال : ثنا سلمة ، يعنى ابن نبيط الأشجعي ، عن الضحاك ( الْحَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ) قال : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والطيبات من الكلام للطيبين من الناس .

قال : ثنا قبيصة ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح وعثمان بن الأسود ، عن مجاهد ( الْحَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، وَالْحَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) قال : الخبيثات من الكلام للخبيثين من الناس ، والخبيثون من الناس للخبيثات من القول ، والطيبات من القول للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول .

قال : ثنا سفيان ، عن خصيف ، عن سعيد بن جبير ، قال ( الْحَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، وَالْخَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) قال : الحبيثات من القول للخبيثين من الناس ، والحبيثون من الناس للحبيثات من القول ، والطيبات من القول للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول .

قال : ثنا محمد بن بكر بن مقدم ، قال : أخبرنا يحيى بن سعيد ، عن عبد الملك ، يعني ابن أبي سليمان ، عن القاسم بن أبي بزرة ، عن سعيد بن جبير ، عن مجاهد ( وَالْحَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ) قال : الحبيثات من القول للخبيثين من الناس .

قال : ثنا عباس بن الوليد الترمذي ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ( الْحَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، وَالْحَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) يقول : الحبيثات من القول والعمل للخبيثين من الناس ، والحبيثون من الناس للحبيثات من القول والعمل .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا أبي ، عن طلحة بن عمرو ، عن عطاء ، قال : الطيبات للطيبين ، والطيبون للطيبات ، قال : الطيات من القول للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول ، والحبيثات من القول للخبيثين من الناس ، والحبيثون من الناس للحبيثات من القول .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الحبيثات من النساء للخبيثين من الرجال ، والحبيثون من الرجال للحبيثات من النساء .

#### ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله ( الْحَبِيثَاتُ لِلْخَبِيثِينَ ، وَالْحَبِيثُونَ لِلْخَبِيثَاتِ ، وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ ، وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ ) قال : نزلت في عائشة حين رماها المنافق بالهتان والفرية ، فبرأها الله من ذلك . وكان عبد الله بن أبي هو خبيث ، وكان هو أولى بأن تكون له الحبيثة ويكون لها ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طيبا ، وكان أولى أن تكون له الطيبة ، وكانت عائشة الطيبة ، وكان أولى أن يكون لها الطيب . ( أَوْلَتْكَ مَبْرءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ ) قال : هاهنا بُرئت عائشة ( لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ) .

وأولى هذه الأقوال في تأويل الآية : قول من قال : عَسَى بِالْحَبِيثَاتِ : الحبيثات من القول ، وذلك فيحبه وسببه ، للخبيثين من الرجال والنساء ، والحبيثون من الناس للحبيثات من القول ، هم بها أولى ، لأنهم أهلها ، والطيبات من القول ، وذلك حسنه وجميله ، للطيبين من الناس ، والطيبون من الناس للطيبات من القول ، لأنهم أهلها ، وأحق بها .

وإنما قلنا هذا القول أولى بتأويل الآية ، لأن الآيات قبل ذلك إنما جاءت بتوبيخ الله للفائزين في عائشة الإفك ، والرامين المحصنات الغافلات المؤمنات ، وإخبارهم ما خصصهم به على إفكهم ، فكان يحتم الخبر عن أولى الفريقين بالإفك من الرامي والمرمى به ، أشبه من الخبر عن غيرهم .

وقوله (أَوْلَيْكَ مُبْرَأُونَ) يقول : الطيبون من الناس مبرءون من خبيثات القول ، إن قالوها فإن الله يصفح لهم عنها ، ويغفرها لهم ، وإن قيلت فيهم ضرت قائلها ولم تضرهم ، كما لو قال الطيب من القول الخبيث من الناس لم ينفعه الله به ، لأن الله لا يتقبله ، ولو قيلت له لضرته ، لأنه يلحقه عارها في الدنيا ، وذلك في الآخرة .

كما حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد (أَوْلَيْكَ مُبْرَأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) فمن كان طيبا فهو مبرأ من كل قول خبيث ، يقول : يغفره الله ؛ ومن كان خبيثا فهو مبرأ من كل قول صالح ، فإنه يردّه الله عليه ، لا يقبله منه ، وقد قيل : عُنِيَ بقوله (أَوْلَيْكَ مُبْرَأُونَ مِمَّا يَقُولُونَ) عائشة وصفوان بن المعطل الذي رُميت به ، فعلى هذا القول قيل أولئك ، فجمع ، والمراد ذاك ، كما قيل : فإن كان له إخوة ، والمراد أخوان

وقوله (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) يقول لهؤلاء الطيبين من الناس : مغفرة من الله لذنوبهم ، والخبيث من القول إن كان منهم (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) يقول : ولهم أيضا مع المغفرة عطية من الله كريمة ، وذلك الجنة ، وما أُعِدَّ لهم فيها من الكرامة .

كما حدثنا أبو زرعة ، قال : ثنا العباس بن الوليد النرسي ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة (لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) مغفرة لذنوبهم ، ورزق كريم في الجنة .

القول في تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا  
ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٦٧﴾

﴿٦٧﴾ اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم تأويله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه كان يقرأ (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا) قال : وإنما تستأمنوا وهم من الكتاب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس في هذه الآية (لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا) وقال : إنما هي خطأ من الكاتب : حتى تستأذنوا وتسلموا .

حدثنا ابن المنني ، قال : ثنا وهب بن جرير ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، بمثله ، غير أنه قال : إنما هي حتى تستأذنوا ، ولكنها سقط من الكاتب .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا معاذ بن سليمان ، عن جعفر بن إياس ، عن سعيد عن ابن عباس ( حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ) قال : أخطأ الكاتب . وكان ابن عباس يقرأ ( حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا ) وكان يقرؤها على قراءة أبي بن كعب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش أنه كان يقرؤها ( حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا ) قال سفيان : وبلغني أن ابن عباس كان يقرؤها ( حتى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا ) وقال : إنها خطأ من الكاتب .

حدثنا محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ) قال : الاستئناس : الاستئذان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا مغيرة ، عن إبراهيم ، قال في مصحف ابن مسعود ( حتى تُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا وَتَسْتَأْذِنُوا ) .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا جعفر بن إياس ، عن سعيد ، عن ابن عباس أنه كان يقرؤها ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا وَتَسْتَأْذِنُوا ) قال : وإنما تستأنسوا وهم من الكتاب .

قال : ثنا هشيم ، قال مغيرة ، قال مجاهد : جاء ابن عمر من حاجة ، وقد آذاه الرَّمْضَاءُ ، فأتى فسطاط امرأة من قريش ، فقال : السلام عليكم ، أدخل ؟ فقالت : ادخل بسلام ، فأعاد ، فأعادت ، وهو يراوح بين قدميه ، قال : قولي أدخل ، قالت : ادخل ، فدخل .

قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا منصور ، عن ابن سيرين ، وأخبرنا يونس بن عبيد ، عن عمرو بن سعيد الثقفي ، أن رجلاً استأذن على النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال : أَلِجْ أَوْ أَنْتَلِجْ ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم لأمه له يقال لها رَوْضَةٌ : قُومِي إِلَى هَذَا فَكَلِّمِيهِ ، فَإِنَّهُ لَا يُحْسِنُ يَسْتَأْذِنُ ، فَقَوْلِي لَهُ يَقُولُ : السَّلَامُ عَلَيْكُمْ ، أَدْخُلْ ؟ فَسَمِعَهَا الرَّجُلُ ، فَقَالَ ، فَقَالَتْ : أَدْخُلْ .

حدثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله ( حتى تَسْتَأْذِنُوا ) قال : الاستئذان ، ثم نسخ واستثنى ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ) حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا أبو حمزة ، عن المغيرة ، عن إبراهيم ، قوله ( لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ) قال : حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( حتى تَسْتَأْذِنُوا ) قال : حتى تستأذنوا وتسلموا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا أشعث بن سوار ، عن كردوس ، عن ابن مسعود ، قال : عليكم أن تستأذنوا على أمهاتكم وأخواتكم ، قال أشعث ، عن عدى بن ثابت ،

أن امرأة من الأنصار ، قالت : يا رسول الله ، إني أكون في منزلي على الحال التي لأحب أن يراني أحد عليها : والدولا ولد ، وإنه لا يزال يدخل عليّ رجل من أهلي وأنا على تلك الحال ، قال : فنزلت ( يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ) . . . الآية .  
وقال آخرون : معنى ذلك : حتى تؤنيسوا أهل البيت بالتنحج والتنخم وما أشبهه ، حتى يعلموا أنكم تريدون الدخول عليهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن خميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن محمد بن عبد الرحمن ، عن القاسم بن أبي بزة ، عن مجاهد ، في قوله ( لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ) قال : حتى تتنحجوا وتنخموا .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .  
حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا ) قال : حتى تجسّسوا وتسلموا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( حتى تَسْتَأْذِنُوا ) قال : تَنَحَّنِحُوا وَتَنَخَّمُوا .

قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سمعت عطاء بن أبي رباح يخبر عن ابن عباس ، قال : ثلاث آيات قد جحدهنّ الناس ، قال الله ( إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ) قال : ويقولون : إن أكرمهم عند الله أعظمهم شأنا ؛ قال : والإذن كله قد جحدته الناس ، فقلت له أستأذن على أخواتي أيتام في حجري معي في بيت واحد ؟ قال : نعم ، فرددت عليّ من حضرتي ، فأبى ، قال : أتحب أن تراها عريانة ، قلت : لا ، قال : فاستأذن ، فراجعته أيضا ، قال : أتحب أن تطيع الله ؟ قلت : نعم ، قال : فاستأذن ، فقال لي سعيد بن جبير : إنك لست تردّ عليه ، قلت : أردت أن يرخص لي .

قال ابن جريج : وأخبرني ابن طاوس ، عن أبيه ، قال : ما من امرأة أكره إلى أن أرى ، كأنه يقول عريتها أو عريانة ، من ذات محرم ، قال : وكان يشدد في ذلك .

قال ابن جريج ، وقال عطاء بن أبي رباح : وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا ، فوجب على الناس أجمعين إذا احتملوا أن يستأذنوا على من كان من الناس ، قلت لعطاء : أوجب على الرجل أن يستأذن على أمه ومن وراءها من ذات قرابته ؟ قال : نعم ، قلت : أبيرّ وجب ؟ قال قوله ( وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا ) .

قال ابن جريج : وأخبرني ابن زياد : أن صفوان مولى لبني زهرة ، أخبره عن عطاء بن يسار « أن

(١) في ابن كثير فرددت عليه ليرخص لي ، فأبى ، فلمله تصحف عنه .

رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم: أَسْتَأْذِنُ عَلَى أُمِّي؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: لَهَا لَيْسَ لَهَا خَادِمٌ غَيْرِي، أَسْتَأْذِنُ عَلَيْهَا كَلَّمَا دَخَلْتُ؟ قَالَ: أُوْتِحِبُّ أَنْ تَرَاهَا عُرْيَانَةً؟ قَالَ الرَّجُلُ: لَا، قَالَ: فَاسْتَأْذِنْ عَلَيْهَا. »

قال ابن جرير عن الزهري، قال: سمعت هزيل بن شرحبيل الأودي الأعمى، أنه سمع ابن مسعود يقول: عليكم الإذن على أمهاتكم.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنى حجاج، عن ابن جرير، قال: قلت لعطاء: أيسأذن الرجل على امرأته؟ قال: لا.

حدثنا الحسين، قال: ثنا محمد بن حازم، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن يحيى بن الجزار، عن ابن أخي زينب امرأة ابن مسعود، عن زينب قالت: كان عبد الله إذا جاء من حاجة فأنهى إلى الباب، تنحنح وبتزق، كراهة أن يهجم منا على أمر يكرهه.

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قول الله (يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأذنوا) قال: الاستئناس: التنحنح والتجسس، حتى يعرفوا أن قد جاءهم أحد، قال: والتجسس: كلامه وتنحنحه.

والصواب من القول في ذلك عندي: أن يقال: إن الاستئناس: الاستفعال من الأنس، وهو أن يستأذن أهل البيت في الدخول عليهم، مخبرا بذلك من فيه، وهل فيه أحد؟ وليؤذنه أنه داخل عليهم، فليأنس إلى إذنه له في ذلك، ويأنسوا إلى استئذانه إياهم. وقد حكى عن العرب سماعا: اذهب فاستأنس، هل ترى أحدا في الدار؟ بمعنى: انظر هل ترى فيها أحدا؟

فتأويل الكلام إذن، إذا كان ذلك معناه: يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تسلموا وتستأذنوا، وذلك أن يقول أحدكم: السلام عليكم، أدخل؟ وهو من المقدم الذي معناه التأخير إنما هو حتى تسلموا وتستأذنوا، كما ذكرنا من الرواية، عن ابن عباس.

وقوله (ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ) يقول: استئناسكم وتسليمكم على أهل البيت الذي تريدون دخوله، فإن دخولكموه خير لكم، لأنكم لا تدرعون أنكم إذا دخلتموه بغير إذن، على ماذا تهجمون؟ على ما يسوءكم أو يسركم؟ وأنتم إذا دخلتم بإذن، لم تدخلوا على مانكرهون، وأديتم بذلك أيضا حق الله عليكم في الاستئذان والسلام. وقوله (لَعَلَّكُمْ تَتَذَكَّرُونَ) يقول: لتذكروا بفعالكم ذلك أو الله عليكم، واللازم لكم من طاعته، فتطيعوه.

القول في تأويل قوله تعالى:

فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجِعُوا فَآرْجِعُوا هُوَ أَزْكَى لَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره : فإن لم تجدوا فى البيوت التى تستأذنون فيها أحدا ، يأذن لكم بالدخول إليها ، فلا تدخلوها ، لأنها ليست لكم ، فلا يحل لكم دخولها إلا بإذن أربابها ، فإن أذن لكم أربابها أن تدخلوها ، فادخلوها ( وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ) يقول : وإن قال لكم أهل البيوت التى تستأذنون فيها ارجعوا فلا تدخلوها ، وارجعوا عنها ولا تدخلوها ( هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ) يقول : رجوعكم عنها إذا قيل لكم ارجعوا ، ولم يؤذن لكم بالدخول فيها ، أظهر لكم عند الله . وقوله ( هُوَ ) : كناية من اسم الفعل ، أعنى من قوله ( فَارْجِعُوا ) . وقوله ( وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ) يقول جل ثناؤه : والله بما تعملون من رجوعكم ، بعد استئذانكم فى بيوت غيركم ، إذا قيل لكم ارجعوا ، وترك رجوعكم عنها ، وطاعتكم الله فيما أمركم ، ونهاكم فى ذلك وغيره ، من أمره ونهيه ، ذو علم محيط بذلك كله ، مُحْصٍ جميعه عليكم ، حتى يجازيكم على جميع ذلك .

وكان مجاهد يقول فى تأويل ذلك ما حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا ) قال : إن لم يكن لكم فيها متاع ، فلا تدخلوها إلا بإذن ( وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ) .

حدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله . قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا هاشم بن القاسم المزني ، عن قتادة ، قال : قال رجل من المهاجرين : لقد طلبت عمرى كله هذه الآية فما أدركتها : أن أستأذن على بعض إخوانى ، فيقول لى : ارجع ، فأرجع وأنا مغتبط ، لقوله ( وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارْجِعُوا فَارْجِعُوا ، هُوَ أَزْكَى لَكُمْ ) . وهذا القول الذى قاله مجاهد فى تأويل قوله ( فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا ) بمعنى : إن لم يكن لكم فيها متاع ، قول بعيد من مفهوم كلام العرب ، لأن العرب لا تكاد تقول : ليس بمكان كذا أحد ، إلا وهى تعنى ليس بها أحد من بنى آدم . وأما الأمتعة وسائر الأشياء غير بنى آدم ، ومن كان سبيله سبيلهم ، فلا تقول ذلك فيها .

القول فى تأويل قوله تعالى :

لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره : ليس عليكم أيها الناس إثم و حرج ، أن تدخلوا بيوتا لاساكن بها ، بغير استئذان . ثم اختلفوا فى ذلك أى البيوت عسى ، فقال بعضهم : عسى بها الخانات والبيوت المبنية بالطرق التى ليس بها سكان معروفون ، وإنما بنيت لمارة الطريق والسابلة ، ليأووا إليها ، ويؤووا إليها أمتعتهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنى يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حجاج ، عن سالم المكي ، عن محمد بن الحنفية ،

(١) يريد باسم الفعل : المصدر ، لأنه اسم الحدث ، ولا يريد ما اصطلاح النحاة على تسميته اسم فعل كصه وأف .

في قوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ) قال : هي الخانات التي تكون في الطرق .

حدثني عباس بن محمد ، قال : ثنا مسلم ، قال : ثنا عمر بن فرُّوخ ، قال : سمعت قتادة يقول : ( بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ) قال : هي الخانات ، تكون لأهل الأسفار .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن أبي زائدة ، عن ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) قال : كانوا يضعون في بيوت في طرق المدينة متاعا وأقتابا ، فرخص لهم أن يدخلوها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ) قال : هي البيوت التي ينزلها السفر ، لا يسكنها أحد .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ) قال : كانوا يصنعون أو يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة ، في بيوت ليس فيها أحد ، فأحل لهم أن يدخلوها بغير إذن .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله ، إلا أنه قال : كانوا يضعون بطريق المدينة بغير شك .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله ، غير أنه قال : كانوا يضعون بطريق المدينة أقتابا وأمتعة .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله ( أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ) هي البيوت التي ليس لها أهل ، وهي البيوت التي تكون بالطرق والحربة ( فِيهَا مَتَاعٌ ) منفعة للمسافر في الشتاء والصيف ، يأوى إليها . وقال آخرون : هي بيوت مكة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام بن سلم ، عن سعيد بن سائق ، عن الحجاج بن أرطاة ، عن سالم بن محمد بن الحنفية ، في ( بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ) قال : هي بيوت مكة .

وقال آخرون : هي البيوت الحربية . والمتاع الذي قال الله فيها لكم : قضاء الحاجة ، من الخلاء والبول فيها .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : سمعت عطاء يقول ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) قال : الخلاء والبول .

حدثني محمد بن نهمارة ، قال : ثنا عمرو بن حماد ، قال : ثنا حسن بن عيسى بن زيد ، عن أبيه ، في هذه الآية ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) قال : النخل في الحراب .



وقال آخرون : بل عنى بذلك بيوت التجار ، التي فيها أمتعة الناس .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) قال : بيوت التجار ، ليس عليكم جناح أن تدخلوها بغير إذن ، الحوانيت التي بالقيساريات والأسواق . وقرأ ( فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) متاع للناس ، ولبنى آدم .  
 وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله عمّ بقوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) كل بيت لساكن به ، لنا فيه متاع ، ندخله بغير إذن ، لأن الإذن إنما يكون ليؤنس المأذون عليه قبل الدخول ، أو ليأذن للداخل إن كان له مالكا ، أو كان فيه ساكنا . فأما إن كان لا مالك له ، فيحتاج إلى إذنه لدخوله ولا ساكن فيه ، فيحتاج الداخل إلى إيناسه ، والتسليم عليه ، لئلا يهجم على ما لا يجب رؤيته منه ، فلا معنى للاستئذان فيه . فإذا كان ذلك ، فلا وجه لتخصيص بعض ذلك دون بعض ، فكل بيت لا مالك له ولا ساكن ، من بيت مبنى ببعض الطرق للمارة والسابلة ليأبوا إليه ، أو بيت خراب قد باد أهله ولا ساكن فيه ، حيث كان ذلك ، فإن لمن أراد دخوله أن يدخل بغير استئذان ، لمتاع له يؤويه إليه ، أو للاستمتاع به ، لقضاء حقه ، من بول أو غائط أو غير ذلك . وأما بيوت التجار ، فإنه ليس لأحد دخولها إلا بإذن أربابها وسكانها .

فإن ظنّ ظانّ أن التاجر إذا فتح دكانه وقعد للناس ، فقد أذن لمن أراد الدخول عليه في دخوله ، فإن الأمر في ذلك بخلاف ما ظنّ ، وذلك أنه ليس لأحد دخول ملك غيره ، بغير ضرورة أبحاثه إليه ، أو بغير سبب أباح له دخوله ، إلا بإذن ربه ، لاسيما إذا كان فيه متاع ، فإن كان التاجر قد عرف منه أن فتحه حانوته إذن منه لمن أراد دخوله في الدخول ، فذلك بعد راجع إلى ما قلنا ، من أنه لم يدخله من دخله إلا بإذنه . وإذا كان ذلك كذلك ، لم يكن من معنى قوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) في شيء ، وذلك أن التي وضع الله عنا الجناح في دخولها بغير إذن من البيوت ، هي ما لم يكن مسكونا ، إذ حانوت التاجر لا سبيل إلى دخوله إلا بإذنه ، وهو مع ذلك مسكون ، فتبين أنه مما عسى الله من هذه الآية بمعزل .

وقال جماعة من أهل التأويل : هذه الآية مستثناة من قوله ( لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ) .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : ( لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ ) ثم نسخ واستثنى فقال ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، عن الحسين ، عن يزيد ، عن عكرمة ( حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا )

. . . الآية ، فنسخ من ذلك ، واستثنى فقال ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ ، فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) . وليس في قوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) دلالة على أنه استثناء من قوله ( لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا ) ، لأن قوله ( لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا ) : حكم من الله في البيوت التي لها سكان وأرباب . وقوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ) : حكم منه في البيوت التي لا سكان لها ولا أرباب معروفون ، فكل واحد من الحكيمين حكم في معنى غير معنى الآخر ، وإنما يستثنى الشيء من الشيء إذا كان من جنسه أو نوعه ، في الفعل أو النفس . فأما إذا لم يكن كذلك ، فلا معنى لاستثنائه منه . وقوله ( وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ ) يقول تعالى ذكره : والله يعلم ما تظهرون أيها الناس بألسنتكم ، من الاستئذان إذا استأذنتم على أهل البيوت المسكونة ( وَمَا تَكْتُمُونَ ) يقول : وما تضمرونه في صدوركم عند فعلكم ذلك ما الذي تقصدون به : إطاعة الله والانتهاء إلى أمره ، أم غير ذلك ؟

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿٢٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ ) بالله وبك يا محمد ( يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ) يقول : يكفوا من نظرهم إلى ما يشتهون النظر إليه ، مما قد نهاهم الله عن النظر إليه ( وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ) أن يراها من لا يحل له رؤيتها ، بلبس ما يسترها عن أبصارهم ( ذَلِكَ أَزْكَى لَهُمْ ) يقول : فإن غضها من النظر عما لا يحل النظر إليه ، وحفظ الفرج عن أن يظهر لأبصار الناظرين ، أظهر لهم عند الله وأفضل ( إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ) يقول : إن الله ذو خبرة بما تصنعون أيها الناس ، فيما أمركم به من غض أبصاركم عما أمركم بالغض عنه ، وحفظ فروجكم عن إظهارها لمن نهاكم عن إظهارها له . وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن سهل الرملي ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا أبو جعفر ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالبة في قوله ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ) ، وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ) قال : كل فرج ذكر حفظه في القرآن ، فهو من الزنا ، إلا هذه ( وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ) فإنه يعنى السر .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( قُلْ

لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ، وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ - وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ، وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ) قال : يغضوا أبصارهم عما يكره الله .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ) قال : يغض من بصره : أن ينظر إلى ما لا يحل له ، إذا رأى ما لا يحل له غض من بصره ، لا ينظر إليه ، ولا يستطيع أحد أن يغض بصره كله ، إنما قال الله ( قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغْضُضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ) .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَاءَهُنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم ( وَقُلْ ) يا محمد ( لِلْمُؤْمِنَاتِ ) من أمتك ( يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ ) عما يكره الله النظر إليه ، مما نهاكم عن النظر إليه ( وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ ) يقول : ويحفظن فروجهن عن أن يراها من لا يحل له رؤيتها ، بلبس ما يسترها عن أبصارهم .  
 وقوله ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ) يقول تعالى ذكره : ولا يُظْهَرْنَ للناس الذين ليسوا لهم بمحرم زينتهن ، وهما زينتان : إحداهما : ما خفي ، وذلك كالحلخال والسوارين والقُرطَيْن والقلائد . والأخرى : ما ظهر منها ، وذلك مختلف في المعنى منه بهذه الآية ، فكان بعضهم يقول : زينة الثياب الظاهرة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن الحجاج ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن ابن مسعود ، قال : الزينة زينتان : فالظاهرة منها : الثياب ، وما خفي : الحلخالان والقُرطان والسواران .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني الثوري ، عن أبي إسحاق الهمداني ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، أنه قال ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) : قال : هي الثياب .  
 حدثنا ابن المني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، قال ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الثياب .  
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ، عن عبد الله ، مثله .

قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن زيد ، عن عبد الله ، مثله .

قال : ثنا سفيان ، عن علقمة ، عن إبراهيم ، في قوله ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) :  
قال : الثياب .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : أخبرنا بعض أصحابنا ، إما يونس ، وإما غيره ، عن  
الحسن ، في قوله ( إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الثياب .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن أبي الأحوص ،  
عن عبد الله ( إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الثياب .

قال أبو إسحاق : ألا ترى أنه قال ( خذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ) :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : ثنا محمد بن الفضل ، عن الأعمش ،  
عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن زيد ، عن ابن مسعود ( إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : هو الرداء .  
وقال آخرون : الظاهر من الزينة التي أبيع لها أن تبديه : الكحل ، والحاتم ، والسواران ، والوجه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا مروان ، قال : ثنا مسلم الملائى ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس  
( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الكحل والحاتم .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد الأملى ، قال : ثنا مروان ، عن مسلم الملائى ، عن سعيد بن جبير ، مثله ،  
ولم يذكر ابن عباس :

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون ، عن أبي عبد الله نهشل ، عن الضحاك ، عن ابن عباس ، قال :  
الظاهر منها : الكحل والحندان .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الله بن مسلم بن هُرْمَز ، عن سعيد  
ابن جبير ، في قوله ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الوجه والكف .

حدثنا عمرو بن عبد الحميد ، قال : ثنا مروان بن معاوية ، عن عبد الله بن مسلم بن هُرْمَز المكي ، عن  
سعيد بن جبير ، مثله .

حدثني علي بن مهمل ، قال : ثنا الوليد بن مسلم ، قال : ثنا أبو عمرو ، عن عطاء في قول الله ( وَلَا  
يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الكفتان والوجه .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي عن سعيد ، عن قتادة قال : الكحل ، والسواران والحاتم ،  
حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَلَا يُبْدِينَ  
زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : والزينة الظاهرة : الوجه ، وكحل العين ، وبخضاب الكف ، والحاتم ،  
فهذه تظهر في بيئها لمن دخل من الناس عليها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ  
إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : المسكنان والحاتم والكحل ، قال قتادة : وبلغني أن النبي صلى الله عليه وسلم

قال « لا يَحِلُّ لِمَرْأَةٍ تُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ تُخْرِجَ يَدَهَا إِلَّا إِلَى هَاهُنَا ، وَقَبْضُ نِصْفِ الذَّرَاعِ »  
 حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن رجل ، عن المسور  
 ابن مخرمة ، في قوله ( إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : القلبين ، والحاتم ، والكحل : يعنى السوار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ، قوله  
 ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الحاتم والمسكة .

قال ابن جريج ، وقالت عائشة : القُدْبُ والفتحة ، قالت عائشة : « دخلت على ابنة أخى لأى عبد الله  
 ابن الطفيل مزيئة ، فدخل النبي صلى الله عليه وسلم ، فأعرض ، فقالت عائشة : يا رسول الله إنها ابنة  
 أخى وجارية ، فقال : إذا عرَكَت المرأة المِجْلَ لها أن تظهر إلا وجهها ، وإلا ما دون هذا ، وقبض على  
 ذراع . نفسه ، فترك بين قبضته وبين الكف مثل قبضة أخرى » . وأشار به أبو على .

قال ابن جريج ، وقال مجاهد : قوله ( إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الكحل والحضاب والحاتم .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عاصم ، عن عامر ( إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الكحل ،  
 والحضاب ، والثياب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا  
 مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) من الزينة : الكحل ، والحضاب والحاتم ، هكذا كانوا يقولون ، وهذا يراه الناس .

حدثني ابن عبد الرحيم البرقي ، قال : ثنا عمر بن أبي سلمة ، قال : سئل الأوزاعي عن ( وَلَا يُبْدِينَ  
 زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الكفين والوجه .

حدثنا عمرو بن بندق ، قال : ثنا مروان ، عن جوير ، عن الضحاك في قوله ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ )  
 قال : الكف والوجه .

وقال آخرون : عَنِّي به الوجه والثياب .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، قال : قال يونس ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ  
 مِنْهَا ) قال الحسن : الوجه والثياب .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، وعبد الأعلى ، عن سعيد ، عن قتادة ، عن الحسن ،  
 في قوله ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) قال : الوجه والثياب .

❖ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : عَنِّي بذلك : الوجه والكفان ، يدخل في ذلك إذا كان  
 كذلك : الكحل ، والحاتم ، والسوار ، والحضاب .

وإنما قلنا ذلك أولى الأقوال في ذلك بالتأويل : لإجماع الجميع على أن على كل مصل أن يستر عورته  
 في صلاته ، وأن للمرأة أن تكشف وجهها وكفيها في صلاتها ، وأن عليها أن تستر ما عدا ذلك من بدنها ،  
 إلا ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه أباح لها أن تبديته ، من ذراعها إلى قدر النصف . فإذا كان ذلك

(١) عرَكَت الجارية تعرك ( كتنصر ) عركا وعراكا وعروكا : حاضت ، فهي عارك ؛ وأعرَكَت فهي معرك .

من جميعهم إجماعاً ، كان معلوماً بذلك أن لها أن تبدى من بدنها ما لم يكن عورة كما ذلك للرجال ، لأن ما لم يكن عورة ، فغير حرام إظهاره . وإذا كان لها إظهار ذلك ، كان معلوماً أنه مما استثناه الله تعالى ذكره ، بقوله ( إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ) ، لأن كل ذلك ظاهر منها .

وقوله ( وَلَيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ) يقول تعالى ذكره : وليلقين خمرهن ، وهى جمع خمار ، على جيوبهن ، ليسترن بذلك شعورهن وأعناقهن وقرطهن .

حدثنا ابن وكيع ، قال : ثنا زيد بن حباب ، عن إبراهيم بن نافع ، قال : ثنا الحسن بن مسلم بن يناق ، عن صفية بنت شيبة ، عن عائشة ، قالت : لما نزلت هذه الآية ( وَلَيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ) قال : شققن البرد مما يلي الحواشي ، فاختمرن به .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، أن قرّة بن عبد الرحمن ، أخبره ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم أنها قالت : برحم الله النساء المهاجرات الأول ! لما أنزل الله ( وَلَيَضْرِبَنَّ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ ) شققن أكثف مروطن ، فاختمرن به .

وقوله ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ) يقول تعالى ذكره : ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ) التى هى غير ظاهرة ، بل الخفية منها ، وذلك الخللخال والقرط والمُلُج ، وما أمرت بتغطيته بخمارها من فوق الحيب ، وما وراء ما أبيع لها كشفه وإبرازه فى الصلاة وللأجنيبين من الناس ، والذراعين إلى فوق ذلك ، إلا لبعولتهن .

وبنحو الذى قلنا فى تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن منصور ، عن طلحة بن مصرف ، عن إبراهيم ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ ) قال : هذه ما فوق الذراع .

حدثنا ابن المنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن منصور ، قال : سمعت رجلاً يحدث عن طلحة ، عن إبراهيم ، قال فى هذه الآية ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ ) أو آباء بعولتهن ) قال : ما فوق الحيب ، قال شعبة : كتب به منصور إلى ، وقرأته عليه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن سعيد بن أبى عروبة ، عن قتادة ، فى قوله ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ) قال : تبدى لهؤلاء الرأس .

حدثني على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قال ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ) . . . إلى قوله ( عَوْرَاتِ النِّسَاءِ ) قال : الزينة التى يبدونها لهؤلاء : فرطها وقلادتها وسوارها ، فأما خلخالها ومعضداها ونحرها وشعرها ، فإنه لا تبدى إلا لزوجها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، قال ابن مسعود ، فى قوله ( وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ ) قال : الطوق والقرطين ، يقول الله تعالى ذكره :

قل للمؤمنات الحرائر: لا يظهرن هذه الزينة الخفية، التي ليست بالظاهرة، إلا لبعولتهن، وهم أزواجهن، واحدهم: بعل، أو لآبائهن، أو لآباء بعولتهن، يقول: أو لآباء أزواجهن، أو لأبنائهن، أو لأبناء بعولتهن، أو لإخوانهن، أو لبني إخوانهن. ويعنى بقوله (أو لإخوانهن) أو لإخوانهن، أو لبني إخوانهن، أو لبني أخواتهن، أو نساءهن. قيل: عنى بذلك نساء المسلمين.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قوله (أو نساءهن) قال: بلغني أنهن نساء المسلمين، لا يحلّ لمسلمة أن ترى مشركة عريتها، إلا أن تكون أمة لها، فذلك قوله: (أو ما ملكت أيمانهن).

قال: ثنا الحسين، قال: ثنا عيسى بن يونس، عن هشام بن الغازي، عن عبادة بن نسي، أنه كره أن تقبل النصرانية المسلمة، أو ترى عورتها، ويتأول أو نساءهن.

قال: ثنا عيسى بن يونس، عن هشام، عن عبادة، قال: كتب عمر بن الخطاب إلى أبي عبيدة بن الجراح رحمة الله عليهما: أما بعد، فقد بلغني أن نساء يدخلن الحمامات ومعهن نساء أهل الكتاب، فامنع ذلك، وحلّ دونه. قال: ثم إن أبا عبيدة قام في ذلك المقام مبتهلاً: اللهم أيما امرأة تدخل الحمام من غير علة ولا سقم، تريد البياض لوجهها، فسود وجهها يوم تبيض الوجوه.

وقوله (أو ما ملكت أيمانهن) اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فقال بعضهم: أو مما ليكن، فإنه لا بأس عليها أن تظهر لهم من زينتها ما تظهره لهؤلاء.

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عمرو بن دينار، عن مخلد التيمي، أنه قال، في قوله (أو ما ملكت أيمانهن) قال: في القراءة الأولى: أيمانكم. وقال آخرون: بل معنى ذلك: أو ما ملكت أيمانهن من إماء المشركين، كما قد ذكرنا عن ابن جريج قبل، من أنه لما قال (أو نساءهن) عنى بهن النساء المسلمات دون المشركات، ثم قال: أو ما ملكت أيمانهن من الإماء المشركات.

القول في تأويل قوله تعالى:

أَوَاتَّبِعِينَ غَيْرَ أُولِي الْإِرْبَابِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٦﴾

يقول تعالى ذكره: والذين يتتبعونكم لطعام يأكلونه عندكم، ممن لا أرب له في النساء من الرجال، ولا حاجة به إليهن، ولا يريدهن.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس : قوله ( أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ) قال : كان الرجل يتبع الرجل في الزمان الأول لا يغار عليه ولا ترهب المرأة أن تضع خمارها عنده ، وهو الأحمق الذي لا حاجة له في النساء .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ) فهذا الرجل يتبع القوم ، وهو مُغْفَلٌ في عقله ، لا يكثرث للنساء ، ولا يشبههنّ ، فالزينة التي تبديها لهؤلاء : قرطاهما ، وقلادتها ، وسواراها ، وأما خلتخالها ، ومعضداها ، ونحرها ، وشعرها ، فإنها لا تبديه إلا لزوجها .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أَوِ التَّابِعِينَ ) قال : هو التابع يتبعك يصيب من طعامك .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا إسماعيل بن عُلَيْتَةَ ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ) قال : الذي يريد الطعام ، ولا يريد النساء .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ) الذين لا يهمهم إلا بطونهم ، ولا يُخافون على النساء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا إسماعيل بن موسى السُّدِّيّ قال : ثنا شريك ، عن منصور ، عن مجاهد ، في قوله ( غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ ) قال : الأبله .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت ليثا ، عن مجاهد ، قوله ( غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ ) قال : هو الأبله ، الذي لا يعرف شيئا من النساء .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عُلَيْتَةَ ، قال : ثنا ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قوله ( غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ ) الذي لأرب له بالنساء مثل فلان .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن عطية ، قال : ثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق عن حدثه ، عن ابن عباس ( غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ ) قال : هو الذي لا تستحي منه النساء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ( غَيْرِ أُولَى الْإِرْبَةِ ) قال : من تبع الرجل وحشمه ؛ الذي لم يبلغ آربه أن يطلع على عورة النساء .



حدثنا ابن بشار، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، عن المغيرة ، عن الشعبي ( غير أولى الإربة ) قال : الذي لأرب له في النساء .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا حماد بن سلمة ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير ، قال : المعتوه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن الزهري في قوله ( أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال ) قال : هو الأحمق ، الذي لاهمة له بالنساء ولا أرب .

وبه عن معمر ، عن ابن طاوس ، عن أبيه ، في قوله ( غير أولى الإربة من الرجال ) يقول : الأحمق ، الذي ليست له همة في النساء .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس : الذي لاجحة له في النساء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( أو التابعين غير أولى الإربة من الرجال ) قال : هو الذي يتتبع القوم ، حتى كأنه كان منهم ، ونشأ فيهم ، وليس يتبعهم لإربة نسأهم ، وليس له في نسأهم إربة ، وإنما يتبعهم لإرفاقهم إياه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، عن عروة ، عن عائشة قالت « كان رجل يدخل على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم مُخَنَّثٌ ، فكانوا يعدونه من غير أولى الإربة ، فدخل عليه النبي صلى الله عليه وسلم يوماً وهو عند بعض نسائه ، وهو ينعت امرأة ، فقال : إنها إذا أقبلت أقبلت بأربع ، وإذا أدبرت أدبرت بثمان ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا أرى هذا يعلم ما هاهنا ، لا يدخلن هذا عليكم ، فحججبهوه . »

حدثني سعد بن عبد الله بن عبد الحكم المصري ، قال : ثنا حفص بن عمر العدني ، قال : ثنا الحكم ابن أبان ، عن عكرمة في قوله ( أو التابعين غير أولى الإربة ) قال : هو المُخَنَّثُ ، الذي لا يقوم زُبّه . واختلف القراء في قوله ( غير أولى الإربة ) فقرأ ذلك بعض أهل الشام ، وبعض أهل المدينة والكوفة ، ( غير أولى الإربة ) بنصب غير ؛ ولنصب غير هاهنا وجهان : أحدهما على القطع من التابعين ، لأن التابعين معرفة وغير نكرة ، والآخر على الاستثناء ، وتوجيه غير إلى معنى « إلا » ، فكأنه قيل : إلا . وقرأ غير من ذكرت بخفض ( غير ) ، على أنها نعت للتابعين ، وجازعت التابعين بغير ، والتابعون معرفة ، وغير نكرة ، لأن التابعين معرفة غير مؤقتة . فتأويل الكلام على هذه القراءة ، أو الذين هذه صفهم .

والقول في ذلك عندى : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، مستفيضة القراءة بهما في الأمصار ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب ، غير أن الحذف في غير : أقوى في العربية ، فالقراءة به أعجب إلى ، والإربة : الفِعْلَةُ من الأرب ، المثل الجليلة من الجلوس ، والمشية من المشى ، وهي الحاجة : يقال : لأرب لي فيك : لاجحة لي فيك ؛ وكذا أربت لكذا وكذا : إذا احتجت إليه ، فأنا أرب له أرباً . فأما الأربة ، بضم الألف : فالعقدة .

وقوله (أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ) يقول تعالى ذكره : أو الطفل الذين لم يكشفوا عن عورات النساء بجماعهن ، فيظهروا عليهن ، لصغرهن .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله (على عَوْرَاتِ النِّسَاءِ) قال : لم يَدْرُوا مَا تَمَّ ، من الصَّغَرِ قبل الحُلْمِ .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .  
وقوله (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) يقول تعالى ذكره : ولا يجعلن في أرجلهن من الحُلِيِّ ، ما إذا مشين أو حرَّكنهن ، علم الناس الذين مشين بينهم ، ما يخفين من ذلك .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن عبد الأعلى ، قال : ثنا المعتمر ، عن أبيه ، قال : زعم حَضْرِمِي ، أن امرأة اتخذت بُرْتَيْنِ<sup>١</sup> من فضة ، واتخذت جزعا ، فمرت على قوم ، فضربت برجلها ، فوق الخلل على الجزع . فصوت ، فأترل .  
الله (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن السدي ، عن أبي مالك (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) قال : كان في أرجلهن خرز ، فكن إذا مررن بالمجالس ، حرَّكن أرجلهن ، ليعلم ما يخفين من زينتهن .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ) فهو أن تَقَرَّع الخلل بالآخر عند الرجال ، ويكون في رجلها خلل ، فتحركهن عند الرجال ، فهي الله سبحانه وتعالى عن ذلك ، لأنه من عمل الشيطان .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) قال : هو الخلل ، لا تضرب امرأة برجلها ، ليعلم صوت خلخالها .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله (وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) قال : الأجراس من حُلِيِّهِنَّ يجعلنها في أرجلهن ، في مكان الخلل ، فهاهن الله أن يضربن بأرجلهن ، لتسمع تلك الأجراس .

(١) مثل برة ، بتخفيف الراء وهي كل حلقة من سوار وقرط وخلخال وما أشبهها . قال : وقع من الخلل والبريتا . وفي الأصل :  
« مرين » بدون نقط ، وانظر (اللسان : بوا) .

وقوله ( وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ) بقول تعالى ذكره : وارجعوا أيها المؤمنون إلى طاعة الله فيما أمركم ونهاكم ، من غَضَّ البَصْرَ ، وحفظ الفرج ، وترك دخول بيوت غير بيوتكم ، من غير استئذان ولا تسليم ، وغير ذلك من أمره ونهيه ( لَعَلَّكُمْ تَفْلِحُونَ ) يقول : لتفلحوا وتدرکوا طلباتكم لديه ، إذا أنتم أطعتموه فيما أمركم ونهاكم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ۚ إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ يُغْنِهِمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٢﴾

❦ يقول تعالى ذكره : وزوجوا أيها المؤمنون من لازوج له من أحرار رجالكم ونسائكم ، ومن أهل الصلاح من عبيدكم ومماليككم . والأيامى : جمع أيم ، وإنما جمع الأيامى ، لأنها فعيلة في المعنى ، فجمعت كذلك ، كما جمعت اليتيمة : يتامى ؛ ومنه قول جميل :

أَحِبُّ الْأَيَامَىٰ إِذْ بُشِينَةُ أَيْمٌ وَأُحْبَبْتُ لَمَّا أَنْ غَنَيْتِ الْغَوَانِيَا

ولو جمعت أيامم كان صوابا ، والأيم يوصف به الذكر والأنثى ، يقال : رجل أيم ، وامرأة أيم وأئمة : إذا لم يكن لها زوج ؛ ومنه قول الشاعر :

فَإِنْ تَنكِحِي أَنْكِحِي وَإِنْ تَتَأَيَّمِي ( وَإِنْ كُنْتُ أَفْسَىٰ مِنْكُمْ ) أَتَأَيَّمِي ۚ

( إِنْ يَكُونُوا فُقَرَاءَ ) يقول : إن يكن هؤلاء الذين تنكحونهم من أيامى رجالكم ونسائكم وعبيدكم وإمائكم ، أهل فاقة وفقر ، فإن الله يغنيهم من فضله ، فلا يمنعكم فقرهم من إنكاحهم .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَىٰ مِنْكُمْ ، وَالصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ ) قال : أمر الله سبحانه بالنكاح ، ورغبتهم فيه

(١) البيت لجميل العذرى صاحب بشينة ، كما قال المؤلف ، وكما فى (اللسان : غنا) . قال : والغانية : التى غنيت بالزوج ، وقال جميل : « أحب الأيامى . . . البيت » وغنيت المرأة بزوجه غنيانا . أى استغنت . والأيامى : جمع أيم ، وهى فى الأصل : التى لازوج لها ، بكرا كانت أو ثيبا ، مطلقة كانت أو متوفى عنها (اللسان) . وفى التنزيل العزيز : « وأنكحوا الأيامى منكم » : دخل فيه الذكر والأنثى ، والبكر والثيب . واستشهد به المؤلف على أن الأيم : التى ليس لها زوج .  
(٢) البيت أنشده صاحب (اللسان) فى أيم ، قال : وتأيم الرجل زمانا ، وتأيمت المرأة : إذا مكثت أياما وزمانا لا يتزوجان ، وأنشد ابن برى :

فَإِنْ تَنكِحِي أَنْكِحِي وَإِنْ تَتَأَيَّمِي ( يَدَ الدَّهْرِ مَا لَمْ تَنكِحِي ) أَتَأَيَّمِي

وفى رواية الشطر خلاف بين ما أنشده المؤلف ، وما أنشده ابن برى . والشاهد فيه عند المؤلف ، كما قدمناه فى الشاهد الذى قبله ، وهو أن الأيم من الرجال أو النساء : من لازوج له أو لها . والفعل منه أم يئيم ، وتأيم يتأيم .

وأمرهم أن يزوجوا أحرارهم وعبيدَهم ، ووعدهم في ذلك الغنى ، فقال ( إنْ يَكُونُوا فَقَرَاءَ يُغْنِيهِمْ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ) .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا حسن أبو الحسن ، وكان إسماعيل بن صبيح مولى هذا ، قال : سمعت القاسم بن الوليد ، عن عبد الله بن مسعود ، قال : « التمسوا الغنى في النكاح ، يقول الله ( إنْ يَكُونُوا فَقَرَاءَ يُغْنِيهِمْ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ ) » .

حدثنا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وأنكحوا الأيامى منكم ) قال : أيامى النساء : اللاتي ليس لهن أزواج .

وقوله ( واللهُ واسعٌ عليمٌ ) يقول جل ثناؤه : والله واسع الفضل ، جواد بعطاياه ، فزوجوا إماءكم ، فإن الله واسع يوسع عليهم من فضله ، إن كانوا فقراء . عليم : يقول : هو ذو علم بالفقير منهم والغنى ، لا يخفى عليه حال خلقه في شيء وتدبيرهم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَيْسَتَّعْفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَآتُوهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ

يقول تعالى ذكره : ( وَلَيْسَتَّعْفِيفِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ ) ما ينكحون به النساء عن إتيان ما حرم الله عليهم من الفواحش ( حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ مِنْ ) سعة ( فَضْلِهِ ) ، ويوسع عليهم من رزقه .

وقوله ( وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) يقول جل ثناؤه : والذين يلتمسون المكاتب منكم من ممالئكم ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) .

واختلف أهل العلم في وجه مكاتبه الرجل عبده الذي قد علم فيه خيرا ، وهل قوله ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) على وجه الفرض ، أم هو على وجه الندب ؟ فقال بعضهم : فرض على الرجل أن يكاتب عبده الذي قد علم فيه خيرا ، إذا سأله العبد ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : أوجب على إذا علمت مالا أن أكاتبه ، قال : ما أراه إلا واجبا ، وقالها عمرو بن دينار ، قال : قلت لعطاء : أنأثيره عن أحد ؟ قال : لا .

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد بن بكر ، قال : ثنا سعيد ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن سيرين ، أراد أن يكاتبه ، فثلكا عليه ، فقال له عمر : لتكاتبته .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قال : لا يلهي لرجل إذا كان عنده المملوك الصالح الذي له المال ، يريد أن يكاتب ألا يكاتبه .

وقال آخرون: ذلك غير واجب على السيد، وإنما قوله (فَكَاتِبُوهُمْ) : نَدْبٌ من الله سادة العبيد إلى كتابة من علم فيه منهم خير ، لا إيجاب .

ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال مالك بن أنس : الأمر عندنا : أن ليس على سيد العبد أن يكتبه ، إذا سأله ذلك ، ولم أسمع بأحد من الأئمة أكره أحدا على أن يكتب عبده . وقد سمعت بعض أهل العلم ، إذا سُئِلَ عن ذلك ، فقيل له : إن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه (فَكَاتِبُوهُمْ) : إن عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) يتلو هاتين الآيتين (فَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا ، فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ ، وَابْتَغُوا مِنِّي فَضْلَ اللَّهِ) قال مالك : وإنما ذلك أمر أذن الله فيه للناس ، وليس بواجب على الناس ، ولا يلزم أحدا . وقال الثوري : إذا أراد العبد من سيده أن يكتبه ، فإن شاء السيد أن يكتبه كاتبه ، ولا يُجْبَرُ السيد على ذلك .

حدثني بذلك عليّ عن زيد عنه ؛ وحدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد في قوله (فَكَاتِبُوهُمْ) : إن عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) قال : ليس بواجب عليه أن يكتبه ، إنما هذا أمر أذن الله فيه ودليل .

وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب : قول من قال : واجب على سيد العبد أن يكتبه ، إذا علم فيه خيرا ، وسأله العبد الكتابة ، وذلك أن ظاهر قوله (فَكَاتِبُوهُمْ) ظاهر أمر ، وأمر الله فرض الانتماء إليه ، ما لم يكن دليل من كتاب أو سنة ، على أنه ندب ، لما قد بينا من العلة في كتابنا المسمى « البيان عن أصول الأحكام » .

وأما الخير الذي أمر الله تعالى ذكره عباده بكتابة عبيدهم إذا علموه فيهم ، فهو القُدرة على الاحتراف والكسب ، لأداء ما كوتبوا عليه .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الكريم الجزري ، عن نافع ، عن ابن عمر ، أنه كره أن يكتب مملوكه إذا لم تكن له حرفة ، قال : تطعمني أوساخ الناس .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله (فَكَاتِبُوهُمْ) : إن عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) يقول : إن علمتم لهم حيلة ، ولا تلقوا مؤنتهم على المسلمين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرنا أشهب ، قال : سئل مالك بن أنس ، عن قوله (فَكَاتِبُوهُمْ) : إن علمتم فيه خيرا) فقال : إنه ليقال : الخير : القوة على الأداء .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا ابن زيد ، عن أبيه ، قول الله (فَكَاتِبُوهُمْ) : إن عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) قال : الخير : القوة على ذلك .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : إن علمتم فيهم صدقا ، ووفاء ، وأداء .

ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن عليه ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ، في قوله ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : صدقا ، ووفاء ، وأداء ، وأمانة .

قال : ثنا ابن عُلَيَّة ، قال : ثنا عبد الله ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد وطاوس ، أنهما قالا في قوله ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قالا : مالا ، وأمانة .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا جابر بن نوح ، قال : ثنا إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : أداء ، وأمانة .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن المغيرة ، قال : كان إبراهيم يقول في هذه الآية ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : صدقا ، ووفاء ، أو أحدهما .

حدثنا أبو بكر ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء ، في قوله ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : أداء ومالا .

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا ابن جريج ، قال : قال عمرو بن دينار : أحسبه كل ذلك المال والصلاح .

حدثني علي بن سهل ، قال : ثنا زيد ، قال : ثنا سفيان ( إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) يعني : صدقا ، ووفاء ، وأمانة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) ، قال : إن علمت فيه خيرا لنفسك ، يؤدى إليك ويصدقك ما حدثك ، فكاتبه .

وقال آخرون بل معنى ذلك : إن علمتم لهم مالا .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) يقول : إن علمتم لهم مالا .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال ابن عباس ( إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : مالا .

حدثنا ابن بشار وابن المثنى ، قالا : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد : ( فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال : مالا .

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، عن مجاهد ، مثله .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، في قول الله ( إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا ) قال لهم مالا ، فكاتبوهم .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجیح ، عن مجاهد ، مثله .



قال : أخبرنا ابن عُلَيَّة ، قال : عطاء بن السائب ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ ، عن عليّ ، في قوله ( وَآتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال : الربع من مكاتبته .

حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسيّ ، قال : ثنا محمد بن عبيد ، قال : ثنا عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عبد الملك بن أعين ، قال : كاتب أبو عبد الرحمن غلاما في أربعة آلاف درهم ، ثم وضع له الربع ، ثم قال : لولا أتي رأيت عليا رضوان الله عليه كاتب غلاما له ، ثم وضع له الربع ، ما وضعت لك شيئا .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن عبد الأعلى ، عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ أنه كاتب غلاما له على ألف ومِئتين ، فترك الربع وأشهدني ، فقال لي : كان صديقك يفعل هذا ، يعنى عليا رضوان الله عليه ، يتأول ( وَآتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عبد الملك ، قال : ثنا فضالة بن أبي أمية ، عن أبيه ، قال : كاتبني عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، فاستقرض لي من حفصة مِئتي درهم . قلت : ألا تجعلها في مكاتبتي ؟ قال : إني لأدرى أدرك ذلك أم لا .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، بلغني أنه كاتبه على مِئَةِ أوقية : قال : ثنا سفيان ، عن عبد الملك ، قال : ذكرت ذلك لعكرمة ، فقال : هو قول الله ( وَآتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) .

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قول الله ( وَآتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) يقول : ضعوا عنهم من مكاتبهم .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( وَآتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) يقول : ضعوا عنهم مما قاطعتموهم عليه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن إدريس ، قال : سمعت عبد الملك بن أبي سليمان ، عن عطاء ، في قوله ( وَآتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال : مما أخرج الله لكم منهم .

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا ابن إدريس ، عن ليث ، عن مجاهد ( وَآتَوْهُمْ مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) قال : آتاهم مما في يديك .

حدثني الحسين بن عمرو العنقزيّ ، قال : ثنا أبي ، عن أسباط ، عن السديّ ، عن أبيه ، قال : كاتبني زينب بنت قيس بن مخزومة من بني المطلب بن عبد مناف ، على عشرة آلاف ، فتركت لي ألفا ، وكانت زينب قد صلّت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم القبليتين جميعا .

حدثنا مجاهد بن موسى ، قال : ثنا يزيد ، قال : أخبرنا أبو مسعود الحريريّ ، عن أبي نضرة ، عن أبي سعيد ، مولى أبي أسيد ، قال : كاتبني أبو أسيد ، على ثلثي عشرة مئة ، فجثته بها ، فأخذ منها ألفا ، وردّ عليّ مِئتين .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا هارون بن المغيرة ، عن عنبسة ، عن سالم الأفطس ، عن سعيد بن جبيرة ، قال : كان ابن عمر إذا كاتب مكاتبه ، لم يضع عنه شيئا من أول نجومه ، مخافة أن يعجز ، فترجع إليه صدقته ، ولكنه إذا كان في آخر مكاتبته ، وضع عنه ما أحب .



حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني مخرمة ، عن أبيه ، عن نافع ، قال : كاتب عبد الله بن عمر غلاما له يقال له شرف ، على خمسة وثلاثين ألف درهم ، فوضع من آخر كتابته خمسة آلاف ، ولم يذكر نافع أنه أعطاه شيئا غير الذى وضع له .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال قال مالك : سمعت بعض أهل العلم يقول : إن ذلك أن يكاتب الرجل غلامه ، ثم يضع عنه من آخر كتابته شيئا مسمى ، قال مالك : وذلك أحسن ما سمعت ، وعلى ذلك أهل العلم ، وعمل الناس عندنا .

حدثني عليّ ، قال : ثنا زيد ، قال : ثنا سفيان : أحبّ إلىّ أن يعطيه الربع ، أو أقلّ منه شيئا ، وليس بواجب ، وأن يفعل ذلك حسن .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن عطاء ، عن عبد الله بن حبيب أبي عبد الرحمن السلميّ ، عن عليّ رضي الله عنه ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : هو ربع المكاتب .

وقال آخرون : بل ذلك حصّ من الله أهل الأموال ، على أن يعطوهم سهمهم الذى جعله لهم من الصدقات المفروضة لهم فى أموالهم بقوله : ( إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ ) قال : فالرقاب التى جعل فيها أحد سهران الصدقة الثمانية : هم المكاتبون ، قال : وإياه عنى جلّ ثناؤه بقوله ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) : أى سهمهم من الصدقة .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يحيى بن واضح ، قال : ثنا الحسين ، عن ابن زيد ، عن أبيه ، قوله ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : يحث الله عليه ، يعطونه .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، قال : أخبرنا يونس ، عن الحسن ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : حثّ الناس عليه : مولاه وغيره .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن حماد ، عن إبراهيم ، فى قوله ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : يعطى مكاتبه وغيره ، حثّ الناس عليه .

حدثني يعقوب قال : ثنا هشيم ، عن مغيرة ، عن إبراهيم أنه قال فى قوله ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : أمر مولاه والناس جميعا أن يعينوه .

حدثنا ابن المنى ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا شعبة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : أمر المسلمين أن يعطوهم مما آتاهم الله .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا ابن زيد ، عن أبيه ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : ذلك فى الزكاة على الولاية يعطونهم من الزكاة ، يقول الله ( وفى الرقاب ) .

قال : ثنا ابن زيد ، عن أبيه ( وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ) قال : الفسء والصدقات . وقرأ قول الله ( إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ ) ، وقرأ حتى بلغ ( وفى الرقاب ) فأمر الله أن يوفوها

منه ، فليس ذلك من الكتابة ، قال : وكان أبي يقول ماله وللكتابة ، هو من مال الله الذي فرّض له فيه نصيبا .  
 ❦ وأولى القولين بالصواب في ذلك عندي : القول الثاني ، وهو قول من قال : عسى به إيتاءهم سهمهم  
 من الصدقة المفروضة .

وإنما قلنا ذلك أولى القولين ؛ لأن قوله ( وَأَتَوْهُم مِّنْ مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ ) أمر من الله تعالى ذكره بإيتاء المكاتبين من ماله الذي آتى أهل الأم وال ، وأمر الله فرض على عباده الانتهاء إليه ، ما لم يخبرهم أن مراده الندب ، لما قد بينا في غير موضع من كتابنا ، فإذا كان ذلك كذلك ، ولم يكن أخبرنا في كتابه ، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم ، أنه ندب ، ففرض واجب . وإذا كان ذلك كذلك ، وكانت الحجة قد قامت أن لاحقاً لأحد في مال أحد غيره من المسلمين ، إلا ما أوجبه الله لأهل سُهْمَانِ الصدقة ، في أموال الأغنياء منهم ، وكانت الكتابة التي يقتضيها سيد المكاتب من مكاتبه مالا من مال سيد المكاتب ، فيفاد أن الحق الذي أوجب الله له على المؤمنين ، أن يؤتوه من أموالهم ، هو ما فرّض على الأغنياء في أموالهم له ، من الصدقة المفروضة ، إذ كان لاحقاً في أموالهم لأحد سواها .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَا تُكْرَهُوا فَيَاكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصُّنًا لِّبَلَّغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِمْ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٦﴾

❦ يقول تعالى ذكره : زوّجوا الصالحين من عبادكم وإمائكم ، ولا تُكْرَهُوا إماءكم على البغاء ، وهو الزنا . ( إِنْ أَرَدْتُمْ تَحَصُّنًا ) يقول : إن أردن تعففا عن الزنا ( لِتَبْتَغُوا عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ) يقول : لتلتمسوا بإكراهكم إياهنّ على الزنا عرض الحياة ، وذلك ما تعرض لهم إليه الحاجة ، من ريشها وزينتها وأموالها ، ( وَمَنْ يُكْرِهْهُمْ ) يقول : ومن يُكْرَهُ فتياته على البغاء ، فإن الله من بعد إكراهه إياهنّ على ذلك ، لهم ( غَفُورٌ رَّحِيمٌ ) ، ووزر ما كان من ذلك عليهم دونهن . . .

وذكر أن هذه الآية أنزلت في عبد الله بن أبي ابن سلّول ، حين أكره أمته مُسَيْكَةَ على الزنا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن الصباح ، قال : ثنا حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول : جاءت مسيكة لبعض الأنصار فقالت : إن سيدي يكرهني على الزنا ، فنزلت في ذلك ( وَلَا تُكْرَهُوا فَيَاكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ) .

حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن أبي سفيان عن جابر ، قال : كانت جارية لعبد الله بن أبي ابن سلّول ، يقال لها مُسَيْكَةُ ، فأجرها وأكرهها « الطبري شك » فأنت النبي صلى الله عليه وسلم ، فشككت ذلك إليه ، فأنزل الله ( وَلَا تُكْرَهُوا فَيَاكُمْ عَلَى

البغاء إن أردن تحصننا لتبتغوا عرض الحياة الدنيا ، ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم ) يعنى بهن .

حدثنا أبو حصين عبد الله بن أحمد بن يونس ، قال : ثنا عبث ، قال : ثنا حصين ، عن الشعبي ، فى قوله ( ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ) قال : رجل كانت له جارية تفجر ، فلما أسلمت نزلت هذه . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرنى أبو الزبير ، عن جابر ، قال : جاءت جارية لبعض الأنصار ، فقالت : إن سيدى أكرهنى على البغاء ، فأنزل الله فى ذلك : ( ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ) قال ابن جريج : وأخبرنى عمرو بن دينار ، عن عكرمة ، قال : أمة لعبد الله بن أبى ، أمرها فزنت ، فجاءت ببرد ، فقال لها ارجعى فازنى ، قالت : والله لأفعل ، إن يك هذا خيرا ، فقد استكرت منه ، وإن يك شرا فقد آن لى أن أدعه . قال ابن جريج ، وقال مجاهد نحو ذلك ، وزاد قال : البغاء : الزنا . ( والله غفور رحيم ) قال : للمكرهات على الزنا ، وفيها نزلت هذه الآية .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهرى ، أن رجلا من قريش أسير يوم بدر . وكان عبد الله بن أبى أسره ، وكان لعبد الله جارية يقال لها معاذة ، فكان القرشى الأسير يريد لها على نفسها ، وكانت مسلمة ، فكانت تمتنع منه ، لإسلامها ، وكان ابن أبى يكرهها على ذلك ويضربها ، رجاء أن تحمل للقرشى ، فيطلب فداء ولده ، فقال الله : ( ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصننا ) قال الزهرى ( ومن يكرههن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم ) يقول : غفور لمن ما أكرهن عليه .

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا ابن يمان ، عن أشعث ، عن جعفر ، عن سعيد بن جبير : أنه كان يقرأ ( فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم ) .

حدثنا على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصننا ) يقول : ولا تكرهوا إماءكم على الزنا ، فإن فعلتم فإن الله سبحانه لمن غفور رحيم ، وإثمهن على من أكرهن .

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنا أبى ، قال : ثنا عمى ، قال : ثنا أبى ، عن أبىه ، عن ابن عباس ، قوله ( ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ) . . . إلى آخر الآية ، قال : كانوا فى الجاهلية يكرهون إماءهم على الزنا ، يأخذون أجورهن ، فقال الله : لا تكرهوهن على الزنا من أجل المنالة فى الدنيا ، ومن يكرهن فإن الله من بعد إكراههن غفور رحيم لمن : يعنى إذا أكرهن .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ( ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء ) على الزنا ، قال عبد الله بن أبى ابن سؤل امرأة له بالزنا ، فجاءته بدينار أو ببرد ، شك أبو عاصم ، فأعطته ، فقال : ارجعى فازنى بآخر ، فقالت : والله ما أنا براجعة ، فالله غفور رحيم للمكرهات على الزنا ، فى هذا أنزلت هذه الآية .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، نحوه ، إلا أنه قال في حديثه : أمر أمة له بالزنا ، فزنت ، فجاءته ببرد فأعطته ، فلم يشك .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ) يقول : على الزنا ( فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِيهِمْ غَفُورٌ رَحِيمٌ ) يقول : غفور لمن ، للمكرهات على الزنا .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَمَنْ يُكْرِهْمُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِيهِمْ غَفُورٌ ) قال : غفور رحيم لمن حين أكرهن ، وقسرن على ذلك .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن منصور ، عن مجاهد ، قال : كانوا يأمرون ولائهم بباغين ، يفعلن ذلك ، فيصبن ، فيأتينهم بكسبن ، فكانت لعبد الله بن أبي ابن سلول جارية ، فكانت تبأغي ، فكرهت وحلفت أن لاتفعله ، فأكرهها أهلها ، فانطلقت فباغت ببرد أخضر ، فأتهم به ، فأنزل الله تبارك وتعالى ( وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ عَلَى الْبِغَاءِ ) . . . الآية .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٦٤﴾

يقول تعالى ذكره : ولقد أنزلنا إليكم أيها الناس دلائل وعلامات مبينات : يقول : مفصلات الحق من الباطل ، وموضحات ذلك .

واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة وبعض الكوفيين والبصريين ( مُبَيِّنَاتٍ ) بفتح الباء : بمعنى مفصلات ، وأن الله فصلهن وبينهن لعباده ، فهن مفصلات مبينات . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( مُبَيِّنَاتٍ ) بكسر الباء ، بمعنى أن الآيات هن تبين الحق والصواب للناس ، وتهديهم إلى الحق .

والصواب من القول في ذلك عندنا : أنهما قراءتان معروفتان ، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، متقاربتا المعنى ، وذلك أن الله إذ فصلها وبينها صارت مبينة بنفسها الحق ، لمن التمسه من قبلها ، وإذا بينت ذلك لمن التمسه من قبلها ، فبيّن الله ذلك فيها ، فبأي القراءتين قرأ القارئ ، فصيب في قراءته الصواب .

وقوله ( وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ ) من الأمم ، وموعظة لمن اتقى الله ، فخاف عقابه وخشى عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى :

اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْبُونَةٍ لَّا شَرْفُ لَهَا وَلَا غَرْبُ لَهَا يَكَادُ زَبْهُهَا يُنِيرُ ، وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ

نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

٢٥

❖ يعني تعالى ذكره بقوله ( اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) هادى من فى السموات والأرض ، فهم بنوره إلى الحق يهتدون ، وبهداه من حيرة الضلالة يعتصمون .

واختلف أهل التأويل فى تأويل ذلك ، فقال بعضهم : فيه نحو الذى قلنا .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( اللَّهُ نُورُ

السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) يقول : الله سبحانه هادى أهل السموات والأرض .

حدثني سليمان بن عمر بن خالد الرقى ، قال : ثنا وهب بن راشد ، عن فرقد ، عن أنس بن مالك ،

قال : إن إلهى يقول : نورى هداى .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : الله مدبّر السموات والأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد وابن عباس

فى قوله ( اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) يدبّر الأمر فيهما : نجومهما وشمسهما وقمرهما .

وقال آخرون : بل عنى بذلك النور : الضياء . وقالوا : معنى ذلك : ضياء السموات والأرض .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا غبيد الله بن موسى ، قال : ثنا أبو جعفر الرازى ، عن الربيع

ابن أنس ، عن أبي العالقة ، عن أبي بن كعب ، فى قول الله ( اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) قال : فبدأ

بنور نفسه ، فذكره ، ثم ذكر نور المؤمن .

وإنما اخترنا القول الذى اخترناه فى ذلك ؛ لأنه عقيب قوله ( وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبَيِّنَاتٍ ،

وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ، وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ) فكان ذلك بأن يكون خبراً عن موقع

يقع تنزيله من خلقه . ومن مدح ما ابتداء بذكر مدحه ، أولى وأشبهه ، ما لم يأت ما يدل على انقضاء الخبر عنه

من غيره . فإذا كان ذلك كذلك ، فتأويل الكلام : ولقد أنزلنا إليكم آيات مبينات الحق من الباطل .

( وَمَثَلًا مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ ، وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ) فهديناكم بها ، وبيدنا لكم معالم

دينكم بها ، لأنى هادى أهل السموات وأهل الأرض ، وترك وصل الكلام باللام ، وابتداء الخبر عن هداية

خلقه ابتداء ، وفيه المعنى الذى ذكرته ، استغناء بدلالة الكلام عليه من ذكره ، ثم ابتداء فى الخبر عن مثل

هدايته خلقه بالآيات المبينات التى أنزلها إليهم ، فقال ( مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ) يقول :

مثل ما أنار من الحق بهذا التنزيل فى بيانه : كمشكاة .

وقد اختلف أهل التأويل في المعنى بالهاء في قوله (مَثَلُ نُورِهِ) علام هي عائدة ، ومن ذكر ماهي ؟ فقال بعضهم : هي من ذكر المؤمن ، وقالوا : معنى الكلام : مثل نور المؤمن الذي في قلبه من الإيمان والقرآن : مثل مشكاة .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالية ، عن أبي بن كعب ، في قول الله (مَثَلُ نُورِهِ) قال : ذكر نور المؤمن فقال : مثل نوره ، يقول : مثل نور المؤمن . قال : وكان أبي يقرؤها كذلك : مَثَلُ المؤمن ، قال : هو المؤمن قد جعل الإيمان والقرآن في صدره .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن أبي العالية ، عن أبي ابن كعب (الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ) قال : بدأ بنور نفسه ، فذكره ، ثم قال (مَثَلُ نُورِهِ) يقول : مثل نور من آمن به . قال : وكذلك كان يقرأ أبي ، قال : هو عبد جعل الله القرآن والإيمان في صدره .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن عطاء بن السائب ، عن سعيد بن جبير (مَثَلُ نُورِهِ) قال : مثل نور المؤمن .

حدثني علي بن الحسن الأزدي ، قال : ثنا يحيى بن العيمان ، عن أبي سنان ، عن ثابت ، عن الضحاک في قوله (مَثَلُ نُورِهِ) قال : نور المؤمن .

وقال آخرون : بل عُنِيَ بالنور : محمد صلى الله عليه وسلم ، وقالوا : الهاء التي في قوله (مَثَلُ نُورِهِ) : عائدة على اسم الله .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب القُصَمِيُّ ، عن حفص ، عن شَمِير ، قال : جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار ، فقال له : حدثني عن قول الله عز وجل (الله نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) . . . الآية ، فقال كعب : الله نور السموات والأرض ، مَثَلُ نوره : مثل محمد صلى الله عليه وسلم : كمشكاة .

حدثني علي بن الحسن الأزدي ، قال : ثنا يحيى بن العيمان ، عن أشعث ، عن جعفر بن أبي المغيرة ، عن سعيد بن جبير في قوله (مَثَلُ نُورِهِ) قال : محمد صلى الله عليه وسلم .

وقال آخرون : بل عُنِيَ بذلك : هَدَى الله وبيانه ، وهو القرآن ، قالوا : والهاء من ذكر الله ، قالوا : ومعنى الكلام : الله هادي أهل السموات والأرض بآياته المبينات ، وهى النور الذى استنار به السموات والأرض ، مَثَلُ هدايه وآياته التى هَدَى بها خلقه ، ووعظهم بها في قلوب المؤمنين : كمشكاة .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( مَثَلُ نُورِهِ ) مثل هُدَاهُ فِي قَلْبِ الْمُؤْمِنِ .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عُلَيَّةَ ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( مَثَلُ نُورِهِ ) قال : مثل هذا القرآن في القلب : كمشكاة .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( مَثَلُ نُورِهِ ) : نور القرآن الذى أنزل على رسوله صلى الله عليه وسلم وعباده ، هذا مثل القرآن ( كَمِشْكَاتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ) .

قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الله بن عِيَّاش ، قال : قال زيد بن أسلم ، في قول الله تبارك وتعالى ( اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ ) ونوره الذى ذكر : القرآن ، ومثله الذى ضَرَبَ لَهُ .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : مثل نور الله ، وقالوا : يعنى بالنور : الطاعة .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنى أبي ، قال : ثنى عمي ، قال : ثنى أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ) وذلك أن اليهود قالوا لمحمد : كيف يَخْلُصُ نور الله من دون السماء؟ فضرب الله مِثْلَ ذلك لنوره ، فقال ( اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاتٍ ) قال : وهو مثل ضربه الله لطاعته ، فسمى طاعته نورا ، ثم سماها أنوارا شتى .

وقوله ( كَمِشْكَاتٍ ) اختلف أهل التأويل في معنى المِشْكَاتِ والمِصْبَاحِ ، وما المراد بذلك ، وبالزجاجة ، فقال بعضهم : المِشْكَاتُ كل كَوَّةٍ لَامِنْفَذَةٍ لَهَا ، وقالوا : هذا مثل ضربه الله لقلب محمد صلى الله عليه وسلم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا يعقوب ، عن حفص ، عن شَمِيرٍ ، قال : جاء ابن عباس إلى كعب الأحبار ، فقال له : حدثني عن قول الله ( مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاتٍ ) قال : المِشْكَاتُ وهى الكَوَّةُ ، ضربها الله مثلا لمحمد صلى الله عليه وسلم ، المِشْكَاتُ ( فِيهَا مِصْبَاحٌ ، المِصْبَاحُ ) قلبه ( فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ ) صدره الزجاجة ( كَأَنَّهَا كَوَّكَبٌ دُرِّيٌّ ) شبه صدر النبي صلى الله عليه وسلم بالكوكب الدرّي ، ثم رجع المِصْبَاحُ إلى قلبه ، فقال ( تُوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ، لا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) لم تَمَسَّهَا شمس المشرق ولا شمس المغرب ( يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ) يكاد محمد يبين للناس ، وإن لم يتكلم أنه نبي ، كما يكاد ذلك الزيت يضيء ( وَلَوْ كَمْ تَمَسَّه نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ ) .

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( كَمِشْكَاتٍ )

يقول : موضع الفتيلة .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) . . . إلى ( كَمِشْكَاةٍ ) قال : المِشْكَاةُ : كَوَاةُ الْبَيْتِ . وقال آخرون : عنى بالمشكاة : صدر المؤمن ، وبالمصباح : القرآن والإيمان ، وبالزجاجة : قلبه .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالمة ، عن أبيه ، عن كعب ، ( مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ) قال : مثل المؤمن قد جعل الإيمان والقرآن في صدره كمشكاة ، قال : المشكاة : صدره ( فِيهَا مِصْبَاحٌ ) قال : والمصباح القرآن والإيمان الذي جعل في صدره ( المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ) قال : والزجاجة : قلبه . ( الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ تَوَقَّدُ ) ، قال : فمثلها مما استنار فيه القرآن والإيمان كأنه كوكب دري ، يقول : مُضِيءٌ ( تُوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ) والشجرة المباركة ، أصله المباركة الإخلاص لله وحده وعبادته ، لا شريك له ( لِأَشْرَقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قال : فمثلها مثل شجرة التف بها الشجر ، فهي خضراء ناعمة ، لاتصيبها الشمس على أى حال كانت ، لا إذا طلعت ، ولا إذا غربت ، وكذلك هذا المؤمن قد أجبر من أن يصيبه شيء من الغيبر ، وقد ابتلى بها ، فثبته الله فيها ، فهو بين أربع خلال ، إن أُعْطِيَ شُكْرًا ، وإن ابْتُلِيَ صَبْرًا ، وإن حَكَّمَ عَدْلًا ، وإن قال صدق ، فهو في سائر الناس كالرجل الحي يمشي في قبور الأموات ، قال ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) فهو يتقلب في خمسة من النور ، فكلامه نور ، وعمله نور ، ومدخله نور ، ومخرجه نور ، ومصيره إلى النور يوم القيامة في الجنة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا يحيى بن العيمان ، عن أبي جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالمة ، عن أبي بن كعب ، قال : المشكاة : صدر المؤمن ( فيها مصباح ) ، قال : القرآن . قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر ، عن الربيع ، عن أبي العالمة ، عن أبي بن كعب ، نحو حديث عبد الأعلى ، عن عبيد الله .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ( مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ) قال : مثل هداية في قلب المؤمن ، كما يكاد الزيت الصافي يضيء قبل أن تمسه النار ، فإذا مسته النار ازداد ضوءاً على ضوء ، كذلك يكون قلب المؤمن يعمل بالهدى قبل أن يأتيه العلم ، فإذا جاءه العلم ازداد هدى على هدى ، ونورا على نور ، كما قال إبراهيم صلوات الله عليه قبل أن تجيئه المعرفة ( قَالَ هَذَا رَبِّي ) حين رأى الكوكب من غير أن يخبره أحد أن له ربا ، فلما أخبره الله أنه ربه ، ازداد هدى على هدى .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ) وذلك أن اليهود قالوا لمحمد صلى الله عليه وسلم : كيف يخلص نور الله من دون السماء ، فضرب الله مثل ذلك لنوره ، فقال ( اللهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ) والمِشْكَاةُ : كَوَاةُ الْبَيْتِ فِيهَا مِصْبَاحٌ ،

(١) الكوة : بفتح الكاف ، والضم لغة (اللسان) .



( المِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوُكَبٌ دُرِّيٌّ ) والمصباح : السراج يكون في الزجاج ، وهو مثل ضربه الله لطاعته ، فسمى طاعته نورا ، وسماها أنواعا شتى .  
 قوله ( تُوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ ، لِأَشْرُقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قال : هي شجرة لا ينفى عليها ظلّ شرق ، ولا ظلّ غرب ، ضاحية ، ذلك أصفى للزيت أ ، ( يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ كَمْ تَمَسَّسَتْهُ نَارٌ ) قال معمر ، وقال الحسن : ليست من شجر الدنيا ، ليست شرقية ولا غربية .  
 وقال آخرون : هو مثل للمؤمن غير أن المصباح وما فيه مثل لفؤاده ، والمشكاة مثل لجوفه .  
 ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريح ، قال : قال مجاهد وابن عباس جميعا ، المصباح وما فيه مثل فؤاد المؤمن وجوفه ، المصباح مثل الفؤاد ، والكوة مثل الجوف .  
 قال ابن جرير ( كَمِشْكَاةٍ ) : كوة غير نافذة . قال ابن جرير ، وقال ابن عباس : قوله ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) يعنى : إيمان المؤمن وعمله .  
 وقال آخرون : بل ذلك مثل للقرآن في قلب المؤمن .  
 ذكر من قال ذلك

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، عن الحسن ، في قوله ( اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ ) قال : ككوة ( فِيهَا مِصْبَاحٌ ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ، الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوُكَبٌ دُرِّيٌّ ) .  
 حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قول الله ( اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ ) نور القرآن الذى أنزل على رسوله وعباده ، فهذا مثل القرآن ( كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ، الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ ) فقرأ حتى بلغ ( مَبَارَكَةٍ ) فهذا مثل القرآن يستضاء به في نوره ويعلمونه ويأخذون به ، وهو كما هو لا ينقص ، فهذا مثل ضربه الله لنوره . وفي قوله ( يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ) قال : الضوء : إشراق ذلك الزيت ، والمشكاة : التى فيها الفتيلة التى فى المصباح ، والقناديل تلك المصابيح .  
 حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي إسحاق ، عن سعيد بن عياض في قوله ( كَمِشْكَاةٍ ) قال : الكوة .  
 حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا أبو عامر ، قال : ثنا قرة ، عن عطية ، في قوله ( كَمِشْكَاةٍ ) قال : قال ابن عمر : المشكاة : الكوة .

وقال آخرون : المشكاة : القنديل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( كَمِشْكَاةٍ ) قال : القنديل ، ثم العمود الذى فيه القنديل .  
 (١) فى الأصل : الزيت ، بدون لام قبلها ، وأظنه محرفا عما أثبتناه .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( كَشْكَاةٍ ) :  
الصفير الذي في جوف القنديل .

حدثني إسحاق بن شاهين ، قال : ثنا خالد بن عبد الله عن داود ، عن رجل ، عن مجاهد ، قال :  
المِشْكَاةُ : القنديل .

وقال آخرون : المشكاة : الحديد الذي يعلق به القنديل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن المثنى ، قال : ثنا محمد بن المفضل ، قال : ثنا هشيم ، قال : ثنا داود بن أبي هند ، عن  
مجاهد ، قال : المشكاة : الحداث التي يعلق بها القنديل .

❦ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال : ذلك مثل ضربه الله للقرآن في قلب أهل الإيمان به ،  
فقال : مثل نور الله الذي أنار به لعباده سبيل الرشاد ، الذي أنزله إليهم ، فأمنوا به ، وصدقوا بما فيه ، في قلوب  
المؤمنين ، مثل مشكاة ، وهي عمود القنديل الذي فيه الفتيلة ، وذلك هو نظير الكوة التي تكون في الحيطان  
التي لا منفذ لها ، وإنما جعل ذلك العمود مشكاة ، لأنه غير نافذ ، وهو أجوف مفتوح الأعلى ، فهو كالكوة  
التي في الحائط التي لا تنفذ ، ثم قال ( فيها مصباح ) وهو السراج ، وجعل السراج وهو المصباح مثلاً لما  
في قلب المؤمن من القرآن والآيات المبينات ، ثم قال ( المصباح في زجاجة ) يعني : أن السراج الذي  
في المشكاة : في القنديل ، وهو الزجاج ، وذلك مثل للقرآن ، يقول : القرآن الذي في قلب المؤمن الذي أنار  
الله قلبه في صدره ، ثم مثل الصدر في خلوصه من الكفر بالله ، والشك فيه ، واستنارته بنور القرآن ، واستضاءته  
بآيات ربه المبينات ، ومواعظه فيها ، بالكوكب الدرّي ، فقال : الزجاج ، وذلك صدر المؤمن الذي فيه قلبه  
كأنها كوكب درّي .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( درّي ) فقرأته عامة قراء الحجاز ( درّي ) بضم الدال ، وترك الهجر :  
وقرأ بعض قراء البصرة والكوفة : ( درّي ) بكسر الدال وهمزة . وقرأ بعض قراء الكوفة ( درّي ) بضم  
الدال وهمزة ، وكان الذين ضموا داله ، وتركوا همزة ، وجهوا معناه إلى ما قاله أهل التفسير الذي ذكرنا عنهم ،  
من أن الزجاج في صفائها وحسنها كالدر ، وأنها منسوبة إليه لذلك من نعمها وصفها . ووجه الذين قرءوا  
ذلك بكسر داله وهمزة ، إلى أنه فيعيل من درّي الكوكب : أي دُفِع ورجم به الشيطان ، من قوله ( ويبدراً  
عنها العذاب ) : أي يدفع ، والعرب تسمى الكواكب العظام التي لا تعرف أسماءها الدراري بغير همز .  
وكان بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة يقول : هي الدراري بالهمز ، من يدرأن . وأما  
الذين قرءوه بضم داله وهمزة ، فإن كانوا أرادوا به دروء مثل سُبُوح و قدوس من درأت ، ثم استقلوا  
كثرة الضمات فيه ، فصرفوا بعضها إلى الكسرة ، فقالوا : درّي ، كما قيل : ( وقد بلغت من الكبر عتياً )  
وهو فُعُول ، من عثوت عثواً ، ثم حوت بعض ضماتها إلى الكسر ، فقيل : عتياً ، فهو مذهب ، وإلا فلا

أعرف لصحة قراءتهم ذلك كذلك وجها، وذلك أنه لا يُعرف في كلام العرب فِعِيلٌ ، وقد كان بعض أهل العربية يقول : هو لحن .

والذى هو أولى القراءات عندى فى ذلك بالصواب : قراءة من قرأ ( دُرَى ) بضمّ داله، وترك همزه، على النسبة إلى الدرّ، لأن أهل التأويل بتأويل ذلك جاءوا، وقد ذكرنا أقوالهم فى ذلك قبل، فى ذلك مُكْتَنَى عن الاستشهاد على صحّتها بغيره ، فتأويل الكلام : الزجاجة : وهى صدر المؤمن ، ( كأنها ) : يعنى كأن الزجاجة ، وذلك مثل لصدر المؤمن ( كَوَكَب ) : يقول : فى صفائها وضيائها وحسنها . وإنما يصف صدره بالنقاء من كلّ ريب وشكّ ، فى أسباب الإيمان بالله، وبعده من دنس المعاصى ، كالكوكب الذى يُشبه الدرّ فى الصفاء والضياء والحسن .

واختلفوا أيضا فى قراءة قوله ( تَوْقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ) فقرأ ذلك بعض المكّيين والمدنيّين وبعض البصريين ( تَوْقَدَ مِنْ شَجَرَةٍ ) بالتاء، وفتحها، وتشديد القاف، وفتح الدال، وكأنهم وجهوا معنى ذلك إلى تَوْقَدَ المصباح من شجرة مباركة . وقرأه بعض عامة قرّاء المدنيّين ( يُوقَدُ ) بالياء ، وتخفيف القاف، ورفع الدال ، بمعنى : يُوقِدُ المصباح مُوقِدُهُ من شجرة ، ثم لم يُسمّ فاعله . وقرأ ذلك عامة قرّاء الكوفة ( تَوْقَدُ ) بضمّ التاء وتخفيف القاف ورفع الدال ، بمعنى : يُوقِدُ الزجاجة مُوقِدُها من شجرة مباركة . لما لم يسمّ فاعله ، فقليل تَوْقَدَ . وقرأه بعض أهل مكة ( تَوْقَدُ ) بفتح التاء ، وتشديد القاف ، وضمّ الدال ، بمعنى : تَتَوْقَدُ الزجاجة من شجرة ، ثم أسقطت إحدى التائين ، اكتفاء بالباقية من الذاهبة . وهذه القراءات متقاربات المعانى ، وإن اختلفت الألفاظ بها، وذلك أن الزجاجة إذا وُصِفَتْ بالتوقد، أو بأنها تَوْقَدُ ، فمعلوم معنى ذلك، فإن المراد به تَوْقَدَ فيها المصباح، أو يُوقَدَ فيها المصباح، ولكن وجهوا الخبر إلى أن وصفها بذلك، أقرب فى الكلام منها ، وفهم السامعين معناه . والمراد منه، فإذا كان ذلك كذلك ، فبأى القراءات قرأ القارئ فصيب ، غير أن أعجب القراءات إلى ، أن أقرأ بها فى ذلك ( تَوْقَدَ ) بفتح التاء، وتشديد القاف، وفتح الدال، بمعنى : وصف المصباح بالتوقد، لأن التوقد والاتقاد لاشكّ أنّهما من صفتة، دون الزجاجة، فعنى الكلام إذن : كشكاة فيها مصباح، المصباح من دهن شجرة مباركة، زيتونة، لا شرقية ولاغربية . وقد ذكرنا بعض ما روى عن بعضهم من الاختلاف فى ذلك فيما قد مضى ، ونذكر باقى ما حضرنا مما لم نذكره قبل ، فقال بعضهم : إنما قيل لهذه الشجرة : لاشرقية ولاغربية : أى ليست شرقية وحدها، حتى لاتصيبها الشمس إذا غربت ، وإنما لها نصيبها من الشمس بالغداة ما دامت بالجانب الذى يلي الشرق ، ثم لا يكون لها نصيب منها إذا مالت إلى جانب الغرب ؛ ولا هى غربية وحدها ، فتصيبها الشمس بالعشى، إذا مالت إلى جانب الغرب ، ولا تصيبها بالغداة ، ولكنها شرقية غربية ، تطلع عليها الشمس بالغداة ، وتغرب عليها ، فيصلبها حرّ الشمس بالغداة والعشى ، قالوا : وإذا كانت كذلك ، كان أجود لزيتها .

(١) لعل هنا سقطا فى العبارة ، تقديره : « ثم بنى » كما يفهم من السياق .

ذكر من قال ذلك

حدثنا هناد ، قال : ثنا أبو الأحوص ، عن سيبك ، عن عكرمة ، في قوله ( زَيْتُونَةٍ ، لَشَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قال : لا يسترها من الشمس جبل ولا واد ، إذا طلعت ، وإذا غربت .  
حدثنا ابن المني ، قال : ثنا حريمي بن عمار ، قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني عمار ، عن عكرمة ، في قوله ( لَشَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قال : الشجرة تكون في مكان لا يسترها من الشمس شيء ، تطلع عليها ، وتغرب عليها .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال مجاهد وابن عباس ( لَشَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قالا : هي التي بشقّ الجبل ، التي يصيبها شروق الشمس وغروبها ، إذا طلعت أصابها ، وإذا غربت أصابها .

وقال آخرون : بل معنى ذلك : ليست شرقية ولا غربية .

ذكر من قال ذلك

حدثني سليمان بن عبد الجبار ، قال : ثنا محمد بن الصلت ، قال : ثنا أبو كدينة ، عن قابوس ، عن أبيه ، عن ابن عباس ( لَشَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قال : هي شجرة وسط الشجر ، ليست من الشرق ، ولا من الغرب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( زَيْتُونَةٍ لَشَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) متيامنة الشام ، لاشرفى ولا غربى .  
وقال آخرون : ليست هذه الشجرة من شجر الدنيا .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عبد الله بن بزيع ، قال : ثنا بشر بن المفضل ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قول الله ( لَشَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قال : والله لو كانت في الأرض لكانت شرقية أو غربية ، ولكنها هو مثل ضربه الله لنوره .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عثمان ، يعني ابن الهيثم ، قال : ثنا عوف ، عن الحسن ، في قول الله ( زَيْتُونَةٍ لَشَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قال : لو كانت في الأرض هذه الزيتون ، كانت شرقية أو غربية ، ولكن والله ما هي في الأرض ، وإنما هو مثل ضربه الله لنوره .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا عوف ، عن الحسن ، في قوله ( لَشَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ ) قال : هذا مثل ضربه الله ، ولو كانت هذه الشجرة في الدنيا ، لكانت إما شرقية ، وإما غربية .  
وأولى هذه الأقوال بتأويل ذلك : قول من قال : إنها شرقية غربية ، وقال : ومعنى الكلام : ليست شرقية تطلع عليها الشمس بالعشى دون الغداة ، ولكن الشمس تشرق عليها وتغرب ، فهي شرقية غربية .

وإنما قلنا ذلك أولى بمعنى الكلام ، لأن الله إنما وصف الزيت الذي يوقد على هذا المصباح بالصفاء والحدودة ، فإذا كان شجره شرقيا غربيا ، كان زيتة لاشك أجود وأصفي وأضوأ .  
 وقوله ( يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ ) يقول تعالى ذكره : يكاد زيت هذه الزيتون يضيء من صفائه ، وحسن ضيائه . ( وَلَوْ كَمْ تَمَسَّسَهُ نَارٌ ) يقول : فكيف إذا مسته النار .  
 وإنما أريد بقوله ( تُوَقَّدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ ) أن هذا القرآن من عند الله ، وأنه كلامه ، فجعل مثله ومثله كونه من عنده ، مثل المصباح الذي يوقد من الشجرة المباركة ، التي وصفها جل ثناؤه في هذه الآية . وعني بهوه ريت كما - زَيْتُهَا يُضِيءُ : أن حجج الله تعالى ذكره على خلقه ، تكاد من بيانها ووضوحها تضيء لمن فكر فيها ونظر ، أو أعرض عنها ولها ( وَلَوْ كَمْ تَمَسَّسَهُ نَارٌ ) يعبر ، راراً يزيها الله ما نا ووضوحا ، بإنزاله هذا القرآن إليهم ، منها لهم على توحيده ، فكيف إذا نبههم به ، وذكرهم بآياته ، فزادهم به حجة إلى حججه عليهم قبل ذلك ، فذلك بيان من الله ، ونور على البيان ، والنور الذي كان قد وضعه لهم ونصبه قبل نزوله .

وقوله ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) يعني النار على هذا الزيت الذي كاد يضيء ، ولو لم تمسه النار .  
 كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) قال : النار على الزيت .  
 قال أبو جعفر : وهو عندي كما ذكرت مثل القرآن ، ويعني بقوله ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) هذا القرآن نور من عند الله ، أنزله إلى خلقه يستضيئون به . ( على نور ) على الحجج والبيان الذي قد نصبه لهم قبل مجيء القرآن إنزاله إياه ، مما يدل على حقيقة وحدانيته ، فذلك بيان من الله ، ونور على البيان ، والنور الذي كان وضعه لهم ، ونصبه قبل نزوله .

وذكر عن زيد بن أسلم في ذلك ، ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عبد الله بن عياش ، قال : قال زيد بن أسلم ، في قوله ( نُورٌ عَلَى نُورٍ ) يضيء بعضه بعضا ، يعني القرآن .  
 وقوله ( يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ) : يقول تعالى ذكره : يُوفِّقُ اللَّهُ لَاتِّبَاعِ نُورِهِ ، وهو هذا القرآن ، من يشاء من عباده . وقوله ( وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ ) يقول : ويمثل الله الأمثال والأشياء للناس ، كما مثل لهم مثل هذا القرآن في قلب المؤمن ، بالمصباح في المشكاة ، وسائر ما في هذه الآية من الأمثال . ( وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) يقول : والله بضرب الأمثال ، وغيرها من الأشياء كلها ، ذو علم .  
 القول في تأويل قوله تعالى :

فِي بُيُوتٍ أُذِنَ لِلَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿٤٦﴾ رِجَالًا لَا نَلْهِيهِمْ تِجَارَةً وَلَا بَيْعًا عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ

وَالْأَبْصُرُ ﴿١٧﴾ لِيَجْزِيَهمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَوَزَيْدَهُم مِّن فَضْلِهِ، وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٨﴾

﴿١٧﴾ يعنى تعالى ذكره بقوله ( فِي بُيُوتِ أَدْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ) الله نور السموات والأرض، مثله نوره كشكاة فيها مصباح ، في بيوت أذن الله أن ترفع .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد : المشكاة : التي فيها الفتيلة التي فيها المصباح ، قال : المصابيح في بيوت أذن الله أن ترفع .

قال أبو جعفر : قد يحتمل أن تكلمت في سنده بوفد ، فيكون المعنى : تُوَقِّد من شجرة مباركة ذلك المصباح في بيوت أذن الله أن ترفع ، وعنى بالبيوت : المساجد .

وقد اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم بالذي قلنا في ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، ونصر بن عبد الرحمن الأودي ، قالوا : ثنا حكام ، عن إسماعيل بن أبي خالد ، عن أبي صالح في قول الله ( فِي بُيُوتِ أَدْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ) قال : المساجد .

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( فِي بُيُوتِ أَدْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ) وهي المساجد تُكْرَم ، ونهى عن اللغو فيها .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( فِي بُيُوتِ أَدْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ) يعنى : كل مسجد يصلى فيه ، جامع أو غيره .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فِي بُيُوتِ أَدْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ) قال : مساجد تُبْنَى .

حدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( فِي بُيُوتِ أَدْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ) قال : في المساجد .

قال : أخبرنا معمر ، عن أبي إسحاق ، عن عمرو بن ميمون ، قال : أدركت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يقولون : المساجد : بيوت الله ، وإنه حق على الله أن يُكْرَم من زاره فيها .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا ابن المبارك ، عن سالم بن عمر ، في قوله ( فِي بُيُوتِ أَدْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ) قال : هي المساجد .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فِي بُيُوتِ أَدْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ) قال : المساجد .

وقال آخرون : عنى بذلك البيوت كلها .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد، ونصر بن عبد الرحمن الأودى، قالا : حدثنا حكام بن سلم، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عكرمة ( في بيوتِ أذنِ الله أن ترفع ) قال : هي البيوت كلها .

وإنما اخترنا القول الذي اخترناه في ذلك ، لدلالة قوله ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) على أنها بيوت بنيت للصلاة ، فلذلك قلنا هي المساجد .

واختلف أهل التأويل في تأويل قوله ( أذنِ الله أن ترفع ) فقال بعضهم : معناه : أذن الله أن تُبَسِّتَنِي .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو، قال : ثنا أبو عاصم، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أذنِ الله أن ترفع ) قال : تُبَسِّتَنِي .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد مثله .

وقال آخرون : معناه : أذن الله أن تعظم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ( أذنِ

الله أن ترفع ) يقول : أن تعظم لذكره .

❖ وأولى القولين في ذلك عندي بالصواب : القول الذي قاله مجاهد ، وهو أن معناه : أذن الله أن ترفع

بناء ، كما قال جل ثناؤه ( وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ ) وذلك أن ذلك هو الأغلب من

معنى الرفع في البيوت والأبنية .

وقوله ( وَيُذَكِّرَ فِيهَا اسْمُهُ ) يقول : وأذن لعباده أن يذكروا اسمه فيها . وقد قيل : عنى به ، أنه

أذن لهم بتلاوة القرآن فيها .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : ثم قال :

( وَيُذَكِّرَ فِيهَا اسْمُهُ ) يقول : يُسَلِّى فِيهَا كِتَابَهُ . وهذا القول قريب المعنى مما قلناه في ذلك ، لأن تلاوة

كتاب الله من معانى ذكر الله ، غير أن الذى قلنا به أظهر معنييه ، فلذلك اخترنا القول به .

وقوله ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) :

اختلفت القراء في قراءة قوله ( يُسَبِّحُ لَهُ ) ، فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار ( يُسَبِّحُ لَهُ ) بضم الياء ، وكسر

الباء ، بمعنى : يصلى له فيها رجال ، ويجعل يسبح فعلا للرجال ، وخبرا عنهم ، وترفع به الرجال ، سوى

عاصم وابن عامر ، فإنهما قرأا ذلك ( يُسَبِّحُ لَهُ ) بضم الياء ، وفتح الباء ، على ما لم يسم فاعله ، ثم يرفعان الرجال بنجر

ثان مضمر ، كأنهما أرادا : يسبح الله في البيوت التي أذن الله أن ترفع ، فسبح له رجال فرعا الرجال ، بفعل مضمر .

والقراءة التي هي أولهما بالصواب : قراءة من كسر الباء ، وجعله خبرا للرجال وفعلًا لهم . وإنما كان الاختيار رفع الرجال بضمير من الفعل ، لو كان الخبر عن البيوت لا يتم إلا بقوله ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا ) ، فأما والخبر عنها دون ذلك تام ، فلا وجه لتوجيه قوله ( يُسَبِّحُ لَهُ ) إلى غيره ، أي ١ غير الخبر عن الرجال . وعني بقوله ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ) يصلّي له في هذه البيوت بالغدوات والعشيات رجال .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي بن الحسن الأزدي ، قال : ثنا المعافى بن عمران ، عن سفيان ، عن عمّار الدهني ٢ ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، قال : كل تسبيح في القرآن فهو صلاة .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قال : ثم قال ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ) يقول : يصلّي له فيها بالغدوة والعشي ، يعني بالغدوة : صلاة الغداة ، ويعني بالآصال : صلاة العصر ، وهما أول ما افترض الله من الصلاة ، فأحب أن يذكرهما ، ويذكر بهما عبادته .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ) أذن الله أن تبنى ، فيصلّي فيها بالغدوة والآصال .

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول في قوله ( يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ) يعني الصلاة المفروضة .

وقوله ( رجال ) لاتلّهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ( يقول تعالى ذكره : لا يشتغل هؤلاء الرجال الذين يصلّون في هذه المساجد ، التي أذن الله أن ترفع ، عن ذكر الله فيها ، وإقام الصلاة ، وتجارة ولا بيع .

كما حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن سعيد بن أبي الحسن عن رجل نسي اسمه في هذه الآية ( في بيوت أذن الله أن ترفع ، ويذكر فيها اسمه ، يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ) رجال لاتلّهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله . . . إلى قوله ( والأبصار ) قال : هم قوم في تجارتهم وبيعهم ، لاتلّهيهم تجارتهم ولا بيعهم عن ذكر الله .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا جعفر بن سليمان ، عن عمرو بن دينار ، عن سالم بن عبد الله ، أنه نظر إلى قوم من السوق ، قاموا وتركوا بياعاتهم إلى الصلاة ، فقال هؤلاء الذين ذكر الله في كتابه ( لاتلّهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ) . . . الآية .

قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا هشيم ، عن سيار ، عن حدثه ، عن ابن مسعود ، نحو ذلك .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، عن سيار ، قال : حدثت عن ابن مسعود ، أنه رأى قوما من أهل السوق حيث نودي بالصلاة ، تركوا بياعاتهم ، ونهضوا إلى الصلاة ، فقال عبد الله : هؤلاء

(١) في الأصل : إل غير . ولعله تحريف ، (٢) هو عمّار بن معاوية الدهني بضم المهملة ، الكوفي ، وثقه أحمد . مات سنة ١٤٤ هـ .



من الذين ذكر الله في كتابه ( لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) .  
وقال بعضهم : معنى ذلك ( لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ ) عن صلاتهم المفروضة عليهم .  
ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : ثم قال  
( رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ) يقول : عن الصلاة المكتوبة .  
وقوله ( وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ) يقول : ولا يشغلهم ذلك أيضا عن إقام الصلاة بحدودها في أوقاتها .  
وبنحو قولنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن بشار ، قال : ثنا محمد ، قال : ثنا عوف ، عن سعيد بن أبي الحسن ، عن رجل نسي  
عوف اسمه في ( وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ) قال : يقومون للصلاة عند مواقيت الصلاة .  
فإن قال قائل : أوليس قوله ( وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ) مصدرا من قوله أقمت ؟ قيل : بلى . فإن قال :  
أو ليس المصدر منه إقامة ، كالمصدر من آجرت إجارة ؟ قيل : بلى . فإن قال : وكيف قال ( وَإِقَامِ  
الصَّلَاةِ ) ، أو تجيز أن نقول : أقمت إقاما ؟ قيل : ولكني أجزيت أعجبتني إقام الصلاة . فإن قيل : وما وجه  
جواز ذلك ؟ قيل : إن الحكم في أقمت إذا جعل منه مصدر ، أن يقال إقواما ، كما يقال : أقعدت فلانا إقعادا ،  
وأعطيته إعطاء . ولكن العرب لما سكنت الواو من أقمت ، فسقطت لاجتماعها وهي ساكنة ، والميم  
وهي ساكنة ، بتوا المصدر على ذلك ، إذ جاءت الواو ساكنة قبل ألف الإفعال وهي ساكنة ، فسقطت  
الأولى منهما ، فأبدلوا منها هاء في آخر الحرف ، كالتكثير للحرف ، كما فعلوا ذلك في قولهم : وَعَدْتَهُ عِدَّةً ،  
ووزنته زنة ، إذ ذهبت الواو من أوله ، كثروه من آخره بالهاء ؛ فلما أضيفت الإقامة إلى الصلاة ، حذفوا  
الزيادة التي كانوا زادوها للتكثير ، وهي الهاء في آخرها ، لأن الحافض وما خفض عندهم كالحرف الواحد ،  
فاستغنوا بالمضاف إليه من الحرف الزائد ، وقد قال بعضهم في نظير ذلك :

إِنَّ الْخَلِيْطَ أَجْدَثُ وَالْبَيْنَ فَانْجَرَدُوا وَأَخْلَفُوكَ عِدَّةَ الْأَمْرِ الَّذِي وَعَدْتُوا

يريد : عدة الأمر ، فأسقط الهاء من العدة لما أضافها ، فكذلك ذلك في إقام الصلاة .

وقوله ( وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ ) قيل : معناه : وإخلاص الطاعة لله .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قوله ( وَأَقِيْمُوا  
الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ) وكان يأمر أهله بالصلاة والزكاة ، وقوله ( وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ ) ، وقوله

(١) البيت للفضل بن عباس بن عتبة بن أبي لهب ، وهو في ( اللسان : وعد ) قال : وقال الفراء : وعدت عدة ، ويحذفون الهاء إذا  
أضافوا ، وأنشد : « إن الخليط ... البيت » . وقال ابن الأنباري وغيره : الفراء يقول عدة وعدى ، وأنشد : « وأخلفوك عدى ...  
البيت » . وقال : أراد : عدة الأمر ، فحذف الهاء عند الإضافة ، قال : ويكتب بالياء . وقال الجوهري : والعدة الوعد ، والهاء  
عوض من الواو . والخليط : اسم لمن يخالطك بجوار أو قرابة أو عمل أو نحوه . وأجدوا البين : أسرعوا في الفراق ، واجتهدوا فيه . وانجردوا :  
أسرعوا وشمروا . والشاهد في البيت عند المؤلف ، أن الهاء في عدة ونحوها تحذف منها عند الإضافة ، استغناء عنها بالمضاف إليه عن الحرف الزائد .

( وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَايَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا ) ، وقوله ( وَحَنَانًا مِنْ لَدُنَّا وَزَكَاةً ) ونحو هذا في القرآن ، قال : يعنى بالزكاة : طاعة الله والإخلاص ، وقوله ( يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ) يتول : يخافون يوما تتقلب فيه القلوب من هولته ، بين طمع بالنجاة ، وحذر بالهلاك . ( والأبصار ) : أى ناحية يؤخذ بهم : أذات اليمين أم ذات الشمال ؟ ومن أين يؤتون كتبهم : أمن قبل الأيمان ، أم من قبل الشمائل ؟ وذلك يوم القيامة .

كما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال عبد الله بن عياش ، قال زيد بن أسلم ، فى قول الله ( فِي بُيُوتٍ أُذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ ) . . . إلى قوله ( تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ) يوم القيامة .

وقوله ( لِيَجْزِيَ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا ) يقول : فعلوا ذلك ، يعنى أنهم لم تلهمهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، وأطاعوا ربهم ، مخافة عذابه يوم القيامة ، كى يثيبهم الله يوم القيامة بأحسن أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ، ويزيدهم على ثوابه إياهم على أحسن أعمالهم التى عملوها فى الدنيا ، من فضله ، فيفضل عليهم من عنده ، بما أحب من كرامته لهم . وقوله ( وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ) : يقول تعالى ذكره : يتفضل على من شاء وأراد ، من طوله وكرامته ، مما لم يستحقه بعمله ، ولم يبلغه بطاعته ( بغير حساب ) يقول : بغير محاسبة على ما بذل له وأعطاه .

القول فى تاويل قوله تعالى :

وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٦١﴾

وهذا مثل ضرب به الله لأعمال أهل الكفر به ، فقال : والذين جحدوا توحيد ربهم ، وكذبوا بهذا القرآن ، وبمن جاء به ، مثل أعمالهم التى عملوها ( كسراب ) يقول : مثل سراب ، والسراب : ما لصيق بالأرض ، وذلك يكون نصف النهار ، وحين يشند الحر . والآل ما كان كالماء بين السماء والأرض ، وذلك يكون أول النهار ، برفع كل شىء ضحى . وقوله ( بِقِيَعَةٍ ) وهى جمع قاع ، كالخيرة جمع جار ، والقاع : ما انبسط من الأرض واتسع ، وفيه يكون السراب . وقوله ( يَحْسَبُهُ الظَّمْآنُ مَاءً ) يقول : يظن العطشان من الناس السراب ، ماء ( حتى إذا جاءه ) والماء من ذكر السراب ، والمعنى : حتى إذا جاء الظمآن السراب ، ملتصقا ماء يستغيث به من عطشه ، لم يجده شيئا ، يقول : لم يجد السراب شيئا ، فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التى عملوها فى غرور ، يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه ، كما حسب الظمآن الذى رأى السراب ، فظنه ماء يرويه من ظمئه ، حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذى كان يرى أنه نافعه عند الله ، لم يجده ينفعه شيئا ، لأنه كان عمله على كفر بالله ، ووجد الله هذا الكافر عند هلاكه بالميرصاد ، فوفاه يوم القيامة حساب أعماله التى عملها فى الدنيا ، وجزاه بها جزاءه الذى يستحقه عليها منه .

فإن قال قائل : وكيف قيل ( حتى إذا جاءه لم يجد له شيئا ) فإن لم يكن السراب شيئا ، فعلام أدخلت الهاء في قوله ( حتى إذا جاءه ) ؟ قيل : إنه شيء يرمى من بعيد كالضباب الذي يرى كثيفا من بعيد ، والهباء ، فإذا قرب منه المرء ، رقق وصار كالهواء . وقد يحتمل أن يكون معناه : حتى إذا جاء موضع السراب لم يجد السراب شيئا ، فاكتفى بذكر السراب من ذكر موضعه ( والله سريع الحساب ) يقول : والله سريع حسابه ، لأنه تعالى ذكره لا يحتاج إلى عقد أصابع ، ولا حفظ بقلب ، ولكنه عالم بذلك كله ، قبل أن يعمله العبد ، ومن بعد ما عمله .

وبنحو الذي قلنا في معنى ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عبد الأعلى بن واصل ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا أبو جعفر الرازي ، عن الربيع بن أنس ، عن أبي العالبة ، عن أبي بن كعب ، قال : ثم ضرب مثلا آخر ، فقال ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيَعَةٍ ) قال : وكذلك الكافر يجيء يوم القيامة ، وهو يحسب أن له عند الله خيرا ، فلا يجد ، فيدخله النار .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبي جعفر الرازي ، عن أبي العالبة ، عن أبي بن كعب بنحوه .

حدثني علي ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله ( أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيَعَةٍ ) يقول : الأرض المستوية .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثنا أبي ، قال : ثنا عمي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بَقِيَعَةٍ ) . . . إلى قوله ( وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ) قال : هو مثل ضرب الله لرجل عطش ، فاشتد عطشه ، فرأى سرايا ، فحسبه ماء ، فطلبه وظن أنه قد قدر عليه ، حتى أتاه ، فلما أتاه لم يجده شيئا ، وقبض عند ذلك . يقول : الكافر كذلك ، يحسب أن عمله مغن عنه ، أو نافعه شيئا ، ولا يكون آتيا على شيء حتى يأتيه الموت ، فإذا أتاه الموت ، لم يجد عمله أغنى عنه شيئا ، ولم ينفعه إلا كما نفع العطشان المشتد إلى السراب .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، في قول الله ( كَسَرَابٍ بَقِيَعَةٍ ) قال : بقاع من الأرض ، والسراب : عمله ، زاد الحارث في حديثه عن الحسن : والسراب عمل الكافر ( إذا جاءه لم يجد له شيئا ) . إتيانه إياه : موته وفراقه الدنيا . ( وَوَجَدَ اللَّهُ ) عند فراقه الدنيا ، ( فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( كَسَرَابٍ بَقِيَعَةٍ ) قال : بقية من الأرض ( يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً ) : هو مثل ضربه الله لعمل الكافر ، يقول : يحسب أنه في شيء ، كما يحسب هذا السراب ماء ( حتى إذا جاءه لم يجد له شيئا ) ، وكذلك الكافر إذا مات ، لم يجد عمله شيئا ( وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ ) ، فوفَّاهُ حِسَابَهُ .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَالَّذِينَ كَفَرُوا ) . . .

إلى قوله ( وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ ) قال : هذا مثل ضرب به الله للذين كفروا (أَعْمَاءُ لَهُمْ كَسْرَابٌ بِقِيَعَةٍ) : قد رأى السراب ، ووثق بنفسه أنه ماء ، فلما جاءه لم يجده شيئاً ؛ قال : وهؤلاء ظنوا أن أعمالهم صالحة ، وأنهم سَيَرُجَعُونَ منها إلى خير ، فلم يرجعوا منها إلا كما رجع صاحب السراب ، فهذا مثل ضرب به الله جل ثناؤه ، وتقدست أسماؤه .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكْذِبْ رَمَاهَا وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴿٤١﴾

❖ وهذا مثل آخر ضرب به الله لأعمال الكفار ، يقول تعالى ذكره : ومثل أعمال هؤلاء الكفار ، في أنها عملت على خطأ وفساد ، وضلالة وحيرة من عملها فيها ، وعلى غير هدى ، مثل ظلمات في بحر لُجِّيٍّ ، ونسب البحر إلى اللُّجَّة ، وصفاله بأنه عميق كثير الماء ، ولجَّة البحر : معظمه ، ( يَغْشَاهُ مَوْجٌ ) يقول : يغشى البحر موج ، ( مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ ) يقول : من فوق الموج موج آخر يغشاه ، ( مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ) يقول : من فوق الموج الثاني الذي يغشى الموج الأول سحاب ، فجعل الظلمات مثلاً لأعمالهم ، والبحر اللُجِّيُّ مثلاً لقلب الكافر ، يقول : عمل بنية قلب قد تخمَّره الجهل ، وتغشته الضلالة والحيرة ، كما يغشى هذا البحر اللُجِّيُّ موج من فوقه موج ، من فوقه سحاب ، فكذلك قلب هذا الكافر الذي مثل عمله مثل هذه الظلمات ، يغشاه الجهل بالله ، بأن الله ختم عليه ، فلا يعقل عن الله ، وعلى سمعه ، فلا يسمع مواعظ الله ، وجعل على بصره غشاوة ، فلا يبصر به حجج الله ، فتلك ظلمات بعضها فوق بعض .

وينحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس ، قوله ( أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّنْ فَوْقِهِ سَحَابٌ ) . . . إلى قوله ( مِّنْ نُّورٍ ) قال : يعني بالظلمات : الأعمال ، وبالبحر اللُجِّيُّ : قلب الإنسان ، قال : يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ، قال : ظلمات بعضها فوق بعض ، يعني بذلك الغشاوة التي على القلب والسمع والبصر ، وهو كقوله ( خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ) . . . الآية ، وكقوله ( أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ) . . . إلى قوله ( أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ) .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ ) عميق ، وهو مثل ضرب به الله للكافر يعمل في ضلالة وحيرة ، قال ( ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ ) .

(١) قال الشوكاني في فتح القدير ( ٤ : ٢٨ ) ومن غرائب التفسير : أن سبحانه وتعالى أراد بالظلمات أعمال الكافر ، وبالبحر اللُجِّيُّ قلبه ، وباللُجِّيُّ : ما يغشى قلبه من الجهل والشك والحيرة . والسحاب : الرين والخم والطح على قلبه . وهذا تفسير هو عن لغة العرب ، فكانه بعيد . اهـ .

وروي عن أبي بن كعب، ما حدثني عبد الأعلى بن واصل، قال: ثنا عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا أبو جعفر الرازى، عن الربيع، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، في قوله (أَوْ كُظِّلُمَاتٍ فِي بَحْرِ الْجَحَىٰ يَغْشَاهُ مَوْجٌ) . . . الآية، قال: ضرب مثلاً آخر للكافر، فقال: (أَوْ كُظِّلُمَاتٍ فِي بَحْرِ الْجَحَىٰ) . . . الآية، قال: فهو يتقلب في خمس من الظلم، فكلامه ظلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة، ومصيره إلى الظلمات يوم القيامة، إلى النار: حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا حجاج، عن أبي جعفر الرازى، عن أبي الربيع، عن أبي العالية، عن أبي بن كعب، بنحوه .

حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد في قوله (أَوْ كُظِّلُمَاتٍ فِي بَحْرِ الْجَحَىٰ، يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِنْ فَوْقِهِ مَوْجٌ) . . . إلى قوله (ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ) قال: شر بعضه فوق بعض: وقوله (إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكِدْ يَرَاهَا) يقول: إذا أخرج الناظر يده في هذه الظلمات، لم يكد يراها، فإن قال لنا قائل: وكيف قيل: لم يكد يراها، مع شدة هذه الظلمة التي وصف، وقد علمت أن قول القائل: لم أكد أرى فلانا، إنما هو إثبات منه لنفسه رؤيته بعد جهد وشدة، ومن دون الظلمات التي وصف في هذه الآية، ما لا يرى الناظر يده إذا أخرجها فيه، فكيف فيها؟ قيل: في ذلك أقوال نذكرها، ثم نخبر بالصواب من ذلك. أحدها: أن يكون معنى الكلام: إذا أخرج يده راثياً لها لم يكد يراها: أى لم يعرف من أين يراها، فيكون من المقدم الذى معناه التأخير، ويكون تأويل الكلام على ذلك: إذا أخرج يده لم يقرب أن يراها. والثانى: أن يكون معناه: إذا أخرج يده لم يرها<sup>١</sup>، ويكون قوله (لَمْ يَكِدْ) في دخوله في الكلام، نظير دخول الظن فيما هو يقين من الكلام، كقوله (وَوَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ حَاجٍ) ونحو ذلك. والثالث: أن يكون قد رآها بعد بقاء وجهه، كما يقول القائل لآخر: ما كدت أراك من الظلمة، وقد رآه، ولكن بعد إياس وشدة. وهذا القول الثالث أظهر معانى الكلمة من جهة ما تستعمل العرب «أكاد» في كلامها. والقول الآخر الذى قلنا إنه يتوجه إلى أنه بمعنى لم يرها، قول أوضح من جهة التفسير، وهو أخفى معانيه. وإنما حسن ذلك في هذا الموضع، أعنى أن يقول: لم يكد يراها مع شدة الظلمة التي ذكر، لأن ذلك مشتمل لاخبر عن كائن كان (وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا) يقول: من لم يرزقه الله إيماناً وهدى من الضلالة، ومعرفة بكتابه، (فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ) يقول: فماله من إيمان وهدى ومعرفة بكتابه.

القول في تأويل قوله تعالى:

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرِ صَفَّاتٍ كُلِّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ، وَتَسْبِيحَهُ،  
وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٨﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿٣٩﴾

(١) في فتح القدير للشوكاني (طبعة الحلبي ٤ : ٣٨) قال الزجاج وأبو عبيدة: لم يرها ولم يكد. وقال الفراء: إن كاد زائدة. وقال المحقق الرضى في شرحه لكافية بن الحاجب (٢ : ٣٠٦) إن نوى القرب من الفعل، أبلغ في انتفاء ذلك الفعل، من نوى الفعل نفسه؛ فإن ما قربت من الضرب، أكد في نوى الضرب من ما ضربت. اهـ.

❦ يقول تعالى ذكره لنبه محمد صلى الله عليه وسلم : ألم تنظر يا محمد بعين قلبك ، فتعلم أن الله يصلي له من في السموات والأرض ، من ملك وإنس وجن ( والطَّيْرُ صَافَاتٍ ) : الهواء أيضا تسبح له ( كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) ، ! والتسبيح عندك صلاة ، فيقال : قيل : إن الصلاة لبنى آدم ، والتسبيح لغيرهم من الخلق ، ولذلك فصل فيما بين ذلك .  
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ ، كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) قال : والصلاة للإنسان ، والتسبيح لما سوى ذلك من الخلق .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، وَالطَّيْرُ صَافَاتٍ ، كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) قال : صلواته : للناس ، وتسبيحه : عامة لكل شيء .

ويتوجه قوله ( كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) لوجوه : أحدها : أن تكون الهاء التي في قوله ( صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) من ذكر كل ، فيكون تأويل الكلام : كل مصلى وتسبح منهم قد علم الله صلواته وتسبيحه ، ويكون الكل حينئذ مرتفعا بالعائد من ذكره في قوله ( كُلُّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ ) ، وهو الهاء التي في الصلاة .

والوجه الآخر : أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح أيضا للكل ، ويكون الكل مرتفعا بالعائد من ذكره عليه في ( عَلِيمَ ) ، ويكون ( عَلِيمَ ) فعلا للكل ، فيكون تأويل الكلام حينئذ : قد علم كل مصلى وتسبح منهم صلاة نفسه وتسبيحه ، الذي كلفه وألزمه .

والوجه الآخر : أن تكون الهاء في الصلاة والتسبيح من ذكر الله ، والعلم للكل ، فيكون تأويل الكلام حينئذ : قد علم كل مسبح ومصلى صلاة الله التي كلفه إياها ، وتسبيحه . وأظهر هذه المعاني الثلاثة ، على هذا الكلام : المعنى الأول ، وهو أن يكون المعنى : كل مصلى منهم ومسبح ، قد علم الله صلواته وتسبيحه .

وقوله ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ) يقول تعالى ذكره : والله ذو علم بما يفعل كل مصلى ومسبح منهم ، لا يخفى عليه شيء من أفعالهم ، طاعتها ومعصيتها ، محيط بذلك كله ، وهو مجازيهم على ذلك كله .

وقوله ( وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) يقول جل ثناؤه : والله سلطان السموات والأرض وملكها ، دون كل من هو دونه من سلطان وملك ، فإياه فارهبوا أيها الناس ، وإليه فارغبوا ، لا إلى غيره ، فإن بيده خزائن السموات والأرض ، لا يخشى بعبادهاكم منها فقرا . ( وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ) : يقول : وأنتم إليه

(١) يظهر أن في الكلام سغطا ، تقديره : فإن قيل : ما فائدة عطف « وتسبيحه » على صلواته . . . الخ . بدليل قوله : قيل . . . الخ . وهو جواب عن سؤال .

بعد وفاتكم ، مصيركم ومعادكم ، فيوفيكُم أجور أعمالكم التي عملتموها في الدنيا ، فأحسنوا عبادته ، واجتهدوا في طاعته ، وقد مَوَّأ لأنفسكم الصالحات من الأعمال .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنِ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سُنْبُرُ قَهْرِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَرِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾

يقول تعالى ذكره لنبية محمد صلى الله عليه وسلم : ( أَلَمْ تَرَ ) يا محمد ( أَنَّ اللَّهَ يَرْجِي ) يعني يسوق ( سَحَابًا ) حيث يريد . ( ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ) يقول : ثم يؤلف بين السحاب ، وأضاف بين إلى السحاب ، ولم يذكر معه غيره ، وبين لا تكون مضافة إلا إلى جماعة أو اثنين ، لأن السحاب في معنى جمع ، واحده سحابة ، كما يجمع النخلة : نخل ، والتمر : تمر ، فهو نظير قول قائل : جلس فلان بين النخل ؛ وتأليف الله السحاب : جمعه بين متفرقاتها .

وقوله ( ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا ) يقول : ثم يجعل السحاب الذي يرجيه ، ويؤلف بعضه إلى بعض ( رُكَامًا ) : يعني : مترا كما بعضه على بعض .

وقد حدثنا عبد الحميد بن بيان ، قال : أخبرنا خالد ، قال : ثنا مطر ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن عبيد بن عمير الليثي ، قال : الرياح أربع : يبعث الله الريح الأولى ، فتقم الأرض قَمَامًا ، ثم يبعث الثانية ، فتنشئ سحابة ، ثم يبعث الثالثة ، فتؤلف بينه ، فتجعله رُكَامًا ، ثم يبعث الرابعة فتمطره .

وقوله ( فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ) يقول : فتري المطر يخرج من بين السحاب ، وهو الْوَدْقُ ، قال الشاعر :

فَلَا مَزْنَةٌ وَدَقَّتْ وَدَقَّتْهَا وَلَا أَرْضٌ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا

والهاء في قوله ( مِنْ خِلَالِهِ ) من ذكر السحاب ، والحلال : جمع خلال . وذكر عن ابن عباس وجماعة ، أنهم كانوا يقرءون ذلك ( مِنْ خَلَلِهِ ) .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا حيرم بن عمار ، قال : ثنا شعبة ، قال : ثنا قتادة ، عن الضحاك بن مزاحم أنه قرأ هذا الحرف ( فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ ) : مِنْ خَلَلِهِ .

(١) البيت لعامر بن جوين الطائي (اللسان : ودق) قال : الودق المطر كله : شديده وهينه . وقد ودق يدق ودقا : أى قطر . قال عامر بن جوين الطائي : « فلا مزنة . . . البيت » . والمزنة : السحابة . واستشهد المؤلف بالبيت على أن معنى الودق : المطر .

قال : ثنا شعبة ، قال : أخبرني عمارة ، عن رجل ، عن ابن عباس ، أنه قرأ هذا الحرف ( فترى الودق يخرج من خلاله ) : من خلكه .

حدثنا أحمد بن يوسف ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : أخبرني عمارة بن أبي حفصة ، عن رجل ، عن ابن عباس ، أنه قرأها ( من خلكه ) بفتح الخاء ، من غير ألف .

قال هارون : فذكرت ذلك لأبي عمرو ، فقال : إنها لحسنة ، ولكن خياله أعم .

وأما قرآء الأمصار ، فإنهم على القراءة الأخرى : من خياله ، وهي التي نختار ، لإجماع الحجة من القراء عليها .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فترى الودق يخرج من خلاله ) قال : الودق : القطر ، والخيال : السحاب .

وقوله ( ويُنزَلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ) : قيل في ذلك قولان : أحدهما : أن معناه : وأن الله ينزل من السماء من جبال في السماء من برَد ، مخلوقة هنالك خلقة ، كأن الجبال على هذا القول ، هي من برَد ، كما يقال : جبال من طين . والقول الآخر : أن الله ينزل من السماء قدر جبال ، وأمثال جبال من برَد إلى الأرض ، كما يقال : عندى بيتان تبتا . والمعنى : قدر بيتين من التبن ، والبيتان ليسا من التبن .

وقوله ( فيصيب به من يشاء ، ويصرفه عمن يشاء ) يقول : فيعذب بذلك الذي ينزل من السماء ، من جبال فيها من برَد ، من يشاء فيهلكه ، أو يهلك به زروعه وماله ( ويصرفه عمن يشاء ) من خلقه ، يعني عن زروعهم وأموالهم .

وقوله ( يكادُ سنا برقه يذهبُ بالأبصارِ ) : يقول : يكاد شدة ضوء برق هذا السحاب يذهب بأبصار من لاقى بصره ، والسنا : مقصور ، وهو ضوء البرق .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قوله ( يكادُ سنا برقه ) قال : ضوء برقه .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( يكادُ سنا برقه ) يقول : لمعان البرق يذهب بالأبصار .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( يكادُ سنا برقه يذهبُ بالأبصارِ ) قال : سناه : ضوء يذهب بالأبصار .

وقرأت قرآء الأمصار ( يكادُ سنا برقه يذهبُ ) بفتح الياء من يذهب ، سوى أبي جعفر القاري ، فإنه قرأه بضم الياء ( يذهبُ بالأبصارِ ) .

والقراءة التي لا اختار غيرها هي فتحها ، لإجماع الحجة من القراء عليها ، وأن العرب إذا أدخلت الياء في مفعول ذهبت ، لم يقولوا : إلا ذهبت به ، دون أذهبت به ، وإذا أدخلوا الألف في أذهبت ، لم يكادوا أن يدخلوا الياء في مفعوله ، فيقولون : أذهبت به ، وذهبت به .

وقوله ( يُقَابُ اللهُ النَّبْلَ وَالنَّهَارَ ) يقول : يُعْقِبُ اللهُ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَيُصْرِفُهُمَا ، إِذَا أَذْهَبَ هَذَا



جاء هذا ، وإذا أذهب هذا ، جاء هذا ( إن في ذلك لعبرة للأولي الأبصار ) يقول : إن في إنشاء الله السحاب ، وإنزاله منه الودق ، ومن السماء البرد ، وفي قلبه الليل والنهار ، لعبرة لمن اعتبر به ، وعظة لمن اتعظ به ، بمن له فهم وعقل ، لأن ذلك ينبي ويدل على أن له مدبراً ومصرفاً ومقلباً ، لا يشبهه شيء .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٥٥﴾

اختلفت القراء في قراءة قوله ( وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ) فقرأته عامة قراء الكوفة غير عاصم : ( وَاللَّهُ خَالِقُ كُلِّ دَابَّةٍ ) وقراءته عامة قراء المدينة والبصرة وعاصم ( وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ ) بنصب كل ، وخلق على مثال فعّل ، وهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى ، وذلك أن الإضافة في قراءة من قرأ ذلك « خالق » تدل على أن معنى ذلك المضي ، فبأيتهما قرأ القارئ فصيب . وقوله ( خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ ) يعني : من نطفة ، ( فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ) كالحيات وما أشبهها ، وقيل إنما قيل : ( فَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ ) والمشى لا يكون على البطن ، لأن المشى إنما يكون لما له قوائم ، على التشبيه ، وأنه لما خالط ماله قوائم ما لا قوائم له ، جاز ، كما قال ( وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ ) كالطير ( وَمِنْهُمْ مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ ) كالبهائم .

فإن قال قائل : فكيف قيل : فمنهم من يمشى ، ومن الناس ، وكل هذه الأجناس أو أكثرها لغيرهم ؟ قيل : لأنه تفريق ما هو داخل في قوله ( وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ ) وكان داخلاً في ذلك الناس وغيرهم ، ثم قال : فمنهم ، لاجتماع الناس والبهائم وغيرهم في ذلك واختلاطهم ، فكفى عن جميعهم كناية عن بني آدم ، ثم فسره بمن ، إذ كان قد كنى عنهم كناية بني آدم خاصة . ( يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ) يقول : يحدث الله ما يشاء من الخلق ( إن الله على كل شيء قدير ) يقول : إن الله على إحداث ذلك وخلقها ، وخلق ما يشاء من الأشياء غيره ، ذو قدرة لا يتعذر عليه شيء أراد .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مُبِينًا وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٥٦﴾

يقول تعالى ذكره : لقد أنزلنا أيها الناس علامات واضحات ، دالات على طريق الحق ، وسبيل الرشاد . ( وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ) يقول : والله يرشد من يشاء من خلقه بتوفيقه ، فيهديه إلى دين الإسلام ، وهو الصراط المستقيم ، والطريق القاصد ، الذي لا اعوجاج فيه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّن بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ

بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾

يقول تعالى ذكره : ويقول المنافقون : صدقنا بالله وبالرسول ، وأطعنا الله وأطعنا الرسول ، ( ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ ) يقول : ثم تدبير كل طائفة منهم ، من بعد ما قالوا هذا القول ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتدعو إلى المحاكمة إلى غيره خصمها . ( وَمَا أَوْلَيْكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ) يقول : وليس قائلو هذه المقالة ، يعنى قوله ( آمناً بالله وبالرسول وأطعنا ) بالمؤمنين ، لتركهم الاحتكام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإعراضهم عنه إذا دُعوا إليه . وقوله ( وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ) يقول : وإذا دُعِيَ هؤلاء المنافقون إلى كتاب الله وإلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ( لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ) فيما اختلفوا فيه بحكم الله ( إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ) عن قبول الحق ، والرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٧﴾ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أَرْتَابُونَ أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ أَلَّا يَكُونَ لَهُمُ الْظَالِمُونَ ﴿٤٨﴾

يقول تعالى ذكره : وإن يكن الحق لهؤلاء الذين يدعون إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، فيأبئون ويعرضون عن الإجابة إلى ذلك ، قبل الذين يدعونهم إلى الله ورسوله ، يأتوا إلى رسول الله مذعنين ، يقول مذعنين : منقادين لحكمه ، مقرين به ، طائعين غير مكرهين ؛ يقال منه : قد أذعن فلان بحقه : إذا أقر به طائعا غير مستكره ، وانقاد له وسلم .

وكان مجاهد فيما ذكر عنه يقول في ذلك ، ما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال ؛ ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ) قال : سيرا .

وقوله ( أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ) يقول تعالى ذكره : أفى قلوب هؤلاء الذين يعرضون إذا دُعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ، شك في رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه لله رسول ، فهم يمتنعون من الإجابة إلى حكمه ، والرضا به ( أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ) إذا احتكموا إلى حكم كتاب الله ، وحكم رسوله ، وقال ( أَنْ يَحْيِفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ ) والمعنى : أن يحيف رسول الله عليهم ، فبدأ بالله تعالى ذكره ، تعظيما لله ، كما يقال : ما شاء الله ، ثم شئت ، بمعنى : ما شئت . ومما يدل على أن معنى ذلك كذلك ، قوله ( وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ) فأفرد الرسول بالحكم ، ولم يقل : ليحكمنا ، وقوله ( بَلْ أَوْلَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ) يقول : ما خاف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله ، إذ أعرضوا عن الإجابة إلى ذلك ، مما دُعوا إليه ، أن يحيف عليهم رسول الله ، فيجور في حكمه عليهم ، ولكنهم

قوم أهل ظلم لأنفسهم ، بخلافهم أمر ربهم ، ومعصيتهم الله فيما أمرهم من الرضا بحكم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيما أحبوا وكرهوا ، والتسليم له .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره : إنما كان ينبغى أن يكون قول المؤمنين إذا دُعُوا إلى حكم الله وإلى حكم رسوله ، ( لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ) وبين خصومهم ( أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا ) ما قيل لنا ، ( وَأَطَعْنَا ) من دعانا إلى ذلك . ولم يُعْنَبَ كان في هذا الموضع الخبر عن أمر قد مضى فيقضى ، ولكنه تأنيب من الله الذين أنزلت هذه الآية بسببهم ، وتأديب منه آخرين غيرهم . وقوله ( وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ) يقول تعالى ذكره : والذين إذا دُعُوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم وبين خصومهم ، أن يقولوا : سمعنا وأطعنا . ( المفلحون ) : يقول : هم المنجِحون المدركون طلباتهم ، بفعلهم ذلك ، المخلدون في جنات الله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَخْشِ اللَّهَ وَيَتَّقْهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى ذكره : ومن يطع الله ورسوله فيما أمره ونهاه ، ويسلم لحكما له وعليه ، ويخف عاقبة معصية الله ويحذره ، ويتق عذاب الله بطاعته إياه في أمره ونهيه ( فَأُولَئِكَ ) يقول : فالذين يفعلون ذلك ، هم الفائزون برضا الله عنهم يوم القيامة ، وأمنهم من عذابه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٣﴾

يقول تعالى ذكره : وحلف هؤلاء المعرضون عن حكم الله وحكم رسوله ، إذ دعوا إليه ( بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ ) يقول : أغلظ أيمانهم وأشدّها : ( لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ ) يا محمد بالخروج إلى جهاد عدوك وعدو المؤمنين ( لَيَخْرُجُنَّ ) ؛ قُلْ لَا تُقْسِمُوا : لا تحلفوا ، فإن هذه ( طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ ) منكم ، فيها التكذيب . كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( قُلْ لَا تُقْسِمُوا طَاعَةٌ مَعْرُوفَةٌ ) قال : قد عرفت طاعتكم إلى أنكم تكذبون ( إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ) : يقول : إن الله ذو خبرة بما تعملون من طاعتكم الله ورسوله ، أو خلافتكم أمرهما ، أو غير ذلك من أموركم ، لا يخفى عليه من ذلك شيء ، وهو مجازيكم بكل ذلك .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِّلْتُمْ وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره ( قُلْ ) يا محمد لذولاء المقسمين بالله جهد أيمانهم لئن أمرتهم ليخرجنن ، وغيرهم من أمتك ( أطيعوا الله ) أيها القوم ، فيما أمركم به ، ونهاكم عنه ( وأطيعوا الرسول ) فإن طاعته لله طاعة . ( فَإِنْ تَوَلَّوْا ) يقول : فإن تعرضوا وتدبروا عما أمركم به رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو نهاكم عنه ، وتأبوا أن تزدعوا لحكمه لكم وعليكم . ( فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ ) يقول : وإنما عليه فعل ما أمر بفعله ، من تبليغ رسالة الله إليكم ، على ما كلّفه من التبليغ ( وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِّلْتُمْ ) يقول : وعليكم أيها الناس أن تفعلوا ما أُلزمكم ، وأوجب عليكم ، من اتباع رسوله صلى الله عليه وسلم ، والانتفاء إلى طاعته فيما أمركم ونهاكم . وقلنا : إن قوله ( فَإِنْ تَوَلَّوْا ) بمعنى : فإن تتولوا ، فإنه في موضع جزم ، لأنه خطاب للذين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم ( أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ) يدل على أن ذلك كذلك ، قوله ( وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِّلْتُمْ ) ، ولو كان قوله ( تَوَلَّوْا ) فعلا ماضيا ، على وجه الخبر عن غيب ، لكان في موضع قوله ( وَعَلَيْكُمْ مَّا حُمِّلْتُمْ وَعَلَيْهِمْ مَّا حُمِّلُوا )

وقوله ( وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ) يقول تعالى ذكره : وإن تطيعوا أيها الناس رسول الله فيما يأمركم وينهاكم ، ترشدوا ، وتصيبوا الحق في أموركم ( وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ) يقول : وغير واجب على من أرسله الله إلى قوم برسالة إلا أن يبلغهم رسالته ، بلاغا بين لهم ذلك البلاغ عما أراد الله به ، يقول : فليس على محمد أيها الناس إلا أداء رسالة الله إليكم ، وعليكم الطاعة ، وإن أطمعتموه لخطوئ أنفسكم تصيبون ، وإن عصيتموه بأنفسكم فتوبقون . ٢

القول في تأويل قوله تعالى :

وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٥٢﴾

يقول تعالى ذكره : ( وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا ) بالله ورسوله ( مِنكُمْ ) أيها الناس ( وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) يقول : وأطاعوا الله ورسوله فيما أمراه ونهياه ( لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ) يقول : لَيُؤَيِّنَنَّهُمْ الله أرض المشركين من العرب والعجم ، فيجعلهم ملوكها وساستها ( كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ) يقول : كما فعل من قبلهم ذلك بنى إسرائيل ، إذ أهلك الجبارة بالشام ، وجعلهم ملوكها

(١) كأنه على تقدير الغاء في جواب الشرط ، أي فلحظوظ . . الخ .

(٢) كان الأول أن يقول : وإن عصيتموه فلا أنفسكم توبقون .

وسكانها ( وَلَيُسْكَنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ) يقول : وليوطنن لهم دينهم ، يعنى ملتهم التى ارتضاها لهم ، فأمرهم بها . وقيل : وعد الله الذين آمنوا ، ثم تلقى ذلك بجواب اليمين بقوله ( لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ ) لأن الوعد قول يصلح فيه « أن » ، وجواب اليمين كقوله : وعدتك أن أكرمك ، ووعدتك لأكرمك . واختلف القراء فى قراءة قوله ( كَمَا اسْتَخْلَفَ ) فقرأته عامة القراء ( كَمَا اسْتَخْلَفَ ) بفتح التاء واللام ، بمعنى : كما استخلف الله الذين من قبلهم من الأمم . وقرأ ذلك عاصم ( كَمَا اسْتَخْلَفَ ) بضم التاء ، وكسر اللام ، على مذهب ما لم يسم فاعله .

واختلفوا أيضا فى قراءة قوله ( وَلَيُسْبِدَنَّ لَهُمْ ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار سوى عاصم ( وَلَيُسْبِدَنَّ لَهُمْ ) بتشديد الدال ، بمعنى : وليغيرن حالهم عما هي عليه ، من الخوف إلى الأمن ، والعرب تقول : قد بُدِّل فلان : إذا غيرت حاله ، ولم يأت مكان فلان غيره ، وكذلك كل مغير عن حاله ، فهو عندهم مبدل بالتشديد . وربما قيل بالتخفيف ، وليس بالفصيح . فأما إذا جعل مكان الشيء المبدل غيره ، فذلك بالتخفيف : أبدلته فهو مُبْدَل . وذلك كقولهم : أبدل هذا الثوب : أى جعل مكانه آخر غيره ، وقد يقال بالتشديد ، غير أن الفصيح من الكلام ما وصفت . وكان عاصم يقرؤه ( وَلَيُسْبِدَنَّ لَهُمْ ) بتخفيف الدال :

والصواب من القراءة فى ذلك : التشديد ، على المعنى الذى وصفت قبل ، لإجماع الحجة من قراء الأمصار عليه ، وأن ذاك تغيير حال الخوف إلى الأمن ، وأرى عاصم ذهب إلى أن الأمن لما كان خلاف الخوف ، وجه المعنى إلى أنه ذهب بحال الخوف ، وجاء بحال الأمن ، فخفض ذلك : ومن الدليل على ما قلنا ، من أن التخفيف إنما هو ما كان فى إبدال شيء مكان آخر ، قول أبى النجم :

\* عَزَلُ الْأَمِيرِ لِلْأَمِيرِ الْمُبْدَلِ \*

وقوله ( يَعْْبُدُونََنِي ) يقول : يخضعون لى بالطاعة ، ويتذللون لأمرى ونهى ( لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ) يقول : لا يشركون فى عبادتهم إياى الأوثان والأصنام ولا شيئا غيرها ، بل يخلصون لى العبادة ، فيفردونها لى ، دون كل ما عبُد من شيء غيرى . وذكر أن هذه الآية نزلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أجل شكاية بعض أصحابه إليه ، فى بعض الأوقات التى كانوا فيها من العدو فى خوف شديد ، مما هم فيه من الرعب والخوف ، وما يلقون بسبب ذلك من الأذى والمكروه .

ذكر الرواية بذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن أبى جعفر ، عن الربيع ، عن أبى العالية ، قوله ( وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ) . . . الآية ، قال : « مكث النبى صلى الله عليه وسلم عشر سنين خائفا ، يدعو إلى الله سرا وعلانية ، قال : ثم أمر بالهجرة إلى المدينة ، قال : فكث بها

(١) البيت من مشطور الرجز ، لأبى النجم العجلى الراجز ( اللسان : بدل ) قال : قال أبو العباس ( يعنى ثعلبا ) وحققته : أن التبديل تغيير الصورة إلى صورة أخرى ، والجوهرة بعينها ؛ الإبدال : تنحية الجوهرة ، واستئناف جوهرة أخرى . منه قول أبى النجم « عزل الأمير للأمير المبدل » ألا ترى أنه نحى جسما ، وجعل مكانه جسما غيره ؟

هو وأصحابه خائفون ، يُصباحون في السلاح ، ويُمسون فيه ، فقال رجل : ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ، ونضع عنا السلاح ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لا تغضبوا إلا يسيراً ، حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبياً فيه ، ليس فيه حديدة ، فأنزل الله هذه الآية ( وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ ) . . . إلى قوله ( فَتَنَّا كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ) قال : يقول : من كفر بهذه النعمة ( فَأَوْلَيْكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) وليس يعنى الكفر بالله . قال : فأظهره الله على جزيرة العرب ، فآمنوا ، ثم تجسروا ، فغدير الله ما بهم ، وكفروا بهذه النعمة ، فأدخل الله عليهم الخوف الذي كان رفعه عنهم ؛ قال القاسم : قال أبو علي ٢ : بقتلهم عثمان بن عفان رضى الله عنه .

واختلف أهل التأويل في معنى الكفر الذي ذكره الله في قوله ( فَتَنَّا كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ ) فقال أبو العالية ما ذكرنا عنه من أنه كفر بالنعمة لا كفر بالله .

وروى عن حذيفة في ذلك ما حدثنا به ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب ابن أبي الشعثاء ، قال : كنت جالسا مع حذيفة وعبد الله بن مسعود ، فقال حذيفة : ذهب النفاق ، وإنما كان النفاق على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنما هو الكفر بعد الإيمان ، قال : فضحك عبد الله ، فقال : لم تقول ذلك ؟ قال : علمت ذلك ، قال ( وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ ) . . . حتى بلغ آخرها .

حدثنا ابن المثنى ، قال : ثنا ابن أبي عدي ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي الشعثاء ، قال : قعدت إلى ابن مسعود وحذيفة ، فقال حذيفة : ذهب النفاق فلا نفاق ، وإنما هو الكفر بعد الإيمان ، فقال عبد الله : تعلم ما تقول ؟ قال : فتلا هذه الآية ( إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ ) . . . حتى بلغ ( فَأَوْلَيْكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) قال : فضحك عبد الله ، قال : فلقيت أبا الشعثاء بعد ذلك بأيام ، فقلت : من أى شيء ضحكك عبد الله ؟ قال : لأدرى ، إن الرجل ربما ضحكك من الشيء الذى يُعجبه ، وربما ضحكك من الشيء الذى لا يعجبه ، فمن أى شيء ضحكك ؟ لأدرى . والذى قاله أبو العالية من التأويل أشبه بتأويل الآية ، وذلك أن الله وعد الإنعام على هذه الأمة بما أخبر في هذه الآية ، أنه منعم به عليهم ؛ ثم قال عقيب ذلك : فمن كفر هذه النعمة بعد ذلك ( فَأَوْلَيْكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قول : ( يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ) قال : تلك أمة محمد صلى الله عليه وسلم .  
حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن ليث ، عن مجاهد ( أَمَّا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا ) قال : لا يخافون غيرى .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢١﴾ لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا  
مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٢٢﴾

(١) في فتح الغدير للشوكاني ( ٤ : ١٧ ) ليست فيهم جديدة . ولعلها رواية أخرى . (٢) لعله أبو العالية ، وروى الحديث .

يقول تعالى ذكره ( وأقيموا ) أيها الناس ( الصلاة ) بحدودها ، فلا تضيعوها ( وآتوا الزكاة ) التي فرضها الله عليكم أهلها ، وأطيعوا رسول ربكم فيما أمركم ونهاكم ( لعلكم ترحموا ) يقول : كى يرحمكم ربكم ، فينجيكم من عذابه ، وقوله ( لا تحسبن الذين كفروا معجزين في الأرض ) يقول تعالى ذكره : لا تحسبن يا محمد الذين كفروا بالله معجزيه في الأرض ، إذا أراد إهلاكهم ( وماؤ وأهم ) بعد هلاكهم ( النار ، ولبيئس المصير ) الذى يصيرون إليه ذلك المأوى . وقد كان بعضهم يقول : لا يحسبن الذين كفروا بالياء ، وهو مذهب ضعيف عند أهل العربية ، وذلك أن تحسب محتاج إلى منصوبين . وإذا قرئ ( يحسبن ) لم يكن واقعا إلا على منصوب واحد ، غير أنى أحسب أن قائله بالياء ظن أنه قد عمل في معجزين ، وأن منصوبه الثانى فى الأرض ، وذلك لامعنى له إن كان ذلك قصد .

القول فى تأويل قوله تعالى :

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنِكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ مِّن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

اختلف أهل التأويل فى المعنى بقوله ( لِيَسْتَأْذِنِكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) فقال بعضهم : عنى بذلك : الرجال دون النساء ، ونهوا عن أن يدخلوا عليهم فى هذه الأوقات الثلاثة ، هؤلاء الذين سُموا فى هذه الآية إلا بإذن .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا حكام ، عن عنبسة ، عن ليث ، عن نافع ، عن ابن عمر ، قوله : ( لِيَسْتَأْذِنِكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) قال : هى على الذكور دون الإناث . وقال آخرون : بل عنى به الرجال والنساء .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي حصين ، عن أبي عبد الرحمن ، فى قوله ( يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنِكُمُ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) قال : هى فى الرجال والنساء ، يستأذنون على كل حال ، بالليل والنهار .

وأولى القولين فى ذلك عندى بالصواب : قول من قال : عنى به الذكور والإناث ، لأن الله عم بقوله ( الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) جميع أملاك أيماننا ، ولم يخصص منهم ذكرا ولا أنثى ، فذلك على جميع من عمه ظاهر التنزيل .

فتأويل الكلام : يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله ، ليستأذنكم في الدخول عليكم عبيدكم وإماؤكم ، فلا يدخلوا عليكم إلا بإذن منكم لهم .

( وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ) يقول : والذين لم يحتلموا من أحراركم ثلاث مرات ، يعني ثلاث مرات ، في ثلاثة أوقات من ساعات ليلكم ونهاركم .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، في قوله ( يا أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم ) قال : عبيدكم المملوكون ( وَالَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُوا الْحُلُمَ مِنْكُمْ ) قال : لم يحتلموا من أحراركم :

قال ابن جريج : قال لي عطاء بن أبي رباح : فذلك على كل صغير وصغيرة أن يستأذن ، كما قال ( ثلاث مرات من قبل صلاة الفجر ، وحين تضعون ثيابكم من الظهر ، ومن بعد صلاة العشاء ) قالوا : هي العتمة ، قلت : فإذا وضعوا ثيابهم بعد العتمة ، استأذنوا عليهم حتى يصبحوا ، قال نعم : قلت لعطاء : هل استأذنتهم إلا عند وضع الثياب ؟ قال لا :

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن صالح بن كيسان ويعقوب ابن عتبة ، وإسماعيل بن محمد ، قالوا : لاستئذان على خدام الرجل عليه ، إلا في العورات الثلاث :

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، في قوله : ( لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) يقول : إذا خلا الرجل بأهله بعد صلاة العشاء ، فلا يدخل عليه خادم ولا صبي إلا باذن ، حتى يصلّي الغداة ، فإذا خلا بأهله عند صلاة الظهر فمثل ذلك :

حدثني يونس بن عبد الأعلى ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني قرّة بن عبد الرحمن ، عن ابن شهاب ، عن ثعلبة ، عن أبي مالك القرظي ، أنه سأل عبد الله بن سويد الحارثي ، وكان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الإذن في العورات الثلاث ، فقال : إذا وضعت ثيابي من الظهر ، لم يلج عليّ أحد من الخدم الذي بلغ الحلم ، ولا أحد ممن لم يبلغ الحلم من الأحرار ، إلا بإذن .

حدثني يعقوب ، قال : ثنا ابن علقمة ، عن ابن جريج ، قال : سمعت عطاء يقول : قال ابن عباس : ثلاث آيات جحد هن الناس : الإذن كانه ، وقال ( إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ) وقال الناس : أكرمكم أعظمكم بيننا ، ونسيت الثالثة :

حدثنا ابن أبي الشوارب ، قال : ثنا يزيد بن زريع ، قال : ثنا يونس ، عن الحسن ، في هذه الآية : ( لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) قال : كان الحسن يقول : إذا أبات الرجل خادمه معه ، فهو إذنه ، وإن لم يفته معه ، استأذن في هذه الساعات :

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى بن سعيد ، قال : ثنا سفيان ، قال : ثنا موسى بن أبي عائشة ، عن الشعبي في قوله ( لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) قال : لم تُنسخ ، قلت : إن الناس لا يعملون به ، قال الله المستعان .



قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن موسى بن أبي عائشة ، عن الشعبي ، وسألته عن هذه الآية ( لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) قلت : منسوخة هي ؟ قال : لا والله ما نسخت ، قلت : إن الناس لا يعملون بها ، قال : الله المستعان .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا أبو عوانة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير ، قال : إن ناسا يقولون نسخت ، ولكنها مما يتهاون الناس به .

قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبير في هذه الآية ( يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ) . . . إلى آخر الآية ، قال : لا يعمل بها اليوم . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : ثنا حنظلة ، أنه سمع القاسم بن محمد يسأل عن الإذن ، فقال : يستأذن عند كل عورة ، ثم هو طواف ، يعني الرجل على أمه ،

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا عثمان بن عمر ، قال : أخبرنا عبد العزيز بن أبي رواد ، قال : أخبرني رجل من أهل الطائف ، عن غيلان بن شرحبيل ، عن عبد الرحمن بن عوف ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لا يَغْلِبَنَّكُمْ الْأَعْرَابُ عَلَى اسْمِ صَلَاتِكُمْ ، قَالَ اللَّهُ ، وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ » وَإِنَّمَا الْعَتَمَةُ عَتَمَةُ الْإِبِلِ . »

وقوله ( ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ) اختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأته عامة قراء المدينة والبصرة : ( ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ) برفع الثلاث ، بمعنى الخبر عن هذه الأوقات التي ذكرت ، كأنه عندهم قيل : هذه الأوقات الثلاثة التي أمرناكم بأن لا يدخل عليكم فيها من ذكرنا إلا بإذن ، ثلاث عورات لكم ، لأنكم تضعون فيها ثيابكم ، وتخلون بأهلكم . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة ( ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ ) بنصب الثلاث على الرد على الثلاث الأولى . وكأن معنى الكلام عندهم : ليستأذنينكم الذين ملكت أيمانكم ، والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ، ثلاث عورات لكم .

والصواب من القول في ذلك : أنهما قراءتان متقاربتا المعنى ، وقد قرأ بكل واحدة منهما علماء من القراء ، فبأيهما قرأ القارئ فصيبي .

وقوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَ هُنَّ ، طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ ) يقول تعالى ذكره : ليس عليكم معشر أرباب البيوت والمساكن ، ولا عليهم ، يعني : ولا على الذين ملكت أيمانكم من الرجال والنساء ، والذين لم يبلغوا الحلم من أولادكم الصغار حرج ولا إثم بعدهن ، يعني بعد العورات الثلاث ، والهاء والنون في قوله ( بَعْدَ هُنَّ ) عائدتان على الثلاث من قوله ( ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَكُمْ ) ، وإنما يعني بذلك أنه لا حرج ولا جناح على الناس ، أن يدخل عليهم مما ليكهم البالغون ، وصبيانهم الصغار بغير إذن بعد هذه الأوقات الثلاث ، اللاتي ذكرهن في قوله ( مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ ، وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ ، وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ) .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل ،

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : ثم رخص لهم في الدخول فيما بين ذلك بغير إذن ، يعني فيما بين صلاة الغداة إلى الظهر ، وبعد الظهر إلى صلاة العشاء ، أنه رخص لخدام الرجل والصبى أن يدخل عليه منزله بغير إذن ، قال : وهو قوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدَهُنَّ ) فأما من بلغ الحُلُم ، فإنه لا يدخل على الرجل وأهله إلا بإذن على كل حال : وقوله ( طَوَافُونَ عَلَيْكُمْ ) رفع الطوافون بمضمر ، وذلك هم ، يقول لهُؤلاء المماليك والصبيان الصغار هم طوافون عليكم أيها الناس ، ويعنى بالطوافين : أنهم يدخلون ويخرجون على مواليتهم وأقربائهم في منازلهم غدوة وعشية بغير إذن ، يطوفون عليهم ، بعضكم على بعض في غير الأوقات الثلاث التي أمرهم أن لا يدخلوا على ساداتهم وأقربائهم فيها إلا بإذن ( كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ) يقول جل ثناؤه : كما بينت لكم أيها الناس أحكام الاستئذان في هذه الآية ، كذلك يبين الله لكم جميع أعلامه وأدلته وشرائع دينه ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) يقول : والله ذو علم بما يصلح عباده ، حكيم في تدبيره إياهم ، وغير ذلك من أموره .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾

\* يقول تعالى ذكره : وإذا بلغ الصغار من أولادكم وأقربائكم ، ويعنى بقوله ( مِنْكُمْ ) من أحراركم . ( الحُلُم ) يعنى الاحتلام واحتلموا ( فَلْيَسْتَأْذِنُوا ) يقول : فلا يدخلوا عليكم في وقت من الأوقات إلا بإذن ، لاني أوقات العورات الثلاث ولا في غيرها . وقوله ( كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) : يقول : كما استأذن الكبار من ولد الرجل وأقربائه الأحرار ، وخصّ الله تعالى ذكره في هذه الآية الأطفال بالذكر ، وتعريف حكمهم عباده في الاستئذان ، دون ذكر مملكت أيماننا ، وقد تقدمت الآية التي قبلها ، بتعريفهم حكم الأطفال الأحرار والمماليك ، لأن حكم ما ملكت أيماننا من ذلك حكم واحد ، سواء فيه حكم كبارهم وصغارهم ، في أن الإذن عليهم في الساعات الثلاث التي ذكرها الله في الآية التي قبل .

وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : أما من بلغ الحُلُم ، فإنه لا يدخل على الرجل وأهله ، يعنى من الصبيان الأحرار ، إلا بإذن على كل حال ، وهو قوله ( وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ) .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قال عطاء ( وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا ) قال : واجب على الناس أجمعين أن يستأذنوا إذا احتلموا ، على من كان من الناس .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن ابن المسيب ، قال : يستأذن الرجل على أمه ، قال : إنما أنزلت ( وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمْ الْحُلُمَ ) في ذلك ( كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ ) يقول : هكذا يبين الله لكم آياته ، أحكامه وشرائع دينه ، كما بين لكم أمر هؤلاء الأطفال في الاستئذان بعد البلوغ ( وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ) يقول : والله عليم بما يصلح خلقه وغير ذلك من الأشياء ، حكيم في تدبيره خلقه .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ  
غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾

يقول تعالى ذكره : واللواتي قد قعدن عن الولد ، من الكبر ، من النساء ، فلا يحضن ولا يلدن ، واحدهن قاعد ( اللاتي لا يرجون نكاحا ) يقول : اللاتي قد يئسن من البعولة ، فلا يطمعن في الأزواج ( فلئیس علیهن جناح أن يضعن ثيابهن ) يقول : فليس عليهن حرج ولا إثم أن يضعن ثيابهن ، يعنى جلابيهن ، وهى القناع الذى يكون فوق الحمار ، والرداء الذى يكون فوق الثياب ، لا حرج عليهن أن يضعن ذلك عند المحارم من الرجال ، وغير المحارم من الغرباء ، غير متبرجات بزينة .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني علي ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن علي ، عن ابن عباس ، قوله ( وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا ) وهى المرأة لاجناح عليها أن تجلس فى بيتها بديرع وخمار ، وتضع عنها الجلباب ، ما لم تتبرج لما يكره الله ، وهو قوله ( فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ) ثم قال ( وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَهُنَّ ) :

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول فى قوله ( يَضَعْنَ ثِيَابَهُنَّ ) يعنى : الجلباب ، وهو القناع ، وهذا للكبيرة التى قد قعدت عن الولد ، فلا يضرها أن لا تجلب فوق الحمار . وأما كل امرأة مسلمة حرّة ، فعليها إذا بلغت المحيض أن تدنى الجلباب على الحمار . وقال الله فى سورة الأحزاب ( يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ) ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ) وكان بالمدينة رجال من المنافقين إذا مرت بهم امرأة سيئة الهيئة والزى ، حسب

المنافقون أنها مزنية ، وأنها من بغيتهم ، فكانوا يؤذون المؤمنات بالرفث ، ولا يعلمون الحرّة من الأمة ، فأنزل الله في ذلك ( يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين يدنين عليهن من جلابيبهن ، ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين ) يقول : إذا كان زيهن حسنا ، لم يطمع فيهن المنافقون .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، في قوله ( والقواعد من النساء ) التي قعدت من الولد وكبرت . قال ابن جريج : قال مجاهد : ( اللاتي لا يرجون نكاحا ) قال : لا يردنه ( فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ) قال : جلابيبهن .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( والقواعد من النساء اللاتي لا يرجون نكاحا ، فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ) قال : وضع الحمار ، قال : التي لا ترجو نكاحا ، التي قد بلغت أن لا يكون لها في الرجال حاجة ، ولا للرجال فيها حاجة ، فإذا بلغت ذلك وضع الحمار ، غير متبرجات بزينة ، ثم قال ( وأن يستعفين خيرا لهن ) كان أبي يقول هذا كله .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا يحيى وعبد الرحمن ، قالا : ثنا سفيان ، عن علقمة بن مرثد ، عن ذر ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، في قوله ( فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ) قال : الجلاب أو الرداء ، شك سفيان .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن عبد الله ( ليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ) قال : الرداء .  
حدثني يحيى بن إبراهيم المسعودي ، قال : ثنا أبي ، عن أبيه ، عن جدّه ، عن الأعمش ، عن مالك ابن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، قال : قال عبد الله في هذه الآية ( فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ) قال : هي الملحفة .

حدثنا محمد بن المثني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : ثنا شعبة ، عن الحكم ، قال : سمعت أبا وائل قال : سمعت عبد الله يقول في هذه الآية ( فليس عليهن جناح أن يضعن ثيابهن ) قال : الجلاب .  
حدثنا يحيى بن سعيد ، عن شعبة ، قال : أخبرني الحكم ، عن أبي وائل ، عن عبد الله ، مثله .  
حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن الثوري ، عن الأعمش ، عن مالك بن الحارث ، عن عبد الرحمن بن يزيد ، عن ابن مسعود ، في قوله ( أن يضعن ثيابهن غير متبرجات بزينة ) قال : هو الرداء .

قال الحسن ، قال : عبد الرزاق ، قال الثوري : وأخبرني أبو حصين وسالم الأفتس ، عن سعيد بن جبير ، قال : هو الرداء .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مغيرة ، عن الشعبي ( أن يضعن ثيابهن غير متبرجات

بِزِينَةٍ ( قال : تضع الجلباب المرأة التي قد عجزت ولم تزوج . قال الشعبي : فإن أُنبي بن كعب يقرأ ( أن يَضَعَنَّ مِنْ ثِيَابِهِنَّ ) .

حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن عسّية ، قال : قلت لابن أبي نجيح ، قوله ( فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعَنَّ ثِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ) قال : الجلباب ، قال يعقوب ، قال أبو يونس : قلت له : عن مجاهد ؟ قال : نعم ، في الدار والحجرة .

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( فَلَيْسَ عَلَيْهِنَّ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعَنَّ ثِيَابَهُنَّ ) قال : جلابيهن .

وقوله ( غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ بِزِينَةٍ ) يقول : ليس عليهنَّ جناح في وضع أرديتهنَّ إذ لم يُردن بوضع ذلك عنهنَّ ، أن يبدن ما عليهنَّ من الزينة للرجال . والتبرج : هو أن تظهر المرأة من محاسنها ما ينبغي لها أن تستره . وقوله ( وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ) يقول : وإن تعففن عن وضع جلابيهنَّ وأرديتهنَّ ، فيلبسها ، خير لهنَّ من أن يضعنها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك ، قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( أَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ) قال : أن يلبسن جلابيهنَّ .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، عن مُغيرة ، عن الشعبي ( وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ) قال : ترك ذلك ، يعني ترك وضع الثياب .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وَأَنْ يَسْتَعْفِفْنَ خَيْرٌ لَّهُنَّ ) والاستغفاف : لبس الحمار على رأسها ، كان أبي يقول هذا كله ( وَاللَّهُ سَمِيعٌ ) ما تنطقون بألسنتكم ( عليكم ) بما تضرره صدوركم ، فاتقوه أن تنطقوا بألسنتكم ، ما قد نهاكم عن أن تنطقوا بها ، أو تضرروا في صدوركم ما قد كرهه لكم ، فتستوجبوا بذلك منه عقوبة .

القول في تأويل قوله تعالى :

لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْدَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ

خَلَقْتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ وَأَوْصَدِيْقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١﴾

❦ قال أبو جعفر : اختلف أهل التأويل في هذه الآية في المعنى الذي أنزلت فيه ، فقال بعضهم : أنزلت هذه الآية ترخيصا للمسلمين في الأكل مع العُمَيَّان والعُرْجَان والمرضى وأهل الزَّمانَة من طعامهم ، من أجل أنهم كانوا قد امتنعوا من أن يأكلوا معهم من طعامهم ، خشية أن يكونوا قد أتوا بأكلهم معهم من طعامهم ، شيئا مما نهاهم الله عنه بقوله ( يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ، إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ ) .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا عبد الله ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بِيُوتِكُمْ ) . . . إلى قوله ( أَوْ أَشْتَاتًا ) وذلك لما أنزل الله ( يا أيُّها الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالِكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ ) فقال المسلمون : إن الله قد نهانا أن نأكل أموالنا بيننا بالباطل ، والطعام من أفضل الأموال ، فلا يحل لأحد منا أن يأكل عند أحد ، فكف الناس عن ذلك ، فأنزل الله بعد ذلك ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ) . . . إلى قوله ( أَوْ مَا مَلَكَتُمْ مَفَاتِحَهُ ) :

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول في قوله ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ) . . . الآية ، كان أهل المدينة قبل أن يُبعث النبي صلى الله عليه وسلم لا يخالطهم في طعامهم أعمى ولا مريض ، فقال بعضهم : إنما كان بهم التقذّر والتقرّز : وقال بعضهم : المريض لا يستوفى الطعام كما يستوفى الصحيح ، والأعرج المنحبس لا يستطيع المزاحمة على الطعام ، والأعمى لا يبصر طيب الطعام ، فأنزل الله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ حَرَجٌ ) في مؤاكلة المريض والأعمى والأعرج ، فعنى الكلام على تأويل هؤلاء : ليس عليكم أيها الناس في الأعمى حرج ، أن تأكلوا منه ومعه ، ولا في الأعرج حرج ، ولا في المريض حرج ، ولا في أنفسكم ، أن تأكلوا من بيوتكم ، فوجهوا معنى « على » في هذا الموضع إلى معنى « في » . . .

وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية ترخيصا لأهل الزمانَة ، في الأكل من بيوت من سمى الله في هذه الآية ، لأن قوما كانوا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، إذا لم يكن عندهم في بيوتهم ما يطعمونهم ، ذهبوا بهم إلى بيوت آبائهم وأمهاتهم ، أو بعض من سمى الله في هذه الآية ، فكان أهل الزمانَة ينحطون من أن يطعموا ذلك الطعام ، لأنه أطعمهم غير ملكه .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ ) قال : كان رجال زَمَنِي . قال ابن عمرو في حديثه : عُثْمَانُ وَعُرْجَان . وقال الحارث : عُثْمَى عُرْجُ أَوْلُو حَاجَةٍ ، يَسْتَتَبِعُهُمْ رِجَالٌ إِلَى بُيُوتِهِمْ ، فَإِنْ لَمْ يَجِدُوا طَعَامًا ذَهَبُوا بِهِمْ إِلَى بُيُوتِ آبَائِهِمْ ، وَمِنْ عَدَدِ مَنْهُمْ مِنَ الْبُيُوتِ ، فَكَرِهَ ذَلِكَ الْمُسْتَتَبِعُونَ ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ فِي ذَلِكَ ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ) ، وَأَحَلَّ لَهُمُ الطَّعَامَ حَيْثُ وَجَدُوهُ .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قال : كان الرجل يذهب بالأعمى والمريض والأعرج إلى بيت أبيه ، أو إلى بيت أخيه ، أو عمه ، أو خاله ، أو خالته ، فكان الزماني يتحرّجون من ذلك ، يقولون : إنما يذهبون بنا إلى بيوت غيرهم ، فنزلت هذه الآية رخصة لهم . حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، نحو حديث ابن عمرو ، عن أبي عاصم .

وقال آخرون : بل نزلت ترخيصا لأهل الزمانة الذين وصفهم الله في هذه الآية ، أن يأكلوا من بيوت من خلفهم في بيوتهم من الغزاة .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، قال : قلت للزهري ، في قوله ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ) ما بال الأعمى ذكر هاهنا ، والأعرج والمريض ، فقال : أخبرني عبيد الله بن عبد الله ، أن المسلمين كانوا إذا غزوا خلفوا زمناهم ، وكانوا يدفعون إليهم مفاتيح أبوابهم ، يقولون : قد أحلنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا ، وكانوا يتحرّجون من ذلك ، يقولون : لاندخلها وهم غيب ، فنزلت هذه الآية رخصة لهم .

وقال آخرون : بل عني بقوله ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ) ، وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ) في التخلف عن الجهاد في سبيل الله ، قالوا : وقوله ( وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ) كلام منقطع عما قبله .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ) ، وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ) قال : هذا في الجهاد في سبيل الله ، وفي قوله ( وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ) . . . إلى قوله ( أَوْ صَدِّيقِكُمْ ) قال : هذا شيء قد انقطع ، إنما كان هذا في الأول ، لم يكن لهم أبواب ، وكانت الستور مَرْنُخَاةً ، فربما دخل الرجل

البيت وليس فيه أحد، وربما وجد الطعام وهو جائع، فسوّغه الله أن يأكله . قال : وقد ذهب ذلك اليوم ، البيوت اليوم فيها أهلها ، وإذا أخرجوا أغلقوها ، فقد ذهب ذلك .  
وقال آخرون : بل نزلت هذه الآية ترخيصة للمسلمين الذين كانوا يتقون مؤاكلة أهل الزمانة في مؤاكلتهم إذا شاءوا ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن قيس بن مسلم ، عن مِقْسَم ، في قوله ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ) قال : كانوا يتقون أن يأكلوا مع الأعمى والأعرج ، فنزلت ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ) .

واختلفوا أيضا في معنى قوله ( أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحَهُ ) فقال بعضهم : عنى بذلك : وكيل الرجل وقيّمه ، أنه لا بأس عليه أن يأكل من ثمر ضيعته ، ونحو ذلك .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنا معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحَهُ ) وهو الرجل يوكّل الرجل بضيعة ، فرخص الله له أن يأكل من ذلك الطعام والتمر ، ويشرب اللبن .

وقال آخرون : بل عنى بذلك : منزل الرجل نفسه ، أنه لا بأس عليه أن يأكل .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحّاك يقول في قوله ( أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحَهُ ) يعنى : بيت أحدهم ، فإنه يملكه ، والعبيد منهم مما ملكوا .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، عن معمر ، عن قتادة ، في قوله ( أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحَهُ ) مما تحبون يا بن آدم .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، قال ( أَوْ مَا مَلَكَتْكُمْ مَفَاتِحَهُ ) قال : خزائن لأنفسهم ، ليست لغيرهم .

وأشبهه الأقوال التي ذكرنا في تأويل قوله ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ) . . . إلى قوله ( أَوْ صَدِّيقُكُمْ ) القول الذي ذكرنا عن الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله ، وذلك أن أظهر معانى قوله ( لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ ، وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ ) : أنه لا حرج على هؤلاء الذين سُئِلُوا في هذه الآية ، أن يأكلوا من بيوت من ذكره الله فيها ، على ما أباح لهم من الأكل منها ، فإذا كان ذلك أظهر معانيه ، فتوجيه معناه إلى الأغلب الأعرف من معانيه ، أولى من توجيهه إلى الأنكر منها . فإذا كان ذلك كذلك ، كان ما خالف من التأويل قول من قال : معناه : ليس في الأعمى والأعرج حرج ، أولى بالصواب . وكذلك أيضا الأغلب من تأويل قوله ( وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ ) أنه بمعنى : ولا عليكم أيها الناس ، ثم جمع هؤلاء



والزَّمَنِي الذين ذكرهم قبل في الخطاب ، فقال : أن تأكلوا من بيوت أنفسكم ، وكذلك تفعل العرب إذا جمعت بين خبر الغائب والمخاطب ، غَلَّبَتِ المخاطب ، فقالت : أنت وأخوك قمتما ، وأنت وزيد جلستما ، ولا تقول : أنت وأخوك جلسا ، وكذلك قوله ( وَلَا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ) والخبر عن الأعمى والأعرج والمريض ، غَلَّبَ المخاطب ، فقال : أن تأكلوا ، ولم يقل : أن يأكلوا .

فإن قال قائل : فهذا الأكل من بيوتهم قد علمناه ، كان لهم حلالا ، إذ كان ملكا لهم ، أو كان أيضا حلالا لهم الأكل من مال غيرهم ؟ قيل له : ليس الأمر في ذلك على ما توهمت ، ولكنه كما ذكرناه عن عبيد الله ابن عبد الله ، أنهم كانوا إذا غابوا في مغازيهم ، وتخلف أهل الزمانة منهم ، دفع الغازي مفتاح مسكنه إلى المتخلف منهم ، فأطلق له في الأكل مما يخلف في منزله من الطعام ، فكان المتخلفون يتخوفون الأكل من ذلك وربهم غائب ، فأعلمه الله أنه لا حرج عليه في الأكل منه ، وأذن لهم في أكله ، فإذا كان ذلك كذلك تبين أن لا معنى لقول من قال : إنما أنزلت هذه الآية من أجل كراهة المستبغ أكل طعام غير المستبغ ، لأن ذلك لو كان كما قال من قال ذلك ، لقليل : ليس عليكم حرج أن تأكلوا من طعام غير من أضافكم ، أو من طعام آباء من دعاكم ، ولم يقل : أن تأكلوا من بيوتكم أو بيوت آبائكم ، وكذلك لا وجه لقول من قال : معنى ذلك : ليس على الأعمى حرج في التخلف عن الجهاد في سبيل الله ، لأن قوله ( أن تأكلوا ) خبر ليس ، وأن في موضع نصب على أنها خبر لها ، فهي متعلقة بليس ، فمعلوم بذلك أن معنى الكلام : ليس على الأعمى حرج أن يأكل من بيته ، لاما قاله الذين ذكرنا ، من أنه لا حرج عليه في التخلف عن الجهاد . فإذا كان الأمر في ذلك على ما وصفنا ، تبين أن معنى الكلام : لا ضيق على الأعمى ، ولا على الأعرج ، ولا على المريض ، ولا عليكم أيها الناس ، أن تأكلوا من بيوت أنفسكم ، أو من بيوت آبائكم ، أو من بيوت أمهاتكم ، أو من بيوت إخوانكم ، أو من بيوت أخواتكم ، أو من بيوت أعمامكم ، أو من بيوت عماتكم ، أو من بيوت أخوالكم ، أو من بيوت خالاتكم ، أو من البيوت التي ملكتم مفاتيحها ، أو من بيوت صديقتكم ، إذا أذنوا لكم في ذلك ، عند مغيبهم ومشهدهم . والمفاتيح : الخزائن ، واحدها : مَفْتَح ، إذا أريد به المصدر ، وإذا كان من المفاتيح التي يفتح بها ، فهي مِفْتَح ومفاتيح ، وهي هاهنا على التأويل الذي اخترناه جمع مِفْتَح الذي يفتح به .

وكان قتادة يتأول في قوله ( أو صَدِيقِكُمْ ) : ما حدثنا به الحسن بن يحيى ، قال : أخبرنا عبد الرزاق عن معمر ، عن قتادة ( أو صَدِيقِكُمْ ) فلو أكلت من بيت صديقك من غير أمره ، لم يكن بذلك بأس ، قال معمر : قلت لقتادة : أو لا أشرب من هذا الحُبِّ ، قال : أنت لى صديق .

وأما قوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعاً أَوْ أَشْتَاتاً ) فإن أهل التأويل اختلفوا في تأويله ، فقال بعضهم : كان الغنى من الناس يتخوف أن يأكل مع الفقير ، فرخص لهم في الأكل معهم .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن

ابن عباس ، قوله ( أنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ) قال : كان الغنيّ يدخل على الفقير من ذوى قرابته وصديقه ، فيدعوّه إلى طعامه ليأكل معه ، فيقول : والله إني لأجرح أن آكل معك ، والجرح : الحرج ، وأنا غنيّ وأنت فقير ، فأمرُوا أن يأكلوا جميعا ، أو أشتاتا .  
وقال آخرون : بل عنيّ بذلك حتى من أحياء العرب ، كانوا لا يأكل أحدهم وحده ، ولا يأكل إلا مع غيره ، فأذن الله لهم أن يأكل من شاء منهم وحده ، ومن شاء منهم مع غيره .  
ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، قال : كانوا يأنفون ويتحرّجون أن يأكل الرجل الطعام وحده ، حتى يكون معه غيره ، فرخص الله لهم ، فقال ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ) .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : كانت بنو كنانة يستحي الرجل منهم أن يأكل وحده ، حتى نزلت هذه الآية .  
حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول : كانوا لا يأكلون إلا جميعا ، ولا يأكلون متفرقين ، وكان ذلك فيهم دينا ، فأنزل الله : ليس عليكم حرج في مؤاكلة المريض والأعمى ، وليس عليكم حرج أن تأكلوا جميعا أو أشتاتا .  
حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ) قال : كان من العرب من لا يأكل أبدا جميعا ، ومنهم من لا يأكل إلا جميعا ، فقال الله ذلك .  
حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن قتادة ، قال : نزلت ( لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ) في حتى من العرب كان الرجل منهم لا يأكل طعامه وحده ، كان يحمله بعض يوم ، حتى يجد من يأكله معه ؛ قال : وأحسب أنه ذكر أنهم من كنانة .  
وقال آخرون : بل عنيّ بذلك قوم كانوا لا يأكلون إذا نزل بهم ضيف إلا مع ضيفهم ، فرخص لهم في أن يأكلوا كيف شاءوا .

ذكر من قال ذلك

حدثني أبو السائب ، قال : ثنا حفص ، عن عمران بن سليمان ، عن أبي صالح وعكرمة ، قالوا : كانت الأنصار إذا نزل بهم الضيف ، لا يأكلون حتى يأكل الضيف معهم ، فرخص لهم ، قال الله ( لا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا ) .  
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إن الله وضع الحرج عن المسلمين ، أن يأكلوا جميعا معا إذا شاءوا ، أو أشتاتا متفرقين إذا أرادوا ، وجائز أن يكون ذلك نزل بسبب من كان يتخوف من الأغنياء الأكل مع الفقير ، وجائز أن يكون نزل بسبب القوم الذين ذكر أنهم كانوا لا يطعمون وحداثاء ، وبسبب

غير ذلك ، ولا خبر بشيء من ذلك يقطع العذر ، ولا دلالة في ظاهر التنزيل على حقيقة شيء منه . والصواب التسليم لما دل عليه ظاهر التنزيل ، والتوقف فيما لم يكن على صحته دليل .  
وقوله ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ) اختلف أهل التأويل في ذلك ، فقال بعضهم : معناه : فإذا دخلتم أيها الناس بيوت أنفسكم ، فسلموا على أهل بيوتكم وعيالكم .  
ذكر من قال ذلك

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري وقتادة في قوله ( فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ) قالوا : بيتك إذا دخلته ، فقل : سلام عليكم .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ) قال : سلم على أهلك . قال ابن جريج ، وسئل عن عطاء بن أبي رباح : أحق على الرجل إذا دخل على أهله أن يسلم عليهم ، قال : نعم ، وقالها عمرو بن دينار ، وتلوا ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ ، تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ) قال عطاء بن أبي رباح ذلك غير مرة .

قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : أخبرني أبو الزبير ، قال : سمعت جابر بن عبد الله يقول : إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم ( تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً ) قال : ما رأيته إلا يوجهه .  
قال ابن جريج ، وأخبرني زياد ، عن ابن طاوس أنه كان يقول : إذا دخل أحدكم بيته فليسلم .  
قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، قال : قلت لعطاء : إذا خرجت أوجب السلام ، هل أسلم عليهم ؟ وإنما قال ( إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا ) قال : ما أعلمه واجبا ، ولا آثر عن أحد وجوبه ، ولكن أحب إلي ، وما أدعه إلا ناسيا .

قال ابن جريج ، وقال عمرو بن دينار : لا ، قال : قلت لعطاء : فإن لم يكن في البيت أحد ؟ قال : سلم ، قل : السلام على النبي ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، السلام على أهل البيت ورحمة الله ، قلت له : قولك هذا إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد ممن تآثره؟ ، قال : سمعته ولم يؤثر لي عن أحد .

قال ابن جريج ، وأخبرني عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ، قال : السلام علينا من ربنا ، وقال عمرو بن دينار : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

حدثنا أحمد بن عبد الرحيم ، قال : ثنا عمرو بن أبي سلمة ، قال : ثنا صدقة ، عن زهير ، عن ابن جريج ، عن أبي الزبير ، عن جابر بن عبد الله ، قال : إذا دخلت على أهلك فسلم عليهم ، تحية من عند الله مباركة طيبة ، قال : ما رأيته إلا يوجهه .

حدثنا محمد بن عباد الرازي ، قال : ثنا حجاج بن محمد الأعور ، قال : قال لي ابن جريج ، أخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابر بن عبد الله يقول ، فذكر مثله .

حُدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاک يقول ، في قوله ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ) يقول : سلموا على أهاليكم إذا دخلتم بيوتكم ، وعلى غير أهاليكم ، فسلموا إذا دخلتم بيوتهم .  
وقال آخرون : بل معناه : فإذا دخلتم المساجد فسلموا على أهلها .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا عبد الله بن المبارك ، عن معمر ، عن عمرو بن دينار ، عن ابن عباس ( إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ) قال : هي المساجد ، يقول : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، في قوله ( فَلَمَّا إِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ) قال : إذا دخلت المسجد فقل : السلام على رسول الله ، وإذا دخلت بيتا ليس فيه أحد ، فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وإذا دخلت بيتك فقل : السلام عليكم .  
وقال آخرون : بل معنى ذلك : إذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين فيها ناس منكم ، فليسلم بعضهم على بعض .

ذكر من قال ذلك

حدَّثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، في قوله ، فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ( أى ليسم بعضهم على بعض ، كقوله ( وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ) .  
حدَّثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ ) قال : إذا دخل المسلم سلم عليه ، كمثل قوله ( لَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ) إنما هو : لا تقتل أخاك المسلم .

وقوله ( ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ ) قال : يقتل بعضهم بعضا ، قُرْبَىة والنَّصِيرُ :  
وقال آخرون : معناه : فإذا دخلتم بيوتا ليس فيها أحد ، فسلموا على أنفسكم .

ذكر من قال ذلك

حدَّثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا هشيم ، قال : أخبرنا حصين ، عن أبي مالك ، قال : إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد ، فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين ، وإذا دخلت بيتا فيه ناس من المسلمين وغير المسلمين ، فقل مثل ذلك .

حدَّثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن أبي سنان ، عن ماهان ، قال : إذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم ، قال : تقولوا : السلام علينا من ربنا .  
حدَّثنا ابن المنني ، قال : ثنا محمد بن جعفر ، قال : أخبرنا شعبة بن منصور ، قال شعبة : وسأله عن

هذه الآية ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ) قال : قال إبراهيم : إذا دخلت بيتا ليس فيه أحد ، فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو بن الحارث ، عن بكير بن الأشج ، عن نافع ، أن عبد الله كان إذا دخل بيتا ليس فيه أحد ، قال : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين . حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا جرير ، قال : ثنا منصور ، عن إبراهيم ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ) قال : إذا دخلت بيتا فيه يهود ، فقل : السلام عليكم ، وإن لم يكن فيه أحد فقل : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين .

❦ وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : قول من قال معناه : فإذا دخلتم بيوتا من بيوت المسلمين ، فليسلم بعضكم على بعض .

وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب ؛ لأن الله جل ثناؤه قال ( فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا ) ولم يخص من ذلك بيتا دون بيت ، وقال ( فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ) يعني : بعضكم على بعض ، فكان معلوما إذ لم يخص ذلك على بعض البيوت دون بعض ، أنه معنى به جميعها ، مساجدها وغير مساجدها . ومعنى قوله ( فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ ) نظير قوله ( وَلَا تَقْتُلُوا أَنفُسَكُمْ ) ، وقوله ( تَحِيَّةً مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ ) ونصب تحية ، بمعنى : تحيئون أنفسكم تحية من عند الله السلام تحية ، فكأنه قال : فليحي بعضكم بعضا تحية من عند الله . وقد كان بعض أهل العربية يقول : إنما نصبت بمعنى : أمركم بها ففعلونها تحية منه ، ووصف جل ثناؤه هذه التحية المباركة الطيبة ، لما فيها من الأجر الجزيل ، والثواب العظيم .

وقوله ( كَذَلِكَ يَسْبِغُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ ) يقول تعالى ذكره : هكذا يفصل الله لكم معالم دينكم ، فيبينها لكم ، كما فصل لكم في هذه الآية ما أحل لكم فيها ، وعرفكم سبيل الدخول على من تدخلون عليه ، ( لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ) يقول : لكي تفقهوا عن الله أمره ونهيه وأدبه .

القول في تأويل قوله تعالى :

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأَذَنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦١﴾

❦ يقول تعالى ذكره : ما المؤمنون حق الإيمان ، إلا الذين صدقوا الله ورسوله ( وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ ) ، يقول : وإذا كانوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ( عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ ) يقول : على أمر يجمع جميعهم من حرب حضرت ، أو صلاة اجتمع لها ، أو تشاور في أمر نزل ( لَّمْ يَذْهَبُوا ) يقول : لم ينصرفوا عما اجتمعوا له من الأمر ، حتى يستأذِنُوا رسول الله صلى الله عليه وسلم .

❖ وأولى التأويلين في ذلك بالصواب عندى : التأويل الذى قاله ابن عباس ، وذلك أن الذى قبّل قوله ( لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا ) نهى من الله المؤمنين ، أن يأتوا من الانصراف عنه ، في الأمر الذى يجمع جميعهم ، ما يكرهه ، والذى بعده وعيد للمنصرفين بغير إذنه عنه ، فالذى بينهما بأن يكون تحذيرا لهم سُخْطُهُ ، أن يضطره إلى الدعاء عليهم ، أشبه من أن يكون أمرا لهم بما لم يجز له ذكر ، من تعظيمه وتوقيره بالقول والدعاء .

وقوله ( قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ) يقول تعالى ذكره : إنكم أيها ، المنصرفون عن نبيكم بغير إذنه ، تسرا وخفية منه ، وإن خفى أمر من يفعل ذلك منكم ، على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن الله يعلم ذلك ، ولا يخفى عليه ، فليتق من يفعل ذلك منكم ، الذين يخالفون أمر الله في الانصراف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا بإذنه ، أن تصيبهم فتنة من الله ، أو يصيبهم عذاب أليم ، فيطبع على قلوبهم ، فيكفروا بالله .  
وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

#### ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا الحكم بن بشير ، قال : ثنا عمرو بن قيس ، عن جويبر ، عن الضحاك ، فى قول الله ( قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ) قال : كانوا يستتر بعضهم ببعض ، فيقومون ، فقال : فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة ، قال : يطبع على قلبه ، فلا يأمن أن يظهر الكفر بلسانه ، فتضرب عنقه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ) قال : خلافا .

حدثنى يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، فى قوله ( قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا ) قال : هؤلاء المنافقون الذين يرجعون بغير إذن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال : اللواذ : يلوذ عنه ويبروغ : ويذهب بغير إذن النبي صلى الله عليه وسلم ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره ) الذين يصنعون هذا ( أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ ، أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) . الفتنه هاهنا : الكفر ، واللواذ : مصدر لاوذت بفلان ملاءمة وليواذا ، ولذلك ظهرت الواو ، ولو كان مصدرا للذت لقبيل : لباذا ، كما يقال : قُمت قباما ، وإذا قبيل : قاومتك ، قبيل : قواما طويلا . واللواذ : هو أن يلوذ القوم بعضهم ببعض ، يستتر هذا بهذا ، وهذا بهذا ، كما قال الضحاك .

وقوله ( أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ) يقول : أو يصيبهم فى عاجل الدنيا عذاب من الله موجه ، على صنيعهم ذلك ، وخلافهم أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وقوله ( فليحذر الذين يخالفون عن أمره ) وأدخلت « عن » ، لأن معنى الكلام : فليحذر الذين يلوذون ، عن أمره ، ويهديون عنه معرضين .

القول في تأويل قوله تعالى :

أَلَا إِنَّ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا قَالُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾

يقول تعالى ذكره : ألا إن لله ملك جميع السموات والأرض : يقول : فلا ينبغي لمملوك أن يخالف أمر مالكة فيعصيه ، فيستوجب بذلك عقوبته . يقول : فكذلك أنتم أيها الناس ، لا يصلح لكم خلاف ربكم الذي هو ما لكم ، فأطيعوه ، وأتمروا لأمره ، ولا تنصرفوا عن رسوله إذا كنتم معه على أمر جامع ، إلا بإذنه . وقوله ( قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ) من طاعتكم إياه فيما أمركم ونهاكم من ذلك ، كما حدثني أيضا يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ ) صنيعكم هذا أيضا ( وَيَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ ) يقول : ويوم يرجع إلى الله الذين يخالفون عن أمره ، ( فَيُنَبِّئُهُمْ ) يقول : فيخبرهم حينئذ ( بِمَا عَمِلُوا ) في الدنيا ، ثم يجازيهم على ما أسلفوا فيها ، من خلافهم على ربهم ( وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ) يقول : والله ذو علم بكل شيء عملتموه أنتم وهم وغيركم ، وغير ذلك من الأمور ، لا يخفى عليه شيء ، بل هو محيط بذلك كله ، وهو مؤف كل عامل منكم أجر عمله يوم ترجعون إليه .

آخر تفسير سورة النور

(٢٥) سُورَةُ الْفُرْقَانِ مَكِّيَّةٌ  
وَأَيُّهَا سَبْعٌ وَسِتُّونَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القول في تأويل قوله تعالى :

تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴿٢٦﴾

قال أبو جعفر : تبارك : تفاعل من البركة ، كما حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا عثمان بن سعيد ، قال : ثنا بشر بن عمارة ، قال : ثنا أبو روق ، عن الضحاك ، عن عبد الله بن عباس ، قال : تبارك : تفاعل من البركة ، وهو كقول القائل : تقدس ربنا ، فقوله ( تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ ) يقول : تبارك الذي نزل الفصل بين الحق والباطل ، فصلا بعد فصل ، وسورة بعد سورة ، على عبده محمد صلى الله عليه وسلم ، ليكون محمد لجميع الجن والإنس ، الذين بعثه الله إليهم داعيا إليه ، نذيرا : يعني منذرا يُنذِرهم عقابه ، ويخوفهم عذابه ، إن لم يوحدوه ، ولم يخلصوا له العبادة ، ويخلصوا كل ما دونه من الآلهة والأوثان .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ) قال النبي النذير ، وقرأ ( وَإِنَّ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ) وقرأ ( وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا لَهَا مُنذِرُونَ ) قال : رسل ، قال : المنذرون : الرسل قال : وكان نذيرا واحدا بلغ ما بين المشرق والمغرب ، ذوالقرنين ، ثم بلغ السدّين ، وكان نذيرا ، ولم أسمع أحدا يَحِقُّ أنه كان نبيا ( وَأُوحِيَ إِلَىٰ هَذَا الْقُرْآنِ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ) قال : من بلغه القرآن من الخلق ، فرسول الله نذيره ، وقرأ ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ) وقال : لم يرسل الله رسولا إلى الناس عامة إلا نوحا ، بدأ به الخلق ، فكان رسول أهل الأرض كلهم ، ومحمد صلى الله عليه وسلم ختم به .

القول في تاويل قوله تعالى :

الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ  
فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره : ( تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ - الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ) فالذي الثانية من نعت الذي الأولى ، وهما جميعا في موضع رفع ، الأولى بقوله تبارك ، والثانية نعت لما ، ويعنى بقوله ( الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ) الذي له سلطان السموات والأرض يُنْفِذُ فِي جَمِيعِهَا أَمْرَهُ وَقَضَاءَهُ ، وَيُنْضِي فِي كُلِّهَا أَحْكَامَهُ ، يقول : فحق على من كان كذلك أن يطيعه أهل مملكته ، ومن في سلطانه ، ولا يعصوه ، يقول : فلا تعصوا نذيري إليكم أيها الناس ، وانبعوه ، واعملوا بما جاءكم به من الحق ( وَكَمْ يَتَّخِذُ وَلَدًا ) يقول : تكذيبا لمن أضاف إليه الولد ، وقال : الملائكة بنات الله ، ما اتخذ الذي نزل الفرقان على عبده ولدا ، فمن أضاف إليه ولدا فقد كذب وافتري على ربه ( وَكَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ ) يقول تكذيبا لمن كان يضيف الألوهة إلى الأصنام ويعبدها من دون الله من مشركي العرب ، ويقول في تلبينه : لَسْبَبِكَ لِشَرِيكَ لَكَ ، إِلا شَرِيكَ هُوَ لَكَ ، تملكه وما ملك ، كذب قائلو هذا القول ، ما كان لله من شريك في ملكه وسلطانه ، فيصلح أن يُعْبَدَ مِنْ دُونِهِ ، يقول تعالى ذكره : فَأَفْرَدُوا أَيُّهَا النَّاسُ لِرَبِّكُمْ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأُلُوهَةَ ، وَأَخْلَصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ ، دُونَ كُلِّ مَا تُعْبُدُونَهُ مِنْ الْأَلْهَةِ وَالْأَصْنَامِ ، وَالْمَلَائِكَةِ وَالْجِنِّ وَالْإِنْسِ ، فَإِنَّ كُلَّ ذَلِكَ خَلَقَهُ وَفِي مَلِكِهِ ، فَلَا تُصَلِّحُ الْعِبَادَةَ إِلَّا اللَّهُ الَّذِي هُوَ مَالِكُ جَمِيعِ ذَلِكَ ، وَقَوْلُهُ ( وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ ) يقول تعالى ذكره : وَخَلَقَ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ الْفُرْقَانَ كُلَّ شَيْءٍ ، فَالْأَشْيَاءُ كُلُّهَا خَلَقَهُ وَمِيَانِكُهُ ، وَعَلَى الْمَالِكِ طَاعَةَ مَالِكِهِمْ ، وَخِدْمَةَ سَيِّدِهِمْ دُونَ غَيْرِهِ ، يقول : وَأَنَا خَالِفُكُمْ وَمَالِكُكُمْ ، فَأَخْلَصُوا إِلَى الْعِبَادَةِ دُونَ غَيْرِي ، وَقَوْلُهُ ( فَتَقَدَّرَ لَهُ تَقْدِيرًا ) يقول : فَسَوَّى كُلَّ مَا خَلَقَ ، وَهَيَّأَ لَهَا بِصَلْحِ لَهُ ، فَلَا تَخْتَلِفُ فِيهِ وَلَا تَخَاوُتُ :



القول في تأويل قوله تعالى :

وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا  
وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٤﴾

يقول تعالى ذكره : مُقَرَّرًا مشركى العرب بعبادتهم مادونه من الآلهة ، ومعجبا أولى النهى منهم ، ومنسبهم على موضع خطأ فعلهم ، وذهابهم عن منهج الحق ، وركوبهم من سبيل الضلالة ما لا يركبه إلا كل مدخول الرأى ، مسلوب العقل ، واتخذ هؤلاء المشركون بالله من دون الذى له ملك السموات والأرض وحده ، من غير شريك ، الذى خلق كل شىء فقدره ، آلهة : يعنى أصناما بأيديهم يعبدونها ، لا تخلق شيئا وهى تُتخلق ، ولا تملك لأنفسها نفعا تجره إليها ، ولا ضرا تدفعه عنها من أرادها بضر ، ولا تملك إماتة حتى ، ولا إحياء ميت ، ولا نشره من بعد مماته ، وتركوا عبادة خالق كل شىء ، وخالق آلهتهم ، ومالك الضر والنفع ، والذى بيده الموت والحياة والنشور . والنشور : مصدر نُشِرَ الميت نشورا ، وهو أن يُبعث ويجيا بعد الموت .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا  
وَزُورًا ﴿٥﴾

يقول تعالى ذكره : وقال هؤلاء الكافرون بالله ، الذين اتخذوا من دونه آلهة : ما هذا القرآن الذى جاءنا به محمد ( إلا إفك ) يعنى : إلا كذب وُبُهتان ( افترأه ) اختلقه وتخرصه بقوله ( وأعانه عليه قوم آخرون ) ذكر أنهم كانوا يقولون : إنما يُعَلِّمُ محمدا هذا الذى يجيئنا به اليهود ، فذلك قوله ( وأعانه عليه قوم آخرون ) يقول : وأعان محمدا على هذا الإفك الذى افترأه يهود .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، فى قول الله ( وأعانه عليه قوم آخرون ) قال : يهود .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، مثله :

وقوله ( فقد جاءوا ظلما وزورا ) يقول تعالى ذكره : فقد أتى قائلو هذه المقالة ، يعنى الذين قالوا : ( إن هذا إلا إفك افترأه وأعانه عليه قوم آخرون ) ظلما ، يعنى بالظلم نسبتهم كلام الله وتنزيله ، إلى أنه إفك افترأه محمد صلى الله عليه وسلم . وقد بينا فيما مضى أن معنى الظلم : وضع الشىء

في غير موضعه ، فكان ظلم قائل هذه المقالة القرآن بقبيلهم هذا، وصفهم إياه بغير صفة . والزور : أصله تحسين الباطل . فتأويل الكلام : فقد أتى هؤلاء القوم في قبيلهم ( إن هذا إلا إفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون ) كذبا محضا .  
وبنحو الذي قلنا قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ؛ وحدثني القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فقد جاءوا ظلما وزورا ) قال : كذبا .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ أَكْتَبَبَهَا فِيهِ تَمَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٦﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ  
السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧﴾

ذكر أن هذه الآية نزلت في النضر بن الحارث ، وأنه المعنى بقوله ( وقالوا أساطير الأولين ) :

ذكر من قال ذلك

حدثنا أبو كريب ، قال : ثنا يونس بن بكير ، قال : ثنا محمد بن إسحاق ، قال : « ثنا شيخ من أهل مصر ، قدم منذ بضع وأربعين سنة ، عن عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : كان النضر بن الحارث بن كلدة بن علقمة بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي ، من شياطين قريش ، وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وينصب له العداوة ، وكان قد قدم الحيرة ، تعلم بها أحاديث ملوك فارس ، وأحاديث رستم وأسفنديار ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا جلس مجلسا ، فذكر بالله ، وحدث قوم ما أصاب من قبلهم من الأمم ، من نعمة الله ، خلفه في مجلسه إذا قام ، ثم يقول : أنا والله يامعشر قريش أحسن حديثا منه ، فهلما فأننا أحدثكم أحسن من حديثه ، ثم يحدثهم عن ملوك فارس ورستم وأسفنديار ، ثم يقول : ما محمد أحسن حديثا مني ، قال : فأنزل الله تبارك وتعالى في النضر ثمانى آيات من القرآن ، قوله ( وإذا نزلنا عليه آياتنا قال أساطير الأولين ) وكل ما ذكر فيه الأساطير في القرآن . »

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثني محمد بن أبي محمد ، عن سعيد أو عكرمة ، عن ابن عباس نحوه ، إلا أنه جعل قوله « فأنزل الله في النضر ثمانى آيات ، » عن ابن إسحاق ، عن الكلابي ، عن أبي صالح ، عن ابن عباس .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ( أساطير الأولين ) أشعارهم وكتبانهم ، وقالها النضر بن الحارث .

فتأويل الكلام : وقال هؤلاء المشركون بالله ، الذين قالوا لهذا القرآن : إن هذا إلا إفك افتراه محمد صلى الله عليه وسلم ، هذا الذى جاءنا به محمد ، أساطير الأولين ، يعنون أحاديثهم التى كانوا يُسَطِّرونها فى كتبهم ، اكتبها محمد صلى الله عليه وسلم من يهود ، ( فهى تملئ عليه ) يعنون بقوله ( فهى تملئ عليه ) فهذه الأساطير تُقرأ عليه ، من قولهم : أمليت عليك الكتاب ، وأملكت ( بكفرةً وأصيلاً ) يقول : وتملى عليه غُدوةً وعشيا .

وقوله ( قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) يقول تعالى ذكره : قل يا محمد هؤلاء المكذِّبين بآيات الله من مشركى قومك : ما الأمر كما تقولون ، من أن هذا القرآن أساطير الأولين ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم افتراه ، وأعانه عليه قوم آخرون ، بل هو الحق ، أنزله الرب الذى يعلم سر من فى السموات ومن فى الأرض ، ولا يخفى عليه شيء ، ومُخَصِّي ذلك على خلقه ، ومُجَازِيهِمْ بما عَزَمَتْ عَلَيْهِ قُلُوبِهِمْ ، وَأَضْمَرُوهُ فِي نَفُوسِهِمْ ( إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ) يقول : إنه لم يزل يصفح عن خلقه ويرحمهم ، فيفضلُ عليهم بعفوه ، يقول : فلأن ذلك من عادته فى خلقه ، يُمَهِّلُكُمْ أَيُّهَا الْقَائِلُونَ مَا قَلَّمْتُمْ مِنَ الْإِفْكِ ، وَالْفَاعِلُونَ مَا فَعَلْتُمْ مِنَ الْكُفْرِ .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ( قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ) قال : ما يسرُّ أهل الأرض وأهل السماء :

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونُ مَعَهُ نَذِيرًا ﴿١٠﴾ أَوْ يُنَزَّلُ إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿١١﴾

ذكر أن هاتين الآيتين نزلتا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما كان مشركو قومه قالوا له ليلة اجتماع أشرافهم بظهر الكعبة ، وعرضوا عليه أشياء ، وسألوه الآيات .

فكان فيما كَلَّمُوهُ بِهِ حِينُنْدُ ، فيما حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى محمد ابن أبى محمد ، مولى زيد بن ثابت ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة مولى ابن عباس ، عن ابن عباس ، «أن قالوا له : فإن لم تفعل لنا هذا ، يعنى ما سألوه من تسيير جبالهم عنهم ، وإحياء آبائهم ، والمجئىء بالله والملائكة قبلا ، وما ذكره الله فى سورة بنى إسرائيل ، فخذ لنفسك ، سل ربك يبعث معك ملكا يصدقك بما تقول ، ويراجعنا عنك ، وسله فيجعل لك قصورا وجنانا ، وكنوزا من ذهب وفضة ، تغنيك عما نراك ،

تبتغى ، فإنك تقوم بالأسواق ، وتلتمس المعاش كما نلتمسه ، حتى نعلم فضلك ومنزلتك من ربك ، إن كنت رسولا كما تزعم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما أنا بفاعيلٍ ، فأنزل الله في قولهم : أن خُذْ لِنَفْسِكَ مَا سَأَلُوهُ أَنْ يَأْخُذَهَا : أن يجعل له جنانا وقصورا وكنوزا ، أو يبعث معه ملكا يصدقه بما يقول ، ويرد عنه من خاصمه ، ( وَقَالُوا مَا لِهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ ، وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ، لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا مَلَكٌ فَبِكُونٍ مَعَهُ نَذِيرًا ، أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ ، أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا ، وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ) .

فتأويل الكلام : وقال المشركون ( ما لهذا الرسول ) : يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ، الذي يزعم أن الله بعثه إلينا ( يَأْكُلُ الطَّعَامَ ) كما نأكل ، ( وَيَمْشِي ) في أسواقنا كما نمشي . ( لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْنَا ) : يقول : هلا أنزل إليه ( ملك ) إن كان صادقا من السماء ( فَبِكُونٍ مَعَهُ ) منبرا للناس ، مصدقا له على ما يقول ، أو يلقي إليه كنز من فضة أو ذهب ، فلا يحتاج معه إلى التصرف في طلب المعاش ( أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ ) : يقول : أو يكون له بستان ( يَأْكُلُ مِنْهَا ) .

واختلف القراء في قراءة ذلك ، فقراءته عامة قراء المدينة والبصرة وبعض الكوفيين ( يَأْكُلُ ) بالياء ، بمعنى : يأكل منها الرسول . وقرأ ذلك عامة قراء الكوفيين ( نَأْكُلُ مِنْهَا ) بالنون ، بمعنى : نأكل من الجنة . وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب : قراءة من قرأه بالياء ، وذلك للخبر الذي ذكرنا قبل بأن مسألة من سأل من المشركين رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أن يسأل ربه هذه الخلال لنفسه لاهم ، فإذا كانت مسألتهم إياه ذلك كذلك ، فغير جائز أن يقولوا له : سل لنفسك ذلك ، لنأكل نحن . وبعد ، فإن في قوله تعالى ذكره : ( تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) ، دليلا بيينا على أنهم إنما قالوا له : اطلب ذلك لنفسك ، لنأكل أنت منه ، لا نحن .

وقوله ( وَقَالَ الظَّالِمُونَ ) يقول : وقال المشركون للمؤمنين بالله ورسوله ( إِنْ تَتَّبِعُونَ ) أيها القوم ، باتباعكم محمدا ( إِلَّا رَجُلًا ) به سحر :

القول في تأويل قوله تعالى :

أَنْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝ تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ

لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ۝

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : انظر يا محمد إلى هؤلاء المشركين الذين شبهوا لك الأشباه بقولهم لك : هو مسحور ، فضلوا بذلك عن قصد السبيل ، وأخطئوا طريق الهدى والرشاد ، فلا يستطيعون : يقول : فلا يجدون سبيلا إلى الحق ، إلا فيها بعثتك به ، ومن الوجه الذي ضلوا عنه . وينحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، قال : ثنى محمد بن أبي محمد ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس ( انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ ، فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ) أي التمسوا الهدى في غير ما بعثتك به إليهم فضلوا ، فلن يستطيعوا أن يصبوا الهدى في غيره . وقال آخرون في ذلك ما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فلا يستطيعون سبيلًا ) قال : تخرجا يخرجهم من الأمثال التي ضربوا لك .  
وقوله ( تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) يقول تعالى ذكره : تقدس الذي إن شاء جعل لك خيرا من ذلك .

واختلف أهل التأويل في المعنى « بذلك » التي في قوله ( جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ) فقال بعضهم : معنى ذلك : خيرا مما قال هؤلاء المشركون لك يا محمد ، هلا أوتيته وأنت لله رسول ، ثم بين تعالى ذكره عن الذي لو شاء جعل له من خير مما قالوا ، فقال ( جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) .

## ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، قوله ( تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ) خيرا مما قالوا .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ، قوله ( تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ) قال : مما قالوا ، وتمنوا لك ، فيجعل لك مكان ذلك جنات تجري من تحتها الأنهار .

وقال آخرون : عني بذلك المشي في الأسواق ، والتماس المعاش .

## ذكر من قال ذلك

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، عن ابن إسحاق ، عن محمد بن أبي محمد ، فيما يرى الطبري ، عن سعيد بن جبير ، أو عكرمة ، عن ابن عباس ، قال : ثم قال : ( تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ ) من أن تمشي في الأسواق ، وتلتمس المعاش كما يلتمسه الناس ، ( جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ) .

قال أبو جعفر : والقول الذي ذكرناه عن مجاهد في ذلك : أشبه بتأويل الآية ، لأن المشركين إنما استعظموا أن لا تكون له جنة يأكل منها ، وأن لا يلبثي إليه كنز ، واستنكروا أن يمشي في الأسواق ، وهو لله رسول ، فالذي هو أولى بوعد الله إياه ، أن يكون وعدا بما هو خير ما كان عند المشركين عظيما ، لا بما

كان منكرا عندهم ، وعُني بقوله ( جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) : بساتين تجري في أصول أشجارها الأنهار .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ) قال : حوائط .

وقوله ( وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ) يعني بالقصور : البيوت المبنية .  
وبنحو ما قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ) قال : بيوتا مبنية مشيدة ، كان ذلك في الدنيا ، قال : كانت قريش ترى البيت من الحجارة قصرا كأننا ما كان .  
حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ) مشيدة في الدنيا ، كل هذا قالته قريش ، وكانت قريش ترى البيت من حجارة ما كان صغيرا قصرا .

حدثنا ابن بشار ، قال : ثنا عبد الرحمن ، قال : ثنا سفيان ، عن حبيب قال : « قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : إن شئت أن نعطيك من خزائن الأرض ومفاتيحها ، ما لم يعط نبي قبلك ، ولا يعطى من بعدك ، ولا ينقص ذلك مما لك عند الله تعالى ، فقال : اجمعوها لي في الآخرة ، فأنزل الله في ذلك ( تَبَارَكَ الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ) » .

القول في تأويل قوله تعالى :

بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَوْهُم مِّنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُواهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾

يقول تعالى ذكره : ما كذب هؤلاء المشركون بالله ، وأنكروا ما جئتهم به يا محمد من الحق ، من أجل أنك تأكل الطعام ، وتمشي في الأسواق ، ولكن من أجل أنهم لا يوقنون بالمعاد ، ولا يصدقون بالثواب والعقاب ، تكذبا منهم بالقيامة ، وبعث الله الأموات أحياء لحشر القيامة . وأعدنا : يقول : وأعدنا لمن كذب ببعث الله الأموات أحياء بعد فنائهم لقيام الساعة ، نارا نسعر عليهم ، وتتعد إذا رأوهم من مكان بعيد ، إذا رأت هذه النار التي أعدناها لهؤلاء المكذبين ، أشخاصهم من مكان بعيد ، تهيئت

(١) الظاهر أنه سقط من قام الناصح « أو كبيراً » كما يفيد ما قبله . والنهي في ابن كثير « صغيراً كان أو كبيراً » .

عليهم ، وذلك أن تغلى وتفور ، يقال : فلان تغيط على فلان ، وذلك إذ غضب عليه ، فغلتى صدره من الغضب عليه ، وتبين في كلامه ، وزفيرا ، وهو صوتها .  
فإن قال قائل : وكيف قيل ( سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا ) والتغيظ : لا يسمع ، قيل : معنى ذلك : سمعوا لها صوت التغيظ ، من التلهب والتوقد .

حدثني محمود بن خدّاش ، قال : ثنا محمد بن يزيد الواسطي ، قال : ثنا أصعب بن زيد الوراق ، عن خالد بن كثير ، عن فُدَيْك ، عن رجل من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مَنْ يَقُولُ عَلَيَّ مَا لَمْ أَقُلْ فَلْيَتَّبِعُونِي بَيْنَ عَيْنَيْ جَهَنَّمَ مَقْعَدًا » قالوا : يا رسول الله ، وهل لها من عين ؟ قال : أَلَمْ تَسْمَعُوا إِلَى قَوْلِ اللَّهِ ( إِذَا رَأْتَهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ ) . . الآية .

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر في قوله ( سَمِعُوا لَهَا تَغِيظًا وَزَفِيرًا ) قال : أخبرني المنصور بن المعتمر ، عن مجاهد ، عن عبيد بن عمير ، قال : إن جهنم لتزفر زفرة لا يبقى ملك ولا نبي إلا خرّ ترعداً فرائصه حتى إن إبراهيم ليجثو على ركبتيه ، فيقول : يا ربّ لأسألك اليوم إلا نفسي .

حدثنا أحمد بن إبراهيم الدورقي ، قال : ثنا عبيد الله بن موسى ، قال : أخبرنا إسرائيل ، عن أبي يحيى ، عن مجاهد ، عن ابن عباس ، قال : « إن الرجل ليُجَرَّ إلى النار ، فتزوي ، وينقبض بعضها إلى بعض ، فيقول لها الرحمن : مالك ؟ فتقول : إنه ليستجير مني ، فيقول : أرسلوا عبيدي ، وإن الرجل ليُجَرَّ إلى النار ، فيقول : يا ربّ ما كان هذا الظنّ بك ؟ فيقول : فما كان ظنك ؟ فيقول : أن تسمني رحمتك ، قال : فيقول أرسلوا عبيدي . وإن الرجل ليُجَرَّ إلى النار ، فتشبهق إليه النار شهوق البغلة إلى الشعر ، وتزفر زفرة لا يبقى أحد إلا خاف . »

القول في تأويل قوله تعالى :

وَإِذَا الْقَوْمُ مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا مُقَرَّبِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴿١٣﴾ لَأَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ﴿١٤﴾

يقول تعالى ذكره : وإذا أتى هؤلاء المكذّبون بالساعة من النار مكانا ضيقا ، قد قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الأغلال ( دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ) .

واختلف أهل التأويل في معنى الثبور ، فقال بعضهم : هو الويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني عليّ ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثني معاوية ، عن عليّ ، عن ابن عباس ، في قوله ( وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا ) يقول : وَيَلَا .

حدثني محمد بن سعد ، قال : ثني أبي ، قال : ثني عمي ، قال : ثني أبي ، عن أبيه ، عن ابن عباس :  
 لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا ، يقول : لاتدعوا اليوم ويلا واحدا ، وادعوا ويلا كثيرا .  
 وقال آخرون : الثبور : الهلاك .

ذكر من قال ذلك

حدثت عن الحسين ، قال : سمعت أبا معاذ يقول : أخبرنا عبيد ، قال : سمعت الضحاك يقول ، في قوله  
 ( لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا ) الثبور : الهلاك .  
 قال أبو جعفر : والثبور في كلام العرب : أصله انصراف الرجل عن الشيء ، يقال منه : ما ثببرك عن  
 هذا الأمر : أي ما صرفك عنه ، وهو في هذا الموضع دعاء هؤلاء القوم بالندم ، على انصرفهم عن طاعة الله  
 في الدنيا ، والإيمان بما جاءهم به نبي الله صلى الله عليه وسلم ، حتى استوجبوا العقوبة منه ، كما يقول القائل :  
 واندامتاه ، واحسرتاه على ما فرطت في جنب الله . وكان بعض أهل المعرفة بكلام العرب من أهل البصرة  
 يقول في قوله ( دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ) أي هلكة ، ويقول : هو مصدر من ثبُر الرجل : أي أهلك ،  
 ويستشهد لقيه في ذلك بيت ابن الزبعرى :

إذ أجازي الشيطانَ في سننِ الغيِّ ، وَمَنْ مَالَ مَيْلَهُ مَثُورًا

وقوله ( لاتدعوا اليوم ) أيها المشركون ندما واحدا : أي مرة واحدة ، ولكن ادعوا ذلك كثيرا ،  
 وإنما قيل ( لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا ) لأن الثبور مصدر ، والمصادر لا تجمع ، وإنما توصف  
 بامتداد وقتها وكثرتها ، كما يقال : قعد قعودا طويلا ، وأكل أكلا كثيرا .

حدثنا محمد بن مرزوق ، قال : ثنا حجاج ، قال : ثنا حماد ، قال : ثنا علي بن زيد ، عن أنس بن  
 مالك ، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « أَوَّلُ مَنْ يَكْسَى حُلَّةً مِنَ النَّارِ إبْلِيسُ ، فَيَضَعُهَا  
 عَلَى حَاجِبَيْهِ ، وَيَسْحَبُهَا مِنْ خَلْفِهِ ، وَذُرِّيَّتُهُ مِنْ خَلْفِهِ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا ثُبُورَاهُ ، وَهُمْ  
 يُنَادُونَ يَا ثُبُورَهُمْ حَتَّى يَقْفُوا عَلَى النَّارِ ، وَهُوَ يَقُولُ : يَا ثُبُورَاهُ ، وَهُمْ يُنَادُونَ يَا ثُبُورَهُمْ  
 فَيُقَالُ ( لاتدعوا اليوم ثبورا واحدا ، وادعوا ثبورا كثيرا ) » .

القول في تأويل قوله تعالى :

قُلْ أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخَالِدِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ﴿٦١﴾ لَهُمْ فِيهَا مَا  
 يَشَاءُونَ خَالِدِينَ ﴿٦٢﴾ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ﴿٦٣﴾

(١) البيت لعبد الله بن الزبعرى شاعر قريش ، الذي كان يهجو رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ثم خرج إليه وأسلم بعد فتح  
 مكة ، وقال حين أسلم شعرا ، منه هذا البيت ، من مقطوعة أربعة أبيات ، أنشدها ابن إسحاق في السيرة ( طبعة الحلبي : ٤ : ١١ ) ومعنى  
 أجازي : أباري وأحارني . والسنن بالضمريك : وسط الطريق . وثبور : هالك . والشاهد فيه عند المؤلف أن الثبور معناه الهلاك ،  
 والثبور : الهالك .



❦ يقول تعالى ذكره : قل يا محمد لهؤلاء المكذبين بالساعة : أهذه النار التي وصف لكم ربكم صفتها وصفة أهلها، خير؟ أم بستان الخلد الذي يدوم نعيمه ولا يبديد، الذي وَعَدَ من اتقاه في الدنيا، بطاعته فيما أمره ونهاه؟ وقوله ( كَانَتْ لَهُمْ جَزَاءً وَمَصِيرًا ) يقول : كانت جنة الخلد للمتقين جزاء أعمالهم لله في الدنيا بطاعته ، وثواب تقواهم إياه ، ومصيرا لهم ، يقول : ومصيرا للمتقين يصيرون إليها في الآخرة . وقوله ( لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ ) يقول : لهؤلاء المتقين في جنة الخلد التي وَعَدَ هموها الله، ما يشاءون مما تشبهه الأنفس ، وتلذذ الأعين ( خالدين ) فيها ، يقول : لابتين فيها ما كثرن أبدا ، لا يزولون عنها ، ولا يزول عنهم نعيمها . وقوله ( كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولاً ) وذلك أن المؤمنين سألوا ربهم ذلك في الدنيا حين قالوا ( آتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ ) يقول الله تبارك وتعالى : كان إعطاء الله المؤمنين جنة الخلد التي وصف صفتها في الآخرة ، وَعْدًا وَعَدَهُمُ اللهُ عَلَى طَاعَتِهِمْ إِيَّاهُ فِي الدُّنْيَا ، ومسئلتهم إياه ذلك . وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن عطاء الخراساني ، عن ابن عباس ( كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولاً ) قال : فسألوا الذي وَعَدَهُمْ وتنجزوه . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( كَانَتْ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولاً ) قال : سألوه إياها في الدنيا ، طلبوا ذلك فأعطاهم وعدهم ، إذ سألوه أن يعطيهم ، فأعطاهم ، فكان ذلك وعدا مسئولا ، كما وقت أرزاق العباد في الأرض قبل أن يخلقهم ، فجعلها أقواتا للسائلين ، وقت ذلك على مسئلتهم ، وقرأ ( وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ) . وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى قوله ( وَعْدًا مَسْئُولاً ) إلى أنه معنى به وعدا واجبا ، وذلك أن المسئول واجب ، وإن لم يُسأل كالدين ، ويقول ذلك نظير قول العرب : لأعطينك ألفا وعدا مسئولا ، بمعنى واجب لك ، فتسأله .

القول في تأويل قوله تعالى :

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ  
أَمْ هُمْ ضَلُّوا السَّبِيلَ ﴿١٧﴾

❦ يقول تعالى ذكره : ويوم نحشر هؤلاء المكذبين بالساعة ، العابدين الأوثان ، وما يعبدون من دون الله من الملائكة والإنس والجن .

كما حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد في قول الله ( وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ ) فيقول ( أَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ ) قال : عيسى وعزير والملائكة .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جُرَيْج ، عن مجاهد ، نحوه .  
واختلفت القراء في قراءة ذلك ، فقرأه أبو جعفر القارى وعبد الله بن كثير ( وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا  
يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَقُولُ ) بالياء جميعا ، بمعنى : ويوم يحشرهم ربك ، ويحشر ما يعبدون من  
دونه فيقول . وقرأته عامة قراء الكوفيين ( نَحْشُرُهُمْ ) بالنون ، فنقول . وكذلك قرأه نافع .  
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب : أن يقال : إنهما قراءتان مشهورتان ، متقاربتا المعنى ، فبأيهما قرأ  
القارى فصيب .

وقوله ( فَيَقُولُ أَأَنْتُمْ أَضَلَلْتُمْ عِبَادِي هَؤُلَاءِ ) يقول : فيقول الله للذين كان هؤلاء المشركون  
يعبدونهم من دون الله : أأنتم أضللتهم عبادى هؤلاء : يقول : أنتم أزلتموهم عن طريق الهدى ، ودعوتموهم إلى  
الغى والضلالة ، حتى تاهوا وهلكوا ، أم هم ضلوا السبيل ، يقول : أم عبادى هم الذين ضلوا سبيل الرشده  
والحق ، وسلخوا العطب .

القول في تأويل قوله تعالى :

قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ  
حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ﴿٥١﴾

يقول تعالى ذكره : قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى : تنزيها لك  
يا ربنا ، وتبرئة مما أضف إليك هؤلاء المشركون ، ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء نواليهم ،  
أنت ولينا من دونهم ، ولكن متعتهم بالمال يا ربنا في الدنيا والصحة ، حتى نسوا الذكر ، وكانوا قوما هلكى ،  
قد غلب عليهم الشقاء والحذلان .

وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك

حدثنى محمد بن سعد ، قال : ثنى أبى ، قال : ثنى عمى ، قال : ثنى أبى ، عن ابن عباس ،  
قوله ( وَلَكِنْ مَتَّعْتَهُمْ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى نَسُوا الذِّكْرَ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ) يقول : قوم قد ذهبت  
أعمالهم وهم فى الدنيا ، ولم تكن لهم أعمال صالحة .

حدثنى على ، قال : ثنا أبو صالح ، قال : ثنى معاوية ، عن على ، عن ابن عباس ، قوله ( وَكَانُوا  
قَوْمًا بُورًا ) يقول : هلكى .

حدثنى محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ، وحدثنى الحارث ، قال : ثنا الحسن ،  
قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نعيم ، عن مجاهد ، قوله ( وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ) يقول : هلكى ؟

حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر عن الحسن ( وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ) قال :

هم الذين لا خير فيهم .

حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( وكانوا قوماً بوراً ) قال : يقول : ليس من الخير في شيء . البور : الذي ليس فيه من الخير شيء .

واختلفت القراء في قراءة قوله ( ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ) فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار ( نتخذ ) بفتح النون ، سوى الحسن ، ويزيد بن القعقاع ، فإنهما قرآه ( أن نتخذ ) بضم النون ، فذهب الذين فتحوها إلى المعنى الذي بيناه في تأويله ، من أن الملائكة وعيسى ، ومن عبد من دون الله من المؤمنين ، هم الذين تبرءوا أن يكون كان لهم ولي غير الله تعالى ذكره . وأما الذين قرءوا ذلك بضم النون ، فإنهم وجهوا معنى الكلام إلى أن المعبودين في الدنيا ، إنما تبرءوا إلى الله أن يكون كان لهم أن يعبدوا من دون الله جل ثناؤه ، كما أخبر الله عن عيسى ، أنه قال : إذا قيل ( أنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله ؟ قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق - ما قلت لهم إلا ما أمرتني به : أن اعبدوا الله ربي وربكم ) .

قال أبو جعفر : وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب : قراءة من قرأه بفتح النون ، لعل ثلاث : إحداهن إجماع الحجة من القراء عليها ، والثانية أن الله جل ثناؤه ذكر نظير هذه القصة في سورة سبأ ، فقال ( ويوم يحشرهم جميعاً ثم يقول للملائكة أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون ؟ قالوا : سبحانك أنت وليئتنا من دونهم ) ، فأخبر عن الملائكة أنهم إذا سئلوا عن عبادة من عبدهم ، تبرءوا إلى الله من ولايتهم ، فقالوا لربهم : ( أنت وليئتنا من دونهم ) ، فذلك يوضح عن صحة قراءة من قرأ ذلك ( ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء ) بمعنى : ما كان ينبغي لنا أن نتخذهم من دونك أولياء . والثالثة : أن العرب لا تدخل « من » هذه التي تدخل في الجحد إلا في الأسماء ، ولا تدخلها في الإخبار ، لا يقولون : مارأيت أخاك من رجل ، وإنما يقولون : مارأيت من أحد ، وما عندي من رجل ، وقد دخلت هاهنا في الأولياء ، وهي في موضع الخبر ، ولو لم تكن فيها « من » ، كان وجهها حسناً . وأما البور : فمصدر واحد ، وجمع للبائر ، يقال : أصبحت منازلهم بوراً : أي خالية لاشيء فيها ، ومنه قولهم : بارت السوق ، وبار الطعام : إذا خلا من الطلاب والمشتري ، فلم يكن له طالب ، فصار كالشيء الهالك ؛ ومنه قول ابن الزبير :

يارسول المليك إن لساني راتق ما فتقت إذ أنا بوراً

وقد قيل : إن بور : مصدر ، كالعدل والزور والقطع ، لايشي ولا يجمع ولا يؤنث ، وإنما أريد بالبور في هذا الموضع أن أعمال هؤلاء الكفار كانت باطلة ، لأنها لم تكن لله كما ذكرنا عن ابن عباس .

(١) البيت لعبد الله بن الزبير ، قاله حين أسلم عند فتح مكة . وهو في أول المقطوعة قبل البيت الذي مضى شرحه قبل هذا . وراتق : مصلح لما أفسدت ، وأصل الرتق : السد للشوب الممزق ، بإصلاح ما تقطع منه . وفتقت : أي أفسدت من الدين ، فكل إثم فتق وتمزيق ، وكل توبة رتق وإصلاح . وبور : هالك . يقال رجل بور وبائر ، وقوم بور ، وأصل البور : مصدر باريبور بوراً ، ثم وصف به ، فلزم الإفراد ، لأن المصادر لا تجمع . وقال المؤلف إنه مصدر واحد ( غير مجموع ) ، وجمع للبائر ، قال يقال : أصبحت منازلهم بوراً ، أي خالية .

القول في تأويل قوله تعالى :

فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا

يقول تعالى ذكره مخبرا عما هو قائل للمشركين عند تبرئ من كانوا يعبدونه في الدنيا من دون الله منهم ، قد كذبوكم أيها الكافرون ، من زعمتم أنهم أضلوكم ، ودعوكم إلى عبادتهم بما تقولون ، يعني بقولكم ، يقول : كذبوكم بكذبكم .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ، قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ) يقول الله للذين كانوا يعبدون عيسى وعزيرا والملائكة ، يكذبون المشركين .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثني حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ) قال : عيسى وعزير والملائكة ، يكذبون المشركين بقولهم .

وكان ابن زيد يقول في تأويل ذلك ، ما حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد

في قوله ( فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ) قال : كذبوكم بما تقولون بما جاء من عند الله جاءت به الأنبياء والمؤمنون آمنوا به ، وكذب هؤلاء ، فوجه ابن زيد تأويل قوله ( فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ ) إلى : فقد كذبوكم أيها المؤمنون المكذبون بما جاءهم به محمد من عند الله ، بما تقولون من الحق ، وهو أن يكون خبرا عن الذين كذبوا الكافرين ، في زعمهم أنهم دعواهم إلى الضلالة ، وأمرهم بها ، على ما قاله مجاهد من القول الذي ذكرناه عنه ، أشبه وأولى ، لأنه في سياق الخبر عنهم . والقراءة في ذلك عندنا ( فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ، بالتاء ) على التأويل الذي ذكرناه ، لإجماع الحجة من قراءة الأمصار عليه . وقد حكى عن بعضهم أنه قرأه ( فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ بِمَا يَقُولُونَ ) بالياء ، بمعنى : فقد كذبوكم بقولهم .

وقوله جل ثناؤه ( فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ) يقول : فما يستطيع هؤلاء الكفار صرف عذاب

الله حين نزل بهم عن أنفسهم ، ولا نصرها من الله حين عذبها وعاقبها .

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثني محمد بن عمرو ، قال : ثنا أبو عاصم ، قال : ثنا عيسى ؛ وحدثني الحارث ، قال : ثنا الحسن ،

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ) قال :

المشركون لا يستطيعونه .

قال : ثنا ورقاء جميعا ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ( فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ) قال : المشركون لا يستطيعونه .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنى حجاج ، عن ابن جريج ، عن مجاهد ( فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ) قال : المشركون . قال ابن جريج : لا يستطيعون صرف العذاب عنهم ، ولا نصر أنفسهم . حدثني يونس ، قال : أخبرنا ابن وهب ، قال : قال ابن زيد ، في قوله ( فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ) قال : لا يستطيعون يصرفون عنهم العذاب الذى نزل بهم حين كذبوا ، ولا أن ينتصروا . قال : وينادى مناد يوم القيامة حين يجتمع الخلائق : بالكم لاتناصرون ، قال : من عبد من دون الله لا ينصر اليوم من عبده ، وقال العابدون من دون الله لا ينصره اليوم إلهه الذى يعبد من دون الله ، فقال الله تبارك وتعالى : ( بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ) ، وقرأ قول الله جل ثناؤه ( فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ) . ورؤى عن ابن مسعود فى ذلك ما حدثنا به أحمد بن يونس ، قال : ثنا القاسم ، قال : ثنا حجاج ، عن هارون ، قال : هى فى حرف عبد الله بن مسعود ( فَمَا يَسْتَطِيعُونَ لَكَ صَرْفًا ) فإن تكن هذه الرواية عنه صحيحة ، صح التأويل الذى تأوله ابن زيد فى قوله ( فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ) ، ويصير قوله ( فَقَدْ كَذَّبُوكُمْ ) خبرا عن المشركين أنهم كذبوا المؤمنين ، ويكون تأويل قوله حينئذ ( فَمَا يَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ) فما يستطيع يا محمد هؤلاء الكفار لك صرفا عن الحق الذى هداك الله له ، ولا نصر أنفسهم ، مما بهم من البلاء الذى هم فيه ، بتكذيبهم إياك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَنْ يَظْلِم مِّنكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾

يقول تعالى ذكره للمؤمنين به ( وَمَنْ يَظْلِم مِّنكُمْ ) أيها المؤمنون ، يعنى بقوله ( وَمَنْ يَظْلِم ) ومن يشرك بالله فيظلم نفسه ، فذلك نذقه عذابا كبيرا ، كالذى ذكرنا أنا نذيقه الذين كذبوا بالساعة . وبنحو الذى قلنا فى ذلك قال أهل التأويل .

ذكر من قال ذلك

حدثنا القاسم ، قال : ثنى الحسين ، قال : ثنى حجاج ، قال : قال ابن جريج ، فى قوله ( وَمَنْ يَظْلِم مِّنكُمْ ) قال : بشرك ( نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ) . حدثنا الحسن ، قال : أخبرنا عبد الرزاق ، قال : أخبرنا معمر ، عن الحسن ، فى قوله ( وَمَنْ يَظْلِم مِّنكُمْ ) قال : هو الشرك .

القول فى تأويل قوله تعالى :

وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ  
وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ﴿٢٠﴾

وهذا احتجاج من الله تعالى ذكره لنبيه على مشركي قومه الذين قالوا ( ما لَهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ) وجواب لهم عنه يقول لهم جل ثناؤه: وما أنكر يا محمد هؤلاء القائلون ما لهذا: الرسول يأكل الطعام ، ويمشي في الأسواق ، من أكلك الطعام ، ومشيك في الأسواق ، وأنت لله رسول ، فقد علموا أنا ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام ، ويمشون في الأسواق ، كالذي تأكل أنت وتمشي ، فليس لهم عليك بما قالوا من ذلك حجة .

فإن قال قائل : فإن « مَنْ » ليست في التلاوة ، فكيف قلت : معنى الكلام : إلا مَنْ-لِإِنِّهِمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ؟ قيل : قلنا في ذلك : معناه : أن الهاء والميم في قوله : إنهم ، كناية أسماء لم تذكر ، ولا بد لها من أن تعود على من كُنِيَ عنه بها ، وإنما ترك ذكر « مَنْ » وإظهاره في الكلام ، اكتفاء بدلالة قوله ( مِنْ الْمُرْسَلِينَ ) عليه ، كما اکتفى في قوله ( وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ) من إظهار « مَنْ » ، ولا شك أن معنى ذلك : وما منا إلا من له مقام معلوم ، كما قيل ( وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ) ومعناه : وإن منكم إلا من هو واردها ، فقوله ( لِإِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ) صلة لمن المتروك ، كما يقال في الكلام : ما أرسلت إليك من الناس إلا مَنْ إنه ليبلغك الرسالة ، فإنه ليبلغك الرسالة : صلة لمن .

وقوله ( وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ) يقول تعالى ذكره : وامتنحنا أيها الناس بعضكم ببعض ، جعلنا هذا نبيا ، وخصصناه بالرسالة ، وهذا مليكا ، وخصصناه بالدنيا ، وهذا فقيرا ، وحرمناه الدنيا ، لاختبر الفقير بصبره على ما حُرِّم مما أعطيه الغني ، والملك بصبره على ما أعطيه الرسول من الكرامة ، وكيف رضى كل إنسان منهم بما أعطى ، وقَسِمَ له ، وطاعته ربه مع ما حُرِّم مما أعطى غيره . يقول : فمن أجل ذلك لم أعط محمدًا الدنيا ، وجعلته يطلب المعاش في الأسواق ، ولأبتليكم أيها الناس ، وأختبر طاعتكم ربكم ، وإجابتكم رسوله إلى مادعاكم إليه ، بغير عرض من الدنيا ترجونه من محمد أن يعطيكم على اتباعكم إياه ، لأنى لو أعطيته الدنيا ، لسارع كثير منكم إلى اتباعه ، طمعا في دنياه أن ينال منها .

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل :

ذكر من قال ذلك  
حدثني يعقوب بن إبراهيم ، قال : ثنا ابن علية ، عن أبي رجاء ، قال : ثنا عبد القدوس ، عن الحسن ، في قوله ( وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً ) . . . الآية ، يقول : هذا الأعمى لو شاء الله لبعثني بصيرا مثل فلان ، ويقول هذا الفقير : لو شاء الله لبعثني غنيا مثل فلان ، ويقول هذا السقيم : لو شاء الله لبعثني صحيحا مثلا فلان .

حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ، في قوله ( وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَنْتُمْ صَابِرُونَ ؟ ) قال : يُمَسِّكُ عَنْ هَذَا ، وَيُوسِّعُ عَلَى هَذَا ، فيقول : لم يعطني مثل ما أعطى فلانا ، ويبتلى بالوجع كذلك ، فيقول : لم يجعلني ربي صحيحا مثل فلان ، في أشباه ذلك من البلاء ، ليعلم من يصبر ممن يجزع .

حدثنا ابن حميد ، قال : ثنا سلمة ، قال : ثنا ابن إسحاق ، قال : ثنا محمد بن أبي محمد ، فيها بروى

الطبري ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : وأنزل عليه في ذلك من قولهم ( ما لهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ) . . . الآية ( وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ، وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ) : أي جعلت بعضكم لبعض بلاء ، لتصبروا على ما تسمعون منهم ، وترون من خلافهم ، وتتبعوا الهدى بغير أن أعطيهم عليه الدنيا ، ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي ، فلا يخالفون لفعلت ، ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بكم ، وأبتليكم بهم .

وقوله ( وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ) يقول : وربك يا محمد بصير بمن يجزع ، ومن يصبر على ما امتحن به

من المحن .

كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا )

إن ربك لبصير بمن يجزع ، ومن يصبر .

تفسير الطبري ، عن عكرمة ، أو عن سعيد ، عن ابن عباس ، قال : وأنزل عليه في ذلك من قولهم ( ما لهَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ ) . . . الآية ( وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ ، وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ ، وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ) : أي جعلت بعضكم لبعض بلاء ، لتصبروا على ما تسمعون منهم ، وترون من خلافهم ، وتتبعوا الهدى بغير أن أعطيهم عليه الدنيا ، ولو شئت أن أجعل الدنيا مع رسلي ، فلا يخالفون لفعلت ، ولكني قد أردت أن أبتلي العباد بكم ، وأبتليكم بهم .

وقوله ( وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ) يقول : وربك يا محمد بصير بمن يجزع ، ومن يصبر على ما امتحن به

من المحن . كما حدثنا القاسم ، قال : ثنا الحسين ، قال : ثنا حجاج ، عن ابن جريج ( وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ) إن ربك لبصير بمن يجزع ، ومن يصبر .







